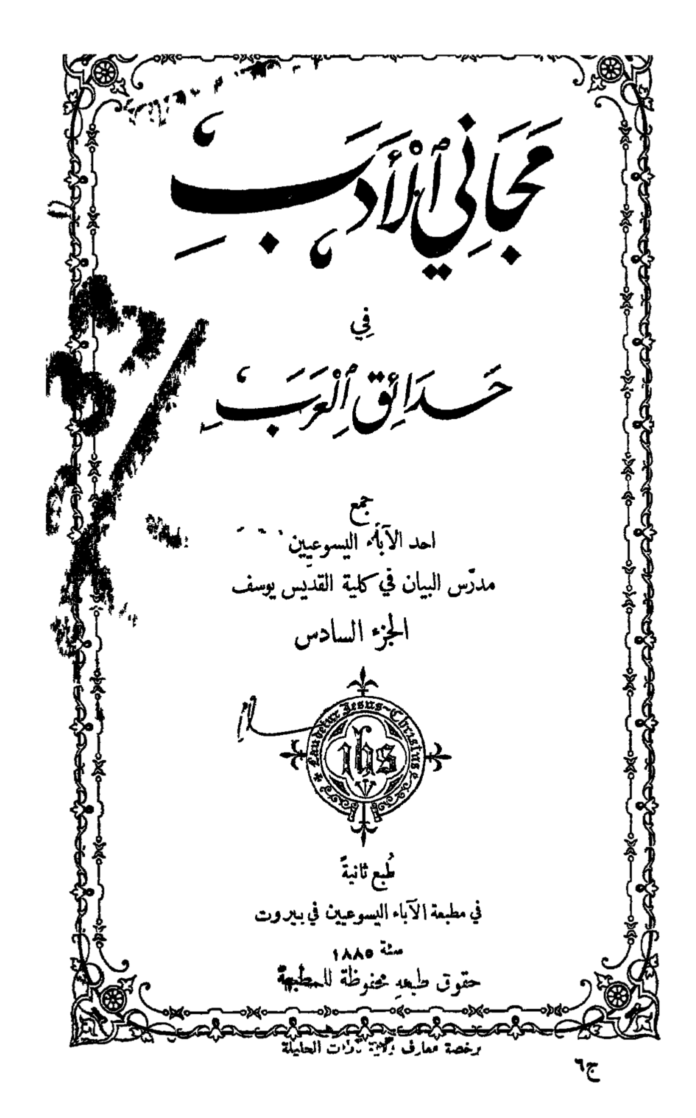


مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

احد الآباء اليسوعيين

مدرّس البيان في كلية القديس يوسف

الجزء السادس

طُبع ثانيةً

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٥

ج٦

اَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلْخُطَبِ

نخبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

١ اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَزْلَلْتَ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزَلْتَ عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلْأُولَى . وَكُنْتُ بِٱلثَّانِيَةِ أَوْلَى . لَوْلَا فَضْلٌ مِنْكَ سَابِقٌ حَمْدُ ٱلْحَامِدِ وَرَاءَهُ يَقْطِفُ . وَإِنْ أَعْنَقَ فَكَأَنَّهُ مَصْفُودٌ يَرْسُفُ . وَكَرَمٌ بَاسِقٌ شُكْرُ ٱلشَّاكِرِ يَنُوءُ تَحْتَهُ بِجَنَاحٍ مَهِيضٍ . وَإِنْ حَلَّقَ فَكَأَنَّهُ لَاصِقٌ بِٱلْحَضِيضِ . ثُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيقَكَ مَعِي رِدْأً وَكَفَى بِهِ مِنْ رِدْءٍ . عَلَى صُنْعٍ مَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا أَتَّصَلَ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَيْسِيرِ ٱلْفَيْئَةِ ٱلَّتِي بِإِحْسَانِكَ ٱلْمُتَظَاهِرِ جَذَبْتَ إِلَيْهَا بِضَبْعِي . وَبِسُلْطَانِكَ ٱلْقَاهِرِ قَسَرْتَ عَلَيْهَا طَبْعِي . وَبِنَظَرِكَ ٱلصَّادِقِ خَفَّفْتَ عَلَيَّ مَجَاشِمَهَا ٱلْمُتْعِبَةَ . وَسَهَّلْتَ تَكَالِيفَهَا ٱلْمُتَصَعِّبَةَ . وَفَكَكْتَ مِنْ رِقِّ ٱلتَّبِعَاتِ عُنُقِي . وَمَنَنْتَ بِحَلِّ إِسَارِي وَعِتْقِي . وَرَقَّيْتَنِي إِلَى رُتْبَةِ ٱلْقَنَاعَةِ وَهِيَ ٱلرُّتْبَةُ ٱلْعُلْيَا . وَزَهَّدْتَنِي فِي ٱلْحِرْصِ عَلَى زُخْرُفِ ٱلدُّنْيَا . وَطَيَّبْتَ نَفْسِي بِغَوَارِزِ أَخْلَافِهَا عَنِ ٱلْغِزَارِ . وَتَرَضَّيْتَهَا بَعْدَ ٱلدِّرَّةِ بِٱلْغِرَارِ

٢ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلْأُولَى) مَا يَخْفِضُ ٱلْمَرْءَ عَدَمُهُ وَيُتْمُهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

وعلمه ولا يرفعه ماله وأهله . إذا خفضه فجوره وجهله . ألعلم هو الأب . بل هو للتأي أرأب . وألتقوى هي الأم . بل هي إلى اللبان أضم . فأحرز نفسك في حرزها . وأشدد يديك بغرزها يسقك الله نعمة صيبة . ويحيك حياة طيبة

٣ (ألمقالة الثانية) يا ابن آدم أصلك من صلصال كالفخار . وفيك ما لا يسعك من التيه والفخار . تارة بالأب والجد . وأخرى بالدولة والجد . ما أولاك بأن لا تصعر خديك . ولا تفتخر بجديك تبصر خليلي مم مركبك . وإلى م منقلبك . فخفض من غلوائك . وخل بعض خيلائك

٤ (ألمقالة الثامنة) ما أسعدك لو كنت في سلامة الضمير . كسلاسة الماء النمير . وفي النقاء عن الريبة كمرآة الغريبة . وفي نفاذ الطية . كصدر الخطية . وفي أخذ الأهبة . كالواقع في النهبة . لكنك ذو تكدير . كرجرجة الغدير . ومتلطخ بالخبائث . كالكثير الحانث . وذو عجز وتواني . كمكسال الغواني . وتارك للاستعداد . كالشاك في المعاد

٥ (ألمقالة العاشرة) إستمسك بحبل مواخيك . ما استمسك بأواخيك . واصحبه ما أصحب للحق وأذعن . وحل مع أشياعه وظعن . فإن تنكرت أنحاؤه . ورشح بالباطل إناؤه . فتعوض من صحبته وإن عوضت الشسع . واصطرف بحبله وإن أعطيت النسع . فصاحب

ٱلصِّدْقِ أَنْفَعُ مِنَ ٱلتِّرْيَاقِ ٱلنَّافِعِ ۔ وَقَرِينُ ٱلسُّوءِ أَضَرُّ مِنَ ٱلسُّمِّ ٱلنَّاقِعِ

٦ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) أَلشَّهْمُ ٱلْحَذِرُ ۔ بَعِيدُ مَطَارِحِ ٱلْفِكَرِ ۔ غَرِيبُ مَسَارِحِ ٱلنَّظَرِ ۔ لَا يَرْقُدُ وَلَا يَكْرَى ۔ إِلَّا وَهُوَ يَقْظَانُ ٱلذِّكْرَى ۔ يَسْتَنْبِطُ ٱلْعِظَةَ مِنَ ٱللَّمْحِ ٱلْخَفِيِّ ۔ وَيَسْتَجْلِبُ ٱلْعِبْرَةَ مِنَ ٱلطَّرْفِ ٱلْقَصِيِّ ۔ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى بَنَاتِ نَعْشٍ فَٱسْتَجْلِبْ عِبْرَتَكَ ۔ وَإِذَا رَأَيْتَ بَنِي نَعْشٍ فَٱسْتَحْلِبْ عَبْرَتَكَ ۔ وَٱعْلَمْ أَنَّ مِنَ ٱلْجَوَائِزِ ۔ أَنْ تَرُوحَ غَدًا عَلَى ٱلْجَنَائِزِ

٧ (أَلْمَقَالَةُ ٱلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ) أَلْكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى ٱلضَّيْمِ نَبَا ۔ وَٱلسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ ٱلْخَسْفَ أَبَى ۔ وَٱلرَّزِينُ ٱلْمُحْتَبِي بِحَمَالَةِ ٱلْحِلْمِ ۔ يَنْفِرُ نَفْرَةَ ٱلْوَحْشِيِّ عَنِ ٱلظُّلْمِ ۔ إِشْفَاقًا عَلَى ظُفْرِهِ أَنْ يُقَلَّمَ ۔ وَعَلَى ظَهْرِهِ أَنْ يُكَلَّمَ ۔ وَقَلَّمَا عُرِفَتِ ٱلْأَنَفَةُ وَٱلْإِبَاءُ ۔ فِي غَيْرِ مَنْ شَرُفَتْ مِنْهُ ٱلْآبَاءُ ۔ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَطِبْ لَهُ عِرْقٌ ۔ وَذَنَبُ ٱلْكَلْبِ مَا بِهِ طِرْقٌ

٨ (أَلْمَقَالَةُ ٱلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ) أَلْوَجْهُ ذُو ٱلْوَقَاحَةِ ۔ مِنْ وُجُوهِ ٱلرَّقَاحَةِ ۔ يُفِيءُ عَلَى صَاحِبِهِ ٱلْأَنْفَالَ ۔ وَيَفْتَحُ ٱلْأَقْفَالَ ۔ وَيَلْقُطُهُ ٱلْأَرْطَابَ ۔ وَيُلْقِمُهُ مَا ٱسْتَطَابَ ۔ وَيُجَسِّرُهُ عَلَى قَوْلِ ٱلْمَنْطِيقِ وَيُيَسِّرُ لَهُ فِعْلَ مَا لَا يُطِيقُ ۔ وَكُلُّ ذِي وَجْهٍ حَيِيٍّ ۔ ذُو لِسَانٍ عَيِيٍّ ۔ مُعْتَقَلٌ لَا يَنْشَطُ لِمَقَالٍ ۔ وَلَا يُنْشَطُ مِنْ عِقَالٍ ۔ وَلَا يَزَالُ ضَيِّقَ ٱلذَّرْعِ ۔ بَكِيءَ ٱلضَّرْعِ ۔ يَشْبَعُ غَيْرُهُ وَهُوَ طَيَّانُ ۔ وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رَيَّانُ ۔ وَلَكِنْ لَا كَانَ مَنْ يَتَوَقَّحُ لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَفَّهَ وَيَتَرَفَّحَ ۔ فَلَعَمْرِي مَا ٱلنَّائِلُ ٱلْوَتِحُ ۔ إِلَّا مَا

نَالَهُ ٱلْوَقِحُ . وَأَيْمُ ٱللهِ إِنَّ ٱلرَّشْحَةَ فِي ٱلْجَبِينِ . أَحْسَنُ مِنَ ٱلشَّمَمِ فِي ٱلْعِرْنِينِ . وَلَأَنْ تَفِرَ عِرْضَكَ وَمَا فِي سِقَائِكَ جُرْعَةٌ . خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمْلِكَ ٱلْبَحْرَ وَمَا فِي وَجْهِكَ مُزْعَةٌ

٩ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ) عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ وَبُعْدُ ٱلْهِمَّةِ . أَلْمَوْتُ ٱلْأَحْمَرُ وَٱلْخُطُوبُ ٱلْمُدْلَهِمَّةُ . وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مَنْهَلَ ٱلذُّلِّ فَعَافَهُ . إِسْتَعْذَبَ نَقِيعَ ٱلْعِزِّ وَذُعَافَهُ . وَمَنْ لَمْ يَصْطَلِ بِحَرِّ ٱلْهَيْجَاءِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ ٱلْمَغْنَمِ . وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ أُسْدِ ٱللِّقَاءِ لَمْ يُصِبْ أَطْرَافًا كَٱلْغَنَمِ . وَتَحْتَ عَلَمِ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُطَاعِ . ذَكَرُ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَنْطَاعِ . وَمَنْ لَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ عُسْرٌ يَقِذُهُ . لَمْ يُقَيَّضْ لَهُ يُسْرٌ يُنْقِذُهُ . وَمَا ٱلْحِكْمَةُ ٱلْإِلٰهِيَّةُ إِلَّا هِيَ وَهِيَ ٱلْقَاعِدَةُ ٱلَّتِي أُمِرَ عَلَيْهَا ٱلْعَبْدُ وَنُهِيَ . أَلْيَوْمَ عَزَاءٌ فِي كُلَفٍ وَكُرَبٍ . وَغَدًا جَزَاءٌ بِزُلَفٍ وَقُرَبٍ

١٠ (أَلْمَقَالَةُ ٱلْحَادِيَةُ وَٱلْعِشْرُونَ) لَا تَنْتَفِعُ بِمَا لَا تَنِي أَنْ تَبْتَنِيَ وَتَقْتَنِيَ . وَتَعْتَنِي بِغَرْسِ مَا لَا تَجْتَنِي . هَلُمَّ إِلَى ٱسْتِشَارَةِ عَقْلِكَ فَتَبَصَّرْ . وَإِلَى ٱسْتِخَارَةِ ذِهْنِكَ فَتَدَبَّرْ . وَقُلْ لِي إِذَا شَقَّ بَصَرُكَ . وَٱشْتَدَّ حَصَرُكَ . وَعَايَنْتَ ٱلْجِدَّ فَشَغَلَكَ عَنْ دَدِكَ . وَأَوْحَشَكَ تَفْرِيطُكَ فَسَقَطَ فِي يَدِكَ . مَا يُغْنِي حِينَئِذٍ عَنْكَ بُنْيَانُكَ . وَمَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ قُنْيَانُكَ . وَهَلْ يَنْفَعُكَ نَخِيلُكَ ٱلصِّنْوَانُ وَغَيْرُ ٱلصِّنْوَانِ . أَمْ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَخْرُجُ مِنْ طَلْعِهَا مِنَ ٱلْقِنْوَانِ

١١ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ وَٱلْعِشْرُونَ) خَلِّ عَنْ يَدِكَ ٱلْبَاطِلَ وَٱللَّدَدَ .

وَاعْتَنِقِ الْجِدَّ وَالْزَمِ الْجَدَدَ . إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَكَ جِداًّ لاَ عَبَثاً . وَفَطَرَكَ إِبْرِيزاً لاَ خَبَثاً . لَوْلاَ أَنَّ نَفْسَكَ بِكَسْبِهَا الْخَبِيثِ خَبَّثَتْكَ . وَبِلَطْخِ عَمَلِهَا السَّيِّءِ لَوَّثَتْكَ . فَأَرْخَيْتَ عِنَانَكَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مَزْجُورٌ . وَتَوَلَّيْتَ بِرُكْنِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مَأْجُورٌ . إِلْقَاءٌ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَإِضَاعَةً لِحَظِّكَ فِي عَظِيمِ الْمَهْلَكَةِ

١٢ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ) مَنْ لِعَمَلٍ كَالظَّهْرِ الدَّبِرِ . وَمَنْ لِقَلْبٍ كَالْجُرْحِ الْغَبِرِ . دُوِّيَ بِكُلِّ دَوَاءٍ فَلَمْ يَنْجَعْ . وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ فَلَمْ يَنْفَعْ . مَتَى رَفَوْتَ مِنْهُ جَانِباً إِنْتَقَضَ عَلَيْهِ آخَرُ . وَإِذَا سَدَدْتَ مِنْ فَسَادِهِ مَنْخَراً جَاشَ مَنْخَرٌ . ضَاقَتْ عَنْ تَدْبِيرِهِ فِطَنُ الْأَنَاسِيِّ . وَأَعْضَلَ عِلاَجُهُ عَلَى الطَّبِيبِ النِّطَاسِيِّ . فَيَا وَيْلَتَا مِنْ هٰذَا السَّقَامِ . وَيَا غَوْثَتَا مِنْ هٰذَا الدَّاءِ الْعُقَامِ . وَمَا أَحَقَّ بِمِثْلِي أَنْ يَبِيتَ بِلَيْلَةِ سَلِيمٍ . كُلَّمَا تُلِيَتْ : إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

١٣ (الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ) إِحْرِصْ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ . عَلَى أَنْ تَكُونَ لَكَ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ . فَلَنْ يَسْعَدَ إِلاَّ التَّقِيُّ . وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُ فَهُوَ شَقِيٌّ . قَبْلَ أَنْ تَرَى الشَّيْبَ الْمُجَلِّلَ . وَالصُّلْبَ الْمُهَلِّلَ . وَالْجِلْدَ الْمُتَشَنِّنَ . وَالرَّأْيَ الْمُتَفَنِّنَ . وَالنَّوْءَ الْمُتَخَاذِلَ . وَالْوَطْءَ الْمُتَثَاقِلَ . وَالرَّثْيَةَ فِي الْمَفَاصِلِ نَاهِضَةً . وَالرَّعْشَةَ لِلْأَنَامِلِ نَافِضَةً . وَقَبْلَ أَنْ لاَ تَقْدِرَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَادِرٌ . وَلاَ تَصْدُرَ عَمَّا أَنْتَ عَنْهُ صَادِرٌ

١٤ (الْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلاَثُونَ) قَلْبُكَ آمِنٌ . وَجَأْشُكَ مُتَطَامِنٌ .

وَرَأْيُكَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ بَاتِرٌ . وَشَوْقُكَ إِلَى مَا عِنْدَ ٱللهِ فَاتِرٌ . وَأَنْتَ مُتَرَفِّهٌ مُتْرَفٌ . أَطْيَبُ قِطْفٍ لَكَ مُخْتَرَفٌ . فِي أَكْنَافِ ٱلسَّعَةِ رَاتِعٌ . وَلِأَخْلَافِ ٱلدَّعَةِ رَاضِعٌ . وَفِي تِيهِ ٱلْغَفَلَاتِ هَائِمٌ . كَأَنَّكَ إِحْدَى ٱلْبَهَائِمِ مَا هٰذَا خُلُقُ ٱلْمُؤْمِنِ . وَلَا هٰكَذَا صِفَةُ ٱلْمُوقِنِ . أَلْمُؤْمِنُ رَاهِبٌ رَاغِبٌ . سَاغِبٌ لَاغِبٌ . ذُو هَيْبَةٍ بَذَّةٍ . مُحْتَمٍ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ . إِنْ رَأَى مِنْ نَفْسِهِ جِمَاحًا أَلْجَمَ وَحَجَرَ . وَإِنْ أَحَسَّ مِنْهَا مَطْمَعًا أَلْقَمَهَا ٱلْحَجَرَ

١٥ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّالِثَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) يَا عَبْدَ ٱلدِّينَارِ وَٱلدِّرْهَمِ مَتَى أَنْتَ عَتِيقُهُمَا . وَيَا أَسِيرَ ٱلْحِرْصِ وَٱلطَّمَعِ مَتَى أَنْتَ طَلِيقُهُمَا . هَيْهَاتَ لَا عَتَاقَ إِلَّا أَنْ تُكَاتِبَ عَلَى دِينِكَ ٱلْمُمَزَّقِ . وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُفَادِيَ بِخَيْرِكَ ٱلْمُلَزَّقِ . يَا مَنْ يُشْبِعُهُ ٱلْقُرْصُ . مَا هٰذَا ٱلْحِرْصُ . وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ ٱلْجُرَعُ . مَا هٰذَا ٱلْجَزَعُ سَتَعْلَمُ غَدًا إِذَا تَنَدَّمْتَ . أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ . وَإِذَا لَقِيتَ ٱلْمَنُونَ . لَمْ يَنْفَعْكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . . مَا يَصْنَعُ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ . عَابِرُ هٰذِهِ ٱلْقَنْطَرَةِ . وَمَا يُرِيدُ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ وَٱلْفَرْحَةِ . نَازِلُ ظِلِّ هٰذِهِ ٱلسَّرْحَةِ

١٦ (أَلْمَقَالَةُ ٱلثَّامِنَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) لَمْ أَرَ فَرَسَيْ رِهَانٍ . مِثْلَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبُرْهَانِ . لِلّٰهِ دَرُّهُمَا مُتَخَاصِرَيْنِ . وَلَا عَدِمْتُهُمَا مِنْ مُتَنَاصِرَيْنِ . اصْطَحَبَا غَيْرَ مُبَايِنَيْنِ . اصْطِحَابَ أَبَانَيْنِ . مَنْ شَدَّ يَدَهُ بِغَرْزِهِمَا . فَقَدِ ٱعْتَزَّ بِعِزِّهِمَا . وَمَنْ زَلَّ عَنْهُمَا فَهُوَ مِنَ ٱلذِّلَّةِ أَذَلُّ . وَمِنَ ٱلْقِلَّةِ أَقَلُّ

١٧ (أَلْمَقَالَةُ ٱلتَّاسِعَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ) أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلشَّيْبُ نَاهِيكَ بِهِ نَاهِيًا .

فَمَالِي أَرَاكَ سَاهِيًا لَاهِيًا . أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ وَارْبَعْ . فَهٰذِهِ أُخْرَى الْمَرَاحِلِ الْأَرْبَعِ . وَمَنْ بَلَغَ رَابِعَةَ الْمَرَاحِلِ . فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْحَيَاةِ السَّاحِلَ . وَمَا بَعْدَهَا إِلَّا الْمَوْرِدُ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ . وَلَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو بِوُرُودِهِ أَجْدَرُ . هُوَ لَعَمْرُ اللّٰهِ مَشْرَعٌ . جَمِيعُ النَّاسِ فِيهِ شَرَعٌ . وَأَحَقُّهُمْ بِالْاسْتِعْدَادِ لَهُ مَنْ شَارَفَهُ وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِشْفَاقِ لَهُ مَنْ قَارَفَهُ

١٨ (الْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) مَا لِعُلَمَاءِ السُّوءِ جَمَعُوا عَزَائِمَ الشَّرْعِ وَدَوَّنُوهَا . ثُمَّ رَخَّصُوا فِيهَا لِأُمَرَاءِ السُّوءِ وَهَوَّنُوهَا . لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَرْعَوْا شُرُوطَهَا لَمْ يَعُوهَا . وَإِذْ لَمْ يُسْمِعُوهَا كَمَا هِيَ لَمْ يَسْمَعُوهَا . إِنَّمَا حَفِظُوا وَعَلَّقُوا وَصَفَّقُوا وَحَلَّقُوا لِيَقْمُرُوا الْمَالَ وَيَيْسِرُوا . وَيُفْقِرُوا الْأَيْتَامَ وَيُوسِرُوا إِذَا أَنْشَبُوا أَظْفَارَهُمْ فِي نَشَبٍ فَمَنْ يُخَلِّصُ . وَإِنْ قَالُوا لَا نَفْعَلُ أَوْ يُزَادَ كَذَا فَمَنْ يُنَقِّصُ . دَرَارِيعُ خَتَّالَةٌ مِلْؤُهَا ذَرَارِيحُ قَتَّالَةٌ . وَأَكْمَامٌ وَاسِعَةٌ . فِيهَا أَصْلَالٌ لَاسِعَةٌ . وَأَقْلَامٌ كَأَنَّهَا أَزْلَامٌ . وَفَتْوَى . يَعْمَلُ بِهَا الْجَاهِلُ فَيَتْوَى . فَإِنْ وَازَنْتَ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ وَالشُّرَطِ . وَجَدْتَ الشُّرَطَ أَبْعَدَ مِنَ الشَّطَطِ . حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِالدِّينِ الدُّنْيَا وَلَمْ يُثِيرُوا الْفِتْنَةَ بِالْفُتْيَا

١٩ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) هَبْ أَنَّكَ اتَّقَيْتَ الْكَبَائِرَ الَّتِي نُصَّتْ . وَتَجَنَّبْتَ الْعَظَائِمَ الَّتِي قُصَّتْ . وَرُضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرَّائِضِينَ . عَلَى أَنْ لَا تَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ . فَمَا قَوْلُكَ فِي هَنَاتٍ تُوجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ . وَفِي هَفَوَاتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَلَعَلَّكَ مُمَزِّقُ الشِّلْوِ

مَأْكُولٌ . وَإِلَى ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِٱقْتِرَافِهَا مَوْكُولٌ . فَمَثَلُكَ مَثَلُ ٱلرِّيبَالِ . فِي مُحَامَاتِهِ عَنِ ٱلْأَشْبَالِ . يَصُدُّ عَنِ ٱلتَّصَدِّي لَهَا ٱلْبَطَلَ ٱلْحَمِيسَ . بَلْ يَرُدُّ عَنْ مَرَابِضِهَا ٱلْخَمِيسَ . ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو ٱلشِّبْلِ وَٱلنَّمْلُ إِلَى ٱبْنِهِ كَٱلْحَبْلِ . وَهِيَ بِأَوْصَالِهِ مُطِيفَةٌ . كَأَنَّمَا كَسَتْهُ قَطِيفَةً . فَمَا أَغْنَى عَنْهُ ذِيَادُهُ . حَتَّى تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٣٠ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلسَّابِعَةُ وَٱلْأَرْبَعُونَ) ٱلْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى جِدِّهِ . لَمْ يَزَلْ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ . وَذُو ٱلرَّأْيِ ٱلْجَزْلِ مَنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْهَزْلِ . وَكَيْفَ يَكُونُ حَازِمًا مَنْ هُوَ مَازِحٌ . هَيْهَاتَ ٱلْبَوْنُ بَيْنَهُمَا نَازِحٌ . وَكَفَاكَ أَنَّ ٱلْمَزْحَ مَقْلُوبُ ٱلْحَزْمِ كَمَا أَنَّ ٱلْحَزْمَ مَقْلُوبُ ٱلْمَزْحِ . رُبَّ كَلِمَةٍ غَمَسَتْكَ فِي ٱلذُّنُوبِ . وَأَفْرَغَتْ عَلَى أَخِيكَ مِلْءَ ٱلذَّنُوبِ . فَإِنْ كَانَ حُرًّا زَرَعَتِ ٱلْغِمْرَ فِي سُوَيْدَائِهِ . وَإِنْ كَانَ عَبْدًا نَزَعَتِ ٱلْمَهَابَةَ مِنْ أَحْشَائِهِ . وَتَقُولُ إِنَّهَا مُزَاحَةٌ . وَعَلَيْكَ فِي أَنْ تَقُولَهَا مُزَاحَةٌ . وَيْحَكَ يَا تِلْعَابَةُ . لَوْ عَلِمْتَ مَا فِي ٱلدُّعَابَةِ . لَأَطَعْتَ فِي ٱطِّرَاحِهَا نُهَاتَكَ . وَلَمَّا غَرْغَرْتَ بِهَا لَهَاتَكَ أَسَرَّكَ أَنْ دَاعَبْتَ ٱلرَّجُلَ فَضَحِكَ . وَلَمْ تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذٰلِكَ فَضَحَكَ . حَيْثُ أَعْلَمَ لَوْ فَطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ . أَنَّكَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَضْحُوكُ مِنْ كَلَامِهِ . وَذٰلِكَ مَا لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ . أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ ٱلسُّخَفَاءِ

٣١ (ٱلْمَقَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلسِّتُّونَ) شِبْتَ وَغَرَامُكَ مَا وَخَطَ عَارِضَيْهِ مَشِيبٌ . وَشَخْتَ وَغَرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ . مَالِي أَرَاكَ صَعْبَ ٱلْمِرَاسِ . جَامِحَ ٱلرَّاسِ . كَأَنَّ وَافِدَ ٱلْمَشِيبِ لَمْ يَخْطِمْكَ . وَكَأَنَّ ٱرْتِقَاءَ

ٱلسِّنّ لَمْ يَحْطِمْكَ . أَلشَّيْخُوخَةُ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سَمْتًا . وَأَنْتَ مَا أَكْسَبَتْكَ إِلَّا أَمْتًا . لَوْ عَلِمْتَ أَيَّ وَفْدٍ حَلَّ بِفَوْدِكَ . لَتَبَرْقَعْتَ حَيَاءً مِنْ وَفْدِكَ . وَلٰكِنَّ مُحَيَّاكَ لَمْ يَتَعَلَّمِ ٱلْحَيَاءَ . وَلَمْ يَتَهَجَّ مِنْ حُرُوفِهِ ٱلْحَاءَ وَلَا ٱلْيَاءَ . تَثِبُ إِلَى ٱلشَّرِّ كَمَا تَثِبُ ٱلظِّبَاءُ . وَتَلْهَثُ إِلَى ٱللَّهْوِ كَمَا يَلْهَثُ ٱلظِّمَاءُ . إِنْ حَمْحَمَ ٱلْبَاطِلُ فَأَسْمَعُ مِنْ سِمْعٍ . وَإِنْ هَمْهَمَ ٱلْحَقُّ فَكَأَنَّكَ بِلَا سَمْعٍ . حَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى ٱلرِّيَاضَاتِ وَهِيَ رَيِّضَةٌ . وَمَنْ يَحْتَلِبُ ٱللِّبَاءَ مِنَ ٱللَّبُؤَةِ ٱلْمُغِيضَةِ

خطبة لبديع الزمان الهمذاني

٢٢ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى . وَإِنَّ مَعَ ٱلْيَوْمِ غَدًا . وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ . فَأَعِدُّوا لَهَا مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإِنَّ بَعْدَ ٱلْمَعَاشِ مَعَادًا . فَأَعِدُّوا لَهَا زَادًا . أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ ٱلْمَحَجَّةُ . وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةُ . مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْخَبَرِ . وَمِنَ ٱلْأَرْضِ بِٱلْعِبَرِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلَّذِي بَدَأَ ٱلْخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي ٱلْعِظَامَ رَمِيمًا . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ جِهَازٍ . وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ . مَنْ عَبَرَهَا سَلِمَ . وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ . أَلَا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ ٱلْفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ ٱلْحَبَّ فَمَنْ يَرْتَعْ . يَقَعْ . وَمَنْ يَلْقُطْ . يَسْقُطْ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْفَقْرَ حِلْيَةُ ٱلْعَاقِلِ فَٱكْتَسُوهَا . وَٱلْغِنَى حُلَّةُ ٱلطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا . كَذَبَتْ ظُنُونُ ٱلْمُلْحِدِينَ . ٱلَّذِينَ جَحَدُوا ٱلدِّينَ . وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُ عِضِينَ . إِنَّ بَعْدَ ٱلْحَدَثِ حَدَثًا . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا . فَحَذَارِ حَرَّ ٱلنَّارِ . وَبَدَارِ عُقْبَى ٱلدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَّاتِهِ . وَٱلْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى

حَالَاتِهِ . وَإِنَّكُمْ أَشْقَى مَنْ أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ . إِنْ شَقِيَ بِكُمُ ٱلْعُلَمَاءُ . ٱلنَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ . فَإِنِ ٱنْقَادُوا بِأَزِمَّتِهِمْ . نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ . وَٱلنَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ يَرْعَى . وَمُتَعَلِّمٌ يَسْعَى . وَٱلْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٍ . وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ . وَيْلُ عَالِ أَمْرٍ مِنْ سَافِلِهِ . وَعَالِمِ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ ٱلْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ ٱلنَّاسَ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ حَتَّامَ إِلَى ٱلْحَيَاةِ رُكُونُكِ . وَإِلَى ٱلدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سُكُونُكِ . أَمَا ٱعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكِ . وَبِمَنْ وَارَتْهُ ٱلْأَرْضُ مِنْ آلَافِكِ . وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ . وَنُقِلَ إِلَى دَارِ ٱلْبِلَى مِنْ أَقْرَانِكِ :

فَهُمْ فِي بُطُونِ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ ... وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ ٱلْمَنَايَا ٱلْمَقَادِرُ
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا ... وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ ٱلْحَفَائِرُ

كَمِ ٱخْتَلَسَتْ أَيْدِي ٱلْمَنُونِ . مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ . وَكَمْ غَيَّرَتْ بِبِلَاهَا . وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ ٱلرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا :

وَأَنْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَى خَطَرٍ تُمْسِي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا ... أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ ٱمْرَءًا يَسْعَى لِدُنْيَاهُ جَاهِدًا ... وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ

ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْخَالِيَةِ . وَٱلْمُلُوكِ ٱلْفَانِيَةِ . كَيْفَ ٱنْتَسَفَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ . وَأَفْنَاهُمُ ٱلْحِمَامُ . فَٱنْمَحَتْ آثَارُهُمْ . وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ :

فَأَضْحَوْا رَمِيمًا فِي ٱلتُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ ... مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ

وَخَلّوا عَنِ الدُّنْيا وما جَمَعوا بِها ... وما فازَ مِنهم غَيرُ مَن هُوَ صابِرُ
وَحَلّوا بِدارٍ لا تَزاوُرَ بَينَهُم ... وأنّى لِسُكّانِ القُبورِ التَزاوُرُ
فَما إن تَرى إلّا رُموساً ثَوَوا بِها ... مُسَطَّحَةً تَسفي عَلَيها الأعاصِرُ

كَم عايَنتَ مِن عِزَّةٍ وَسُلطانٍ . وَجُنودٍ وأعوانٍ . قَد تَمَكَّنَ مِن دُنياه . وَنالَ مِنها مُناه . فَبَنى الحُصونَ وَالدَساكِرَ . وَجَمَعَ الأعلاقَ وَالعَساكِرَ :

فَما صَرَفَت كَفَّ المَنِيَّةِ إذ أتَت ... مُبادِرَةً تَهوي إلَيهِ الذَخائِرُ
وَلا دَفَعَت عَنهُ الحُصونُ الَّتي بَنى ... وَحُفَّت بِهِ أنهارُها وَالدَساكِرُ
وَلا قارَعَت عَنهُ المَنِيَّةَ حيلَةٌ ... وَلا طَمِعَت في الذَبِّ عَنهُ العَساكِرُ

يا قَومُ الحَذَرَ الحَذَرَ . وَالبِدارَ البِدارَ . مِنَ الدُنيا وَمَكايِدِها . وَما نَصَبَت لَكُم مِن مَصايِدِها . وَتَجَلَّت لَكُم مِن زينَتِها . وَاستَشرَقَت لَكُم مِن بَهجَتِها :

وَفي دونِ ما عايَنتُ مِن فَجَعاتِها ... إلى رَفضِها داعٍ وَبِالزُهدِ آمِرُ
فَجِدَّ وَلا تَغفُل فَعَيشُكَ بائِدٌ ... وأنتَ إلى دارِ المَنِيَّةِ صائِرُ
وَلا تَطلُبِ الدُنيا فَإنَّ طِلابَها ... وَإن نِلتَ مِنها رَغبَةً لَكَ ضائِرُ

وَكَيفَ يَحرِصُ عَلَيها لَبيبٌ . أو يُسَرُّ بِها أريبٌ . وَهُوَ عَلى ثِقَةٍ مِن فَنائِها لا تَعجَبونَ مِمَّن يَنامُ وَهُوَ يَخشى المَوتَ . وَلا يَرجو الفَوتَ :

ألا لا وَلَكِنّا نَغُرُّ نُفوسَنا ... وَتَشغَلُها اللَذّاتُ عَمّا نُحاذِرُ
وَكَيفَ يَلَذُّ العَيشَ مَن هُوَ موقِنٌ ... بِمَوقِفِ عَدلٍ حَيثُ تُبلى السَرائِرُ
كَأنّا نَرى أن لا نُشورَ وأنّنا ... سُدًى ما لَنا بَعدَ الفَناءِ مَصائِرُ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا . فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمُؤَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ . حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الِاسْتِعْبَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ الِاعْتِذَارُ :

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَاذِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسَأَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَى وَالْحَنَاجِرُ

فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكَبُ فِي ذَاكَ هَوَاكَ . إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ . يَا رَافِعَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ . أَبِهٰذَا أَمَرَكَ الرَّحْمٰنُ . أَمْ عَلَى هٰذَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ :

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللهِ عَاذِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاةُ وَتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

نخبة من خطب الحريري

٢٣ أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلَوَائِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلَائِهِ . الْجَامِحُ فِي

جَهَالَاتِهِ . الْجَانِحُ إِلَى خُزَعْبِلَاتِهِ . إِلَى مَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيِّكَ . وَتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِكَ . وَحَتَّى مَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ . وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ . تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ . مَالِكَ نَاصِيَتِكَ . وَتَجْتَرِئُ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ . عَلَى عَالِمِ سَرِيرَتِكَ . وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيبِكَ . وَأَنْتَ بِمَرْأَى رَقِيبِكَ . وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكِكَ . أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ . إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ . أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ . حِينَ تُوبِقُكَ أَعْمَالُكَ . أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ . إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ . أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُكَ . يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ . هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَائِكَ . وَعَجَّلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ . وَفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدَائِكَ . وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فَهِيَ أَكْبَرُ أَعْدَائِكَ . أَمَا الْحِمَامُ مِيعَادُكَ . فَمَا إِعْدَادُكَ . وَبِالْمَشِيبِ إِنْذَارُكَ . فَمَا إِعْذَارُكَ . وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ . فَمَا قِيلُكَ . وَإِلَى اللهِ مَصِيرُكَ فَمَنْ نَصِيرُكَ . طَالَمَا أَيْقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ . وَجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ . وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ . وَحَصْحَصَ لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ . وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ . وَأَمْكَنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ . تُؤْثِرُ فَلْسًا تُوعِيهِ . عَلَى ذِكْرٍ تَعِيهِ . وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ . عَلَى بِرٍّ تُولِيهِ . وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . وَتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ . عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ . يَوَاقِيتُ الصِّلَاتِ . أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ . وَمُغَالَاةُ الصَّدُقَاتِ . آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ . وَصِحَافُ الْأَلْوَانِ . أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ . آنَسُ لَكَ

مِنْ تِلَاوَةِ ٱلْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِٱلْعُرْفِ وَتَنْتَهِكُ حِمَاهُ . وَتَحْمِي عَنِ ٱلنُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ . وَتُزَحْزِحُ عَنِ ٱلظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ . وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا   ثَنَى إِلَيْهَا ٱنْصِبَابَهْ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا   بِهَا وَفَرْطَ صَبَابَهْ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ   مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهْ

٢٤ وله ايضاً من خطبة

أَيَا مَنْ يَدَّعِي ٱلْفَهْمْ   إِلَى كَمْ يَا أَخَا ٱلْوَهْمْ   تُعَبِّي ٱلذَّنْبَ وَٱلذَّمّْ
وَتُخْطِي ٱلْخَطَأَ ٱلْجَمّْ
أَمَا بَانَ لَكَ ٱلْعَيْبْ   أَمَا أَنْذَرَكَ ٱلشَّيْبْ   وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبْ
وَلَا سَمْعُكَ قَدْ صَمّْ
أَمَا نَادَى بِكَ ٱلْمَوْتْ   أَمَا أَسْمَعَكَ ٱلصَّوْتْ   أَمَا تَخْشَى مِنَ ٱلْفَوْتْ
فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمّْ
فَكَمْ تَسْدَرُ فِي ٱلسَّهْوْ   وَتَخْتَالُ مِنَ ٱلزَّهْوْ   وَتَنْصَبُّ إِلَى ٱللَّهْوْ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ مَا عَمّْ
وَحَتَّامَ تَجَافِيكْ   وَإِبْطَاءُ تَلَافِيكْ   طِبَاعًا جَمَعَتْ فِيكْ
عُيُوبًا شَمْلُهَا ٱنْضَمّْ
إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلَاكْ   فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكْ   وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكْ
تَلَظَّيْتَ مِنَ ٱلْهَمّْ

وَإِنْ لَاحَ لَكَ ٱلنَّقْشْ مِنَ ٱلْأَصْفَرِ تَهْتَشّْ وَإِنْ مَرَّ بِكَ ٱلنَّعْشْ
تَغَامَمْتَ وَلَا غَمّْ

تُعَاصِي ٱلنَّاصِحَ ٱلْبَرّْ وَتَعْتَاصُ وَتَزْوَرّْ وَتَنْقَادُ لِمَنْ غَرّْ
وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمّْ

وَتَسْعَى فِي هَوَى ٱلنَّفْسْ وَتَحْتَالُ عَلَى ٱلْفَلْسْ وَتَنْسَى ظُلْمَةَ ٱلرَّمْسْ
وَلَا تَذْكُرُ مَا ثَمّْ

وَلَوْ لَاحَظَكَ ٱلْحَظّْ لَمَا طَاحَ بِكَ ٱللَّحْظْ وَلَا كُنْتَ إِذَا ٱلْوَعْظْ
جَلَا ٱلْأَحْزَانَ تَغْتَمّْ

سَتَذْرِي ٱلدَّمَ لَا ٱلدَّمْعْ إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعْ يَقِي فِي عَرْصَةِ ٱلْجَمْعْ
وَلَا خَالَ وَلَا عَمّْ

كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطّْ إِلَى ٱللَّحْدِ وَتَنْغَطّْ وَقَدْ أَسْلَمَكَ ٱلرَّهْطْ
إِلَى أَضْيَقَ مِنْ سَمّْ

هُنَاكَ ٱلْجِسْمُ مَمْدُودْ لِيَسْتَأْكِلَهُ ٱلدُّودْ إِلَى أَنْ يَنْخَرَ ٱلْعُودْ
وَيُمْسِي ٱلْعَظْمُ قَدْ رَمّْ

وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدّْ مِنَ ٱلْعَرْضِ إِذَا ٱعْتُدّْ صِرَاطٌ جِسْرُهُ مُدّْ
عَلَى ٱلنَّارِ لِمَنْ أَمّْ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلّْ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلّْ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلّْ
وَقَالَ ٱلْخَطْبُ قَدْ طَمّْ

فَبَادِرْ أَيُّهَا ٱلْغُمْرْ لِمَا يَحْلُو بِهِ ٱلْمُرّْ فَقَدْ كَادَ يَهِي ٱلْعُمْرْ

وَمَا أَقْلَعتَ عَنْ ذَمّْ

وَلَا تَرْكَنْ إِلَى ٱلدَّهْرْ وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرّْ فَتُلْفَى كَمَنِ ٱغْتَرّْ

بِأَفْعَى تَنْفُثُ ٱلسَّمّْ

وَخَفِّضْ مِنْ تَرَاقِيكْ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَاقِيكْ وَسَارٍ فِي تَرَاقِيكْ

وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمّْ

وَجَانِبْ صَعَرَ ٱلْخَدّْ إِذَا سَاعَدَكَ ٱلْجَدّْ وَزُمَّ ٱللَّفْظَ إِنْ نَدّْ

فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمّْ

وَنَفِّسْ عَنْ أَخِي ٱلْبَثّْ وَصَدِّقْهُ إِذَا نَثّْ وَرُمَّ ٱلْعَمَلَ ٱلرَّثّْ

فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمّْ

وَرِشْ مَنْ رِيشُهُ ٱنْحَصّْ بِمَا عَمَّ وَمَا خَصّْ وَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلنَّقْصْ

وَلَا تَحْرِصْ عَلَى ٱللَّمّْ

وَعَادِ ٱلْخُلُقَ ٱلرَّذْلْ وَعَوِّدْ كَفَّكَ ٱلْبَذْلْ وَلَا تَسْتَمِعِ ٱلْعَذْلْ

وَنَزِّهْهَا عَنِ ٱلضَّمّْ

وَزَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلْخَيْرْ وَدَعْ مَا يُعْقِبُ ٱلضَّيْرْ وَهَيِّئْ مَرْكَبَ ٱلسَّيْرْ

وَخَفْ مِنْ لُجَّةِ ٱلْيَمّْ

بِذَا أُوصِيتُ يَا صَاحْ وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاحْ فَطُوبَى لِفَتًى رَاحْ

بِآدَابِي يَأْتَمّْ

وله من خطبة

٢٥ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَمْدُوحِ ٱلْأَسْمَاءِ . ٱلْمَحْمُودِ ٱلْآلَاءِ . ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَطَاءِ

ٱلْمَدْعُوِّ لِحَسْمِ ٱللَّأْوَاءِ . مَالِكِ ٱلْأُمَمِ وَمُصَوِّرِ ٱلرِّمَمِ . وَأَهْلِ ٱلسَّمَاحِ
وَٱلْكَرَمِ . وَمُهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمَ . أَدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُهُ . وَوَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ
حِلْمُهُ . وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ . وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ . أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ
مُسْلِمٍ . وَأَدْعُوهُ دُعَاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ . وَهُوَ ٱللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ
ٱلْأَحَدُ . ٱلْعَادِلُ ٱلصَّمَدُ . مَا هَمَرَ رُكَامٌ . وَهَدَرَ حَمَامٌ . وَسَرَحَ سَوَامٌ .
وَسَطَا حُسَامٌ . إِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ عَمَلَ ٱلصُّلَحَاءِ . وَٱكْدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَدْحَ
ٱلْأَصِحَّاءِ . وَٱرْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَدْعَ ٱلْأَعْدَاءِ . وَأَعِدُّوا لِلرِّحْلَةِ إِعْدَادَ
ٱلسُّعَدَاءِ . وَٱدَّرِعُوا حُلَلَ ٱلْوَرَعِ . وَدَاوُوا عِلَلَ ٱلطَّمَعِ . وَسَوُّوا أَوَدَ
ٱلْعَمَلِ وَعَاصُوا وَسَاوِسَ ٱلْأَمَلِ . وَصَوِّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ ٱلْأَحْوَالِ .
وَحُلُولَ ٱلْأَهْوَالِ . وَمُسَاوَرَةَ ٱلْأَعْلَالِ . وَمُصَارَمَةَ ٱلْمَالِ وَٱلْآلِ .
وَٱدَّكِرُوا ٱلْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ وَٱلرَّمْسَ وَهَوْلَ مُطَّلَعِهِ . وَٱللَّحْدَ وَوَحْدَةَ
مُودَعِهِ . وَٱلْمَلَكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمَطْلَعِهِ . وَٱلْمَحُوا ٱلدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ .
وَسُوءَ مِحَالِهِ وَمَكْرِهِ . كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا . وَأَمَرَّ مَطْعَمًا . وَحَطَّمَ عَرَمْرَمًا .
وَدَمَّرَ مَلِكًا مُكَرَّمًا . هَمُّهُ سَكُّ ٱلْمَسَامِعِ . وَسَحُّ ٱلْمَدَامِعِ . وَإِكْدَاءُ
ٱلْمَطَامِعِ . وَإِرْدَاءُ ٱلْمُسِيمِ وَٱلسَّامِعِ . عَمَّ حُكْمُهُ ٱلْمُلُوكَ وَٱلرِّعَاعَ .
وَٱلْمَسُودَ وَٱلْمُطَاعَ . وَٱلْمَحْسُودَ وَٱلْحُسَّادَ . وَٱلْأَسَاوِدَ وَٱلْآسَادَ . مَا مَوَّلَ
إِلَّا مَالَ . وَعَكَسَ ٱلْآمَالَ . وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ . وَكَلَمَ ٱلْأَوْصَالَ .
وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ . وَلَؤُمَ وَأَسَاءَ . وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَّدَ ٱلدَّاءَ . وَرَوَّعَ ٱلْأَوِدَّاءَ .
أَللهَ ٱللهَ . رَعَاكُمُ ٱللهُ . إِلَى مَ مُدَاوَمَةُ ٱللَّهْوِ . وَمُوَاصَلَةُ ٱلسَّهْوِ . وَطُولُ

ٱلْإِصْرَارِ . وَحَمْلُ ٱلْآصَارِ . وَٱطِّرَاحُ كَلَامِ ٱلْحُكَمَاءِ . وَمُعَاصَاةُ إِلٰهِ ٱلسَّمَاءِ . أَمَا ٱلْهَرَمُ حَصَادُكُمْ . وَٱلْمَدَرُ مِهَادُكُمْ . أَمَا ٱلْحِمَامُ مُدْرِكُكُمْ . وَٱلصِّرَاطُ مَسْلَكُكُمْ . أَمَا ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ . وَٱلسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ . أَمَا أَهْوَالُ ٱلطَّامَّةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ . أَمَا دَارُ ٱلْعُصَاةِ ٱلْحُطَمَةُ ٱلْمُوصَدَةُ . حَارِسُهُمْ مَالِكٌ . وَرُوَاؤُهُمْ حَالِكٌ . وَطَعَامُهُمُ ٱلسُّمُومُ . وَهَوَاؤُهُمُ ٱلسَّمُومُ . لَا مَالَ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدَ . وَلَا عَدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ . أَلَا رَحِمَ ٱللّٰهُ أَمْرَأً مَلَكَ هَوَاهُ . وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ . وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ . وَكَدَحَ لِرَوْحِ مَأْوَاهُ . وَعَمِلَ مَا دَامَ ٱلْعُمْرُ مُطَاوِعًا . وَٱلدَّهْرُ مُوَادِعًا . وَٱلصِّحَّةُ كَامِلَةً . وَٱلسَّلَامَةُ حَاصِلَةً . وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ ٱلْمَرَامِ . وَحَصَرُ ٱلْكَلَامِ . وَإِلْمَامُ ٱلْآلَامِ . وَحُمُومُ ٱلْحِمَامِ . وَهُدُوُّ ٱلْحَوَاسِّ . وَمِرَاسُ ٱلْأَرْمَاسِ . آهًا لَهَا حَسْرَةً أَلَمُهَا مُؤَكَّدٌ . وَأَمَدُهَا سَرْمَدٌ . وَمُمَارِسُهَا مُكْمَدٌ . مَا لِوَلَهِهِ حَاسِمٌ . وَلَا لِسَدَمِهِ رَاحِمٌ . وَلَا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ عَاصِمٌ . أَلْهَمَكُمُ ٱللّٰهُ أَحْمَدَ ٱلْإِلْهَامِ . وَرَدَّاكُمْ رِدَاءَ ٱلْإِكْرَامِ . وَأَحَلَّكُمْ دَارَ ٱلسَّلَامِ . وَأَسْأَلُهُ ٱلرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ ٱلْإِسْلَامِ . وَهُوَ أَسْمَحُ ٱلْكِرَامِ . وَٱلْمُسَلِّمُ وَٱلسَّلَامُ

ولهُ من خطبةٍ أُخرى

٢٦ مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ وَأَيُّ مِسْكِينٍ . رَكَنَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ رَكِينٍ . وَٱسْتَعْصَمَ مِنْهَا بِغَيْرِ مَكِينٍ . وَذُبِحَ مِنْ حُبِّهَا بِغَيْرِ سِكِّينٍ . يَكْلَفُ بِهَا لِغَبَاوَتِهِ . وَتَكَالَبَ عَلَيْهَا لِشَقَاوَتِهِ . وَيَعْتَدُّ فِيهَا لِمُفَاخَرَتِهِ . وَلَا يَتَزَوَّدُ مِنْهَا

لِآخِرَتِهِ . أُقْسِمُ بِمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ . وَنَوَّرَ الْقَمَرَيْنِ . وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجَرَيْنِ . لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ . لَمَا نَادَمَ . وَلَوْ فَكَّرَ فِي مَا قَدَّمَ لَبَكَى الدَّمَ . وَلَوْ ذَكَرَ الْمُكَافَاةَ . لَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ . وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَآلِ . لَحَسَّنَ قُبْحَ الْأَعْمَالِ . يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ . لِمَنْ يَقْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهَبِ . فِي اكْتِنَازِ الذَّهَبِ . وَخَزْنِ النَّشَبِ لِذَوِي النَّسَبِ . ثُمَّ مِنَ الْبِدْعِ الْعَجِيبِ أَنْ يَعِظَكَ وَخْطُ الْمَشِيبِ . وَتُؤْذِنَ شَمْسُكَ بِالْمَغِيبِ . وَلَسْتَ تَرَى أَنْ تُنِيبَ . وَتُهَذِّبَ الْمَعِيبَ . ثُمَّ انْدَفَعَ يُنْشِدُ إِنْشَادَ مَنْ يُرْشِدُ :

يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ وَهْوَ عَلَى غَيِّ الصِّبَا مُنْكَمِشْ
يَعْشُو إِلَى نَارِ الْهَوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضُعْفِ الْقُوَى يَرْتَعِشْ
وَيَمْتَطِي اللَّهْوَ وَيَعْتَدُّهُ أَوْطَأَ مَا يَفْتَرِشُ الْمُفْتَرِشْ
لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومَهُ ذُو اللُّبِّ إِلَّا دُهِشْ
وَلَا انْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النُّهَى عَنْهُ وَلَا بَالَى بِعِرْضٍ خُدِشْ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقًا لَهُ وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَأَنْ لَمْ يَعِشْ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا امْرِئٍ نَشْرُهُ كَنَشْرِ مَيْتٍ بَعْدَ عَشْرٍ نُبِشْ
وَحَبَّذَا مَنْ عِرْضُهُ طَيِّبٌ يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بُرْدٍ رُقِشْ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَانَهُ ذَنْبُهُ هَلَكْتَ يَا مِسْكِينُ أَوْ تَنْتَعِشْ
فَأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسْ بِهَا مِنَ الْخَطَايَا السُّودِ مَا قَدْ نُقِشْ
وَعَاشِرِ النَّاسَ بِخُلْقٍ رِضًى وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ
وَرِشْ جَنَاحَ الْحُرِّ إِنْ حَصَّهُ زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ

وَأَنْجِدِ ٱلْمَـوْتُورَ ظُلْمـًا فَإِنْ عَجَـزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَٱسْتَجِشْ
وَٱنْعِشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ عَسَاكَ فِي ٱلْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ
وَهَاكَ كَأْسَ ٱلنُّصْحِ فَٱشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلَةِ ٱلْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إِخْوَانِي ٱعْلَمُوا أَنَّ مَنْ عَمِلَ فِي ٱلْأَيَّامِ خَيْرًا حُمِدَ أَمْرُهُ • وَمَنِ ٱقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عُمْرَهُ • سَيَنْدَمُ غَدًا مَنْ قَصَّرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ • وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ • وَيَبْكِي هَاجِرُ ٱلْهُدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ • إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادَرَةٍ تَذْهَبُ • وَٱغْتِنَامُ أَيَّامٍ تُنْهَبُ • فَبَادِرْ بِعُمْرِكَ قَبْلَ ٱلْفَوْتِ • وَٱغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ • يَا مَنْ يَعْصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ • وَيُبَارِزُهُ بِٱلْمَعَاصِي وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ • وَهُوَ فِي دَارِ ٱلْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ • وَلَا يَشُوقُهُ ٱلْوَعْدُ وَلَا يُخَوِّفُهُ ٱلْوَعِيدُ • أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ ٱلْعُمْرُ بِمَدِيدٍ • وَٱلْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ ٱلْقُلُوبَ فَتَجِدُهَا أَقْسَى مِنَ ٱلصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ ٱلْحَدِيدِ • تَيَقَّظْ يَا مَغْرُورُ وَٱفْهَمْ يَا بَلِيدُ • فَٱلْأَمَلُ طَوِيلٌ وَٱلْأَمْنُ عَزِيزٌ عَزِيزٌ • وَطَرِيقُ ٱلْعِقَابِ بَعِيدٌ بَعِيدٌ • كَيْفَ تَرْجُو ٱلْبَقَاءَ فِي دَارِ ٱلْفَنَاءِ وَٱلرَّحِيلِ • تَأْمُلُ ٱلرِّضَا وَٱلزَّمَانُ قَدْ مَضَى فِي غَيْرِ ٱلْجَمِيلِ • أَعْدَدْتَ ٱلْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى ٱلْكَثِيرِ وَٱلْقَلِيلِ • فَإِلَى مَتَى تُضَيِّعُ ٱلْوَقْتَ ٱلشَّرِيفَ • وَحَتَّى مَتَى تَتَقَرَّبُ إِلَى ٱلْمَلِكِ ٱللَّطِيفِ • وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ ٱلْقِيَامِ بِتَحْقِيقِ ٱلتَّكْلِيفِ • وَأَيْنَ تَأْثِيرُ ٱلْإِنْذَارِ عِنْدَكَ وَٱلتَّخْوِيفُ • يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

وَتَخَلَّفَ. وَإِذَا وَعَدَ بِتَوْبَةٍ تَمَادَى وَأَخْلَفَ. وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلِ ٱلْخَيْرِ تَوَانَى وَسَوَّفَ. وَإِذَا أَدَّى وَاجِبًا شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ. وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى مِنَ ٱلْمَخَازِي لَمْ يَتَأَنَّ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ. وَإِذَا بَارَزَ بِٱلْمَعَاصِي لَمْ يَتَحَذَّرْ وَلَمْ يَتَخَوَّفْ. هٰذَا مَيْدَانُ ٱلْمُجَاهَدَةِ فَأَيْنَ ٱجْتِهَادُكَ. هٰذَا ٱلرَّحِيلُ قَدْ دَنَا فَأَيْنَ زَادُكَ. هٰذَا ٱلصِّرَاطُ قَدْ مُدَّ فَأَيْنَ ٱسْتِعْدَادُكَ. هٰذَا رُكْنُ ٱلْفَنَاءِ وَثِيقٌ فَأَيْنَ ٱعْتِمَادُكَ. هٰذَا ٱلِاعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ. هٰذَا نَذِيرُ ٱلرَّحِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مُرَادُكَ. وَكَيْفَ نَسِيتَ مَآرِبَكَ فَآثَرْتَ عَلَى يَقِينِكَ ٱرْتِيَابَكَ. أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيخَكَ وَعِتَابَكَ حَتَّى مَلَأْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا كِتَابَكَ. لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي أَصَابَكَ. حَتَّى ٱخْتَرْتَ خَطَأَكَ وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ. أَنَسِيتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ. أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ جَوَابَكَ. يَا هٰذَا ٱبْكِ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ حَزِينًا وَجِلًا. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ ٱلْحَسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرِقٌ خَجِلًا. وَكُنْ عَلَى طَلَبِ ٱلْخَلَاصِ بِٱلْإِخْلَاصِ مُسْتَسْهِلًا. قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَغَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلًا. كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ ٱلْخَلَائِقُ مِنَ ٱلْقُبُورِ وَفَارَ ٱلْبَحْرُ ٱلْمَسْجُورُ. وَتَدَكْدَكَتِ ٱلْجِبَالُ وَٱلصُّخُورُ. وَتَمَزَّقَتِ ٱلسَّمَاءُ وَهِيَ تَمُورُ. وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَرْضُ وَهِيَ تَحُورُ. فَهَلْ تَرَى فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ مِنْ فُتُورٍ. كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا ٱنْكَشَفَتْ غَدًا ٱلْأُمُورُ. وَٱنْهَتَكَتْ مِنَ ٱلْمُذْنِبِينَ ٱلسُّتُورُ وَبَرَزَ ٱلْعَدْلُ ٱلَّذِي لَا يَجُورُ. وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورٍ. وَتَجَلَّى ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ. وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَغْرُورُ. فَنَادَيْتَ بِٱلْوَيْلِ

وَٱلثُّبُورِ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قُدِّمَتْ غَدًا ٱلنُّجُبُ لِلْمُطِيعِينَ . وَٱنْقَطَعْتَ أَنْتَ فِي جُمْلَةِ ٱلْمُنْقَطِعِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ غَدًا أَعْلَامُ ٱلتَّائِبِينَ . وَبَقِيتَ أَنْتَ مَعَ ٱلْخَائِبِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبْتَ أَنْتَ مَعَ ٱلْأَسَارَى . وَدَمْعُكَ يَسِيحُ . وَجَفْنُكَ قَرِيحٌ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى وَكَبِدُكَ حَرَّى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبٌ . وَفُؤَادُكَ يَذُوبُ . وَظُلَمُ ٱلْمَعَاصِي قَدِ ٱنْكَشَفَتْ وَٱلشَّدَائِدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحِيفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ . وَٱلزَّبَانِيَةُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَٱلْجَحِيمُ قَدْ أَزْفَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدِ ٱنْهَتَكَتْ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدِ ٱشْتَهَرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدِ ٱنْهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدِ ٱسْتَعْبَرَتْ . تَلْتَفِتُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ . وَقَدْ خَابَتْ مِنْكَ ٱلْآمَالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : ٱلْحَرِيقُ . كَيْفَ أَمْضِي وَأَيْنَ ٱلطَّرِيقُ . فَحِينَئِذٍ يَهْرُبُ مِنْكَ ٱلْأَخُ ٱلشَّفِيقُ . وَيَنَالُ ٱلْخِلُّ ٱلْوَدُودُ وَٱلصَّاحِبُ وَٱلرَّفِيقُ . ٱللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ هَوْلِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ . وَٱجْعَلْنَا مِنْ تُبَّاعِ ٱلْفَائِزِينَ مِنَ ٱلْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواعظ لسان الدين الخطيب

٢٨ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْوَلِيِّ ٱلْحَمِيدِ . ٱلْمُبْدِي ٱلْمُعِيدِ . ٱلْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنَ ٱلْعَبِيدِ . ٱلْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ . مُحْيِي رُبُوعِ ٱلْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ ٱلتَّوْحِيدِ وَمُغْنِي نُفُوسِ ٱلزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ ٱحْتِقَارِ

ٱلِٱفْتِقَارِ إِلَى ٱلعَرَضِ ٱلزَّهِيدِ • وَمُخَلِّصِ خَوَاطِرِ ٱلْمُحَقِّقِينَ مِنْ سُجُونِ دُجُونِ ٱلتَّقْيِيدِ إِلَى فَسِيحِ ٱلتَّجْرِيدِ • نَحْمَدُهُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ٱلْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ ٱلدَّوَامِ وَسُمُوطِ ٱلتَّأْبِيدِ • حَمْدَ مَنْ نَزَّهَ أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ عَنْ مَرَابِطِ ٱلتَّقْيِيدِ • وَمَخَابِطِ ٱلطَّبْعِ ٱلْبَلِيدِ • وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنِ ٱفْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ ٱلْمَزِيدِ • وَنَشْهَدُ أَنَّهُ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً نَتَخَطَّى بِهَا مَعَالِمَ ٱلْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ ٱلْحَقِّ عَلَى كَبِدِ ٱلتَّفْرِيدِ • آهِ أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ ٱللهِ تَعَالَى يَا أَحْبَابَنَا يُسْمَعُ • وَفِيمَا ذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ يُطْمَعُ • يَا مَنْ يُعْطِي وَيَمْنَعُ إِذَا لَمْ تَقُمِ ٱلصَّنِيعَةُ فَمَاذَا نَصْنَعُ • إِجْمَعْنَا بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ • وَلَيِّنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ فَقَدِ ٱسْتَعَاذَ ٱلْحَكِيمُ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ • إِعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ • يَأْخُذُهَا مِنَ ٱلْأَقْوَالِ وَٱلْأَحْوَالِ وَمِنَ ٱلْجَمَادِ وَٱلْحَيَوَانِ • وَمَا أَمْلَاهُ ٱلْمَلَوَانِ • فَإِنَّ ٱلْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ صَدَرَ مِنَ ٱلْخَامِلِ • وَلَا يَقْصُرُ عَنْ مَحْمُولِهِ ٱحْتِقَارُ ٱلْحَامِلِ • وَأَنْتُمْ تَدْرُونَ أَنَّكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ ٱلْغَايَةِ رِحْلَةٌ • وَلَا تَتَأَتَّى مَعَهَا إِقَامَةٌ وَلَا مُهْلَةٌ • مِنَ ٱلْأَصْلَابِ إِلَى ٱلْأَرْحَامِ إِلَى ٱلْوُجُودِ إِلَى ٱلْقُبُورِ إِلَى ٱلنُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارَيِ ٱلْبَقَاءِ أَفِي ٱللهِ شَكٌّ • فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا فِي ٱلْبَرِيَّةِ يَبْنِي وَيَفْرُشُ وَيُمَهِّدُ وَيُعَرِّشُ أَلَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ مِنْ جَهْلِهِ • وَتَعْجَبُونَ مِنْ رَكَاكَةِ عَقْلِهِ • وَوَٱللهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَوَاغِلُكُمْ عَنِ ٱللهِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱجْتِهَادُكُمْ إِلَّا بَقَاءُ سَفْرٍ فِي قَفْرٍ • أَوْ أَعْرَاسٍ فِي لَيْلَةِ نَفْرٍ •

كأنكم بها مطرحة تعبر فيها المواشي . وتنبو العيون عن خبرها المتلاشي . إنما أموالكم ولذاتكم فتنة . والله عنده أجر عظيم ما بعد المقيل إلا الرحيل . ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل . وإنكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها . وعتب أبوابها . فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الألباب . وما كل حقيقة يشرحها الكلام . يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا يغرنكم بالله الغرور أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة . وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة . أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل في مقام التهديد . إن عذابي لشديد . أأمنا من مكره مع المنابذة . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . أطمعا في رحمته مع المخالفة كما قيل : فسأكتبها للذين يتقون أو مشاقة ومعاندة . ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب :

هكذا هكذا يكون التعامي   هكذا هكذا يكون الغرور

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون وما عدا عما بدا ورسولكم الحريص عليكم الرؤوف الرحيم يقول لكم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . فعلام بعد هذا المعول . وماذا يتأول . اتقوا الله سبحانه في نفوسكم وانصحوها . واغتنموا فرص الحياة واربحوها . أن تقول نفس : يا حسرتي على ما فرطت في جنب

ٱللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ. وَتُنَادِي أُخْرَى: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ تَسْتَغِيثُ أُخْرَى: يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ. وَتَقُولُ أُخْرَى: رَبِّ أَرْجِعُونِي. فَرَحِمَ ٱللهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ. قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ. وَقَدَّمَ لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ تَجُرُّ إِلَى ٱلْمَوْتِ. وَٱلْغَفْلَةَ تَقُودُ إِلَى ٱلْفَوْتِ. وَٱلصِّحَّةَ مَرْكَبُ ٱلْأَلَمِ. وَٱلشَّبِيبَةَ سَفِينَةٌ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ ٱلْهَرَمِ.

ولهُ ايضاً من عظةٍ

٢٩ إِخْوَانِي صُمَّتِ ٱلْآذَانُ وَٱلنِّدَاءُ جَهِيرٌ. وَكَذَبَ ٱلْعِيَانُ وَٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ شَهِيرٌ. أَيْنَ ٱلْمَلِكُ وَأَيْنَ ٱلظَّهِيرُ أَيْنَ ٱلْخَاصَّةُ أَيْنَ ٱلْجَمَاهِيرُ أَيْنَ ٱلْقَبِيلُ وَٱلْعَشِيرُ أَيْنَ أَرْدَشِيرُ. صَدَقَ وَٱللهِ ٱلنَّاعِي وَكَذَبَ ٱلْبَشِيرُ وَغَشَّ ٱلْمُسْتَشَارُ وَٱتُّهِمَ ٱلْمُشِيرُ. وَسُئِلَ عَنِ ٱلْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى ٱلتُّرَابِ ٱلْمُشِيرُ:

خُذْ عَنْ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ ٱلْآتِي ... وَبِدَارِ مَا دَامَ ٱلزَّمَانُ مُوَاتِي

لَا تَغْتَرِرْ فَهُوَ ٱلسَّرَابُ بِقِيعَةٍ ... قَدْ خُودِعَ ٱلْمَاضِي بِهِ وَٱلْآتِي

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعِظًا وَمُذَكِّرًا ... يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ ٱلْغَفَلَاتِ

هَلَّا ٱعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبْرَةٍ ... بِمَدَافِنِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّاتِ

قِفْ بِٱلْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ ... فَلَكَمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ

دَرَجُوا وَلَسْتَ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةِ

وَٱللهِ مَا ٱسْتَهْلَلْتَ حَيًّا صَارِخًا ... إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي ٱلْأَمْوَاتِ

لَا فَوْتَ عَنْ دَرْكِ ٱلْحِمَامِ لِهَارِبٍ ... وَٱلنَّاسُ صَرْعَى مَعْرَكِ ٱلْآفَاتِ

كَيْفَ ٱلْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ ... سِنَةَ ٱلْكَرَى بِمَدَارِجِ ٱلْحَيَّاتِ

أَسَفًا عَلَيْنَا مَعْشَرَ ٱلْأَمْوَاتِ لَا نَنْفَكُّ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ
وَيَغُرُّنَا لَمْعُ ٱلسَّرَابِ فَنَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ ٱللَّذَّاتِ

يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ وَأَلِفَ ٱلْمِرَاحَ . يَا مَنْ شَرِبَ ٱلرَّاحَ مَمْزُوجَةً بِٱلْعَذَابِ ٱلْقَرَاحِ . وَقَعَدَ لِعِيَانِ صُرُوفِ ٱلزَّمَانِ مَقْعَدَ ٱلِٱقْتِرَاحِ . كَأَنَّكَ وَٱللهِ بِٱخْتِلَافِ ٱلرِّيَاحِ وَسَمَاعِ ٱلصِّيَاحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ ٱلِٱجْتِيَاحِ . فَأُدِيلَ ٱلْخُفُوتُ مِنَ ٱلِٱرْتِيَاحِ . وَنُسِيَتْ أَصْوَاتُ ٱلْغِنَاءِ بِرَنَّاتِ ٱلرِّيَاحِ . وَعُوِّضَتْ غُرَرُ ٱلنُّوبِ ٱلْقِبَاحِ . مِنْ غُرَرِ ٱلْوُجُوهِ ٱلصِّبَاحِ . وَتَنَاوَلَتِ ٱلْجُسُومَ ٱلنَّاعِمَةَ أَيْدِي ٱلِٱطِّرَاحِ . وَتُنُوسِيَتِ ٱلْعُهُودُ ٱلْكَرِيمَةُ بِمَرِّ ٱلْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَٱلصَّبَاحِ . وَأَصْبَحَتْ كُمَاةُ ٱلنِّطَاحِ مِنْ تَحْتِ ٱلْبِطَاحِ . وَخَمَلَتِ ٱلْمُهَنَّدَةُ وَٱلرِّمَاحُ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ ٱلْجِمَاحِ

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَصْرِيفِهَا حُلُمُ
صَفَاؤُهَا كَدَرٌ سَرَّاؤُهَا ضَرَرٌ أَمَانُهَا غَدَرٌ أَنْوَارُهَا ظُلَمُ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ لَذَّاتُهَا نَدَمٌ وُجْدَانُهَا عَدَمُ
فَخَلِّ عَنْهَا وَلَا تَرْكَنْ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيِّهَا نِقَمُ

يَا مُشْتَغِلًا بِدَارِهِ . وَرَمِّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَبِدَارِهِ . يَا مَنْ صَاحَ بِإِنْذَارِهِ . شَيْبُ عِذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ ٱعْتِذَارِهِ بِأَقْذَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بُعْدُ مَزَارِهِ . وَثِقَلُ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَلِقًا يَنْتَظِرُ هُجُومَ جَزَّارِهِ . يَا مَنْ أَمْعَنَ فِي خَمْرِ ٱلْهَوَى خَفَّ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ مَوْلَى رِقِّهِ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَةٍ تُرَدُّ . يَا مَفْتُونًا بِأَنْفُسٍ تُعَدُّ .

يَا مُعوِّلًا عَلَى ٱلْإِقَامَةِ وَٱلرِّحَالُ تُشَـدُّ . كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوثِقَ ٱلشَّدُّ وَأُلْصِقَ بِٱلوِسَادَةِ ٱلْخَدُّ . وَٱلرِّجْلُ تُقْبَضُ وَٱلْأُخْرَى تُمَدُّ . وَٱللِّسَانُ يَقُولُ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ :

إِنَّا إِلَى ٱللهِ وَإِنَّا لَهُ ... مَا أَشْغَلَ ٱلْإِنْسَانَ عَنْ شَانِهِ

يَرْتَاحُ لِلْأَثْوَابِ يُزْهَى بِهَا ... وَٱلْخَيْطُ مَغْـزُولٌ لِأَكْفَانِهِ

وَيَخْـزُنُ ٱلْفَلْسَ لِوُرَّاثِـهِ ... مُسْتَنْفِدًا مَبْلَـغَ أَكْوَانِهِ

قَوِّضْ عَنِ ٱلْفَانِي رِحَالَ ٱمْرِئٍ ... مَدَّ إِلَيْـهِ عَـيْنَ عِرْفَانِهِ

مَا ثَمَّ إِلَّا مَـوْقِفٌ زَاهِدٌ ... قَدْ وُكِّلَ ٱلْعَدْلُ بِمِيزَانِهِ

مُفَـرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِـهِ ... وَمُحْسِنٌ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ

يَا هٰذَا خَفِيَ عَلَيْـكَ مَرَضُ ٱعْتِقَادِكَ . فَٱلْتَبَسَ ٱلشَّحْمُ بِٱلْوَرَمِ . جَهِلْتَ قِيَمَ ٱلْمَعَادِنِ فَبِعْتَ ٱلشَّبَهَ بِٱلذَّهَبِ . فَسَدَ حُسْنُ ذَوْقِكَ فَتَفَكَّهْتَ بِحَنْظَـلَةٍ . أَيْنَ حِرْصُكَ مِنْ أَجَلِكَ . أَيْنَ قَوْلُكَ مِنْ عَمَلِكَ . يُدْرِكُكَ ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلطِّفْلِ فَتَتَحَامَى حِمَى ٱلْفَاحِشَةِ فِي ٱلْبَيْتِ بِسَبَبِهِ . ثُمَّ تُوَاقِعُهَا بِعَيْنِ خَالِقِ ٱلْعَيْنِ وَمُقَدِّرِ ٱلْكَيْفِ وَٱلْأَيْنِ . تَٱللهِ مَا فَعَلَ فِعْلَكَ بِمَعْبُودِهِ مَنْ قَطَعَ بِوُجُودِهِ . مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَى عَلِيمٍ تَعُودُ عَلَيْـكَ مَسَاعِي ٱلْجَوَارِحِ ٱلَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَـرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ فَتَبْخَلُ مِنْهَا فِي سَبِيلِهِ بِفَلْسٍ . وَأَحَدُ ٱلْأَمْرَيْنِ لَازِمٌ إِمَّا ٱلتَّكْذِيبُ وَإِمَّا ٱلْحَمَاقَةُ وَجَمْعُكَ بَيْنَ ٱلْحَالَتَيْنِ عَجِيبٌ . يَرْزُقُكَ ٱلسِّنِينَ ٱلْعَدِيدَةَ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ وَتُسِيءُ ٱلظَّـنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ تُوجِبُ ٱلْحَقَّ

وَتَعْتَذِرُ بِالْغَفْلَةِ . فَمَا بَالُ التَّمَادِي تَعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ فِي الْإِصْرَارِ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا . يَا مُدَّعِي النِّسْيَانِ مَاذَا فَعَلْتَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ . يَا مُعْتَذِرًا بِالْغَفْلَةِ أَيْنَ ثَمَرَةُ التَّنْبِيهِ . يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ . يَا ذُبَابَةَ الْحِرْصِ كَمْ ذَا تَلَجُّجُ فِي وَرْطَةِ الشَّهْدِ . يَا نَائِمًا مِلْءَ عَيْنَيْهِ حَذَارِ الْأَجَلُ قَدْ أَنْذَرَ . يَا ثَمِلَ الْاغْتِرَارِ قَرُبَ خُمَارُ النَّدَمِ . تَدَّعِي الْحِذْقَ بِالصَّنَائِعِ وَتَجْهَلُ هٰذَا الْقَدْرَ . تَبْذُلُ النُّصْحَ لِغَيْرِكَ وَتَغُشُّ نَفْسَكَ هٰذَا الْغِشَّ . إِنْدَمَلَ جُرْحُ تَوْبَتِكَ عَلَى عَظْمٍ قَامَ بِنَاءُ عَزْمَتِكَ عَلَى رَمْلٍ . نَبَتَتْ خَضْرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى دِمْنَةٍ . عَقَدَتْ كَفُّكَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ . أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا . فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . إِذَا غَامَ جَوُّ هٰذَا الْمَجْلِسِ وَابْتَدَأَ رَشُّ غَمَامِ الدُّمُوعِ قَالَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ : حَوَالَيْنَا لَا عَلَيْنَا . فَدَارَتْ رِيَاحُ الْغَفْلَةِ وَسَحَابُ الصَّيْفِ هَفَّافٌ كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ الْعَزِيمَةِ عَلَى دُرَّةِ التَّوْبَةِ صَانَعَتْهُ ظِئْرُ الشَّهْوَةِ عَنْ ذٰلِكَ بِعُصْفُورٍ . إِذَا ضَيَّقَ الْخَوْفُ فُسْحَةَ الْمَهَلِ سَرَقَ الْأَمَلُ حُدُودَ الْجَارِ . قَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : كَانُوا إِذَا فَقَدُوا قُلُوبَهُمْ تَفَقَّدُوا مَطْلُوبَهُمْ . وَلَوْ صَدَقَ الْوَعْظُ لَأَثَّرَ . اللّٰهُمَّ لَا أُكْثِرُ طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ عَلِيلٌ . وَالْخَطْبُ جَلِيلٌ وَالْمُتَفَطِّنُ قَلِيلٌ فَهَلْ إِلَى الْخَلَاصِ سَبِيلٌ . اللّٰهُمَّ انْظُرْ إِلَيْنَا بِعَيْنِ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتِ الْأَشْيَاءَ وَشَمِلَتِ الْأَمْوَاتَ وَالْأَحْيَاءَ . يَا دَلِيلَ الْحَائِرِينَ دُلَّنَا . يَا عَزِيزُ ارْحَمْ ذُلَّنَا . يَا وَلِيَّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ كُنْ لَنَا

كُلّنَا . إِنْ أَعْرَضْتَ عَنَّا فَمَنْ لَنَا نَحْنُ ٱلْمُذْنِبُونَ وَأَنْتَ غَفَّارُ ٱلذُّنُوبِ . فَقَلِّبْ قُلُوبَنَا يَا مُقَلِّبَ ٱلْقُلُوبِ . وَٱسْتُرْ عُيُوبَنَا يَا سَتَّارَ ٱلْعُيُوبِ . يَا أَمَلَ ٱلطَّالِبِ وَيَا غَايَةَ ٱلْمَطْلُوبِ

٣٠ وللسان الدين في المواعظ ما خاطب بهِ بعض من استدعى منهُ الموعظة ونصهُ

إِذَا لَمْ أُنَحْ يَوْمًا عَلَى نَفْسِيَ ٱلَّتِي ... بِجَرَّائِهَا أَحْبَبْتُ كُلَّ حَبِيبِ
وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ غَادِيَةَ ٱلرَّدَى ... تَدِبُّ لَهَا وَٱللّٰهِ كُلَّ دَبِيبِ
فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْكِي عَلَيْهَا بِأَدْمُعِي ... إِذَا كُنْتُ مَوْصُوفًا بِرَأْيِ لَبِيبِ

كَمْ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى حَبِيبٍ تَغَارُ مِنْ إِرْسَالِ طَرْفِكَ بِكِتَابِ ٱلْهَوَى إِلَى إِنْسَانِهِ . وَقَدْ ذَبَلَتْ بِٱلسُّقْمِ نَرْجِسَةُ لَحْظِهِ وَذَوَتْ وَرْدَةُ خَدِّهِ وَٱصْفَرَّتْ لِمَغِيبِ ٱلْفِرَاقِ شَمْسُ حُسْنِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ٱلَّتِي كَانَ يَبْخَلُ مِنْهَا بِٱلنَّفَسِ . يُخَاطِبُ بِلِسَانِ حَالِهِ مُسْتَرْحِمًا . وَلَيْتَ ٱلْفُجْلَ يَهْضِمُ نَفْسَهُ وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مَسْحَبِهِ إِلَى دَسْتِ ٱلْحُكْمِ . وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ . وَمِنْهَا تَٱللّٰهِ لَوْ لَمْ يَكُنِ ٱلْمُخْبِرُ صَادِقًا لَنَشِبَ بِحَلْقِ ٱلْعَيْشِ بَعْدَهُ شَوْكَةُ ٱلشَّكِّ :

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مُتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ ٱلْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ
وَلٰكِنَّا إِذَا مُتْنَا بُعِثْنَا ... وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيِّ

فَٱلْحَازِمُ مَنْ بَتَرَ ٱلْآمَالَ طَوْعًا . وَقَالَ : بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمْرٍو . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللّٰهِ ٱلْغَرُورُ . وَقَالَ أَمِيرُ ٱلْوُعَّاظِ : وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ ٱلْأَشْيَاءُ . يَا مَقْتُولًا

مَالَهُ طَالِبُ ثَارٍ. يَرِيدُ الْمَوْتِ مُطْلَقَ الْأَعِنَّةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يَحْمِيكَ حِصْنٌ. ثَوْبُ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَاقَاتِ أَنْفَاسِكَ . وَالْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ ذَرَّاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتُ الزَّمَانِ قَوِيَّةٌ فِي النَّسْجِ الضَّعِيفِ . فَيَا سُرْعَةَ التَّمْزِيقِ يَا رَابِطًا مُنَاهُ بِخَيْطِ الْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ الْفَتْلِ صَيَّادُ التَّلَفِ قَدْ بَثَّ الصُّقُورَ. وَأَرْسَلَ الْعِقْبَانَ وَنَصَبَ الْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ الْمَوَادَّ فَكَيْفَ السَّلَامَةُ . تَهَيَّأْ لِسُرْعَةِ الْمَوْتِ وَأَشَدُّ مِنْهَا قَلْبُ الْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا يَؤُولُ أَمْرٌ . مَرْكَبُ الْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ الْبَدَنِ بِرُخَاءِ الْأَنْفُسِ . وَلَا بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ قَاصِفٍ لِفُلْكِهِ وَيُغْرِقُ الرُّكَّابَ :

فَاقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

(وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبِ التَّلَفِ قَدْ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَانْهَزَمَتْ جُنُودُ الْآمَالِ . وَإِذَا بِمَلَكِ الْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطَاطِيفِ الشَّدَائِدِ مِنْ قِيَانِ الْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ كِتَابَ الذَّبِيحِ وَحَارَ الْبَصَرُ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ . وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عَنِ الْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ عَنِ الْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ النَّارِ . وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ تَسْتَوْكِفُ الْخَبَرَ وَالْكَوْنُ كُلُّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صَيْحَةٍ : سَعِدَ فُلَانٌ أَوْ شَقَاءُ فُلَانٍ . فَهُنَالِكَ تَنْجَلِي أَبْصَارُ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيْحَكَ تَهَيَّأْ لِتِلْكَ السَّاعَةِ حَصِّلْ زَادًا قَبْلَ الْفَوْتِ :

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

مَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ سُرْعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ فِي

وَقْتِ ٱلْأَسْرِ فَٱفْعَلْهُ فِي وَقْتِ ٱلْإِطْلَاقِ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

أَتَأْمُلُ فِي ٱلدُّنْيَا تَجِدُّ وَتَعْمُرُ ... وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ

تُلَقِّحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا ... وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرَجِّيهِ أَقْصَرُ

تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِيتَهُ ... وَتُقْبِلُ بِٱلْآمَالِ فِيهِ وَتُدْبِرُ

وَهٰذَا صَبَاحُ ٱلْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْءُهُ ... وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ

وَرِزْقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِمَّا مُعَجَّلٌ ... عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرُ

وَلَا حَوْلَ مُحْتَالٍ وَلَا وَجْهَ مَذْهَبٍ ... وَلَا قَدَرٌ يُزْجِيهِ إِلَّا ٱلْمُقَدَّرُ

وَقَدْ قَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ مَنْ لَيْسَ عَادِلًا ... مِنَ ٱلْعَدْلِ بَيْنَ ٱلْخَلْقِ فِيمَا يُقَدِّرُ

فَلَا تَأْمَنِ ٱلدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ ... عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَغْدِرُ

فَمَا تَمَّ فِيهَا ٱلصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ ... وَلَا ٱلرَّنْقُ إِلَّا رَيْثَمَا يَتَغَيَّرُ

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقٌ ... عَلَى ٱلْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ

تَطَهَّرْ وَأَلْحِقْ ذَنْبَكَ ٱلْيَوْمَ تَوْبَةً ... لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطْهُرُ

وَشَمِّرْ فَقَدْ أَبْدَى لَكَ ٱلْمَوْتُ وَجْهَهُ ... وَلَيْسَ يَنَالُ ٱلْفَوْزَ إِلَّا ٱلْمُشَمِّرُ

فَهٰذِي ٱللَّيَالِي مُؤْذِنَاتُكَ بِٱلْبِلَى ... تَرُوحُ وَأَيَّامٌ كَذٰلِكَ تَبْكُرُ

وَأَخْلِصْ لِدِينِ ٱللّٰهِ صَدْرًا وَنِيَّةً ... فَإِنَّ ٱلَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَظْهَرُ

وَقَدْ يَسْتُرُ ٱلْإِنْسَانُ بِٱللَّفْظِ فِعْلَهُ ... فَيُظْهِرُ عَنْهُ ٱلطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ

تَذَكَّرْ وَفَكِّرْ فِي ٱلَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ ... إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ

فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ ... بِأَثْنَائِهَا تُطْوَى إِلَى يَوْمِ تُنْشَرُ

نخبة من خُطَب الاعياد السيديَّة لابن الحديثيّ المعروف بابي الحليم لعيد الميلاد الجسدي المقدَّس

٣١ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوَصْفِ ٱلْأَحَدِيَّةِ فَلَا يُقَاسُ بِٱلْآحَادِ. وَتَمَيَّزَ بِتَثْلِيثِ صِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ ٱلْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَاثِلُ خَصَائِصَ ٱلْأَعْدَادِ. وَعَلَا بِعِزِّ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلِٱقْتِدَارِ عَنِ ٱلنُّظَرَاءِ وَٱلْأَشْبَاهِ وَٱلْأَنْدَادِ. وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ وَٱلِٱعْتِلَاءِ عَنْ ذَمَائِمِ أَوْصَافِ ٱلْعِبَادِ. ٱلَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعَ صُوَرِ ٱلْخَلَائِقِ ٱلْكَوْنِيَّةِ فِي قَوَالِبِ ٱلْمَوَادِّ. وَأَخْرَجَهَا إِلَى نُورِ كَمَالِ ٱلْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ ٱلْقُوَّةِ وَٱلِٱسْتِعْدَادِ. وَأَرْشَدَنَا فِي تِيهِ ظَلَامِ ٱلْأَضَالِيلِ بِنُورِ ٱلِٱهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ ٱلْجَوَادِّ. وَفَصَمَ عَنْ أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ ٱلْخَطَايَا يَوْمَ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ ٱلْمَطْلَعِ ٱلْبَتُولِيِّ بِٱلْمِيلَادِ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَبْرَأُ مِنَ ٱلْمَعَايِبِ وَٱلتَّزْيِيفِ فِي صِدْقِ حَذَقَةِ ٱلنُّقَّادِ. وَنَشْكُرُ سَوَابِغَ نِعَمِهِ ٱلْجَسِيمَةِ شُكْرًا تَتَرَنَّحُ لِرَوْنَقِ بَثِّهِ شَوَامِخُ ٱلْأَطْوَادِ. أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ يَوْمَكُمْ هٰذَا أَشْرَفُ ٱلْأَيَّامِ. وَأَلْطَفُ ٱلْمَوَاقِيتِ ٱلْمُعَظَّمَةِ وَبِكْرُ ٱلْأَعْيَادِ ٱلْكِرَامِ. يَوْمُ ٱلْفَرَحِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلسُّرُورِ ٱلْكَامِلِ. يَوْمُ ٱلِٱسْتِبْشَارِ ٱلْأَكْرَمِ وَٱلْحُبُورِ ٱلشَّامِلِ. يَوْمُ ٱلْهَنَاءِ ٱلْأَوْفَرِ وَٱلْجَذَلِ ٱلْجَدِيدِ. يَوْمُ ٱلْعِيدِ ٱلْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ ٱلنَّجْلِ ٱلْوَحِيدِ. يَوْمُ ٱبْتِهَاجِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَذْهَانِ. يَوْمُ إِزَالَةِ ٱلذُّنُوبِ بِٱلْغُفْرَانِ. يَوْمٌ أَنْذَرَتْ بِهِ ٱلْبَشَائِرُ ٱلنَّبَوِيَّةُ. يَوْمٌ جَلَّ عَنِ ٱلنَّظَائِرِ وَٱلْأَشْبَاهِ ٱلْمِثْلِيَّةِ. يَوْمٌ تَفَتَّحَتْ فِيهِ أَبْوَابُ ٱلسَّعَادَاتِ أَمَامَ ٱلْبَشَرِ. وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ ٱلْإِفَادَاتِ

بميلادِ ٱلمسيحِ ٱلمنتظَرِ . هٰذا ٱليومُ ٱلَّذي ٱفترَّت فيهِ نواجذُ ٱلحقائقِ .
وتبسّمت ثغورُ ٱلجودِ وٱلإنعامِ في وجوهِ ٱلخلائقِ . هٰذا ٱليومُ ٱلَّذي
كُتبت فيهِ صكوكُ ٱلخلاصِ ٱلمطلقِ . وأسفرَ ليلُ ٱلشكوكِ عن غُرّةِ
ٱلصباحِ ٱلأشرقِ . هٰذا ٱليومُ ٱلَّذي تألّقَ فيهِ كوكبُ ٱلحياةِ من
أفرَثا . وحقّقَ لنا في ٱلعالمِ ٱلملكوتيّ حصّةً في ٱلنورِ وإرثًا . هٰذا
ٱليومُ ٱلَّذي أشرقت فيهِ للأتقياءِ شمسُ ٱلبرارةِ . وذرَّت من ٱلفلكِ
ٱلمريميّ في آفاقِ ٱلمغارةِ . هٰذا ٱليومُ ٱلَّذي ٱهتزّت لفرحتهِ أعطافُ
ٱلجودِ . وٱنشقّت بمدى ٱلحقائقِ أصدافُ ٱلوعودِ . وتلألأت أضواءُ
درّةِ ٱلحياةِ في أكنافِ قريةِ داودَ . هٰذا ٱليومُ ٱلَّذي ظهرَ فيهِ ٱلسيّدُ
ٱلمسيحُ من ٱلمقصورةِ ٱلبتوليّةِ . مُجلببًا بٱلناسوتِ على نورِ ٱلأزليّةِ .
وبشّرت فيهِ بصالحِ ٱلرجاءِ أصقاعَ ٱلبريّةِ . وتيمّن بمولدهِ ٱلجسديّ
أبناءُ ٱلجبلةِ ٱلبشريّةِ . أليومَ قرّت شقاشقُ أشعيا ٱلنبيِّ ٱلممجَّدِ في
ٱلأنبياءِ أنَّ ٱلبتولَ ٱلطاهرةَ تحبلُ وتلدُ أشرفَ ٱلأبناءِ . أليومَ ٱنقضَّ
ٱلكوكبُ ٱلصبحيُّ في فلكِ آلِ يعقوبَ . وفضَّ بنورهِ أغساقَ ٱلضلالِ
من آفاقِ ٱلقلوبِ . أليومَ نصلَ خضابُ ٱلأضاليلِ . أصحرت هضابُ
ٱلأباطيلِ . تناثرت أوراقُ ٱلرذائلِ . بدا ٱلإيراقُ في أغصانِ
ٱلفضائلِ . أليومَ تبلّجت أقمارُ ٱلحقائقِ . فُتحت ٱلذخائرُ وٱلكنوزُ .
نُضيت ستورُ ٱلأسرارِ عن وجوهِ ٱلأمثالِ وٱلرموزِ . أليومَ تدكدكت
أعرانُ ٱلضلالِ . تبرّكت ٱلأذهانُ بميلادِ مفيدِ ٱلكمالِ . تنفّسَ صباحُ

ٱلسَّعَادَةِ وَٱلْإِقْبَالِ . تَسَرْبَلَتْ جُبْلَةُ آدَمَ مِنْ فَخْرِ ٱلْوِلَادَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ أَسْنَى حُلَّةٍ وَأَبْهَى سِرْبَالٍ . أَلْيَوْمَ أَنْجَمَ سَحَابُ ٱلْعَطَايَا . أَنْجَمَ خَبَابُ ٱلْخَطَايَا . فُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلْمَوَاهِبِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ ٱلْأَذْخَارِ لِكُلِّ آتٍ وَذَاهِبٍ . أَلْيَوْمَ سَقَطَتْ أَجِنَّةُ ٱلطُّغْيَانِ . لُبِسَتْ جُنَّةُ ٱلْغُفْرَانِ . ظَهَرَتْ سُنَّةُ ٱلْإِيمَانِ . تَقَهْقَرَتِ ٱلْأَكِنَّةُ عَنِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَذْهَانِ . أَلْيَوْمَ أَصْبَحَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنَ ٱلْأَدْرَانِ مَخْمُومَةً . وَأَغْصَانُ ٱلذُّنُوبِ مِنَ ٱلْأَذْهَانِ مَجْمُومَةً . وَٱلْأُمَّةُ ٱلْيَهُودِيَّةُ عِنْدَ ٱلْأَنَامِ مَذْمُومَةً . وَبِجَارِ ٱلْهِجَاءِ وَٱلْمَذَامِّ مَحْصُوبَةً مَرْجُومَةً . فَيَنْبَغِي لَنَا مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَجْتَلِيَ مَحَاسِنَ ٱلْأَعْيَادِ بِأَبْصَارِ ٱلْبَصَائِرِ . وَنَسْتَشِفَّ بِعَيْنِ ٱلْإِعْتِبَارِ هٰذِهِ ٱلنِّعَمَ ٱلْغَزَائِرَ . فَإِنَّنَا نَرَى حَبَلًا تَنَزَّهَ عَنْ مَسَاقِطِ ٱلنُّطَفِ ٱلزَّرْعِيَّةِ . مِيلَادًا لَمْ تَنْفَضَّ بِهِ ٱلْخُتُومُ ٱلطَّبِيعِيَّةُ . أُمًّا قَدْ شَاخَ مَعَهَا ٱسْمُ ٱلْبَتُولِيَّةِ . خَطِيبًا يُفْصِحُ بِٱلثَّنَاءِ عَنِ ٱلْقُدْرَةِ ٱلْعَلِيَّةِ . مِعْلَفًا أَزْرَى بِرَوْنَقِهِ عَلَى ٱلسُّدَدِ ٱلنُّورِيَّةِ . مَغَارَةً أَرْبَتْ شَرَفًا عَلَى ٱلْأَوَاوِينِ ٱلسَّرِيَّةِ . رُعَاةً شَبُّوا مِنْ شَظَايَا ٱلْعِصِيِّ نَارًا مُضِيَّةً . مَجُوسًا تُقَرِّبُ ٱلْقَرَابِينَ وَتُدْنِي ٱلْهَدِيَّةَ . مَلَائِكَةً تُنَادِي بِٱلسَّلَامِ وَٱلرَّجَاءِ فِي أَرْجَاءِ ٱلْبَرِيَّةِ . كَوْكَبًا يَهْدِي مَوْكِبًا مِنْ أَقْيَالِ ٱلْمَجُوسِ إِلَى وَصِيدِ ٱلْمَغَارَةِ ٱلْبَيْتَ لَحْمِيَّةِ . قُمُطًا تَشَرَّفَتْ بِهَا ٱلْأَعْلَامُ وَٱلْبُنُودُ ٱلْمَلَائِكِيَّةُ . طِفْلًا تَرْتَجُّ لِهَيْبَتِهِ أَقْطَابُ ٱلْكُرَاتِ ٱلْفَلَكِيَّةِ . فَهَلُمُّوا ٱلْآنَ يَا أَصْفِيَاءَ سَيِّدِنَا ٱلْمَسِيحِ . نَنْثُرُ مِنْ صَدَفِ ٱلْأَفْوَاهِ لَآلِئَ ٱلتَّسْبِيحِ . نُكْثِرُ مِنَ ٱلتَّمْجِيدِ لِهٰذِهِ ٱلرَّأْفَةِ . وَنَقِفُ أَمَامَ ٱللّٰهِ بِٱلرِّعْدَةِ

وَٱلْمَخَافَةِ • نَتَوَاهَبِ ٱلضَّغَائِنَ وَخَسَائِسَ ٱلْأَحْقَادِ • وَنُحَلِّ أَجْيَادَ ٱلْعَقَائِدِ
بِنَفَائِسِ عُقُودِ ٱلِاعْتِقَادِ • نَغْسِلُ مِنْ دَسَاتِيرِ ٱلْقُلُوبِ أَسَاطِيرَ ٱلشُّكُوكِ •
وَنَخِرُّ لَهُ سُجَّدًا بِقَرَابِينِ ٱلْأَعْمَالِ مَعَ ٱلْمُلُوكِ • نُخْلِصُ ٱلنِّيَّاتِ وَٱلسَّرَائِرَ •
وَنُعِدُّ لَنَا فِي ظُلَلِ ٱلنُّورِ أَخَايِرَ ٱلذَّخَائِرِ • نَتَطَهَّرُ مِنْ أَوْضَارِ ٱلْجُسُومِ
وَخَطَايَا ٱلنُّفُوسِ • وَنُقَدِّمُ لَهُ ٱلطَّاعَةَ ٱلْقَلْبِيَّةَ مَعَ هَدَايَا ٱلْمَجُوسِ • نَطْرَبُ
لِمَوْلِدِهِ مَعَ رُعَاةِ ٱلْأَغْنَامِ وَنُسَرُّ بِٱلْفَرْحَةِ ٱلَّتِي عَمَّتِ ٱلْيَوْمَ كُلَّ ٱلْأَنَامِ •
نَسْتَشِرُ هٰذِهِ ٱلْمَفَاخِرَ وَٱلْمَنَاقِبَ • وَنَسْتَشِفُّ مَآثِرَ ٱلْعِيدِ ٱلسَّعِيدِ بِٱلْآرَاءِ
ٱلثَّوَاقِبِ • وَنَقِفُ فِي هٰذَا ٱلسِّرِّ ٱلشَّرِيفِ وُقُوفَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْأَطْهَارِ •
وَنَتَأَمَّلُ ٱلْأَسْرَارَ ٱلْإِلٰهِيَّةَ بِعُيُونِ ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْكَارِ • وَنَضْرَعُ إِلَى
ٱلَّذِي هَدَانَا مِنْ مَتَايِهِ ٱلْأَضَالِيلِ • وَقَادَنَا إِلَى مَدَارِجِ ٱلْهُدَى بِخَزَائِمِ
أَوَامِرِ ٱلْإِنْجِيلِ • أَنْ يُشَرِّفَ جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِهِ • وَيُضَاعِفَ مَرَابِحَنَا
بِرَأْفَتِهِ • وَيَسْدُلَ عَلَى أَبْوَابِ حَوَاسِّنَا سُتُورَ عِصْمَتِهِ • وَيَجْعَلَ هٰذَا ٱلْعِيدَ
ٱلسَّعِيدَ مُبَارَكًا عَلَى أُمَّتِهِ مَيْمُونَ ٱلنَّقَائِبِ عَلَى شَعْبِهِ ٱلْمُقَدَّسِ وَرَعِيَّتِهِ •
وَيَزْرَعَ ٱلْأُلْفَةَ وَٱلْمَحَبَّةَ فِي بِيعَتِهِ • وَيُخْمِدَ نَوَائِرَ ٱلْفِتَنِ ٱلثَّوَائِرِ فِي أَقْطَارِ
ٱلْأَرْضِ بِرَحْمَتِهِ • وَيُعِيدَ كُلَّ خَلِيلٍ حَائِدٍ عَنْ جَدَدِ ٱلِاسْتِوَاءِ إِلَى
زُمْرَتِهِ • وَيُقْصِيَ كُلَّ مُرِيدٍ خَلَعَ رِبْقَةَ ٱلطَّاعَةِ عَنْ أَظْلَالِ عِنَايَتِهِ •
وَيَجْعَلَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فُلَانًا فِي أَكْنَافِ ٱلْحَرَمِ ٱلْحَرِيزِ
ٱلْأَمْنَعِ • وَأَلْطَافِ ٱلظِّلِّ ٱلْمَدِيدِ ٱلْأَوْسَعِ • وَأَعْرَافِ ٱلْحِمَى ٱلْعَزِيزِ
ٱلْأَشْرَسِ • وَأَعْلَى ذُرُوَاتِ ٱلْعِزِّ ٱلشَّدِيدِ ٱلْأَقْعَسِ • وَأَنْ يُسْبِغَ ظِلَّهُ

ٱلظَّلِيلَ ٱلنَّاصِرِيَّ. عَلَى شَعْبِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ ٱلنَّاصِرِيِّ لِيَحْمِيَ سِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَذَاءِ بِصَارِمِ عَدْلِهِ . وَيَحْرُسَ شِرْبَهُمْ مِنَ ٱلْأَقْذَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ وَعَزِيزِ فَضْلِهِ . بِشَفَاعَةِ ٱلْأَطْهَارِ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ ٱلْمُؤَيَّدِينَ. وَصَلَاةِ ٱلْأَخْيَارِ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ ٱلْمُتَزَهِّدِينَ. آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُتَفَرِّدِ بِٱلْكَمَالِ فِي عِزَّةِ ٱقْتِدَارِهِ. وَٱلْمُتَوَحِّدِ بِٱلْجَلَالِ فِي سُرَادِقِ مَجْدِهِ وَوَقَارِهِ. ٱلْمُحْتَجِبِ عَنْ لَفَتَاتِ ٱلْأَبْصَارِ بِسُتُورِ أَنْوَارِهِ. ٱلْمُتَلَقِّبِ عَنْ لَمَحَاتِ ٱلْأَفْكَارِ بِنُورِ أَسْتَارِهِ. ٱلَّذِي أَعْجَزَتِ ٱلْأَفْهَامَ مَوَانِعُ مَعْرِفَتِهِ. وَعَجَزَتِ ٱلْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ. وَذَهِلَتِ ٱلْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ. وَدَهِشَتْ بَصَائِرُ ٱلنُّظَّارِ فِي صَنَائِعِ حِكْمَتِهِ. ٱلَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوُجُوهُ ٱلْإِيمَانِ مُلَفَّعَةٌ بِرِدَاءِ ٱلضَّلَالِ. وَمَلَابِسُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُهْتَانِ . سَاحِبَةٌ ٱلذَّلَاذِلِ وَٱلْأَذْيَالِ . وَمَرَابِعُ ٱلْفَضَائِلِ دَارِسَةُ ٱلْمَعَالِمِ وَٱلْأَطْلَالِ. وَمَرَاتِعُ ٱلرَّذَائِلِ مُخْصِبَةُ ٱلْأَخْلَاءِ مُمْتَدَّةُ ٱلْأَظْلَالِ. فَسَدَّدَ بِلَفْظِهِ ٱلْأَقْدَامَ ٱلْعَاثِرَةَ . وَشَيَّدَ بِوَعْظِهِ ٱلْأَعْلَامَ ٱلدَّاثِرَةَ. وَرَدَّ ٱلْخَلْقَ مِنْ فِجَاجِ ٱلرَّدَى بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلْقَاهِرَةِ . وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ ٱلْهُدَى بِٱلْآيَاتِ ٱلْبَاهِرَةِ . حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ ٱلْإِيمَانِ مِنْ أَكْدَارِ رَنْقِهِ. وَأَشْرَقَ ٱلْحَقُّ كَٱلشَّمْسِ ٱلْمُنِيرَةِ فِي دَائِرَةِ فَلَكِهِ. وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ ٱلْهُدَى فِي جَوِّهِ وَمَشْرِقِهِ . وَتَجَلَّى ٱلدِّينُ ٱلْمَسِيحِيُّ فِي أَفْخَرِ أَثْوَابِهِ وَبَهَاءِ رَوْنَقِهِ. نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ حَسَرَ فِي أَدَاءِ

فَرَائِضِ الطَّاعَاتِ عَنْ سَاقِهِ وَمِرْفَقِهِ . وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا تَتَبَلَّجُ أَهِلَّةُ الْإِخْلَاصِ عَلَى جَبِينِهِ وَمَفْرِقِهِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَبِدَايَةِ الْجُلُوسِ عَنِ الْيَمِينِ . فَلْنَفْرَحْ بِهٰذَا الْعِيدِ وَلْيُعَانِقْ بَعْضُنَا بَعْضًا . أَلْيَوْمُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَمَبْدَأُ التَّجْدِيدِ . وَأَشْرَفُ الْمَبَادِي الْيَمِينِيَّةِ وَأَوَّلُ الْعَالَمِ الْعَتِيدِ . يَوْمٌ أَبْدَرَتْ فِي سَمَائِهِ أَهِلَّةُ الْإِنْعَامِ . وَأُلْبِسَتِ الْجِبِلَّةُ الْبَشَرِيَّةُ فِي أَثْنَائِهِ حُلَّةَ الْمَجْدِ وَالْإِكْرَامِ . يَوْمٌ لَاحَتْ عَلَى مَفَارِقِهِ طُرَرُ الْكَمَالِ . وَامْتَدَّتْ عَلَى جَبْهَتِهِ غُرَرُ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . يَوْمٌ تَحَلَّتْ بِعُقُودِ مَنَاقِبِهِ الْمَعَاصِمُ وَالْأَجْيَادُ . وَتَطَوَّقَتْ بِقَلَائِدِ فَخْرِهِ نُحُورُ الْمَوَاقِيتِ وَالْأَعْيَادِ . يَوْمٌ عَطَّرَ أَثْوَابَ الزَّمَانِ تَأَرُّجُ نَشْرِهِ . وَأَقْمَرَ لَيْلُ الْأَذْهَانِ بِتَبَلُّجِ فَجْرِهِ . يَوْمٌ لَاحَ عَلَى جَبِينِ الْمَجْدِ إِشْرَاقُ نَجَاحِهِ . وَبَاحَ بِأَسْرَارِ السَّعْدِ إِسْفَارُ صَبَاحِهِ . وَتَهَلَّلَتْ وُجُوهُ الْإِقْبَالِ بِنُورِ قِدَاحِهِ . وَاهْتَزَّتْ مَعَاطِفُ الْقُلُوبِ بِحُمَيَّا رِيحِهِ وَنَشْوَةِ رَاحِهِ . يَوْمٌ أَضَاءَتْ فِي حَنَادِسِ الْكَآبَةِ مَطَالِعُ جَلَالِهِ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ وَطَالِعُ إِقْبَالِهِ . يَوْمٌ ظَهَرَتْ عَلَائِمُ الْبَرَكَاتِ عَلَى صَفَحَاتِهِ . وَهَبَّتْ نَسَائِمُ الْخَيْرَاتِ عَنْ نَفَحَاتِهِ . وَقُدِحَتْ أَنْوَارُ السَّعَادَةِ مِنْ زُنُودِهِ . وَعَرَسَتْ رَكَائِبُ الْجُودِ عَلَى مَنَاهِلِهِ وَوُرُودِهِ . وَحُلَّتْ مَعَاقِدُ الْأَحْزَانِ لِفَرْحَتِهِ . وَقَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى قَدَمِ الِابْتِهَاجِ فِي صُبْحَتِهِ . يَوْمٌ بَشَّرَنَا بِالْفَلَاحِ أَدِيمُهُ . وَنَشَرَ عَلَيْنَا رَايَةَ الْأَفْرَاحِ نَسِيمُهُ . وَزَالَتْ عَنِ الْخَلَائِقِ ضَرَّاؤُهُ . وَانْحَسَرَتْ عَنْ مَعْرِفِ الْحَقِّ نَكْرَاؤُهُ . وَتَجَلَّتْ فِي

مَلَابِسِ ٱلْإِشْرَاقِ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَفَرَّتْ أَغْسَاقُ ٱلضَّلَالِ عَنِ ٱلْقُلُوبِ بِطَوَالِعِ نُورِهِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ ٱلْكَمَالِ . وَأَضْحَكَتْ بَدَائِعُ أَسْرَارِهِ مَبَاسِمَ ٱلْآمَالِ . وَبَسَطَتْ فَرْحَتُهُ قَوَابِضَ ٱلْأَسِرَّةِ . وَٱنْتَقَلَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْأَحْزَانِ إِلَى أُنْسِ ٱلْمَسَرَّةِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَذْهَلَتِ ٱلْأَلْبَابَ غَرَائِبُهُ . وَأَخْرَقَتِ ٱلْعُقُولَ عَجَائِبُهُ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ ٱلْمَجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ ٱلْأَعْيَادِ مَنَاقِبُهُ . أَلْيَوْمَ تَكَسَّفَتْ بُدُورُ ٱلْأَضَالِيلِ . تَكَشَّفَتْ سُتُورُ ٱلْأَبَاطِيلِ . تَشَقَّقَتْ رُمُوسُ ٱلْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نُفُوسُ ٱلْأَخْيَارِ . خَرَجَ هِلَالُ ٱلنَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظُلَمِ ٱلسِّرَارِ . ظَهَرَ مُخَلِّصُ ٱلْكُلِّ مِنَ ٱلْمَطْلِعِ ٱلْقَبْرِيِّ مُبَرْقَعًا بِرِدَاءِ ٱلْأَنْوَارِ . أَلْيَوْمَ عَطِسَتْ أُنُوفُ ٱلْجُودِ . تَفَرَّقَتْ شُنُوفُ ٱلْوُجُودِ . فُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلنِّعْمَةِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ ٱلْحِكْمَةِ . تَبَلَّجَتْ أَقْمَارُ ٱلْمَعَارِفِ . تَجَلَّتِ ٱلْأَبْدَانُ بِأَبْهَى ٱلْمَطَارِفِ . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي أَضْحَتْ فِيهِ غُرَرُ ٱلْآمَالِ مُبْيَضَّةً . وَلَطَائِمُ ٱلْإِقْبَالِ مُنْغَضَّةً . وَمَوَاكِبُ ٱلشَّيْطَانِ مُرْفَضَّةً . وَكَوَاكِبُ ٱلْبُهْتَانِ مُنْقَضَّةً . هٰذَا ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي تَبَلَّجَتِ ٱلْحَقَائِقُ فِي سَدْفَتِهِ . وَٱبْتَهَجَتِ ٱلْخَلَائِقُ فِي صُحْبَتِهِ . صُبَّتِ ٱلْبَرَكَاتُ فِي بُكْرَتِهِ . وَعَمَّتِ ٱلْخَيْرَاتُ بِيُمْنِهِ وَبَرَكَتِهِ . أَيْ هٰذَا هُوَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي صَنَعَهُ ٱلرَّبُّ هَلُمُّوا نَبْتَهِجْ وَنَفْرَحْ فِيهِ (مزمور ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَتَتْكُمْ بُشْرَى ٱلْقِيَامَةِ فِي أَبْرَكِ ٱلْبُكَرِ وَأَيْمَنِ ٱلْأَصْبَاحِ . وَقَدِمَتْ عَلَيْكُمْ رَكَائِبُ ٱلْبَهْجَةِ بَادِيَةَ ٱلْغُرَرِ وَٱلْأَوْضَاحِ . وَذَرَّتْ عَلَيْكُمْ مِنْ

أَشْرَفِ ٱلْمَطَالِعِ شُمُوسُ ٱلْمَسَرَّةِ وَٱلْأَفْرَاحِ. فَٱلْهَنَاءُ بِٱلْقِيَامَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ لِسَائِرِ ٱلْجُسُومِ وَٱلْأَرْوَاحِ. فَهَلُمُّوا ٱلْآنَ نَؤُمُّ ٱلْمَدِينَةَ ٱلْقُدْسِيَّةَ بِأَقْدَامِ ٱلْعُقُولِ وَٱلْأَفْكَارِ. وَنَلْمَحُ ٱلسَّيِّدَ ٱلْمَسِيحَ بِعُيُونِ ٱلْبَصَائِرِ وَٱلِاعْتِبَارِ. نَرَاهُ مُتَأَلِّقًا مِنَ ٱلْمَطْلَعِ ٱلْقَبْرِيِّ. مُمَزِّقًا مَلَابِسَ ٱلْمَوْتِ عَنْ طَبْعِهِ ٱلْبَشَرِيِّ. نَنْظُرُ مَلَائِكَةَ ٱلسَّمَاءِ بِٱلْحُلَلِ ٱلنُّورِيَّةِ. جَاثِمَةً عَلَى صَهْوَةِ ٱلسُّدَّةِ ٱلْقَبْرِيَّةِ. نَبْتَهِجُ مَعَ مَرْيَمَ ٱلْمَجْدَلِيَّةِ وَيُوحَنَّا. نُسَرُّ بِٱلْقِيَامَةِ ٱلْبِكْرِيَّةِ مَعَ سِمْعَانَ ٱلصَّفَا وَيُوحَنَّا. نَسْعَى بِأَقْدَامِ ٱلْهِمَمِ إِلَى جَلِيلِ ٱلْجَلَالِ. نَتَلَقَّى مُخَلِّصَ ٱلْكُلِّ بِٱلْإِكْرَامِ وَٱلْإِجْلَالِ. نَتَهَادَى بِٱلسَّلَامِ وَحُسْنِ ٱلتَّحِيَّةِ. وَنَهُزُّ أَعْطَافَ ٱلْقُلُوبِ بِنَشْوَةٍ أَرْيَحِيَّةٍ. نَسْتَلُّ ٱلسَّخَائِمَ وَٱلْأَحْقَادَ بِٱلْقُبْلَةِ. وَنَسْتَبْشِرُ بِهٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْعَظِيمِ مَعَ ٱلزُّمْرَةِ ٱلسَّلِيحِيَّةِ. نَبْعَثُ ٱلْهِمَمَ مِنْ قُبُورِ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْإِهْمَالِ. وَنُشَمِّرُ عَنْ سُوقِ ٱلْعَزَائِمِ تَشْمِيرَ ٱلرِّجَالِ. وَنُعِدُّ لَنَا فِي خَزَائِنِ ٱلْمَلَكُوتِ صَوَالِحَ ٱلْأَعْمَالِ. وَنَسْتَعِدُّ بِٱلْمَصَابِيحِ وَٱلْأَضْوَاءِ لِيَوْمِ ٱلْمَآلِ. أَيْ فَلْنَقْتَرِبِ ٱلْآنَ عَلَانِيَةً إِلَى كُرْسِيِّ نِعْمَتِهِ. لِنَظْفَرَ بِٱلْمَرَاحِمِ وَنَجِدَ ٱلنِّعْمَةَ لِلْعَوْنِ فِي زَمَانِ ٱلضِّيقِ (عبرانيين ٤ : ١٦). وَنَطْلُبُ مِنَ ٱللهِ أَنْ يَجْعَلَ هٰذَا ٱلْعِيدَ ٱلسَّعِيدَ. وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَشْرَفَ ٱلْمَجِيدَ. مُبَارَكًا عَلَيْكُمْ مَيْمُونَ ٱلنَّقَائِبِ. مُؤْذِنًا بِٱلسَّعَادَاتِ ٱلْخَافِقَةِ ٱلْأَعْلَامِ ٱلْمُمْتَدَّةِ ٱلذَّوَائِبِ. وَيَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ مَا أَسْلَفْتُمُوهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّوَالِحِ. وَذَخَرْتُمُوهُ فِي خَزَائِنِ ٱلْمَلَكُوتِ مِنَ ٱلْمَتَاجِرِ وَٱلْمَرَابِحِ. وَلَا بَرِحْتُمْ مَكْنُوفِينَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَارِفَةِ ٱلْأَظْلَالِ. وَمِنْحَةٍ ضَافِيَةِ

ٱلْأَهْدَابِ وَٱلْأَذْيَالِ. يَتَأَرَّجُ فِي ٱلْآفَاقِ نَشْرُ رَيَّاهَا. وَيَتَبَلَّجُ فِي سَمَاءِ ٱلْإِشْرَاقِ بِشْرُ مُحَيَّاهَا. رَاتِعِينَ فِي أَخْلَاءِ سَعَادَاتٍ مُتَبَلِّجَةِ ٱلْبُدُورِ. وَادِعِينَ فِي أَثْنَاءِ مَوَاهِبَ مُبْتَهِجَةِ ٱلْوُجُوهِ بَاسِمَةِ ٱلثُّغُورِ. وَلَا بَرِحَتْ شَوَارِدُ ٱلنِّعَمِ لَدَيْكُمْ ثَاوِيَةً. وَمَوَارِدُ ٱلْحِكَمِ لِقُلُوبِكُمْ رَاوِيَةً. وَزُنُودُ ٱلْفَضَائِلِ فِي أَلْبَابِكُمْ وَارِيَةً. وَجُنُودُ ٱلرَّذَائِلِ عَنْكُمْ مُتَوَارِيَةً. حَتَّى تَتَلَقَّوْا مَوْرِدَ مُخَلِّصِكُمْ يَوْمَ ٱلنَّشْأَةِ ٱلْأُخْرَى. وَٱلْقِيَامَةِ ٱلْكُبْرَى. بِوُجُوهٍ مُتَبَلِّجَةِ ٱلْوَضَاءِ. وَقُلُوبٍ لَهِجَةٍ بِٱلثَّنَاءِ. تَرْفُلُونَ فِي أَثْوَابِ ٱلنَّعِيمِ ٱلْأَبَدِيِّ فِي ٱلْعِرَاصِ ٱلْمَلَكُوتِيَّةِ. وَتَقْتَعِدُونَ سُرُرَ ٱلْعِزِّ وَٱلْإِكْرَامِ مَعَ ٱلْأَوْلِيَاءِ ٱلْخَوَاصِّ وَٱلزُّمَرِ ٱلْمَلَائِكِيَّةِ. بِشَفَاعَةِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْقِدِّيسِينَ. وَسَائِرِ ٱلشُّهَدَاءِ وَٱلْمُنْتَخَبِينَ. آمِينَ

أَللّٰهُمَّ زِدْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَصْرًا وَٱعْتِزَازًا. وَأَدِمْ أَيَّامَ دَوْلَتِهِ ٱلَّتِي أَضْحَتْ عَلَى ثَوْبِ ٱلزَّمَانِ طِرَازًا. وَٱجْعَلِ ٱلْعِزَّ وَٱلِٱقْتِدَارَ بِأَطْنَابِ سُرَادِقِهِ مُحْتَفًّا. وَٱلنَّصْرَ وَٱلْإِقْبَالَ عَلَى ذَوَائِبِ أَعْلَامِهِ مَنْشُورًا وَمُلْتَفًّا. وَمَطَالِعَ ٱلسَّعْدِ مُشْرِقَةَ ٱلْأَضْوَاءِ عَلَى مَوَاكِبِهِ. وَبُنُودَ ٱلظَّفَرِ خَافِقَةً عَلَى جُنُودِهِ وَكَتَائِبِهِ. وَنَسَائِمَ ٱلنَّصْرِ وَٱلْإِجْلَالِ هَابَّةً عَلَى أَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ. وَسَمَائِمَ ٱلْقَهْرِ وَٱلْإِذْلَالِ لَافِحَةً لِوُجُوهِ أَضْدَادِهِ وَأَعْدَائِهِ. حَتَّى تَمْتَدَّ أَظْلَالُ دَوْلَتِهِ عَلَى ٱلْمَغَارِبِ وَٱلْمَشَارِقِ. وَيُذْعِنَ لِعِزَّتِهِ بِٱلسَّطْوَةِ وَٱلْعَلَاءِ كُلُّ ضِدٍّ مُبَايِنٍ وَعَدُوٍّ مَارِقٍ. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ. آمِينَ

لعيد الصليب المعظم

٣٣ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مُؤَلِّفِ بَدَائِدِ ٱلْمَوْجُودَاتِ عَلَى ٱلنِّظَامِ ٱلْعَجِيبِ • وَنَاظِمِ شَرَائِدِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ عَلَى أَحْسَنِ ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلتَّرْتِيبِ • ٱلَّذِي رَقَّانَا بِٱلشَّرِيعَةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ ٱلتَّهْذِيبِ • وَهَدَانَا إِلَى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاءِ فِي أَنْهَجِ ٱلطُّرُقِ وَأَقْرَبِ ٱلْأَسَالِيبِ • وَوَعَدَ ٱلطَّائِعِينَ بِٱلنَّعِيمِ ٱلْأَبَدِيِّ فِي ٱلْمَحَلِّ ٱلْأَفْسَحِ ٱلرَّحِيبِ • وَأَوْعَدَ ٱلْعَاصِينَ بِنَوَازِلِ ٱلْبَلَاءِ وَقَوَارِعِ ٱلتَّأْدِيبِ • وَخَصَّ ٱلْأُمَّةَ ٱلْمَسِيحِيَّةَ بِٱلْعُقُولِ ٱلرَّوَاجِحِ وَٱلرَّأْيِ ٱلصَّلِيبِ • وَمَيَّزَهُمْ عَنِ ٱلْأَضْرَابِ وَٱلْأَكْفَاءِ بِٱلشَّرِيعَةِ ٱلْفَضْلِيَّةِ وَيُمْنِ بَرَكَاتِ ٱلصَّلِيبِ • نَحْمَدُهُ حَمْدًا نَسْتَمْطِرُ بِهِ مِنْ غَمَائِمِ رَحْمَتِهِ أَغْزَرَ ٱلدِّيَمِ وَٱلشَّآبِيبِ • وَنَشْكُرُهُ شُكْرًا يُحْظِينَا مِنْ جَلَائِلِ نِعَمِهِ بِأَوْفَرِ حَظٍّ وَأَجْزَلِ نَصِيبٍ • أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّ مُلُوكَ ٱلْأَرْضِ إِذَا وَطِئَتْ دِيَارَهُمْ سَنَابِكُ خُيُولِ ٱلْأَعْدَاءِ • وَسَحَبَ ٱلْمُحَارِبُونَ لَهُمْ عَلَى ذِمَارِهِمْ ذُيُولَ ٱلْأَذَاءِ • نَزَلُوا عَنْ صَهَوَاتِ ٱلْقُلَلِ ٱلْعَوَاصِمِ وَٱعْتَدُّوا لِلنِّضَالِ • وَتَزَحْزَحُوا عَنْ سُدَدِ ٱلْمَمَالِكِ بِٱلْهِمَمِ ٱلْقَوَاصِمِ لِقِرَاعِ ٱلْأَبْطَالِ • عُقِدَتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ عَصَائِبُ ٱلْبُنُودِ وَٱلْأَعْلَامِ • وَتَسَلَّحُوا بِٱلْقُضُبِ ٱلْبَوَاتِرِ وَٱللَّهَاذِمِ وَٱلسِّهَامِ • فَإِذَا ٱحْتَدَمَتْ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ نَارُ ٱلْحَرْبِ وَٱشْتَدَّ ٱللَّدَدُ • وَأَزْعَجَتِ ٱلْقُلُوبَ غَمْغَمَةُ ٱلْأَبْطَالِ وَصَلْصَلَةُ ٱلصَّوَارِمِ وَخَشْخَشَةُ ٱلْعُدَدِ • وَتَغَشَّتِ ٱلْأَبْصَارُ مِنْ هَبَوَاتِ ٱلْمَعَارِكِ وَٱشْتِبَاكِ ٱلْقَسَاطِلِ • وَأَدْهَشَتِ ٱلْأَفْكَارَ شَعْشَعَةُ ٱللَّهَاذِمِ وَقَطُّ ٱلْبَوَاتِرِ

وَٱصْطِكَاكُ ٱلْجَحَافِلِ . نَظَرُوا إِلَى جِهَةِ ٱلْعَلَمِ ٱلْمَشْدُودِ . وَٱللِّوَاءِ ٱلْمَعْقُودِ . فَإِذَا رَمَقَتْهُ أَبْصَارُ ٱلْأَنْصَارِ ظَاهِرًا مَشْهُورًا . مُفَيِّئًا بِعَصَائِبِهِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْكُمَاةِ وَٱلْأَبْطَالِ مَنْشُورًا . أَبَانُوا عَنْ حُسْنِ ٱلْوَلَاءِ وَٱلطَّاعَةِ . وَمُلِئَتْ صُدُورُهُمْ بِٱلنَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ . وَثَبَتَتْ قُلُوبُهُمْ لِثَبَاتِ ٱلْقَلْبِ . وَأَثْخَنُوا ٱلْخُصُومَ وَٱلْأَعْدَاءَ بِنُقَطِ ٱلطَّعْنِ وَشَكْلِ ٱلضَّرْبِ . حِينَئِذٍ تَجْزَعُ قُلُوبُ ٱلْأَعْدَاءِ جَزْعَةَ ٱلْهَزِيمَةِ . وَيَفُوزُ ٱلْأَوْلِيَاءُ ٱلْمُنَاصِحُونَ بِأَكَلَّةِ ٱلنَّصْرِ وَبَهْجَةِ ٱلْغَنِيمَةِ . وَٱللِّوَاءُ ٱلْمَعْقُودُ عَلَى ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَسِيحِيَّةِ . وَٱلْعَلَمُ ٱلْمَنْشُورُ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْكَتَائِبِ ٱلسِّلْحِيَّةِ . هُوَ ٱلصَّلِيبُ ٱلْمَسِيحِيُّ ٱلْمَنْصُوبُ فِي مَذَابِحِ بِيعَتِهِ . وَٱللِّوَاءُ ٱلنُّورِيُّ ٱلَّذِي مُدَّتْ عَلَى أُمَّةِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ أَضْوَاءُ أَشِعَّتِهِ . بِهِ تَأَيَّدَ ٱلرُّسُلُ ٱلْأَطْهَارُ عَلَى مُنَاضَلَةِ ٱلشَّيَاطِينِ . وَشَيَّدُوا فَخَارَ ٱلدَّعْوَةِ أَمَامَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ . بِآيَاتِهِ قَهَرُوا فَلَاسِفَةَ ٱلْيُونَانِ . وَبِمُعْجِزَاتِهِ هَدَمُوا بُيُوتَ ٱلْأَنْدَادِ وَهَيَاكِلَ ٱلْأَوْثَانِ . بِهِ أَصْحَبَ قُسْطَنْطِينُ ٱلْمَلِكُ ٱلرُّومِيُّ بَعْدَ جِمَاحِهِ وَإِبَائِهِ . وَحَلَّ عَنْ قَلْبِهِ ٱلزَّكِيِّ عَقْدَ عَقَائِدِ أَسْلَافِهِ وَآبَائِهِ . ظَهَرَتْ لَهُ عَلَى صَفَحَاتِ ٱلسَّمَاءِ آيَتُهُ . تَشَكَّلَتْ بِٱلْكَوَاكِبِ ٱلنُّورِيَّةِ صُورَتُهُ . أَمَرَ بِرَكْزِهِ عَلَى أَسِنَّةِ ٱلرَّايَاتِ وَٱلْأَعْلَامِ . وَظَهَرَتْ لَهُ بِهِ يَوْمَ نِزَالِ ٱلْأَعْدَاءِ بَوَاهِرُ ٱلْآيَاتِ ٱلْعِظَامِ . تَشَرَّفَتْ بِهِ أَعْلَامُهُ وَبُنُودُهُ . تَبَرَّكَتْ بِشَكْلِهِ ٱلرُّبَاعِيِّ جُيُوشُهُ وَجُنُودُهُ . تَشَجَّعَتْ بِرُؤْيَتِهِ هِمَمُ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ . وَدَمَغَ بِهِ قِمَمَ ٱلْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ . إِنْتَشَرَ بِهِ فِي جَمِيعِ

الآفاقِ صِيتُ دَوْلَتِهِ . وَأَرْغَمَ بِهِ مَعَاطِسَ الأَعْدَاءِ حَتَّى أَذْعَنُوا لِشِدَّةِ بَأْسِهِ وَسَطْوَتِهِ . دَاسَ بِهِ حُمَيَّ العَقَارِبِ الشَّيْطَانِيَّةِ . وَاسْتَقَادَ بِهِ هِمَمَ الأَبَاعِدِ وَالأَقَارِبِ مِنَ الأُمَمِ اليُونَانِيَّةِ . وَصَارَ بِهِ عَلَمًا مَشْهُورًا فِي دِينِ المَسِيحِ . وَمِصْبَاحًا زَاهِرًا فِي البِيعَةِ الأَرْثَاذُكْسِيَّةِ بِالإِيمَانِ الصَّحِيحِ . حَتَّى افْتَخَرَتْ مَمَالِكُ اليُونَانِ بِرَوْنَقِ دَوْلَتِهِ . وَصَارَتْ أَيَّامُهُ غُرَّةً عَلَى جَبِينِ الدَّهْرِ تَزْهُو بِهَا أُمَّةُ السَّيِّدِ المَسِيحِ وَآلُ دَعْوَتِهِ . بِنُورِهِ أَشْرَقَتِ النَّصْرَانِيَّةُ وَامْتَدَّ عَلَى الآفَاقِ شُعَاعُ المَلَكَةِ الرُّوحَانِيَّةِ . وَهُوَ قِبْلَةُ السَّاجِدِينَ . وَمِحْرَابُ المُتَهَجِّدِينَ . وَدَلِيلُ المُهْتَدِينَ . وَسَبِيلُ المُجْتَهِدِينَ . هُوَ المَلْجَأُ العَاصِمُ مِنَ الأَذَاءِ . وَالدَّوَاءُ الحَاسِمُ كَوَامِنَ الأَدْوَاءِ . هُوَ القُلَّةُ العَاصِمَةُ المَنْعَاءُ . وَالقِبْلَةُ الَّتِي يَتَوَجَّهُ نَحْوَهَا الدُّعَاءُ . بِظُهُورِهِ افْتَخَرَتِ الأُمَّةُ . وَبِنُورِهِ انْحَسَرَتِ الغُمَّةُ . هُوَ رَائِدُ السَّائِرِينَ فِي طُرُقِ الحَيَاةِ . وَقَائِدُ القُلُوبِ وَالأَذْهَانِ إِلَى أَمْصَارِ النَّجَاةِ . بِهِ يَسْتَأْنِسُ الحُبَسَاءُ المُؤَيَّدُونَ فِي وَحْشَةِ الخَلَوَاتِ . وَيَتَأَيَّدُ الفُضَلَاءُ المُجْتَهِدُونَ فِي مَوَاقِفِ الصَّلَوَاتِ . بِهِ مُثِّلَتِ الحَيَّةُ النُّحَاسِيَّةُ حَيْثُ كَانَتْ حِذَاءَ الشَّعْبِ مُعَلَّقَةً . وَبِهِ شُبِّهَتِ العَصَا المُوسَوِيَّةُ يَوْمَ حَرْبِ العَمَالِقَةِ . فِي تَقَاطِيعِ خُطُوطِهِ دَلَالَةُ سِرِّ التَّوْحِيدِ . وَفِي النَّظَرِ إِلَيْهِ تَصَوُّرُ الجِهَادِ المُلِمِّ بِالنَّجْلِ الوَحِيدِ . مَا ارْتَفَعَتْ بِرَسْمِهِ يَدٌ إِلَّا رَفَعَتْ رَدًى . وَلَا اسْتَنْصَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَمَعَ بِهِ عِدًى . مَا اعْتَصَمَ بِهِ مَمْنُوٌّ بِلَمَمٍ إِلَّا وَصَرَفَ عَنْهُ اللَّمَمَ . وَلَا اسْتَصْرَخَ بِهِ ذُو غُمَمٍ إِلَّا وَجَلَا عَنْ قَلْبِهِ غَمَرَاتِ

ٱلْغُمَمِ • فَكَمْ مِنْ سَلِيبِ ٱلْعَقْلِ عَادَ بِهِ إِلَى ٱلرَّصَانَةِ • وَحَائِدٍ عَنْ أَسَالِيبِ ٱلْفَضْلِ ٱنْقَادَ إِلَى ٱلْأَمَانَةِ • وَطَالَ مَا تَطَهَّرَ بِهِ ٱلْمُوَصَّخُونَ • وَٱسْتَظْهَرَ بِٱسْمِهِ ٱلْمُنَاصِحُونَ • وَقَامَ بِبَرَكَتِهِ ٱلْمُقْعَدُونَ • وَدَنَا بِيُمْنِ نَقَائِبِهِ ٱلْأَبْعَدُونَ • فَعَظِّمُوا أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ وُجُودِهِ وَظُهُورِهِ • وَٱجْلُوا أَقْذَاءَ ٱلشُّبُهَاتِ عَنْ أَبْصَارِ ٱلْبَصَائِرِ بِأَشِعَّةِ نُورِهِ • وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ يَوْمٌ ظَهَرَتْ فِيهِ ٱلْعَجَائِبُ • وَٱشْتَهَرَتْ أَمَامَ ٱلْجَمْعِ بَوَاهِرُ ٱلْآيَاتِ ٱلْغَرَائِبِ • وَنُشِرَ ٱلْمَيْتُ أَمَامَ ٱلْمَلِكَةِ • وَعُرِفَ أَنَّهُ صَلِيبُ مُخَلِّصِ ٱلْكُلِّ مِنْ غِمَارِ ٱلْهَلَكَةِ • هُوَ ٱلْغَرْسُ ٱلَّذِي أَزْهَرَتِ ٱلْبَرَكَاتُ مِنْ أَفْنَانِهِ • وَأَوْرَقَتِ ٱلْخَيْرَاتُ مِنْ أَغْصَانِهِ • وَكَانَ ٱلنَّجْلُ ٱلْحَبِيبُ ثَمَرَتَهُ • وَٱلْمُخْتَارُ ٱلنَّجِيبُ زَهْرَتَهُ • وَٱلْجُلْجُلَةُ ٱلْأُورَشَلِيمِيَّةُ أَصْلَهُ وَأُرُومَتَهُ • وَٱلْجُمْجُمَةُ ٱلْآدَمِيَّةُ جِذْمَهُ وَجُرْثُومَتَهُ • وَأَرْضُ صِهْيُونَ مَنْبَتَهُ وَقَرَاحَهُ • وَيُوسُفُ ٱلْحَسِيبُ أَكَّارَهُ وَفَلَّاحَهُ • أَلْطَافٌ فِيهَا لَطَائِفُ • وَأَسْرَارٌ مِنْ وَرَائِهَا طَرَائِفُ • وَنَحْنُ ٱلْآنَ نَطْلُبُ مِنْ مُفِيدِ ٱلْخَلَاصِ • وَمُخَلِّصِنَا بِشَرْعِ ٱلِٱخْتِصَاصِ • أَنْ يَشْمُلَ ٱلْعَالَمَ بِفَائِضِ نِعْمَتِهِ • وَيَكْنُفَهُمْ مِنْ مَوَاقِعِ ٱلْأَذَاءِ بِرَأْفَتِهِ • وَيَكْلَأَهُمْ مِنْ نَوَازِلِ ٱلْبَلَاءِ بِرَحْمَتِهِ • وَيُنَجِّيَ ٱلشُّعُوبَ ٱلْمَسِيحِيَّةَ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ وَٱللَّأْوَاءِ بِقُدْرَتِهِ • وَيَحْرُسَ دَوْلَةَ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِكَلَاءَتِهِ • وَيَكْنُفَ أَنْصَارَهَا وَأَعْوَانَهَا بِجَنَاحِ حِرَاسَتِهِ • وَيُرْغِمَ بِٱلنِّقَمِ ٱلدَّوَامِغِ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ • وَيُدْخِلَ أَقْطَارَ ٱلْأَرْضِ تَحْتَ أَظْلَالِ عَدْلِهِ وَسُلْطَانِ مَمْلَكَتِهِ • بِشَفَاعَةِ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبَتُولِ • آمِينَ

اَلْبَابُ الثَّانِي
فِي الْخُطَبِ الْحَمَاسِيَّةِ

تحريض خالد على القتال في اجنادين

٣٤ يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ أُنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاحْتَسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاصْبِرُوا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ . وَقَاتِلُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَدِينِكُمْ . وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ وَمَكْمَنٌ تَكْمُنُونَ فِيهِ . فَاقْرِنُوا الْمَنَاكِبَ وَقَدِّمُوا الْمَضَارِبَ . وَلَا تَحْمِلُوا حَتَّى آمُرَكُمْ بِالْحَمْلَةِ . وَلْتَكُنِ السِّهَامُ مُجْتَمِعَةً إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْبَادِ الْقِسِيِّ كَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ كَبِدِ قَوْسٍ وَاحِدٍ . فَإِنَّهُ إِذَا تَلَاحَقَتِ السِّهَامُ رَشْقًا كَالْجَرَادِ لَمْ يَخْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْمٌ صَائِبٌ . وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَلْقَوْنَ عَدُوًّا مِثْلَ هٰذِهِ الْفِئَةِ حُمَاتِهِمْ وَأَبْطَالِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ وَلَمَّا حَانَ الْقِتَالُ خَرَجَ مُعَاذٌ مُحَرِّضًا النَّاسَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الدِّينِ وَيَا أَنْصَارَ الْهُدَى وَالْحَقِّ اعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ وَلَا تُدْرَكُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالتَّمَنِّي وَبِغَيْرِ عَمَلٍ مَرْضِيٍّ . وَلَا يُؤْتِي اللهُ مَغْفِرَتَهُ الْوَاسِعَةَ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ . فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَ أَنْ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَاسْتَحْيُوا رَحِمَكُمُ

ٱللهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ يَرَاكُمُ ٱللهُ مُنْهَزِمِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ مِنْ دُونِهِ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَطَافَ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ وَهُوَ شَاكٌّ فِي سِلَاحِهِ رَاكِبُ فَرَسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ أَنْتُمُ ٱلْعَرَبُ ٱلْكِرَامُ ٱلسَّادَةُ ٱلْعِظَامُ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِ ٱلْأَعْلَاجِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْوَطَنِ. وَٱللهِ لَا يُنَجِّيكُمْ مِنْهُمُ ٱلْيَوْمَ إِلَّا ٱلطَّعْنُ وَٱلضَّرْبُ تَبْلُغُونَ بِذٰلِكَ أَرَبَكُمْ وَتَنَالُونَ ٱلْفَوْزَ مِنْ رَبِّكُمْ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ ٱلْبَأْسِ مِمَّا يُفَرِّجُ ٱللهُ بِهِ ٱلْهَمَّ وَيُنَجِّي بِهِ مِنَ ٱلْغَمِّ. فَٱصْدُقُوهُمُ ٱلْقِتَالَ فَإِنَّ ٱلنَّصْرَ يَنْزِلُ مَعَ ٱلصَّبْرِ. فَإِنْ صَبَرْتُمْ مَلَكْتُمْ أَمْصَارَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَٱسْتَعْبَدْتُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ. وَإِنْ وَلَّيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مَفَاوِزُ وَلَا تُقْطَعُ إِلَّا بِٱلزَّادِ ٱلْكَثِيرِ وَٱلْمَاءِ ٱلْغَزِيرِ وَهٰؤُلَاءِ يَرْجِعُونَ إِلَى دَارٍ وَقُصُورٍ. فَٱمْتَنِعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

٣٦ لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّ رُذْرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ حَثَّ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ. ٱلْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَٱلْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَٱللهِ إِلَّا ٱلصِّدْقُ وَٱلصَّبْرُ. وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ ٱلْأَيْتَامِ. فِي مَأْدُبَةِ ٱللِّئَامِ. وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ. وَأَسْلِحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ

وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفُكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ. وَإِنِ امْتَدَّتْ بِكُمُ الْأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا عَنْكُمُ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ. فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَ هٰذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هٰذَا الطَّاغِيَةِ. فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ الْحَصِينَةُ وَإِنَّ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ فِيهِ لَمُمْكِنٌ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ. وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النُّفُوسُ. أَبْدَأُ بِنَفْسِي. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَهِ الْأَلَذِّ طَوِيلًا. فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرَ مِنْ حَظِّي. وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هٰذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ. وَقَدِ انْتَخَبَكُمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ عُرْبَانًا. وَرَضِيَكُمْ لِمُلُوكِ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا. ثِقَةً مِنْهُ بِارْتِيَاحِكُمْ لِلطِّعَانِ. وَاسْتِمَاحِكُمْ بِمُجَالَدَةِ الْأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ. لِيَكُونَ حَظُّهُ مِنْكُمْ ثَوَابُ اللّٰهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهٰذِهِ الْجَزِيرَةِ. وَلِيَكُونَ مَغْنَمُهَا خَالِصَةً لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ. وَاللّٰهُ تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ. وَاعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاغِيَةِ الْقَوْمِ لُذْرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى. فَاحْمِلُوا مَعِي فَإِنْ هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفِيتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْوِزْكُمْ بَطَلٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ

أُمورَكُمْ إِلَيْهِ . وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَاخْلُفُونِي فِي عَزِيمَتِي هٰذِهِ وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاكْتَفُوا الْهَمَّ مِنْ فَتْحِ هٰذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَتْلِهِ

خطبة ابن حمزة بالمدينة

٣٧ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : خَطَبَنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّ فِيهَا الْمُسْتَبْصِرُ وَرَدَّتِ الْمُرْتَابَ . قَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَتَعْظِيمِ مَا صَغَّرَتِ الْجَبَابِرَةُ فِي حَقِّ اللهِ . وَتَصْغِيرِ مَا عَظَّمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِمَاتَةِ مَا أَحْيَوْا مِنَ الْجَوْرِ . وَإِحْيَاءِ مَا أَمَاتُوا مِنَ الْحُقُوقِ . وَأَنْ يُطَاعَ اللهُ وَيَعْصَى الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ فَالطَّاعَةُ لِلْعِبَادِ وَلِأَهْلِ طَاعَةِ اللهِ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ نَدْعُو إِلَى سُنَّةِ اللهِ وَالْقَسْمِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ وَوَضْعِ الْأَخْمَاسِ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا . إِنَّا وَاللهِ مَا خَرَجْنَا أَشَرًا وَلَا بَطَرًا وَلَا لَهْوًا وَلَا لَعِبًا . وَلَا لِدَوْلَةِ مُلْكٍ نُرِيدُ أَنْ نَخُوضَ فِيهَا وَلَا لِثَأْرٍ قَدْ نِيلَ مِنَّا . وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ أَظْلَمَتْ وَمَعَالِمَ الْجَوْرِ قَدْ ظَهَرَتْ وَكَثُرَ الْإِدِّعَاءُ فِي الدِّينِ وَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَقُتِلَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ وَعُنِّفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . فَأَجَبْنَا دَاعِيَ اللهِ الْآيَةَ فَأَقْبَلْنَا مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى قَلِيلِينَ مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . فَآوَانَا اللهُ وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ فَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَعَلَى الدِّينِ أَعْوَانًا . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوَّلُكُمْ خَيْرُ أَوَّلٍ وَآخِرُكُمْ شَرُّ آخِرٍ . إِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ قُرَّاءَكُمْ وَفُقَهَاءَكُمْ فَاخْتَانُوكُمْ عَنْ كِتَابٍ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ

بِتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ . فَأَصْبَحْتُمْ عَنِ الْحَقِّ نَاكِبِينَ أَمْوَاتًا غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا تَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ وَأَسْقَمَ فَرْعَكُمْ . كَانَ آبَاؤُكُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِالدِّينِ وَالْبَصَائِرِ النَّاقِدَةِ وَالْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ . اسْتَعْبَدَتْكُمُ الدُّنْيَا فَأَذَلَّتْكُمْ وَالْأَمَانِيُّ فَأَضَلَّتْكُمْ . فَتَحَ اللهُ لَكُمْ بَابَ الدِّينِ فَأَفْسَدْتُمُوهُ . وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ بَابَ الدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ . سِرَاعٌ إِلَى الْفِتْنَةِ بِطَاءٌ عَنِ السُّنَّةِ . عُمْيٌ عَنِ الْبُرْهَانِ . صُمٌّ عَنِ الْعِرْفَانِ . عَبِيدُ الطَّمَعِ حُلَفَاءُ الْجَزَعِ . نِعْمَ مَا وَرَّثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ وَبِئْسَمَا تُوَرِّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نَصَرَ اللهُ آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَبِيثٌ . اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى فَأَرْدَاكُمْ . وَاللَّهْوَ فَأَسْرَاكُمْ . وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَزْجُرُكُمْ فَلَا تَزْدَجِرُونَ . وَتُعَبِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ عَنْ وُلَاتِكُمْ هٰؤُلَاءِ فَقُلْتُمْ وَاللهِ مَا فِيهِمُ الَّذِي يَعْلَمُ . أَخَذُوا الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ . وَاسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَا فَجَعَلُوهُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ : تَعَالَوْا إِلَى هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ . فَقُلْتُمْ : لَا نَقْوَى عَلَى ذٰلِكَ وَوَدِدْنَا أَنَّا أَصَبْنَا مَنْ يَكْفِينَا فَقُلْنَا : نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ثُمَّ اللهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنْ ظَفِرْنَا لَنُعْطِيَنَّ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَجِئْنَا فَاتَّقَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا وَالسُّيُوفَ

بِوُجُوهِنَا فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ فَقَاتَلْتُمُونَا فَأَبْعَدَكُمُ ٱللهُ . فَوَٱللهِ لَوْ قُلْتُمْ : لَا نَعْرِفُ ٱلَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَعْذَرَ مَعَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ . وَلٰكِنْ أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِٱلْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي ٱلْآخِرَةِ

(العقد الفريد لابن عبد ربه)

تقليد السلطان للمستنصر

(لمّا بويع بالخلافة للمستنصر بالله صعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكُتَّاب منبرًا فقرأ عليه تقليد السلطان وهو من إنشائه . وصورته :)

٣٨ أَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَضْفَى عَلَى ٱلْإِسْلَامِ مَلَابِسَ ٱلشَّرَفِ . وَأَظْهَرَ بَهْجَةَ دُرِّهِ وَكَانَتْ خَافِيَةً بِمَا ٱسْتَحْكَمَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلصَّدَفِ . وَشَيَّدَ مَا وَهَى مِنْ عَلَائِهِ حَتَّى أَنْسَى بِهِ ذِكْرَ مَنْ سَلَفَ . وَقَيَّضَ لِنَصْرِهِ مُلُوكًا ٱتَّفَقَ عَلَيْهِمْ مَنِ ٱخْتَلَفَ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي وَقَعَتِ ٱلْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي ٱلرَّوْضِ ٱلْأُنُفِ . وَأَلْطَافِهِ ٱلَّتِي وَقَفَ ٱلشَّاكِرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهُ عَنْهَا مُنْصَرَفٌ . وَبَعْدُ فَإِنَّ أَوْلَى ٱلْأَوْلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ . وَأَحَقَّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ ٱلْقَلَمُ رَاكِعًا وَسَاجِدًا لِتَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ . مَنْ سَعَى فَأَضْحَى سَعْيُهُ لِلْحَمْدِ مُتَقَدِّمًا . وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِدًا وَمُتْهِمًا . وَمَا بَدَتْ يَدٌ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِعْصَمًا وَلَا ٱسْتَبَاحَ بِسَيْفِهِ حِمَى وَغًى إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَى مِنْهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَنَاقِبُ ٱلشَّرِيفَةُ مُخْتَصَّةً بِٱلْمَقَامِ ٱلْعَالِي ٱلْمَوْلَوِيِّ ٱلسُّلْطَانِيِّ ٱلْمَلَكِيِّ ٱلظَّاهِرِيِّ ٱلرُّكْنِيِّ شَرَّفَهُ ٱللهُ وَأَعْلَاهُ . ذَكَرَهُ ٱلدِّيوَانُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْمُسْتَنْصِرِيُّ أَعَزَّ ٱللهُ

سُلْطَانَهُ تَنْوِيهًا بِشَرِيفِ قَدْرِهِ . وَٱعْتِرَافًا بِصَنِيعِهِ ٱلَّذِي تَنْفَدُ ٱلْعِبَارَةُ ٱلْمُسْهَبَةُ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ ٱلدَّوْلَةَ ٱلْعَبَّاسِيَّةَ بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ ٱلزَّمَانِ . وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مَحَاسِنَ وَإِحْسَانٍ . وَعَتَبَ دَهْرُهَا ٱلْمُسِيءُ لَهَا فَأَعْتَبَ . وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنَهَا وَقَدْ كَانَ صَالَ عَلَيْهَا صَوْلَةَ مُغْضَبٍ . فَأَعَادَ لَهَا سِلْمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا حَرْبًا . وَصَرَفَ إِلَيْهَا ٱهْتِمَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَايِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعًا رَحْبًا . وَمَنَحَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ٱلْقُدُومِ عَلَيْهِ حُنُوًّا وَعَطْفًا . وَأَظْهَرَ مِنَ ٱلْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ ٱللهِ مَا لَا يَخْفَى . وَأَبْدَى مِنَ ٱلِاهْتِمَامِ بِأَمْرِ ٱلشَّرِيعَةِ وَٱلْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْ رَامَهُ غَيْرُهُ لَامْتَنَعَ عَلَيْهِ . وَلَوْ تَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ مُتَمَسِّكٌ لَانْقَطَعَ بِهِ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهِ . وَلٰكِنِ ٱللهُ ٱدَّخَرَ هٰذِهِ ٱلْحَسَنَةَ لِيُثَقِّلَ بِهَا مِيزَانَ ثَوَابِهِ . وَيُخَفِّفَ بِهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَٱلسَّعِيدُ مَنْ خَفَّفَ مِنْ حِسَابِهِ . فَهٰذِهِ مَنْقَبَةٌ أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُخَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةِ صُنْعِهِ . وَمَكْرُمَةٌ تَضَمَّنَتْ لِهٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ . بَعْدَ أَنْ حَصَلَ ٱلْإِيَاسُ مِنْ جَمْعِهِ . وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُ لَكَ هٰذِهِ ٱلصَّنَائِعَ . وَيَعْتَرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا ٱهْتِمَامُكَ لَاتَّسَعَ ٱلْخَرْقُ عَلَى ٱلرَّاقِعِ . وَقَدْ قَلَّدَكَ ٱلدِّيَارَ ٱلْمِصْرِيَّةَ وَٱلْبِلَادَ ٱلشَّامِيَّةَ . وَٱلدِّيَارَ ٱلْبَكْرِيَّةَ وَٱلْحِجَازِيَّةَ وَٱلْيَمَنِيَّةَ وَٱلْفُرَاتِيَّةَ . وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ ٱلْفُتُوحَاتِ غَوْرًا وَنَجْدًا . وَفَوَّضَ أَمْرَ جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِٱلْمَكَارِمِ فَرْدًا . وَلَا جَعَلَ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ ٱلْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ ٱلْحُصُونِ يُسْتَثْنَى . وَلَا جِهَةً مِنَ ٱلْجِهَاتِ

تُعَدُّ فِي ٱلْأَعْلَى وَلَا فِي ٱلْأَدْنَى . فَلَاحِظْ أُمُورَ ٱلْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحْتَ لَهَا
حَامِلًا . وَخَلِّصْ نَفْسَكَ مِنَ ٱلتَّبِعَاتِ ٱلْيَوْمَ فَفِي غَدٍ تَكُونُ مَسْؤُولًا لَا
سَائِلًا . وَدَعِ ٱلِاغْتِرَارَ بِأَمْرِ ٱلدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا . وَمَا رَآهَا
أَحَدٌ بِعَيْنِ ٱلْحَقِّ إِلَّا رَآهَا حَائِلًا زَائِلًا . فَٱلسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ مِنْهَا آمَالَهُ
ٱلْمَوْصُولَةَ . وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ ٱلتَّقْوَى فَتَقْدِمَةُ غَيْرِ ٱلتَّقْوَى مَرْدُودَةٌ لَا
مَقْبُولَةٌ . وَٱبْسُطْ يَدَكَ بِٱلْإِحْسَانِ وَٱلْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ ٱللّٰهُ بِٱلْعَدْلِ
وَحَثَّ عَلَى ٱلْإِحْسَانِ . وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ ٱلْمَرْءِ ذُنُوبًا كُتِبَتْ عَلَيْهِ وَآثَامًا .
وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْهَا كَعِبَادَةِ ٱلْعَابِدِ سِتِّينَ عَامًا . وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ
ٱلْعَدْلِ إِلَّا وَٱجْتَنَى ثِمَارَهُ مِنْ أَفْنَانٍ . وَرَجَعَ ٱلْأَمْرُ بِهِ بَعْدَ تَدَاعِي أَرْكَانِهِ
وَهُوَ مُشَيَّدُ ٱلْأَرْكَانِ . وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ زَمَانِهِ . وَٱلسَّعِيدُ مَنْ
تَحَصَّنَ مِنْ حَوَادِثِ ٱلزَّمَانِ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ فِي ٱلْأَيَّامِ أَبْهَى مِنَ
ٱلْأَعْيَادِ . وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعُقُودِ إِذَا حُلِّيَ بِهَا عَاطِلُ ٱلْأَجْيَادِ . وَهٰذِهِ
ٱلْأَقَالِيمُ ٱلْمَنُوطَةُ بِكَ تَحْتَاجُ إِلَى نُوَّابٍ وَحُكَّامٍ . وَأَصْحَابِ رَأْيٍ
مِنْ أَصْحَابِ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَقْلَامِ . فَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ
فَنَقِّبْ عَلَيْهِ نَقِيبًا . وَٱجْعَلْ عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيبًا . وَٱسْأَلْ عَنْ
أَحْوَالِهِ فَفِي يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْؤُولًا وَبِمَا ٱجْتَرَمَ مَطْلُوبًا . وَلَا
تُوَلِّ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا . وَأْمُرْهُمْ
بِٱلْأَنَاةِ فِي ٱلْأُمُورِ وَٱلرِّفْقِ . وَمُخَالَفَةِ ٱلْهَوَى إِذَا ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ ٱلْحَقِّ .
وَأَنْ يُقَابِلُوا ٱلضُّعَفَاءَ فِي حَوَائِجِهِمْ بِٱلثَّغْرِ ٱلْبَاسِمِ وَٱلْوَجْهِ ٱلطَّلْقِ . وَأَنْ لَا

يُعامِلُوا أَحَدًا عَلَى ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْإِسَاءَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ . وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلرَّعَايَا إِخْوَانًا . وَأَنْ يُوسِعُوهُمْ بِرًّا وَإِحْسَانًا . وَأَنْ لَا يَسْتَحِلُّوا حُرُمَاتِهِمْ إِذَا ٱسْتَحَلَّ ٱلزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا . فَٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ وَسُلْطَانًا . وَٱلسَّعِيدُ مَنْ نَسَجَ وُلَاتُهُ فِي ٱلْخَيْرِ عَلَى مِنْوَالِهِ . وَٱسْتَسَنُّوا بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ . وَتَحَمَّلُوا عَنْهُ مَا تَعْجِزُ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ . وَمِمَّا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُمْحَى مَا أُحْدِثَ مِنْ سَيِّئِ ٱلسُّنَنِ . وَجُدِّدَ مِنَ ٱلْمَظَالِمِ ٱلَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمِحَنِ . وَأَنْ يَشْتَرِيَ بِإِبْطَالِهَا ٱلْمَحَامِدَ فَإِنَّ ٱلْمَحَامِدَ رَخِيصَةٌ بِأَغْلَى ثَمَنٍ . وَمَهْمَا جُبِيَ بِهَا مِنَ ٱلْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بَاقِيَةٌ فِي ٱلذَّمِّ حَاصِلَةٌ . وَأَجْيَادُ ٱلْخَزَائِنِ وَإِنْ أَضْحَتْ بِهَا حَالِيَةً فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ . وَهَلْ أَشْقَى مِمَّنِ ٱحْتَقَبَ إِثْمًا . وَٱكْتَسَبَ بِٱلْمَسَاعِي ٱلذَّمِيمَةِ ذَمًّا . وَجَعَلَ ٱلسَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ خَصْمًا . وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ ٱلنَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا . وَحَقِيقٌ بِٱلْمَقَامِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمَوْلَوِيِّ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْمَلَكِيِّ ٱلظَّاهِرِيِّ ٱلرُّكْنِيِّ أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ ٱلْأَنَامِ مَرْدُودَةً بِعَدْلِهِ . وَعَزَائِمُهُ تُخَفِّفُ ثِقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِحَمْلِهِ . فَقَدْ أَضْحَى عَلَى ٱلْإِحْسَانِ قَائِدًا . وَصَنَعَتْ لَهُ ٱلْأَيَّامُ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَإِنْ جَاءَ آخِرًا . فَٱحْمَدِ ٱللهَ عَلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِكَ إِمَامُ هُدًى أَوْجَبَ لَكَ مَزِيَّةَ ٱلتَّعْظِيمِ . وَنَبَّهَ ٱلْخَلَائِقَ عَلَى مَا أَفْضَلَ ٱللهُ بِهِ مِنْ هٰذَا ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ . وَهٰذِهِ أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تُلَاحَظَ وَتُرْعَى . وَأَنْ يُوَالَى عَلَيْهَا حَمْدُ

اللهِ فَإِنَّ الحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَقْلًا وَشَرْعًا . وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي الأُمُورِ أَصْلًا وَصَارَ غَيْرُكَ فَرْعًا . وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ الجِهَادِ الَّذِي أَضْحَى عَلَى الأُمَّةِ فَرْضًا . وَهُوَ العَمَلُ الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ مُسْوَدُّ الصَّحَائِفِ مُبْيَضًّا . وَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِالأَجْرِ العَظِيمِ . وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ المَقَامَ الكَرِيمَ . وَبِكَ صَانَ اللهُ حِمَى الإِسْلَامِ مِنْ أَنْ يُبْتَذَلَ . وَبِعَزْمِكَ حَفِظَ عَلَى المُسْلِمِينَ نِظَامَ هٰذِهِ الدُّوَلِ . وَسَيْفُكَ أَثَّرَ فِي قُلُوبِ الكَافِرِينَ قُرُوحًا لَا تَنْدَمِلُ . وَبِكَ يُرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنَ الخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الأَيَّامِ الأُوَلِ . فَأَيْقِظْ لِنُصْرَةِ الإِسْلَامِ جَفْنًا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِعًا . وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ اللهِ إِمَامًا مَتْبُوعًا لَا تَابِعًا . هَدَاكَ اللهُ إِلَى مَنَاهِجِ الحَقِّ وَمَا زِلْتَ مُهْتَدِيًا إِلَيْهَا . وَأَلْزَمَكَ المَرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهٍ عَلَيْهَا . وَاللهُ يُمِدُّكَ بِأَسْبَابِ نَصْرِهِ وَيُوزِعُكَ شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَسْتَتِمُّ بِشُكْرِهِ (للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يغري الاسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا اخًا لهُ .

مَا كُلَّ يَوْمٍ يَنَالُ المَرْءُ مَا طَلَبَا ... وَلَا يُسَوِّغُهُ المِقْدَارُ مَا وَهَبَا

وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ ... لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ المَوْصُولَ مُنْقَضِبَا

وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ المَوَاطِنِ مَنْ ... سَقَى المُعَادِينَ بِالكَأْسِ الَّذِي شَرِبَا

وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ ... بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ ضُرِبَا

وَالعَفْوُ إِلَّا عَنِ الأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ ... مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ كَذَبَا

قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي يَزِيدَ لَقَدْ ... رَأَيْتَ رَأْيًا يَجُرُّ الوَيْلَ وَالحَرَبَا

لَا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا   إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنَبَا
هُمْ جَرَّدُوا السَّيْفَ فَاجْعَلْهُمْ لَهُ جُزُرًا   وَأَوْقَدُوا النَّارَ فَاجْعَلْهُمْ لَهَا حَطَبَا
إِنْ تَعْفُ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمُ   لَمْ يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهَبَا
هُمْ أَهِلَّةُ غَسَّانٍ وَمَجْدُهُمُ   عَالٍ فَإِنْ حَاوَلُوا مُلْكًا فَلَا عَجَبَا
وَعَرَّضُوا بِفِدَاءٍ وَاصِفِينَ لَنَا   خَيْلًا وَإِبْلًا تَرُوقُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا
أَيَجْلِبُونَ دَمًا مِنَّا وَنَحْلُبُهُمْ   رِسْلًا لَقَدْ شَرَّفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبَا
عَلَامَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمُ   لَا فِضَّةً قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبَا

٤٠ قال صفيّ الدين الحلي يحرّض السلطان الملك الصالح على الاحتراز من المغول ومنافرتهم عند اقبالهم وبينه بعيد النحر

لَا يَمْتَطِي الْمَجْدَ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَا   وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ قَدَّمَ الْحَذَرَا
وَمَنْ أَرَادَ الْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ   قَضَى وَلَمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا
لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ نَحْلٍ يَمْنَعُهُ   لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
لَا يُبْلَغُ السُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤْلِمَةٍ   وَلَا يَتِمُّ الْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ   لَا يَقْرَبُ الْوِرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدَرَا
وَأَغْزَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ   عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَا بِالْغَيْرِ مُعْتَبِرَا
فَقَدْ يُقَالُ عِثَارُ الرِّجْلِ إِنْ عَثَرَتْ   وَلَا يُقَالُ عِثَارُ الرَّجْلِ إِنْ عَثَرَا
مَنْ دَبَّرَ الْعَيْشَ بِالْآرَاءِ دَامَ لَهُ   صَفْوًا وَجَاءَ إِلَيْهِ الْخَطْبُ مُعْتَذِرَا
يَهُونُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي الْقَضَاءُ بِهِ   مَنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَذْنِبُ الْقَدَرَا
مَنْ فَاتَهُ الْعِزُّ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ   بِالْبِيضِ يَقْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشَّرَرَا

بِكُلِّ أَبْيَضَ قَدْ أَجْرَى الْفِرِنْدَ بِهِ ... مَاءَ الرَّدَى فَلَوِ اسْتَقْطَرْتَهُ قَطَرَا

خَاضَ الْعَجَاجَةَ عُرْيَانًا فَمَا انْقَشَعَتْ ... حَتَّى أَتَى بِدَمِ الْأَبْطَالِ مُؤْتَزِرَا

لَا يَحْسُنُ الْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ ... وَلَا يَلِيقُ الْوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرَا

وَلَا يَنَالُ الْعُلَى إِلَّا فَتًى شَرُفَتْ ... خِلَالُهُ فَأَطَاعَ الدَّهْرُ مَا أَمَرَا

كَالصَّالِحِ الْمَلِكِ الْمَرْهُوبِ سَطْوَتُهُ ... فَلَوْ تَوَعَّدَ قَلْبَ الدَّهْرِ لَانْفَطَرَا

لَمَّا رَأَى الشَّرَّ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ ... وَالْغَدْرَ عَنْ نَابِهِ لِلْحَرْبِ قَدْ كَشَرَا

رَأَى الْقِسِيَّ إِنَاثًا عَنْ حَقِيقَتِهَا ... فَعَافَهَا وَاسْتَشَارَ الصَّارِمَ الذَّكَرَا

فَجَرَّدَ الْعَزْمَ مِنْ قَبْلِ الصِّفَاحِ لَمَا ... مَلْكٌ عَنِ الْبِيضِ يَسْتَغْنِي بِمَا شَهَرَا

يَكَادُ يُقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ هِمَّتِهِ ... مَا فِي صَحَائِفِ ظَهْرِ الْغَيْبِ قَدْ سُطِرَا

كَالْبَحْرِ وَالدَّهْرِ فِي يَوْمَيْ نَدًى وَرَدًى ... وَاللَّيْثِ وَالْغَيْثِ فِي يَوْمَيْ وَغًى وَقِرَى

مَا جَادَ لِلنَّاسِ إِلَّا قَبْلَ مَا سَأَلُوا ... وَلَا عَفَا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ مَا قَدَرَا

لَامُوهُ فِي بَذْلِهِ الْأَمْوَالَ قُلْتُ لَهُمْ ... هَلْ تَقْدِرُ السُّحْبُ أَلَّا تُرْسِلَ الْمَطَرَا

إِذَا غَدَا الْغُصْنُ غَضًّا مِنْ مَنَابِتِهِ ... مَنْ شَاءَ فَلْيَجْنِ مِنْ أَفْنَانِهِ الثَّمَرَا

مِنْ آلِ أَرْتُقَ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمُ ... إِذْ كَانَ كَالْمِسْكِ إِنْ أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

الْحَامِلِينَ مِنَ الْخَطِّيِّ أَطْوَلَهُ ... وَالنَّاقِلِينَ مِنَ الْأَسْيَافِ مَا قَصُرَا

لَمْ يَرْحَلُوا عَنْ حِمَى أَرْضٍ إِذَا نَزَلُوا ... إِلَّا وَأَبْقَوْا بِهَا مِنْ جُودِهِمْ أَثَرَا

تَبْقَى صَنَائِعُهُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمُ ... وَالْغَيْثُ إِنْ سَارَ أَبْقَى بَعْدَهُ الزَّهَرَا

لِلَّهِ دَرُّ سَمَا الشَّهْبَاءِ مِنْ فَلَكٍ ... وَكُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ أَطْلَعَتْ قَمَرَا

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَانِي لِدَوْلَتِهِ ... ذِكْرًا طَوَى ذِكْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَا

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتٌ فَقَدْ صَدَعَتْ ... حَصَاةُ جُدْلِكَ ذَاكَ الدَّسْتَ فَانْكَسَرَا
فَأَوْقِعْ إِذَا غَدَرُوا سَوْطَ الْعَذَابِ بِهِمْ ... يَظَلُّ يَخْشَاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ إِنْ غَدَرَا
وَأَرْعِبْ قُلُوبَ الْعِدَى تُنْصَرْ بِخَذْلِهِمِ ... إِنَّ النَّبِيَّ بِفَضْلِ الرُّعْبِ قَدْ نُصِرَا
وَلَا تُكَدِّرْهُمُ نَفْسًا مُطَهَّرَةً ... فَالْبَحْرُ مِنْ يَوْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْكَدَرَا
ظَنُّوا تَأَنِّيكَ عَنْ عَجْزٍ وَمَا عَلِمُوا ... أَنَّ التَّأَيُّدَ فِيهِمْ يُعْقِبُ الظَّفَرَا
أَحْسَنْتَهُمْ فَبَغَوْا جَهْلًا وَمَا اعْتَبَرُوا ... بِقَوْلِكُمْ وَمَنْ كَفَرَ النُّعْمَى فَقَدْ كَفَرَا
وَاسْعَدْ بِعِيدِكَ ذَا الْأَضْحَى وَضَحِّ بِهِ ... وَصِلْ وَصَلِّ لِرَبِّ الْعَرْشِ مُؤْتَمِرَا
وَانْحَرْ عِدَاكَ فَبِالْإِنْعَامِ مَا انْصَلَحُوا ... إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِلْأَنْعَامِ قَدْ نَحَرَا

٤١ ولصفيّ الدين الحلّي يحرّض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعمائة :

أَبْدِ سَنَا وَجْهِكَ مِنْ حِجَابِهِ ... فَالسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ
وَاللَّيْثُ لَا يُرْهَبُ مِنْ زَئِيرِهِ ... إِذَا اغْتَدَى مُحْتَجِبًا بِغَابِهِ
وَالنَّجْمُ لَا يَهْدِي السَّبِيلَ سَارِيًا ... إِلَّا إِذَا أَسْفَرَ مِنْ حِجَابِهِ
وَالشَّهْدُ لَوْلَا أَنْ يُذَاقَ طَعْمُهُ ... لَمَا غَدَا مُمَيَّزًا عَنْ صَابِهِ
إِذَا بَدَا نُورُكَ لَا يَصُدُّهُ ... تَزَاحُمُ الْمَوْكِبِ فِي ارْتِكَابِهِ
وَلَا يَضُرُّ الْبَدْرَ وَهْوَ مُشْرِقٌ ... أَنَّ رَفِيقَ الْغَيْمِ مِنْ نِقَابِهِ
قُمْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَلَكِنْ مِثْلَمَا ... هَذَا الْحُسَامُ سَاعَةَ اجْتِذَابِهِ
كَمْ مُدْرِكٍ فِي يَوْمِهِ بِعَزْمِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ فِي حِسَابِهِ
مَنْ كَانَتِ السُّمْرُ اللِّدَانُ رُسْلَهُ ... كَانَ بُلُوغُ النَّصْرِ مِنْ جَوَابِهِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ ٱلصَّغِيرَ عَاجِزٌ   هَلْ يَجْرَحُ ٱللَّيْثَ سِوَى ذُبَابِهِ

فَٱرْمِ ذُرَى قَلْعَتِهِمْ بِقَلْعَةٍ   تَقْلَعُ أُسَّ ٱلطَّوْدِ مِنْ تُرَابِهِ

فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْكَ مُقْبِلًا   مَادَتْ وَخَرَّ ٱلسُّورُ لِٱضْطِرَابِهِ

إِنْ لَمْ تُحَاكِ ٱلدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ   فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي ٱنْقِلَابِهِ

وَٱجْلُ لَهُمْ عَزْمًا إِذَا جَلَوْتَهُ   فِي ٱللَّيْلِ أَغْنَى ٱللَّيْلَ عَنْ شِهَابِهِ

عَزْمَ مَلِيكٍ يَخْضَعُ ٱلدَّهْرُ لَهُ   وَتَسْجُدُ ٱلْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ

تُحَاذِرُ ٱلْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ   وَتَجْزَعُ ٱلْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ

قَدْ صَرَفَ ٱلْحُجَّابَ عَنْ حَضْرَتِهِ   وَصَيَّرَ ٱلْهَيْبَةَ مِنْ حُجَّابِهِ

إِذَا رَأَى ٱلْأَمْرَ بِعَيْنِ فِكْرِهِ   رَأَى خَطَاءَ ٱلرَّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ

وَإِنْ أَجَالَ رَأْيَهُ فِي مُشْكِلٍ   أَعَانَهُ ٱلْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ

تَنْقَادُ مَعْ آرَائِهِ أَيَّامُهُ   مِثْلَ ٱنْقِيَادِ ٱللَّفْظِ مَعْ إِعْرَابِهِ

لَا يَزْجُرُ ٱلْبَارِحَ فِي ٱعْتِرَاضِهِ   وَلَا غُرَابَ ٱلْبَيْنِ فِي تَنْعَابِهِ

يَقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرٍّ رَامَهُ   مَا سَطَّرَ ٱلْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ

قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ أَيَّامُهُ   كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ أَحْسَابِهِ

يَكَادُ أَنْ تُلْهِيَهُ عَنْ طَعَامِهِ   مَطَالِبُ ٱلْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ

مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءٌ سَائِرٌ   إِلَّا وَحَطَّ رَحْلَهُ بِبَابِهِ

إِذَا ٱسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ   أَعَانَهُ ٱلْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ

وَإِنْ كَسَا ٱلدَّهْرُ ٱلْأَنَامَ مَفْخَرًا   ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ

يَا مَلِكًا يَرَى ٱلْعَدُوُّ قُرْبَهُ   كَٱلْأَجَلِ ٱلْمَحْتُومِ فِي ٱقْتِرَابِهِ

لَا تَبْذُلِ ٱلْحِلْمَ لِغَيْرِ شَاكِرٍ ... فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَى إِعْجَابِهِ
فَاغْزُ ٱلْعِدَى بِعَزْمَةٍ مِنْ شَأْنِهَا ... إِتْيَانُ حَزْمِ ٱلرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
تُسْلِمُ أَرْوَاحَ ٱلْعِدَى إِلَى ٱلرَّدَى ... وَتُرْجِعُ ٱلْأَمْرَ إِلَى أَرْبَابِهِ
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبِّ رُتْبَةٍ ... قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ
قَدْ رَفَعَ ٱللّٰهُ ٱلْعَذَابَ عَنْهُمُ ... فَشَمَّرُوا ٱلسَّاعِدَ فِي طِلَابِهِ
رَنَوْا إِلَى ٱلْمُلْكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ ... أَطْمَعَهُ حِلْمُكَ فِي ٱقْتِضَابِهِ
إِنْ لَمْ تُقَطِّعْ بِٱلظُّبَى أَوْصَالَهُمْ ... لَمْ تُقْطَعِ ٱلْآمَالُ مِنْ أَسْبَابِهِ
لَا تَقْبَلِ ٱلْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ ... قَدْ أَضْمَرَ ٱلتَّصْحِيفَ فِي كِتَابِهِ
فَتَوْبَةُ ٱلْمُقْلِعِ إِثْرَ ذَنْبِهِ ... وَتَوْبَةُ ٱلْغَادِرِ مَعْ عِقَابِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ ... لَمْ يُقْدِمُوا يَوْمًا عَلَى ٱرْتِكَابِهِ
فَٱصْرِمْ حِبَالَ عَزْمِهِمْ بِصَارِمٍ ... قَدْ بَالَغَ ٱلْقُيُونُ فِي ٱنْتِخَابِهِ
يَعْتَذِرُ ٱلْمَوْتُ إِلَى شَفْرَتِهِ ... وَتَقْصُرُ ٱلْآجَالُ عَنْ عِتَابِهِ
يُذِيقُهُمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا ... أَذَاقَهُ ٱلْقُيُونُ فِي شَبَابِهِ
يَا مَلِكًا يَعْتَذِرُ ٱلدَّهْرُ لَهُ ... وَتَخْدُمُ ٱلْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
لَمْ يَكُ تَحْرِيضِي لَكُمْ إِسَاءَةً ... وَلَمْ أَحُلْ فِي ٱلْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
وَلَا يَعِيبُ ٱلسَّيْفَ وَهْوَ صَارِمٌ ... هَزُّ يَدِ ٱلْجَاذِبِ فِي ٱنْتِدَابِهِ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ ... كِلَاهُمَا أَمْعَنَ فِي ٱغْتِرَابِهِ
ذِكْرٌ جَمِيلٌ غَيْرَ أَنَّ نَظْمَهُ ... يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ ٱصْطِحَابِهِ
كَٱلدُّرِّ لَا يُظْهِرُ حُسْنَ عِقْدِهِ ... إِلَّا ٱجْتِوَازُ ٱلسِّلْكِ فِي أَثْقَابِهِ

ٱلْبَابُ ٱلثَّالِثُ
فِي ٱلْمُنَاظَرَاتِ

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب بهِ أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الامير عبد الرحمان ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن عليّ

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمَتْ فِيكَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْأَمْصَارُ. وَطَالَ بِهَا ٱلْوُقُوفُ عَلَى حُبِّكَ وَٱلِٱقْتِصَارُ. كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا وَيَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى. وَيُصِيخُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْغِي. وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ: ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي. تَنَمَّرَتْ (حِمْصُ) غَيْظًا. وَكَادَتْ تَفِيظُ فَيْظًا. وَقَالَتْ: مَا لَهُمْ يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَحْرِصُونَ. إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ. أَلِيَ ٱلسَّهْمُ ٱلْأَسَدُّ. وَٱلسَّاعِدُ ٱلْأَشَدُّ. وَٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ ٱلْجَزْرُ وَٱلْمَدُّ. أَنَا مِصْرُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلنِّيلُ نَهْرِي. وَسَمَاءُ ٱلتَّأَنُّسِ وَٱلنُّجُومُ زَهْرِي. إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ. فَحَسْبِي أَنْ أُفِيضَ فِي ذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ. وَإِنْ تَحَجَّبْتُمْ بِأَشْرَفِ ٱللَّبُوسِ. فَأَيُّ إِزَارٍ ٱشْتَمَلْتُمُوهُ كَشَلَنْتَبُوسَ. إِلَى مَا شِئْتَ مِنْ أَبْنِيَةٍ رِحَابٍ. وَرَوْضٍ يَسْتَغْنِي بِنَضْرَتِهِ عَنِ ٱلسَّحَابِ. قَدْ مَلَأَتْ زَهَرَاتِي وِهَادًا وَأَنْجَادًا. وَتَوَشَّحَ سَيْفُ نَهْرِي بِحَدَائِقِي نِجَادًا. فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا ٱلْهُمَامِ وَأَحَقُّ. ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ. فَنَظَرَتْهَا (قُرْطُبَةُ) شَزْرًا وَقَالَتْ: لَقَدْ كَثُرْتِ نَزْرًا. وَبَذَرْتِ فِي ٱلصَّخْرِ ٱلْأَصَمِّ بَزْرًا. كَلَامُ ٱلْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ

الْهَذَيَانِ. وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ. مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا. وَمَنْ أَوْدَعَ أَجْفَانَ الْمَهْجُورِ وَسَنًا. أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا. يَا عَجَبًا لِلْمَرَاكِزِ تُقَدَّمُ عَلَى الْأَسِنَّةِ. وَلِلْأَثْفَارِ تُفَضَّلُ عَلَى الْأَعِنَّةِ. إِنِ ادَّعَيْتُمْ سَبقًا. فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى. لِيَ الْبَيْتُ الْمُطَهَّرُ الشَّرِيفُ. وَالْإِسْمُ الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رِوَاقَهُ التَّعْرِيفُ. فِي بَقِيعِي مَحَلُّ الرِّجَالِ الْأَفَاضِلِ. فَلْيَرْغَمْ أَنْفُ الْمُنَاضِلِ. وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. فَحَسْبِي مِنْ نَبَاهَةِ الْقَدْرِ. فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيَّ بِهٰذَا السَّيِّدِ الْأَعْلَى. وَلَا أَرْضَى لَهُ أَنْ يُوطِئَ غَيْرَ تُرَابِي نَعْلًا. فَأَقِرُّوا لِي بِالْأُبُوَّةِ. وَانْقَادُوا لِي عَلَى حُكْمِ الْبُنُوَّةِ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ. وَكُفُّوا عَنْ تَبَارِيكُمْ. ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ. (فَقَالَتْ غَرْنَاطَةُ): لِيَ الْمَعْقِلُ الَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنَ النُّجُومِ. وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ الْغَيْثِ السَّجُومِ. فَلَا يَلْحَقُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ. وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خَيَالُ طَارِقٍ وَلَا طَيْفٌ. فَاسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا. فَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى. لِي بِطَاحٌ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا. وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرِهَا فَعَادَتْ أَفْلَاكًا. فَحُسْنِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُحْتَالُ. فَدَعُونِي فَكُلُّ ذَاتِ ذَيْلٍ تَخْتَالُ. فَأَنَا أَوْلَى بِهٰذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ. وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ وَلَا بَدَلٍ. وَلِمَ لَا يَعْطِفُ عَلَيَّ عِنَانَ مَجْدِهِ وَيَثْنِي. وَإِنْ أَنْشَدَ يَوْمًا فَإِيَّايَ يَعْنِي:

بِلَادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

فَمَا لَكُمْ تَعْتَزُّونَ لِفَخْرِي وَتَأْتَمُّونَ . وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مَيْدَانِي وَتَتَقَدَّمُونَ . تَبَرَّؤُوا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ . ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . (فَقَالَتْ مَالِقَةُ) : أَتَتْرُكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا . وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا . وَلِمَ وَلِيَ ٱلْبَحْرُ ٱلْعَجَّاجُ . وَٱلسَّيْلُ ٱلثَّجَّاجُ . وَٱلْجَنَّاتُ ٱلْأَثِيرَةُ . وَٱلْفَوَاكِهُ ٱلْكَثِيرَةُ . لَدَيَّ مِنَ ٱلْبَهْجَةِ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ ٱلْحَمَامُ عَنِ ٱلْهَدِيلِ . وَلَا تَجْنَحُ ٱلْأَنْفُسُ ٱلرِّقَاقُ ٱلْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِيضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ . فَمَالِي لَا أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا . وَلَا أَنْشُرُ فِي جَيْشِ فَخَارِكُمْ أَعْلَامًا . فَكَأَنَّ ٱلْأَمْصَارَ نَظَرَتْهَا ٱزْدِرَاءً . فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مَيْدَانِ ٱلذِّكْرِ إِجْرَاءً . لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يَخْلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَنَظُنُّ ٱلْبِلَادَ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلَ ٱلْقَائِلِ :

إِذَا نَطَقَ ٱلسَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ ٱلسُّكُوتُ

(فَقَالَتْ مُرْسِيَةُ) : أَمَامِي تَتَعَاطَوْنَ ٱلْفَخْرَ . وَبِحَضْرَةِ ٱلدُّرِّ تُنْفِقُونَ ٱلصَّخْرَ . إِنْ عُدَّتِ ٱلْمَفَاخِرُ فَلِي مِنْهَا ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ . أَيْنَ أَوْشَالُكُمْ مِنْ بَحْرِي . وَخَرَزُكُمْ مِنْ لُؤْلُؤِ نَحْرِي . فَلِيَ ٱلرَّوْضُ ٱلنَّضِيرُ . وَٱلْمَرْأَى ٱلَّذِي مَا لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . فَمِنْ دَوْحَاتٍ . كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ وَرَوْحَاتٍ . وَمِنْ أَرْجَاءٍ . إِلَيْهَا تُمَدُّ أَيْدِي ٱلرَّجَاءِ . فَأَبْنَائِي فِيهِ فِي ٱلْجَنَّةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ . يَتَنَعَّمُونَ فِيمَا يَأْخُذُونَ وَيَدَعُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدَّعُونَ . فَٱنْقَادُوا لِأَمْرِي . وَحَاذِرُوا ٱصْطِلَاءَ جَمْرِي . وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِي زَيْدٍ . وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ ضَرْبَ زَيْدٍ . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهَذَا ٱلْمَلِكِ ٱلْمُسْتَأْثِرِ بِٱلتَّعْظِيمِ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . (فَقَالَتْ بَلَنْسِيَةُ) : فِيمَ الْجِدَالُ وَالْقِرَاعُ . وَعَلَامَ الِاسْتِهَامُ وَالِاقْتِرَاعُ . وَإِلَامَ التَّعْرِيضُ وَالتَّصْرِيحُ . وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ . أَنَا أَحُوزُهُ مِنْ دُونِكُمْ . فَاخْمِدُوا نَارِيَ تَحَرُّكِكُمْ وَهُدُونَكُمْ . فَلِيَ الْمَحَاسِنُ الشَّامِخَةُ الْأَعْلَامِ . وَالْجَنَّاتُ الَّتِي تُلْقِي إِلَيْهَا الْآفَاقُ يَدَ الِاسْتِسْلَامِ . وَبِرُصَافَتِي وَجِسْرِي أُعَارِضُ مَدِينَةَ السَّلَامِ . فَأَجْمِعُوا عَلَى الِانْقِيَادِ لِي وَالسَّلَامُ . وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَانًا . وَاقْرَعُوا أَسْنَانًا . فَأَنَا حَيْثُ لَا تُدْرِكُونَ وَإِنِّي وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا . (فَعِنْدَ ذَلِكَ ارْتَمَتْ جَمْرَةُ تَدْمِيرَ بِالشَّرَارِ) وَاسْتَدَّتْ أَسْهُمُهَا لِنُحُورِ الشِّرَارِ وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا . تَرَ عَجَبًا . أَبَعْدَ الْعِصْيَانِ وَالْعُقُوقِ . تَتَهَيَّأَنَ لِرُتَبِ ذَوِي الْحُقُوقِ . هَذِهِ سَمَاءُ الْفَخْرِ فَمَنْ ضَمَّكِ أَنْ تَعْرُجِي . لَيْسَ بِعُشِّكِ فَادْرُجِي . لَكِ الْوَصَبُ وَالْخَبَلُ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ قَبْلُ . أَيَّتُهَا الصَّانِعَةُ الْفَاعِلَةُ . مَنْ أَدْرَاكِ أَنْ تَضْرِبِي وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ . مَا الَّذِي يُجْدِيكِ الرَّوْضُ وَالزَّهْرُ . أَمْ يُفِيدُكِ الْجَدْوَلُ وَالنَّهْرُ . وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ . هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحَطُّ رَحْلِ النِّفَاقِ . وَمَنْزِلٌ مَا لِسُوقِ الْخِصْبِ فِيهِ مِنْ نَفَاقٍ . ذَرَاكِ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ بِهُجُوعٍ . وَقِرَاكِ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . فَإِلَامَ تَبْرُزُ الْإِمَاءُ فِي مِنَصَّةِ الْعَقَائِلِ . وَلَكِنِ اذْكُرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بَلَنْسِيَةٌ بِينِي عَنِ الْقَلْبِ سَلْوَةً ... فَإِنَّكِ رَوْضٌ لَا أَحِنُّ لِزَهْرِكِ

وَكَيْفَ يُحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ ... عَلَى صَارِمَيْ جُوعٍ وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

بَيْدَ أَنِّي أَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا خَمَدَ. وَيُسِيلَ مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدَ. وَيُطِيلَ عَلَيْكَ فِي ٱلْجَهَالَةِ ٱلْأَمَدَ. وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ. وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ أَعْدَائِهِ مِنْ فَوَائِدِهِ. وَيُمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ ٱلْمُشَغِّبِينَ وَيُبْقِيَهُ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَيَصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْبِيدًا. وَيُمَهِّدَ لَهُ ٱلْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ ٱلْأَحْرَارُ لِعَبِيدِ عَبِيدِهِ عَبِيدًا. وَيُمِدَّ عَلَى ٱلدُّنْيَا بِسَاطَ سَعْدِهِ وَيَهَبَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ:

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا

ثُمَّ ٱلسَّلَامُ ٱلَّذِي يَتَأَنَّقُ عَبَقًا وَنَشْرًا. وَيَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا وَبِشْرًا. عَلَى حَضْرَتِهِمِ ٱلْعَلِيَّةِ. وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمِ ٱلسَّنِيَّةِ ٱلْجَلِيلَةِ. وَرَحْمَةُ ٱللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ (نفح الطيب للمقري)

• مفاخرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين

٤٣ (قَالَ): بَرَزَ ٱلْقَلَمُ بِإِفْصَاحِهِ. وَنَشِطَ لِٱرْتِيَاحِهِ. وَرَقِيَ مِنَ ٱلْأَنَامِلِ عَلَى أَعْوَادِهِ. وَقَامَ خَطِيبًا بِمَحَاسِنِهِ فِي حُلَّةِ مِدَادِهِ. وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلسَّيْفِ وَقَالَ: بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ. وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ وَشَرَّفَهُ بِٱلْقَسَمِ. وَخَطَّ بِهِ مَا قَدَّرَ وَقَسَمَ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْقَلَمَ مَنَارُ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا. وَنِظَامُ ٱلشَّرَفِ وَٱلْعَلْيَا. وَمَجَادِيحُ سُحُبِ ٱلْخَيْرِ إِذَا ٱحْتَاجَتِ ٱلْهِمَمُ إِلَى ٱلسُّقْيَا. وَمِفْتَاحُ بَابِ ٱلْيُمْنِ ٱلْمُجَرَّبُ إِذَا أَعْيَا. وَسَفِيرُ ٱلْمُلْكِ ٱلْمُحَجَّبِ.

وعذيق الملك المرجب . وذمام أموره السائرة . وقادمة أجنحته الطائرة . ومطلق أرزاق عفاته المتواترة . وأنملة الهدى المشيرة إلى ذخائر الدنيا والآخرة . به رقم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل . وسنته التي تهذب الخواطر الخواطل . وفي مراضي الدول عونة للشائدين . وبعين الله في ليالي النقس تقلب وجهه في الساجدين . إن نظمت فرائد العلوم فإنما هو سلكها . وإن عات أسرة الكتب فإنما هو ملكها . ورقت برود البيان فإنما هو جلالها . وإن تشعبت فنون الحكم فإنما هو أمانها ومآلها . وإذا انقسمت أمور الممالك فإنما هو عصمتها وثمالها . وإن اجتمعت رعايا الصنائع فإنما هو إمامها المتلفع بسواده . وإن زخرت بحار الأفكار فإنما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده . وإن وعد وفى بجانب النفع . وإن أوعد أضاف كأنما يستمد من النقع . هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسيلها لا بكار الفتوح والمخاطب . والمنفق في تعمير دولها محصول أنفاسه . والمتحمل أمورها الشاقة على عينه وراسه . والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف في جفنه نائم . والمجهز لبأسها وكرمها جيشي الحروب والمكارم . والجاري بما أمر الله من العدل والإحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر إنسان . طالما ذب عن حرمها . فشد الله أزره ورفع ذكره وقام في المحاماة عن دينها . أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره وقاتل على البعد والصوارم في القرب . وأوتي

مِنْ مُعْجِزَاتِ ٱلنُّبُوءَةِ نَوْعًا مِنَ ٱلنَّصرِ بِٱلرُّعْبِ . وَبَعث جَحَافِلَ ٱلسُّطُورِ فَٱلسَّقِيُّ دَالاتٌ وَٱلرِّمَاحُ أَلِفَاتٌ وَٱللَّامَاتُ لَامَاتٌ . وَٱلْهَمزَاتُ كَوَاسِرُ ٱلطَّيرِ ٱلَّتِي تَتْبَعُ ٱلجَحَافِلَ . وَٱلْأَتْرِبَةُ عَجَاجُهَا ٱلمُحْمَرُّ مِنْ دَمِ ٱلْكُلَى وَٱلْمَفَاصِلِ . فَهُوَ صَاحِبُ فَضِيلَتَي ٱلعِلْمِ وَٱلعَلَمِ . وَسَاحِبُ ذَيلَي ٱلْفَخَارِ فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلسَّلْمِ . لَا يُعَادِيهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ . وَلَبِسَ لُبْسَهُ . وَطُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ . وَفَلَّ ٱلْجِدَالُ مِنْ غَرْبِهِ . وَخَرَجَ فِي وَزْنِ ٱلْمُعَارَضَةِ عَنْ ضَرْبِهِ . وَكَيْفَ يُعَادِي مَنْ إِذَا كَرَعَ فِي نِقْسِهِ . قِيلَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ . وَإِذَا ذُكِرَ شَانِئُهُ ٱلسَّيفُ قِيلَ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ . أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنَ ٱلشَّرَفِ وَخُيَلَائِهِ . وَٱلْفَخَارِ وَكِبْرِيَائِهِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ فِيمَا حَكَمَ . وَأَسْأَلُهُ ٱلتَّدْبِيرَ فِيمَا جَرَى بِهِ ٱلْقَلَمُ . ثُمَّ ٱكْتَفَى بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَدَوَاتِهِ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَوَاتِهِ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

قَلَمٌ يَفُلُّ ٱلْجَيْشَ وَهُوَ عَرَمْرَمٌ ... وَٱلْبِيضُ مَا سُلَّتْ مِنَ ٱلْأَغْمَادِ

وَهَبَتْ لَهُ ٱلْآجَامُ حِينَ نَشَا بِهَا ... كَرَمَ ٱلسُّيُولِ وَصَوْلَةَ ٱلْآسَادِ

فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَهَضَ ٱلسَّيفُ قَائِمًا عَجِلًا . وَتَلَمَّظَ لِسَانُهُ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلًا . وَقَالَ : بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلرَّحِيمِ وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . وَلِيَعْلَمَ ٱللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ . وَشَرَّعَ حَدَّهَا فِي ذَوِي ٱلْعِصْيَانِ فَأَغَصَّتْهُمْ بِمَاءِ ٱلْحُتُوفِ . وَشَيَّدَ مَرَاتِبَ ٱلَّذِينَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وَعِقْدٌ مَرْصُوفٌ . وَأَجْنَاهُمْ مِنْ وَرَقِ حَدِيدِهَا ٱلْأَخْضَرِ ثِمَارَ نَعِيمِهَا ٱلدَّانِيَةَ ٱلْقُطُوفِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ زَنْدُ ٱلْحَقِّ ٱلْوَرِيُّ وَزَنْدُهُ ٱلْقَوِيُّ . وَحَدُّهُ ٱلْفَارِقُ بَيْنَ ٱلرَّشِيدِ وَٱلْغَوِيِّ . وَٱلنَّجْمُ ٱلْهَادِي إِلَى ٱلْعِزِّ وَسَبِيلِهِ . وَٱلثَّغْرُ ٱلْبَاسِمُ عَنْ تَبَاشِيرِ فُلُولِهِ . وَخَصَّهُ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ بِأَنَّ بِهِ لِلْحَقِّ مِنْهَاجًا . وَأَطْلَعَهُ فِي لَيَالِي ٱلنَّقْعِ وَٱلشَّكِّ سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَفَتَحَ بَابَ ٱلدِّينِ بِمِصْبَاحِهِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ ٱلنَّاسُ أَفْوَاجًا . فَهُوَ ذُو ٱلرَّأْيِ ٱلصَّائِبِ . وَشِهَابُ ٱلْعَزْمِ ٱلثَّاقِبِ . وَسَمَاءُ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي زُيِّنَتْ مِنْ آثَارِهِ بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ . وَٱلْحَدُّ ٱلَّذِي كَأَنَّهُ مَاءٌ دَافِقٌ يَخْرُجُ عِنْدَ قَطْعِ ٱلْأَجْسَادِ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ . لَا تُجْحَدُ آثَارُهُ وَلَا يُنْكَرُ قَرَارُهُ . إِذَا ٱشْتَبَّتْ فِي ٱلدُّجَى وَٱلنَّقْعِ نَارُهُ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْحَالَتَيْنِ ٱلْبَأْسِ وَٱلْكَرَمِ . وَيُصَاغُ فِي طَوْقِ ٱلْحِلْيَتَيْنِ فَهُوَ إِمَّا طَوْقٌ فِي نُحُورِ ٱلْأَعْدَاءِ وَإِمَّا خَلْخَالٌ فِي عَرَاقِيبِ أَهْلِ ٱلنِّقَمِ . وَيَحْسِمُ بِهِ أَهْوَاءَ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُضِلَّةِ . وَيَحْذِفُ بِهِمَّتِهِ ٱلْجَازِمَةِ حُرُوفَ ٱلْعِلَّةِ . وَإِذَا ٱنْحَنَى فِي سَمَاءِ ٱلْقَتَامِ بِٱلضَّرْبِ فَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلِٱسْتِطَاعَةِ ٱلطَّوِيلُ ٱلْمُعَمَّرُ . إِذَا قَصَفَ سِوَاهُ فِي سَاعَةٍ فَمَا أَوْلَاهُ بِطُولِ ٱلْإِحْسَانِ . وَمَا أَجْمَلَ ذِكْرَهُ فِي أَخْبَارِ ٱلْمُعَمَّرِينَ وَمَقَاتِلِ ٱلْفُرْسَانِ . كَأَنَّ ٱلْغَيْثَ فِي غِمْدِهِ لِلطَّالِبِ ٱلْمُنْتَجِعِ . وَكَأَنَّهُ زِنَادٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ إِلَّا أَنَّ دَفْعَ ٱلدِّمَاءِ شَرَرُهُ ٱلْمُلْتَمِعُ . كَمْ قَدْ مُدَّ فَأَدْرَكَ ٱلطِّلَابَ . وَدَعَا ٱلنَّصْرَ بِلِسَانِهِ ٱلْمُحْمَرِّ مِنْ أَثَرِ ٱلدِّمَاءِ فَأَجَابَ . وَتَشَعَّبَتِ

ٱلدُّوَلُ لِقَائِمِ نَصْرِهِ ٱلْمُنْتَظَرِ . وَحَازَتْ أَبْكَارُ ٱلْفُتُوحِ بِحَدِّهِ ٱلذَّكَرِ .
وَغَدَتْ أَيَّامُهَا بِهِ ذَاتَ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغُرَرٍ . وَشَدَّتْ بِهِ ٱلظُّهُورَ .
وَحَمِدَتْ عَلَائِقَهُ فِي ٱلْأُمُورِ . وَٱتَّخَذَتْهُ ٱلْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِهَا . وَحِصْنًا
عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطَّانِهَا . وَجَرَّدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ ٱلْأَقْدَارِ فِي شَأْنِهَا .
وَنُدِبَ فِمَا أَعْيَتْ عَلَيْهِ ٱلْمَصَالِحُ . وَبَاشَرَ ٱلدَّمَ فَهُوَ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ بَيْنَ
ٱلْهُدَى وَٱلضَّلَالِ فَرْقٌ وَاضِحٌ . وَأَغَاثَ فِي كُلِّ فَصْلٍ فَهُوَ أَمَّا لِغِمْدِهِ
سَعْدُ ٱلْأَخْبِيَةِ وَأَمَّا لِحَامِلِهِ سَعْدُ ٱلسُّعُودِ . وَأَمَّا لِضِدِّهِ سَعْدُ ٱلذَّابِحِ
يَجْلِسُ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَعْدَاءِ قَهْرًا . وَيَشْرَحُ أَنْبَاءَ ٱلشَّجَاعَةِ قَائِلًا لِلْقَلَمِ :
ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ ٱلْمَوْتُ
عَلَى بَابِهِ . وَعَضَّ ٱلْحَرْبُ ٱلطَّرُوسَ بِنَابِهِ . وَقَذَفَتْ شَيَاطِينُ ٱلْقِرَاعِ
بِشُهُبِهِ . وَمُنِحَ آيَاتٍ شَرِيفَةً مِنْهَا : طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ . وَمِنْهَا : أَنَّ
ٱللَّهَ أَنْشَأَ بَرْقَهُ فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَصْرَعًا . وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا . أَقُولُ قَوْلِي
هٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ ٱللَّهَ ٱلْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَحُ . وَرَأْيٍ إِلَى ٱلْخِصَامِ يَجْنَحُ .
وَلِسَانٍ يُحْوِجُهُ ٱللَّدَدُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ فَيَجْرَحَ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ
ٱلْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ . وَأَسْأَلُهُ ٱلْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ . ثُمَّ
ٱخْتَفَى فِي بَعْضِ ٱلْخَمَائِلِ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

سَلِ ٱلسَّيْفَ عَنْ أَصْلِ ٱلْفَخَارِ وَفَرْعِهِ   فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلسَّيْفَ أَفْصَحَ مِقْوَلَا

(فَلَمَّا وَعَى ٱلْقَلَمُ) خُطْبَتَهُ ٱلطَّوِيلَةَ ٱلطَّائِلَةَ . وَنَشْطَتَهُ ٱلْجَلِيلَةَ ٱلْجَائِلَةَ .
وَفَهِمَ كِنَايَتَهُ وَتَلْوِيحَهُ . وَتَعْرِيضَهُ بِٱلذَّمِّ وَتَصْرِيحَهُ . وَتَعْدِيلَهُ فِي

ٱلْحَدِيثِ وَتَجْرِيحِهُ . ٱسْتَغَاثَ بِٱللَّفْظِ ٱلنَّصِيرِ . وَٱحْتَدَّ وَمَا أَدْرَاكَ مَا حِدَّةُ ٱلْقَصِيرِ . وَقَامَ فِي دَوَاتِهِ وَقَعَدَ . وَٱضْطَرَبَ عَلَى وَجْهِ ٱلْقِرْطَاسِ وَٱرْتَعَدَ . وَعَدَلَ إِلَى ٱلسَّبِّ ٱلصُّرَاحِ . وَرَأَى أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ تَكَلَّمَ وَلَكِنْ بِأَفْوَاهِ ٱلْجِرَاحِ . فَٱنْحَرَفَ إِلَى ٱلسَّيْفِ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمُعْتَزُّ بِطَبْعِهِ . ٱلْمُغْتَرُّ بِلَمْعِهِ . ٱلنَّاقِضُ حَبْلَ ٱلْأُنْسِ بِقَطْعِهِ . ٱلنَّاسِخُ بِهَجِيرِهِ مِنْ ظِلَالِ ٱلْعَيْشِ فَيْئًا . ٱلسَّرَابُ ٱلَّذِي يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا . ٱلْخَبِيثُ ٱلَّذِي طَالَمَا عَادَتْ عَلَيْهِ عَوَائِدُ شَرِّهِ . أَتُعَرِّضُ بِسَبِّي . وَتَتَعَرَّضُ لِمَكَايِدِ حَرْبِي . أَلَسْتُ ذَا ٱلْخُدَعِ ٱلْبَالِغَةِ وَٱلْحَرْبُ خُدْعَةٌ . وَٱلْمِنَنِ ٱلنَّافِعَةِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا تَبْغِي ٱلْأَنَامُ نَفْعَهُ . أَلَسْتُ ٱلْمُسَوَّدَ ٱلْأَحَقَّ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ... وَعَلَّمَتْهُ ٱلْجُودَ وَٱلْإِقْدَامَا

أَتُفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وَأَنْتَ لِلْقَطْعِ . وَأَنَا لِلْعَطَاءِ وَأَنْتَ لِلْمَنْعِ . وَأَنَا لِلصُّلْحِ وَأَنْتَ لِلضَّرْبِ . وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلْخَرَابِ . وَأَنَا ٱلْمُعَمِّرُ . وَأَنْتَ ٱلْمُدَمِّرُ . وَأَنْتَ ٱلْمُقَلَّدُ وَأَنَا صَاحِبُ ٱلتَّقْلِيدِ . وَأَنْتَ ٱلْعَابِثُ وَأَنَا ٱلْمُجَوِّدُ وَمَنْ أَوْلَى مِنَ ٱلْقَلَمِ بِٱلتَّجْوِيدِ . فَمَا أَقْبَحَ شَبَهَكَ . وَمَا أَشْنَعَ يَوْمًا تَرَى فِيهِ ٱلْعُيُونُ وَجْهَكَ . أَعَلَى مِثْلِي يُشَقُّ ٱلْقَوْلُ . وَيُرْفَعُ ٱلصَّوْتُ وَٱلصَّوْلُ . وَأَنَا ذُو ٱللَّفْظِ ٱلْمَكِينِ . وَأَنْتَ مِمَّنْ دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِ ٱلْقُرْآنِ : أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . فَقَدْ تَعَدَّيْتَ حَدَّكَ . وَطَلَبْتَ مَا لَمْ تَبْلُغْ بِهِ جَهْدَكَ . هَيْهَاتَ أَنَا ٱلْمُنْتَصِبُ

لِمَصَالِحِ ٱلدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي ٱلْغِمْدِ طَرِيحٌ . وَٱلْمُتْعَبُ فِي تَمْهِيدِهَا وَأَنْتَ غَافِلٌ مُسْتَرِيحٌ . وَٱلسَّاهِرُ وَقَدْ مُهِّدَ لَكَ فِي ٱلْغِمْدِ مَضْجَعٌ . وَٱلْجَالِسُ عَنْ يَمِينِ ٱلْمَلِكِ وَأَنْتَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَيُّ ٱلْحَالَتَيْنِ أَرْفَعُ . وَٱلسَّاعِي فِي تَدْبِيرِ حَالِ ٱلْقَوْمِ . وَٱلْمُغْنِي لِنَفْعِهِمِ ٱلْعُمْرَ إِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . فَٱقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ ٱلْمُفَاخَرَةِ . وَٱسْتُرْ أَنْيَابَكَ عِنْدَ ٱلْمُكَاشَرَةِ . فَمَا يَحْسُنُ بِٱلصَّامِتِ مُحَاوَرَةُ ٱلْمُفْصِحِ . وَٱللهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ . عَلَى أَنَّهُ لَا يُنْكَرُ لِمِثْلِكَ ٱلتَّصَدِّي . وَلَا يُسْتَغْرَبُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِي ٱلتَّعَدِّي . مَا أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ ٱلْبَارِي وَتَجَرَّأْتَ عَلَيْهِ . وَمَدَدْتَ يَدَ ٱلْعُدْوَانِ إِلَيْهِ أَوَلَسْتَ ٱلَّذِي قِيلَ فِيهِ :

شَيْخٌ يَرَى ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ نَافِلَةً   وَيَسْتَحِلُّ دَمَ ٱلْحُجَّاجِ فِي ٱلْحَرَمِ

قَدْ سُلِبْتَ ٱلرَّحْمَةَ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ ٱللهُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلرُّحَمَاءَ . وَجُلِبْتَ ٱلْقَسْوَةَ فَكَمْ هَيَّجْتَ سُنَّةً حَمْرَاءَ . وَأَثَرْتَ دَهْمَاءَ . وَخَمَشْتَ ٱلْوُجُوهَ وَكَيْفَ لَا وَأَنْتَ كَٱلظُّفْرِ كَوْنًا . وَقَطَعْتَ ٱللَّذَّاتِ وَلِمَ لَا وَأَنْتَ كَٱلصُّبْحِ لَوْنًا . أَيْنَ بَطْشُكَ مِنْ حِلْمِي . وَجَهْلُكَ مِنْ عِلْمِي . وَجِسْمُكَ مِنْ جِسْمِي :

شَتَّانَ مَا بَيْنَ جِسْمٍ صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ   وَذَاكَ جِسْمِي وَجِسْمٍ صِيغَ مِنْ بَهَقِ

أَيْنَ عَيْنُكَ ٱلزَّرْقَاءُ مِنْ عَيْنِي ٱلْكَحِيلَةِ . وَرُؤْيَتُكَ ٱلشَّنْعَاءُ مِنْ رُؤْيَتِي ٱلْجَمِيلَةِ . أَيْنَ لَوْنُ ٱلشَّيْبِ مِنْ لَوْنِ ٱلشَّبَابِ . وَأَيْنَ نَذِيرُ ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ رَسُولِ ٱلْأَحْبَابِ . هٰذَا وَكَمْ أَكَلْتَ ٱلْأَكْبَادَ غَيْظًا .

وَحَمِيتَ الْأَضْغَانَ قَيْظًا . وَشَكَوْتَ الصَّدَأَ فَسُقِيتَ وَلٰكِنْ بِشُوَاظٍ مِنْ نَارٍ . وَأَخْنَتْ عَلَيْكَ الْأَيَّامُ حَتَّى انْتَعَلَ بِأَبْعَاضِكَ الْحِمَارُ . وَلَوْلَا تَعَرُّضُكَ إِلَيَّ لَمَا وَقَعْتَ فِي الْمَقْتِ . وَلَوْلَا إِسَاءَتُكَ لَمَا كُنْتَ تُصْقَلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ . فَدَعْ عَنْكَ هٰذَا الْفَخْرَ الْمَدِيدَ . وَتَأَمَّلْ وَصْفِي إِذَا كُشِفَ عَنْكَ الْغِطَاءُ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَافْهَمْ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :

بِذَا قَضَى اللهُ فِي الْأَقْلَامِ إِذْ بُرِيَتْ أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

(فَعِنْدَ ذٰلِكَ وَثَبَ السَّيْفُ) عَلَى قَدْرِهِ . وَكَادَ الْغَضَبُ يُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُتَطَاوِلُ عَلَى قِصَرِهِ . وَالْمَاشِي عَلَى طَرِيقِ غَرَرِهِ . وَالْمُتَعَرِّضُ مِنِّي إِلَى الدَّمَارِ . وَالْمُتَحَرِّشُ بِي فَهُوَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ : ذَنَبُهُ قَشٌّ وَيَحْتَرِسُ بِالنَّارِ . لَقَدْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقِكَ حَتَّى اغْتَرَقَتْكَ الْغَمَرَاتُ . وَأَتْعَبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُدْرِكُ إِلَى أَنْ أَذْهَبَهَا التَّعَبُ حَسَرَاتٍ . أَوَلَسْتَ الَّذِي طَالَمَا أَرْعَشَ السَّيْفُ لِلْهَيْبَةِ عِطْفَكَ . وَنَكَّسَ لِلْخِدْمَةِ رَأْسَكَ وَطَرْفَكَ . وَأَمَرَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ السِّكِّينُ فَقَطَعَ قَفَاكَ وَشَقَّ أَنْفَكَ . وَرَفَعَكَ فِي مُهِمَّاتٍ خَامِلَةٍ وَحَطَّكَ . وَجَذَبَكَ لِلْاسْتِعْمَالِ وَقَطَّكَ . فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ جَسَرْتَ . وَعَبَسْتَ عَلَى مِثْلِي وَبَسَرْتَ . وَأَنْتَ السُّوقَةُ وَأَنَا الْمَلِكُ . وَأَنَا الصَّادِقُ وَأَنْتَ الْمُؤْتَفِكُ . وَأَنْتَ لِصَوْنِ الْحُطَامِ وَأَنَا لِصَوْنِ الْمَمَالِكِ . وَأَنْتَ لِحِفْظِ الْمَزَارِعِ وَأَنَا لِحِفْظِ الْمَسَالِكِ . وَأَنْتَ لِلْفِلَاحَةِ وَأَنَا لِلْفَلَاحِ . وَأَنْتَ حَاطِبُ اللَّيْلِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَا سَارِي الصَّبَاحِ . وَأَنَا الْبَاصِرُ وَأَنْتَ الْأَرْمَدُ . وَأَنَا

ٱلْمَخْدُومُ ٱلْأَبْيَضُ وَأَنْتَ ٱلْخَادِمُ ٱلْأَسْوَدُ . وَأُقْسِمُ بِمَنْ صَيَّرَ فِي قَبْضَتِي أَنْوَاعَ ٱلْيُمْنِ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لَأَذَلُّ رُتْبَةً . وَعَنْ بَرْيِ كَفِّي لَأَخْيَبُ طِلْبَةً . فَإِنِّي لَا أُنْكِرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا :

أُفٍّ لِرِزْقِ ٱلْكَتَبَهْ أُفٍّ لَهُ مَا أَصْعَبَهْ
يُرْتَشَفُ ٱلرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ ٱلْقَصَبَهْ
يَا قَلَمًا يَرْفَعُ فِي ٱلطِّرْسِ لِوَجْهِي ذَنَبَهْ
مَا أَعْرِفُ ٱلْمِسْكِينَ إِلَّا كَاتِبًا ذَا مَتْرَبَهْ

إِنْ عَانَيْتَ ٱلدِّيوَانَ وَقَعْتَ فِي ٱلْحِسَابِ وَٱلْعَذَابِ . أَوِ ٱلْبَلَاغَةَ سَحَرْتَ وَبَالَغْتَ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَوْ فَخَرْتَ بِتَقْيِيدِ ٱلْعُلُومِ فَمَا لَكَ مِنْهَا سِوَى لَمْحَةِ ٱلطَّرْفِ . أَوْ بِرَقْمِ ٱلْمَصَاحِفِ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ ٱللهَ عَلَى حَرْفٍ . أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمْعُكَ لِلتَّكْسِيرِ . أَوْ رَفَعْتَ إِلَيَّ طَرْفَكَ رَجَعَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ . وَهَلْ أَنْتَ فِي ٱلدُّوَلِ إِلَّا خَيَالٌ تَكْتَفِي ٱلْهِمَمُ بِطَيْفِهِ . أَوْ إِصْبَعٌ تَلْعَقُ بِهَا ٱلرِّزْقَ إِذَا أَكَلَ ٱلضَّارِبُ بِقَائِمِ سَيْفِهِ . وَسَاعٍ عَلَى رَأْسِهِ قَلَّ مَا أَجْدَى . وَسَارٍ رُبَّمَا أَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى . ثُمَّ وَقَفَ وَأَكْدَى . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّيَ ٱلْأَسْنَى وَكَفِّيَ ٱلْأَغْنَى . وَمَا خُصِصْتُ بِهِ مِنَ ٱلْجَوْهَرِ ٱلْفَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ ٱلْعَرَضِ ٱلْأَدْنَى . كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مُهِمَّةٍ . وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَاتِكَ لِتَسْطِيرِ سَيِّئَةٍ . فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ . وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا قُلْتَ مَفْتُوقُ ٱللِّسَانِ . جَرِيُّ ٱلْجَنَانِ . مُدَاخِلٌ بِمَخَالِبِكَ بَيْنَ ذَوِي ٱلْاقْتِنَاصِ .

مَعْدُودٌ مِنْ شَيَاطِينِ ٱلدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي ٱلطِّرْسِ وَٱلنِّقْسِ بَيْنَ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَحْفَى. وَصِحْتَ بِصَرِيرِكَ إِلَى أَنْ تَخْفُتَ وَتَخْفَى. لَمَا كُنْتَ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرَةِ مِنَ ٱلسِّمَاكِ ٱلرَّامِحِ. وَٱلْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ ٱلْخِضَمِّ ٱلطَّافِحِ. فَلَا تَعُدْ نَفْسَكَ بِمُعْجِزِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ يَمِينُ. وَلَا تَحْلِفْ لَهَا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايَ فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينٌ. وَمِنْ صَلَاحِ نَجْمِكَ أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي ٱلْأَكْبَرِ. وَتُؤْمِنَ بِمُعْجِزَتِي ٱلَّتِي بَعَثَتْ مِنْكَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ وَٱلْأَحْمَرِ. لِتَسْتَوْجِبَ حَقًّا. وَتَسْلَمَ مِنْ نَارِ حَرٍّ تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى. وَإِنْ لَمْ يَتَّضِحْ لِرَأْيِكَ إِلَّا ٱلْإِصْرَارُ. وَأَبَتْ حَصَائِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي ٱلنَّارِ. فَلَا رَعَى ٱللهُ عَزَائِمَكَ ٱلْقَاصِرَةَ. وَلَا جَمَعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ ٱلَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ ٱلسُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ. ثُمَّ قَطَعَ ٱلْكَلَامَ. وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ ٱلْقَلَمِ حَرَجَهُ. وَفَهِمَ مِقْدَارَ ٱلْغَيْظِ ٱلَّذِي أَخْرَجَهُ. وَسَمِعَ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ ٱلَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ٱلدَّمُ. وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ ٱلْبَادِي بِهٰذِهِ ٱلْمُنَاقَشَةِ وَٱلْبَادِي أَظْلَمُ. رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ. وَتَنَحَّى عَنْ طَرِيقِ قِرَاعِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ دَهْرُهُ وَٱلْقَدَرَ عَلَى حُكْمِ ٱلْوَقْتِ قَدَرُهُ. وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

لَحْنُهَا مُعْرَبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا ... أَنَّ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مَلْحُونُ

فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمُلْتَهِبُ فِي قَدْحِهِ . وَٱلْخَارِجُ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ صَفْحِهِ . مَا هٰذِهِ ٱلزِّيَادَةُ فِي ٱلسِّبَابِ . وَٱلتَّطْفِيفُ فِي كَيْلِ ٱلْجَوَابِ . وَأَيْنَ عِلْمُ ٱلشُّيُوخِ عِنْدَ جَهْلِ ٱلشَّبَابِ . أَمَا كَانَ ٱلْأَحْسَنُ بِكَ أَنْ تَتْرُكَ هٰذَا ٱلرَّفَثَ . وَتَلُمَّ أَخَاكَ عَلَى ٱلشَّعَثِ . وَتَحْلُمَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ ٱلسَّيِّدُ . وَتَرْكُوَ عَلَى ٱلْغَيْظِ كَمَا يَزْكُو عَلَى ٱلنَّارِ ٱلْجَيِّدُ . أَمَا تَعْلَمُ أَنِّي مُعِينُكَ فِي تَشْيِيدِ ٱلْمَمَالِكِ . وَرَفِيقُكَ فِيمَا تَسْلُكُهُ لِنَفْعِهَا مِنَ ٱلْمَسَالِكِ . أَمَا أَنَا وَأَنْتَ لِلْمُلْكِ كَالْيَدَيْنِ . وَفِي تَشْيِيدِهِ كَالرُّكْنَيْنِ . وَمَا أَرَاكَ عِبْتَنِي فِي ٱلْأَكْثَرِ إِلَّا بِنُحُولِ ٱلْجَسَدِ ٱلَّذِي لَيْسَ خَلْقُهُ عَلَيَّ . وَضُعْفِهِ ٱلَّذِي لَيْسَ أَمْرُهُ إِلَيَّ . عَلَى أَنَّ أَزْكَى ٱلنَّسَمَاتِ أَعَلُّهَا وَأَدْنَفُهَا . وَهٰذِهِ سَادَاتُ ٱلْعَرَبِ تَعُدُّ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِهَا ٱلْأَظْهَرِ . وَحُسْنِهَا ٱلْأَشْهَرِ . وَلَوْ أَنَّكَ تَقُولُ بِٱلْفَصَاحَةِ . وَتَقِفُ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاحَةِ . لَأَسْمَعْتُكَ فِي ذٰلِكَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ . وَأَتْحَفْتُكَ بِمَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنْ آثَارِهِمْ . فَيَا لِلّٰهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحُجَّةِ ٱلْبَائِرَةِ . وَٱلْكَرَّةِ ٱلْخَاسِرَةِ . وَعَلَى هٰذِهِ ٱلنِّسْبَةِ مَا عِبْتَنِي بِهِ مِنْ فَقْرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ . وَذُلِّ ٱلْحُكَمَاءِ . عَلَى أَنَّ إِطْلَاقَاتِ مَعْرُوفِي مَعْرُوفَةٌ . وَسَطَوَاتِ أَمْرِي فِي وُجُوهِ ٱلْأَعْدَاءِ ٱلْمَكْسُوفَةِ مَكْشُوفَةٌ . فَأَسْتَغْفِرِ ٱللّٰهَ مِمَّا فَرَطَ فِي مَقَالِكَ . وَٱلتَّفْوِيضُ مِنْ عَوَائِدِ ٱحْتِمَالِكَ . فَلَا تُشْمِتْ بِنَا ٱلْأَضْدَادَ وَلَا تُسَلِّطْ بِفُرْقَتِنَا ٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ . إِنَّ ٱللّٰهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ وَٱغْضُضِ ٱلْآنَ مِنْ خُيَلَائِكَ بَعْضَ هٰذَا ٱلْغَضِّ . وَلَا تَشُكَّ أَنِّي قَسِيمُكَ وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُهَدِّدَ . وَتُجَرِّدَ

ٱلشَّغْبَ وَتُحَدِّدَ . فَٱذْكُرْ مَحَلَّنَا فِي ٱلْيَدِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلسُّلْطَانِيَّةِ ٱلْمَلَكِيَّةِ
ٱلْمُؤَيَّدَةِ . أَيَّدَ ٱللهُ نِعَمَهَا . وَجَازَى بِٱلْإِحْسَانِ شِيَمَهَا . وَأَيْقَظَ فِي
ٱلْآجَالِ وَٱلْآمَالِ سَيْفَهَا وَقَلَمَهَا . وَلَا عَطَّلَ مَشَاهِدَ ٱلْمَدْحِ مِنْ أُنْسِهَا .
وَلَا أَخْلَى فَرَائِضَ ٱلْبَأْسِ وَٱلْكَرَمِ مِنْ قِيَامِ خَمْسِهَا . فَأَقْسَمَ مِنْ بَأْسِهِ
بِٱللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَمِنْ بِشْرِ طَلْعَتِهِ بِٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ . لَوْ تَجَاوَرَ
ٱلْأُسْدُ وَٱلظِّبَاءُ بِتِلْكَ ٱلْيَدِ لَوَرَدَا بِٱلْأَمْنِ فِي مَنْهَلٍ . وَرَتَعَا فِي
رَوْضٍ لَا يُجْهَلُ . فَمَا يَنْبَغِي لَنَا بَيْنَ تِلْكَ ٱلْأَنَامِلِ غَيْرُ سُلُوكِ ٱلْأَدَبِ .
وَٱلْمُعَاضَدَةِ عَلَى مَحْوِ ٱلْأَزَمَاتِ وَٱلنُّوَبِ . وَٱلِاسْتِقَامَةِ عَلَى ٱلْحَقِّ وَلَا
عِوَجَ . وَٱلْحَدِيثِ مِنْ تِلْكَ ٱلرَّاحَةِ عَنِ ٱلْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ . هٰذِهِ نَصِيحَتِي
إِلَيْكَ وَٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ . وَٱللهُ تَعَالَى يُطْلِعُكَ عَلَى مَعَانِي ٱلرُّشْدِ
ٱلصَّرِيحَةِ . وَيَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلْغَيِّ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَيُنْسِيكَ مَا تَقَدَّمَ
مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ذٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا . فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَكَّسَ
ٱلسَّيْفُ طَرْفَهُ وَقَبِلَ خَدِيعَةَ ٱلْقَلَمِ قَائِلًا . لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ
وَأَمْسَكَ عَنِ ٱلْمُشَاغَبَةِ خِيفَةَ ٱلزَّلَلِ . فَإِنَّ ٱلسُّيُوفَ مَعْرُوفَةٌ بِٱلْخَلَلِ .
ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا ٱلضَّعِيفُ ٱلْجَبَّارُ . ٱلْبَازِغُ فِي لَيْلِ ٱلْمِدَادِ نَجْمًا فِي ٱلنُّجُومِ
غَرَّارٌ . لَقَدْ تَظَلَّمْتَ مِنْ أَمْرٍ أَنْتَ ٱلْبَادِي بِظُلْمِهِ . وَتَسَوَّرْتَ إِلَى فَتْحِ
بَابٍ أَنْتَ ٱلسَّابِقُ إِلَى فَتْحِ خَتْمِهِ . وَقَدْ فَهِمْتُ ٱلْآنَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ
أَمْرِ ٱلْيَدِ ٱلشَّرِيفَةِ وَنِعْمَ مَا ذَكَرْتَ . وَأَحْسَنُ بِمَا أَشَرْتَ . وَمَا أَنْسَانِيهِ
إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَقَدْ تَغَافَلْتُ عَنْ قَوْلِكَ ٱلْأَحْسَنِ . وَرَدَدْتُكَ

إِلَى أُمِّكَ الدَّوَاةِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . وَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ مَحَاسِنَ تِلْكَ الْيَدِ الْعَالِيَةِ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ فَإِنَّهَا الْيَدُ الَّتِي :

لَوْ أَثَّرَ التَّقْبِيلُ فِي يَدِ مُنْعِمٍ ... لَمَحَا بَرَاجِمَ كَفِّهَا التَّقْبِيلُ

وَالرَّاحَةُ الَّتِي :

تَسْعَى الْقُلُوبُ لِغَوْثِهَا وَلِغَيْثِهَا ... فَيُجِيبُهُ التَّأْمِينُ وَالتَّأْمِيلُ

وَالْأَنَامِلُ الَّتِي عَلَّمَهَا اللهُ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ . وَمَكَّنَهَا مِنْ رُتْبَتَيِ الْعِلْمِ وَالْعَلَمِ . وَدَارَكَ بِكَرَمِهَا آمَالَ الْعُفَاةِ بَعْدَ إِنْ وَلَا وَلَمْ . وَلَوْلَا أَنَّ هٰذَا الْمِضْمَارَ يَضِيقُ عَنْ وَصْفِهِ السَّابِقِ إِلَى غَايَةِ الْخَصْلِ . وَمَجْدِهِ الَّذِي إِذَا جَرَّ ذَيْلَهُ وَدَّ الْفَضْلُ لَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْفَضْلِ . لَأَطَلْتُ الْآنَ فِي ذِكْرِ مَجْدِهَا الْأَوْضَحِ . وَأَفْصَحْتُ فِي مَدْحِهَا وَلَا يُنْكَرُ لِمِثْلِهَا أَنْ أَنْطَقَتِ الصَّامِتَ فَأَفْصَحَ . ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَزِيدِ . وَالْمُجَادَلَةِ الَّتِي عَزَّ أَمْرُهَا عَلَى الْحَدِيدِ . أَقْرَرْتَ أَنْتَ أَنَّنَا لِلْمُلْكِ كَالْيَدَيْنِ . وَلَمْ تُقِرَّ أَيُّنَا الْيَمِينُ وَفِي آفَاقِهِ كَالْقَمَرَيْنِ . وَلَمْ تَذْكُرْ إِلَيْنَا الْوَاضِحَةَ الْجَبِينِ . وَمَا يَشْفِي ضَنَايَ وَيَرْوِي صَدَايَ إِلَّا أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا مَنْ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ . وَلَا يُتَّهَمُ فَهْمُهُ . فَيَظْهَرَ أَيُّنَا الْمَفْضُولُ مِنَ الْفَاضِلِ . وَالْمَخْذُولُ مِنَ الْخَاذِلِ . وَيَقْصُرُ عَنِ الْقَوْلِ الْمُنَاظِرُ . وَيَسْتَرِيحُ الْمُنَاضِلُ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَنَا الْمَقَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَشَرْتَ إِلَى يَدِهِ الشَّرِيفَةِ . وَتَوَسَّلْتَ بِمَحَاسِنِهَا اللَّطِيفَةِ . فَإِنَّهُ مَالِكُ زِمَامِنَا . وَمُنْشِئُ غَمَامِنَا . وَمُصَرِّفُ كَلَامِنَا . وَحَامِلُ أَعْبَائِنَا . الَّذِي مَا هَوَى لِلْهَوَى وَصَاحِبُ

أَمْرِنَا وَنَهْيِنَا وَتَاللهِ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . لِيَفْصِلَ الْأَمْرَ بِحُكْمِهِ . وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ فَيَحْكُمَ بَيْنَنَا بِعِلْمِهِ . فَتَقَدَّمَ خِيرَةُ اللهِ عَلَى ذٰلِكَ الاشْتِرَاطِ . وَقُلْ بَعْدَ تَقْبِيلِنَا الْأَرْضَ لَهُ فِي ذٰلِكَ الْبِسَاطِ : خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ . وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . فَنَشِطَ الْقَلَمُ فَرَحًا . وَمَشَى فِي أَرْضِ الطِّرْسِ مَرَحًا . وَطَرِبَ لِهٰذَا الْجَوَابِ . وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . وَقَالَ : سَمْعًا وَطَاعَةً . وَشَكَرَ اللهَ عَلَى هٰذِهِ السَّاعَةِ

يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبِدِي

أَلْآنَ ظَهَرَ مَا تَبْغِيَانِ . وَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . وَحَكَمَ بَيْنَنَا الرَّأْيُ الْمُنِيرُ . وَنَبَّأَنَا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . ثُمَّ تَفَاصَلَا عَلَى ذٰلِكَ . وَتَرَاضَيَا عَلَى مَا يَحْكُمُ بِهِ الْمَالِكُ . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَانْتَبَهَ الْمَمْلُوكُ مِنْ سِنَةِ فِكْرِهِ . وَطَالِعُ بِمَا اخْتَلَجَ سَوَادَ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فِي سِرِّهِ . وَاللهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الَّتِي هِيَ نِظَامُ الْمَفَاخِرِ . وَمَقَامُ الْمَآثِرِ . وَغَوْثُ الشَّاكِي وَغَيْثُ الشَّاكِرِ . وَيُمَتِّعُ بِظِلَالِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا تَكْسِرُ الْأَيَّامُ مِقْدَارَ مَا هُوَ جَابِرٌ . وَلَا تَجْبُرُ مَا هُوَ كَاسِرٌ . إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى (خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الوردي في السيف والقلم

٤٤ لَمَّا كَانَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ عُدَّتَيِ الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَعُمْدَتَيِ الدُّوَلِ فَإِنْ عَدِمَتْهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُكْنَيْ إِسْنَادِ الْمُلْكِ الْمُعْرِبَيْنِ عَنِ

ٱلْمَخْفُوضِ وَٱلْمَرْفُوعِ . وَمُقَدِّمَتَيْ نَتِيجَةِ ٱلْعَـدْلِ ٱلصَّادِرِ عَنْهُمَا ٱلْمَحْمُولُ وَٱلْمَوْضُوعُ . فَكَّرْتُ أَيُّهُمَا أَعْظَمُ فَخْرًا . وَأَعْلَى قَدْرًا . فَجَلَسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ ٱلْحُكْمِ وَٱلْفَتْوَى . وَمَثَّلْتُهُمَا فِي ٱلْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى . وَسَوَّيْتُ بَيْنَ ٱلْخَصْمَيْنِ فِي ٱلْإِكْرَامِ . وَٱسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا لِلْكَلَامِ (فَقَالَ ٱلْقَلَمُ) : بِسْمِ ٱللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . وَٱلنَّهَـارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ بَارِي ٱلْقَلَمِ . وَمُشَرِّفِهِ بِٱلْقَسَمِ . وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ . وَجَمَّلَ ٱلْوَرَقَ بِغُصْنِهِ كَمَا جَمَّلَ ٱلْغُصْنَ بِٱلْوَرَقِ . وَٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلْقَائِلِ : جَفَّتِ ٱلْأَقْـلَامُ . فَإِنَّ ٱلْقَلَمَ قَصَبُ ٱلسِّبَاقِ . فَٱلْكَاتِبُ بِسَبْعَـةِ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ ٱلْكُتَّابِ فِي ٱلسَّبْعِ ٱلطِّبَاقِ . جَرَى بِٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ . وَنَابَ عَنِ ٱللِّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ . طَالَمَا أَرْبَى عَلَى ٱلْبِيضِ وَٱلسُّمْرِ فِي ضِرَابِهَا وَطِعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي ٱلْبُعْدِ وَٱلصَّوَارِمُ فِي ٱلْقُرْبِ مِلْءَ أَجْفَانِهَا . وَمَاذَا يُشْبِهُ ٱلْقَلَمَ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ . وَمَشْيِهِ لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَاسِـهِ . (قَالَ ٱلسَّيْفُ) : بِسْمِ ٱللهِ ٱلْخَافِضِ ٱلرَّافِعِ . وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ آيَةَ ٱلسَّيْفِ . فَعَظَّمَ بِهَا حُرْمَةَ ٱلْجَرْحِ وَآمَنَ خِيفَةَ ٱلْحَيْفِ وَٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلَّذِي نَفَذَ بِٱلسَّيْفِ سُطُورَ ٱلطُّرُوسِ . وَأَخْدَمَهُ ٱلْأَقْلَامَ مَاشِيَةً عَلَى ٱلرُّؤُوسِ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ٱلَّذِينَ أُرْهِفَتْ سُيُوفُهُمْ . وَبُنِيَتْ بِهَا عَلَى كَسْرِ ٱلْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ . فَإِنَّ ٱلسَّيْفَ عَظِيمُ ٱلدَّوْلَةِ . شَدِيدُ ٱلصَّوْلَةِ . مَحَا أَسْطَارَ ٱلْبَلَاغَةِ . وَأَسَاغَ مَمْنُوعَ ٱلْإِسَاغَةِ . مَنِ ٱعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِهِ

فِي قَهْرِ ٱلْأَعْدَاءِ تَعَبَ • وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ • فَإِنْ كَانَ ٱلْقَلَمُ شَاهِدًا فَٱلسَّيْفُ قَاضِي • وَإِنِ ٱقْتَرَبَتْ مُجَادَلَتُهُ بِأَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ قَطَعَهُ ٱلسَّيْفُ بِفِعْلٍ مَاضِي • بِهِ ظَهَرَ ٱلدِّينُ • وَهُوَ ٱلْعُدَّةُ لِقَمْعِ ٱلْمُعْتَمِدِينَ • حَمَلَتْهُ دُونَ ٱلْقَلَمِ يَدُ نَبِيِّنَا • فَشَرُفَ بِذَٰلِكَ فِي ٱلْأُمَمِ شَرَفًا بَيِّنًا • ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ • وَلَاسِيَّمَا حِينَ يُسَلُّ فَتَرَى وَدْقَ ٱلدَّمِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ • زُيِّنَتْ بِزِينَةِ ٱلْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غِمْدِهِ • وَصَدَقَ ٱلْقَائِلُ: ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنْ ضِدِّهِ • لَا يَعْبَثُ بِهِ ٱلْخَامِلُ • وَلَا يَتَنَاوَلُهُ كَٱلْقَلَمِ بِأَطْرَافِ ٱلْأَنَامِلِ • مَا هُوَ كَٱلْقَلَمِ ٱلْمُشَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُّوا عَنْ لُبُوسِهِمْ • ثُمَّ نُكِّسُوا كَمَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ • فَكَأَنَّ ٱلسَّيْفَ خَالِقٌ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ • أَوْ كَوْكَبٍ رَاشِقٍ • مُقَدَّرًا فِي ٱلسَّرْدِ • فَهُوَ ٱلْجَوْهَرُ ٱلْفَرْدُ • لَا يُشْرَى كَٱلْقَلَمِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ • وَلَا يَبْلَى كَمَا يَبْلَى ٱلْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطَمْسٍ • كَمْ لِقَائِمِهِ ٱلْمُنْتَظَرِ • مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ • فَهُوَ فِي جِرَابِ ٱلْقَوْمِ قِوَامُ ٱلْحَرْبِ • وَلِهٰذَا جَاءَ مَطْبُوعَ ٱلشَّكْلِ دَاخِلَ ٱلضَّرْبِ • (قَالَ ٱلْقَلَمُ) : أَوَ مَنْ يَنْشَأُ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ • يُفَاخِرُ وَهُوَ ٱلْقَائِمُ عَنِ ٱلشِّمَالِ ٱلْجَالِسُ عَلَى ٱلْيَمِينِ • أَنَا ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلرِّيِّ وَأَنْتَ ٱلْمَخْصُوصُ بِٱلصَّدَى • أَنَا آلَةُ ٱلْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ ٱلرَّدَى • مَا لِنْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ ٱلسَّعِيرِ • وَمَا حُدِدْتَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ • أَنْتَ تَنْفَعُ فِي ٱلْعُمْرِ سَاعَةً • وَأَنَا أُفْنِي ٱلْعُمْرَ فِي ٱلطَّاعَةِ • أَنْتَ لِلرَّهَبِ • وَأَنَا لِلرَّغَبِ • وَإِذَا كَانَ بَصَرُكَ حَدِيدًا فَبَصَرِي مَاءُ ذَهَبٍ • أَيْنَ

تقليدك من اجتهادي . وأين نجاسة دمك من تطهير مدادي . (قال السيف) : أمثلك يعير مثلي بالدماء . فطالما أمرت بعض فراخي وهي السكين . فأصبحت من النفاثات في عقدك يا مسكين . فأخلت من الحياة جثمانك . وشققت أنفك وقطعت لسانك . ويك إن كنت للديوان فحاسب مهموم . أو للإنشاء فخادم لمخدوم . أو للتبليغ فساحر مذموم . أو للفقيه فناقص في المعلوم . أو للشاعر فسائل محروم . أو للشاهد فخائف مسموم . أو للمعلم فللحي القيوم . وأما أنا فلي الوجه الأزهر . والحلية والجوهر . والهيبة إذا أشهر . والصعود على المنبر . شكلي الحسن علي . وإنما حملك الحطب بدلي . ثم إني مملوك كمالك . فإنك كناسك . أسلك الطرائق . وأقطع العلائق . (قال القلم) : أما أنا فابن ماء السماء . وأليف الغدير وحليف الهواء . وأما أنت فابن النار والدخان . وباتر الأعمار وخوان الإخوان . تفصل ما لا يفصل . وتقطع ما أمر الله به أن يوصل . لا جرم ثمر السيف وصقل قفاه . وسقي ماء حميما فقطع معاه . يا غراب البين . ويا عدة الحين . ويا معتل العين . ويا ذا الوجهين . كم أفنيت وأعدمت . وأرملت وأيتمت . (قال السيف) : يا ابن الطين . ألست صامدا وأنت بطين . كم جريت بعكس . وتصرفت في مكس . وزورت وحرفت . ونكرت وعرفت . وسطرت هجوا وشتما . وخلدت عارا وذما . أبشر بفرط روعتك . وشدة خيفتك . إذا قست بياض

صَفيحَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ. فَأَلِنْ خِطَابَكَ فَأَنتَ قَصِيرُ ٱلْمُدَّةِ. وَأَحسِنْ جَوَابَكَ فَعِنْدِي حِدَّةٌ. وَأَقْلِلْ مِنْ غِلَظَتِكَ وَجَبْهِكَ. وَٱشْتَغِلْ عَنْ دَمٍ فِي وَجْهِي بِحِدَّةٍ فِي وَجْهِكَ. وَإِلَّا فَأَدْنَى ضَرْبَةٍ مِنِّي تَرُومُ أُرُومَتَكَ. تَستَأْصِلُ أَصْلَكَ وَتَجْتَثُّ جُرْثُومَتَكَ. فَسَقْيًا لِمَنْ غَابَ بِكَ عَنْ غَابِكَ. وَرَعْيًا لِمَنْ أَهَابَ بِكَ لِسَلْخِ إِهَابِكَ. (فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَلَمُ) ٱلسَّيْفَ قَدِ ٱحْتَدَّ. أَلَانَ لَهُ مِنْ خِطَابِهِ مَا ٱشْتَدَّ. وَقَالَ: أَمَّا ٱلْأَدَبُ فَيُؤْخَذُ عَنِّي. وَأَمَّا ٱللُّطْفُ فَيُكْتَسَبُ مِنِّي. فَإِنْ لِنْتَ لِنْتُ. وَإِنْ أَحسَنْتَ أَحسَنْتُ. نَحْنُ أَهْلُ ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ. وَلِهٰذَا تُجْمَعُ فِي ٱلدَّوَاةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنَّا جَمَاعَةٌ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهْلُ ٱلْحِدَّةِ وَٱلْخِلَافِ. وَلِهٰذَا لَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ سَيْفَيْنِ فِي غِلَافٍ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): مَكْرًا وَدَعْوَى عِفَّةٍ. لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ لَوْ كُنْتَ كَمَا زَعَمْتَ ذَا أَدَبٍ. لَمَا قَابَلْتَ رَأْسَ ٱلْكَاتِبِ بِعُقْدَةِ ٱلذَّنَبِ. أَنَا ذُو ٱلصِّيتِ وَٱلصَّوْتِ. وَغِرَارَايَ لِسَانَا مَشْرَفِيٍّ يَرْتَجِلُ غَرَائِبَ ٱلْمَوْتِ. أَنَا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. وَٱلْقَلَمُ مِنْ صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ. وَإِذَا زَعَمَ ٱلْقَلَمُ أَنَّهُ مِثْلِي أَمَرْتُ مَنْ يَدُقُّ رَأْسَهُ بِنَعْلِي. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): صَهْ فَصَاحِبُ ٱلسَّيْفِ بِلَا سَعَادَةٍ كَٱلْأَعْزَلِ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): مَهْ فَقَلَمُ ٱلْبَلِيغِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلٌ. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): أَنَا أَزْكَى وَأَطْهَرُ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): أَنَا أَبْهَى وَأَبْهَرُ. فَتَلَا (ذُو ٱلْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ. فَتَلَا (صَاحِبُ ٱلسَّيْفِ) لِسَيْفِهِ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ. فَتَلَا (ذُو ٱلْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ. (قَالَ): أَمَا وَكِتَابِي

ٱلْمَسْطُورِ. وَبَيْتِي ٱلْمَعْمُورِ. وَٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ. وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلتَّبْجِيلِ.
إِنْ لَمْ تَكُفَّ عَنِّي غَرْبَكَ وَتُبْعِدْ مِنِّي قُرْبَكَ. لَأَكْتُبَنَّكَ مِنَ ٱلصُّمِّ
ٱلْبُكْمِ. وَلَأَسْطُرَنَّ عَلَيْكَ بِعِلْمِي سِجِلًّا بِهٰذَا ٱلْحُكْمِ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ):
أَمَا وَمَتْنِيَ ٱلْمَتِينِ. وَفَتْحِيَ ٱلْمُبِينِ وَلِسَانِيَ ٱلرَّطْبَيْنِ وَوَجْهِيَ ٱلصُّلْبَيْنِ.
إِنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَأُسَخِّمَنَّ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَقَدْ
كَسَبْتَ مِنَ ٱلْأَسَدِ فِي ٱلْغَابَةِ. تَوْقِيحَ ٱلْعَيْنِ وَٱلصَّلَابَةِ. مَعَ أَنِّي مَا
أَلَوْتُكَ نُصْحًا. أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): سَلِّمْ إِلَيَّ
مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ.
وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ
أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَغْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا
أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ ٱلسَّيْفُ): كَيْفَ لَا
أُفَضِّلُكَ وَٱلْمَقَرُّ ٱلْفُلَانِيُّ شَادٌّ أَزْرِي. (قَالَ ٱلْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أُفَضِّلُكَ
وَهُوَ عِزُّ نَصْرِي وَوَلِيُّ أَمْرِي

(قَالَ ٱلْحَكَمُ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْحُجَّتَيْنِ
نَاهِضَتَيْنِ. وَٱلْبَيِّنَتَيْنِ بِبَيِّنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هٰذَا ٱلْمَقَرِّ ٱلْكَرِيمِ. وَرِوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ
ٱلْقَدِيمِ. لَطَّفْتُ ٱلْوَسِيلَةَ. وَدَقَّقْتُ ٱلْحِيلَةَ. حَتَّى رَدَدْتُّ ٱلْقَلَمَ إِلَى
كِنِّهِ. وَأَغْمَدْتُّ ٱلسَّيْفَ فَنَامَ مِلْءَ جَفْنِهِ. وَأَخَّرْتُ بَيْنَهُمَا ٱلتَّرْجِيحَ.
وَسَكَتُّ عَمَّا هُوَ عِنْدِيَ ٱلصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ ٱلْمَقَرُّ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيُسْكِنَ

سَوْرَةَ غَضَبِهِمَا ٱلْوَافِرِ وَلَجَاجِهِمَا ٱلْمَدِيدِ بِبَسِيطِ حِلْمِهِ . وَيُعَامِلُهُمَا بِمَا وَقَرَ فِي صَدْرِهِ مِنَ ٱلْوَقَارِ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ ٱلسَّكِينَةِ . وَإِذَا كَانَ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ مَالِكُنَا فَلَا يُفْتَى وَمَالِكٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ

مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

٤٥ هذا ما تراجع فيه المهديّ ووزراؤُهُ وما دار بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان أيّام تحاملت عليهم العمّال واعتفت . فحملتهم الدالّة وما تقدّم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمّال والتووا بما عليهم من الخراج . وحمل المهديّ ما يُحبّ من مصلحتهم ويكره من عنتهم على أن أقال عثرتهم واغتفر زلّتهم . واحتمل دالّتهم تطوُّلًا بالفضل واتساعًا بالعفو وأخذًا بالحجّة ورفقًا بالسياسة . ولذلك لم يزل مذ حمّله الله أعباء الخلافة وقلّده أُمور الرعيّة رفيقًا بمدار سلطانه بصيرًا باهل زمانه باسطًا للعدلة في رعيّته تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هَوَدةٌ ولا إغضاءٌ ولا مداهنةٌ اثرةً للحقّ وقيامًا بالعدل وأخذا بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه أن كسروا الخراج وطردوا العمّال وسألوا ما ليس لهم من الحقّ . ثمّ خلطوا احتجاجًا باعتذارٍ وخصومةً باقرارٍ وتنصُّلًا باعتلالٍ . فلمّا انتهى ذلك الى المهديّ خرج الى مجلس خلائه وبعث الى نفرٍ من لحمته ووزرائه فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعيّة . ثمّ أمر الموالي بالابتداء وقال للعبّاس بن محمدٍ : أي عمّ تعقّب قولنا وكن حكمًا بيننا . وأرسل الى ولديه موسى وهارون فاحضرهما الأمر وشاركهما في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم في كتابٍ

(فَقَالَ سَلَّامٌ صَاحِبُ ٱلْمَظَالِمِ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً ٱسْتَفْرَغَتْ رَأْيَهُمْ وَٱسْتَغْرَقَتْ أَشْغَالَهُمْ وَٱسْتَنْفَدَتْ أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ . وَلِهٰذِهِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَطُلِبَتْ مَعُونَتُنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْحَرْبِ وَسَاسَةِ ٱلْأُمُورِ وَقَادَةِ ٱلْجُنُودِ وَفُرْسَانِ ٱلْهَزَاهِزِ وَإِخْوَانِ ٱلتَّجَارِبِ وَأَطْفَالِ ٱلْوَقَائِعِ ٱلَّذِينَ رَشَحَتْهُمْ سِجَالُهَا . وَفَيَّأَتْهُمْ ظِلَالُهَا .

وعقتهم شدائدها . وقرمتهم نواجذها . فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد أمرك . وتجارب توافق نظرك . وأحاديث تقوي قلبك . فأما نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من أمانتك . وشغلتنا به من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك . (فأجابه المهدي) : إن في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيرا يبطل الآخر الأول ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا . (قال) : نعم أيها المهدي أنت متسع الرأي وثيق العقدة . قوي المنة بليغ الفطنة . معصوم النية محضور الروية . مؤيد البديهة موفق العزيمة . معان بالظفر مهدي إلى الخير . إن هممت ففي عزمك مواقع الظن . وإن اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك . فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك . وقل ينطق الله بالحق لسانك . فإن جنودك جمة وخزائنك عامرة . ونفسك سخية وأمرك نافذ . (فأجابه المهدي) : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأي ولا يتفيل معهما حزم . فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم فإني من ورائكم وتوفيق الله من وراء ذلك . (قال الربيع) : أيها المهدي إن تصاريف وجوه الرأي كثيرة . وإن الإشارة ببعض معاريض القول يسيرة . ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة . متراخية الشقة . متفاوتة السبيل . فإذا ارتأيت من محكم التدبير ومبرم

ٱلتَّقْدِيرِ وَلُبَابِ ٱلصَّوَابِ رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظَرُكَ وَقَلَّبَهُ تَدْبِيرُكَ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبُ طَاعِنٍ وَلَا دُونَهُ مُعَلَّقٌ لِخُصُومَةِ عَائِبٍ . ثُمَّ أَجِبَتِ ٱلْبُرُدُ بِهِ وَٱنْطَوَتِ ٱلرُّسُلُ عَلَيْهِ كَانَ بِٱلْحَرِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ . وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ . فَٱلسِّرُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ ٱلرُّسُلُ وَتَرِدَ عَلَيْكَ ٱلْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ . تُحْدِثُ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِعُ تَدْبِيرًا سِوَاهُ . قَدِ ٱنْفَرَجَتِ ٱلْحَلَقُ وَتَحَلَّلَتِ ٱلْعُقَدُ وَٱسْتَرْخَى ٱلْحِقَانُ وَٱمْتَدَّ ٱلزَّمَانُ . ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعُ ٱلْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ ٱلْأُولَى . وَلَكِنِ ٱلرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَكَ ٱللهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَةَ ٱلنَّظَرِ وَتَقْلِيبَ ٱلْفِكْرِ فِيمَا جَمَعْتَنَا لَهُ وَٱسْتَشَرْتَنَا فِيهِ . مِنَ ٱلتَّدْبِيرِ لِحَرْبِهِمْ وَٱلْحِيَلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى ٱلطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ . وَعَقْلٍ كَامِلٍ . وَوَرَعٍ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوًى فِي سِوَاكَ . وَلَا مُتَّهَمًا فِي أَثَرَةٍ عَلَيْكَ وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلَةٍ مَكْرُوهَةٍ . وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بِدْعَةٍ مَحْذُورَةٍ . فَيَقْدَحَ فِي مُلْكِكَ وَيُرَبِّضَ ٱلْأُمُورَ لِغَيْرِكَ . ثُمَّ تُسْنِدُ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ وَتُفَوِّضُ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ بِلُزُومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ ٱلْحَزْمُ وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ ٱلرَّأْيُ عَنِ ٱسْتِحَالَةِ ٱلْأُمُورِ وَٱشْتِدَادِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلَّتِي يُنْقَضُ أَمْرُ ٱلْغَائِبِ عَنْهَا وَيَثْبُتُ رَأْيُ ٱلشَّاهِدِ لَهَا . فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَٰلِكَ فَوَاثَبَ أَمْرَهُمْ مِنْ قَرِيبٍ وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ تَمَّتِ ٱلْحِيلَةُ وَقَوِيَتِ ٱلْمَكِيدَةُ . وَنَفَذَ ٱلْعَمَلُ وَأُحِدَّ ٱلنَّظَرُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ . (قَالَ ٱلْفَضْلُ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ

وَلِيَّ ٱلْأُمُورِ وَسَائِسَ ٱلْحُرُوبِ رُبَّمَا نَحَّى جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ مَا ضَيَّقَ أَمْرَ حَرْبِهِ وَلَا ضَغْطَةَ حَالِ ٱضْطِرَارِهِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَبَعْدَ ٱلتَّفْرِقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقِدًا لَهَا لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ . وَلَا يَصُولُ بِعُدَّةٍ وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ . فَٱلرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَكَ ٱللَّهُ أَنْ تُعْفِيَ خَزَائِنَكَ مِنَ ٱلْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودَكَ مِنْ مُكَابَدَةِ ٱلْأَسْفَارِ وَمُقَارَعَةِ ٱلْخِطَارِ وَتَغْرِيرِ ٱلْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعْ لِلْقَوْمِ فِي ٱلْإِجَابَةِ إِلَى مَا يَطْلُبُونَ وَٱلْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيَفْسُدَ عَلَيْكَ أَدَبُهُمْ وَتَجْرِيءُ مِنْ رَعِيَّتِكَ غَيْرَهُمْ . وَلَكِنِ ٱغْزُهُمْ بِٱلْحِيلَةِ وَقَاتِلْهُمْ بِٱلْمَكِيدَةِ وَصَارِعْهُمْ بِٱللِّينِ وَخَاتِلْهُمْ بِٱلرِّفْقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِٱلْقَوْلِ وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمْ بِٱلْفِعْلِ . وَٱبْعَثِ ٱلْبُعُوثَ وَجَنِّدِ ٱلْجُنُودَ وَكَتِّبِ ٱلْكَتَائِبَ وَٱعْقِدِ ٱلْأَلْوِيَةَ وَٱنْصِبِ ٱلرَّايَاتِ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوَجِّهٌ إِلَيْهِمِ ٱلْجُيُوشَ مَعَ أَحْنَقِ قُوَّادِكَ عَلَيْهِمْ وَأَسْوَئِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ ٱدْسُسِ ٱلرُّسُلَ وَٱبْثُثِ ٱلْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعِيدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ وَأَشْبَاهِهِ نِيرَانَ ٱلتَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَٱغْرِسْ أَشْجَارَ ٱلتَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى تَمْلَأَ ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِيَ ٱلصُّدُورُ عَلَى ٱلْبِغْضَةِ وَيَدْخُلَ كُلًّا مِنْ كُلٍّ ٱلْحَذَرُ وَٱلْهَيْبَةُ . فَإِنَّ مَرَامَ ٱلظَّفَرِ بِٱلْغِيلَةِ . وَٱلْقِتَالَ بِٱلْحِيلَةِ . وَٱلْمُنَاهَبَةَ بِٱلْكُتُبِ وَٱلْمُكَايَدَةَ بِٱلرُّسُلِ . وَٱلْمُقَارَعَةَ بِٱلْكَلَامِ ٱللَّطِيفِ ٱلْمَدْخَلِ فِي ٱلْقُلُوبِ ٱلْقَوِيِّ ٱلْمَوْقِعِ مِنَ ٱلنُّفُوسِ ٱلْمَعْقُودِ بِٱلْحُجَجِ ٱلْمَوْصُولِ بِٱلْحِيَلِ ٱلْمَبْنِيِّ عَلَى ٱللِّينِ ٱلَّذِي يَسْتَمِيلُ ٱلْقُلُوبَ وَيَسْتَرِقُّ

ٱلعقول وٱلآراء. ويستميل ٱلأهواء. ويستدعي ٱلمؤاتاة أنفذ من ٱلقتال بظبات ٱلسيوف وأسنة ٱلرماح. كما أن ٱلوالي ٱلذي يستنزل طاعة رعيته بٱلحيل ويفرق كلمة عدوه بٱلمكايدة أحكم عملًا وألطف منظرًا وأحسن سياسة من ٱلذي لا ينال ذلك إلا بٱلقتال وٱلإتلاف للأموال وٱلتغرير وٱلخطار. وليعلم ٱلمهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلًا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقواد غششة إن ائتمنهم استنفدوا ماله وإن استنصحهم كانوا عليه لا له. (قال ٱلمهدي) : هذا رأي قد أسفر نوره وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون ويجسد حقه في ٱلقلوب. ولكن فوق كل ذي علم عليم. ثم نظر إلى ٱبنه علي. فقال: ما تقول. (قال علي) : أيها ٱلمهدي إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحدًا يقدح في تغيير ملكك ويربض ٱلأمور لفساد دولتك. ولو فعلوا لكان ٱلخطب أيسر وٱلشأن أصغر. وٱلحال أذل لأن ٱلله مع حقه ٱلذي لا يخذله وعند موعده ٱلذي لا يخلفه. ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك ٱلذين جعلك ٱلله عليهم واليًا. وجعل ٱلعدل بينك وبينهم حاكمًا. طلبوا حقًا وسألوا إنصافًا. فإن أجبت إلى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق أطعت أمر ٱلرب. وأطفأت نائرة ٱلحرب. ووفرت خزائن ٱلمال. وطرحت تغرير ٱلقتال. وحمل

ٱلنَّاسُ مَحْمِلَ ذٰلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَجِيَّةِ حِلْمِكَ وَإِسْجَاحِ خَلِيقَتِكَ وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ • فَأَمِنْتُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضُعْفٍ وَأَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ فِيمَا بَقِيَ دُرْبَةً • وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ٱعْتَدَلَتْ بِكَ وَبِهِمِ ٱلْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مَيْدَانِ ٱلْخِطَابِ • فَمَا أَرَبُ ٱلْمَهْدِيِّ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقِرِّينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْعِنِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَخْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى ٱلْجِيلِ مَعَهُمْ • ثُمَّ يُجَازِيهِمِ ٱلسُّوءَ فِي حَدِّ ٱلْمُقَارَعَةِ وَمِضْمَارِ ٱلْمُخَاطَرَةِ • أَيُرِيدُ ٱلْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ ٱللهُ ٱلْأَمْوَالَ فَلَعَمْرِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَظْفَرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقِ أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يَطْلُبُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافِ مَا يَدَّعِي قِبَلَهُمْ • وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِحَرَائِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ • ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ وَبِهِ يُعْرَفُ مِنَ ٱلْجُودِ ٱلَّذِي طَبَعَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ • فَإِنْ قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ : هٰذَا رَأْيٌ مُسْتَقِيمٌ سَدِيدٌ فِي أَهْلِ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِينَ شَكَوْا ظُلْمَ عُمَّالِنَا وَتَحَامُلَ وُلَاتِنَا • فَأَمَّا ٱلْجُنُودُ ٱلَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاثِيقَ ٱلْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ ٱلْإِرْجَافِ وَفَتَحُوا بَابَ ٱلْمَعْصِيَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ ٱلْفِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ نَكَالًا لِغَيْرِهِمْ وَعِظَةً لِسِوَاهُمْ • فَيَعْلَمَ ٱلْمَهْدِيُّ أَنَّهُ لَوْ أُتِيَ بِهِمْ مَغْلُولِينَ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ • ثُمَّ ٱتَّسَعَ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ • وَلِإِقَالَةِ عَثْرَتِهِمْ صَفْحُهُ • وَٱسْتَبْقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ حَرْبِهِ أَوْ لِمَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِ لَمَا كَانَ بِدْعًا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَنْكَرًا مِنْ نَظَرِهِ • لَقَدْ عَلِمَتِ

ٱلْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدُّهُمْ وَقْعًا وَأَصْدَقُهُمْ صَوْلَةً ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَكَاءَدُهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ ٱلذَّنْبُ وَجَلَّ ٱلْخَطْبُ . فَٱلرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ ٱللهُ أَنْ يُحِلَّ عُقَدَهُمُ ٱلْغَيْظَ بِٱلرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِ ٱللهِ فِي ٱلْعَفْوِ عَنْهُمْ . وَأَنْ يَذْكُرَ أَوْلَى حَالَاتِهِمْ وَضَيْعَةَ عِيَالَاتِهِمْ بِرًّا بِهِمْ وَتَوَسُّعًا لَهُمْ . فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ ٱلَّذِينَ بِعِزَّتِهِمْ يَصُولُ وَبِحُجَّتِهِمْ يَقُولُ . وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ مَسَاخِطِهِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَٱنْطَوَوْا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ . وَمَثَلُهُ فِي قِلَّةِ مَا غَيَّرَ ذٰلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نُقِلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ بِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ عَارِضٌ وَلَهْوٌ حَادِثٌ فَنَهَضَ إِلَى أَخِيهِ بِٱلْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِٱلْمَكْرُوهِ . فَلَمْ يَزْدَدْ أَخُوهُ إِلَّا رِقَّةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَٱحْتِيَالًا لِمُدَاوَاةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةِ حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَبِرًّا بِهِ وَمَرْحَمَةً لَهُ . (فَقَالَ ٱلْمَهْدِيُّ :) أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ كَوَى سِمَتَ ٱللِّبَانِ . وَفَضَّ ٱلْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ . وَلِكُلٍّ بِنَا مُسْتَقَرٌّ . فَقَالَ : مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى ٱبْنَهُ) . (فَقَالَ مُوسَى :) أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حَلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ ٱلْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَأَنْتَ تَرَى ٱلدِّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ . ٱلْحَالُ مِنَ ٱلْقَوْمِ يُنَادِي بِمُضْمَرَةِ شَرٍّ وَخَفِيَّةِ حِقْدٍ . قَدْ جَعَلُوا ٱلْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَٱتَّخَذُوا ٱلْعِلَلَ مِنْ دُونِهَا حِجَابًا . رَجَاءَ أَنْ يُدَافِعُوا ٱلْأَيَّامَ بِٱلتَّأْخِيرِ وَٱلْأُمُورَ بِٱلتَّطْوِيلِ فَيَكْسِرُوا حِيَلَ ٱلْمَهْدِيِّ فِيهِمْ وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ . حَتَّى يَتَلَاحَمَ أَمْرُهُمْ

وَتَتَلَاحَقَ مَادَّتُهُمْ وَتَسْتَفْحِلَ حَرْبُهُمْ وَتَسْتَمِرَّ الْأُمُورُ بِهِمْ . وَالْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ عِزَّةٍ وَلِبَاسِ أَمَنَةٍ قَدْ فَتَرَ لَهَا وَأَنِسَ بِهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا . وَلَوْلَا مَا اجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ وَالْإِضْمَارِ لِلْقِرَاعِ عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ أَوْ شَيْطَانِ فَسَادٍ لَرَهِبُوا عَوَاقِبَ أَخْبَارِ الْوُلَاةِ . وَغِبَّ سُكُونِ الْأُمُورِ فَلْيَشْدُدِ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللّٰهُ إِزْرَهُ لَهُمْ وَيُكَتِّبْ كَتَائِبَهُ نَحْوَهُمْ وَلْيَضَعِ الْأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فِيهِمْ . وَلْيُوقِنْ أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ خُطَّةً يُرِيدُ بِهَا صَلَاحَهُمْ إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فَسَادِهِمْ وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ وَسَبَبًا لِفَسَادِ مَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنَ الْجُنُودِ . وَمَنْ بِبَابِهِ مِنَ الْوُفُودِ . الَّذِينَ إِنْ أَقَرَّهُمْ وَتِلْكَ الْعَادَةُ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذٰلِكَ الْأَرَبِ . لَمْ يَبْرَحْ فِي فَتْقٍ حَادِثٍ وَخِلَافٍ حَاضِرٍ . لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينٌ وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا . وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ بِغَيْرِ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ وَاسْتِمْرَارِ الدُّرْبَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذٰلِكَ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ الْمُفْرِطَةِ وَالْمَؤُونَةِ الشَّدِيدَةِ . وَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ اللّٰهُ أَنْ لَا يُقِيلَ عَثْرَتَهُمْ وَلَا يَقْبَلَ مَعْذِرَتَهُمْ حَتَّى تَطَأَهُمُ الْجُيُوشُ وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ . وَيَسْتَحِرَّ بِهِمِ الْقَتْلُ وَيُحْدِقَ بِهِمِ الْمَوْتُ . وَيُحِيطَ بِهِمِ الْبَلَاءُ وَيُطْبِقَ عَلَيْهِمِ الذُّلُّ . فَإِنْ فَعَلَ الْمَهْدِيُّ بِهِمْ ذٰلِكَ كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةِ سُوءٍ فِيهِمْ . وَهَزِيمَةً لِكُلِّ عَادَةِ سُوءٍ فِيهِمْ . وَاحْتِمَالُ الْمَهْدِيِّ فِي مَؤُونَةِ غَزْوَتِهِمْ هٰذِهِ تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةً

(قَالَ الْمَهْدِيُّ) : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَاحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ . (فَقَالَ

ٱلعبَّاسُ بْنُ مُحمَّدٍ) : أيُّهَا ٱلْمهدِيُّ أمَّا ٱلْموَالِي فأَخذُوا بِفُرُوعِ ٱلرَّأْيِ وَسَلكُوا جنَبَاتِ ٱلصَّوَابِ وتَعَدَّوْا أُمورًا قصَّرَ بنَظرِهِمْ عنهَا أنَّه لَمْ تأْتِ تجَارِبهُمْ عَلَيهَا . (وَأمَّا ٱلفضلُ) فَأشارَ بِالأَموالِ أنْ لا تُنفقَ . وَٱلْجنُودِ أنْ لَا تُفرَّقَ . وبِأنْ لا يُعطِيَ ٱلقَوْمَ مَا طَلبُوا ولَا يَبذُلَ لهم مَا سَألُوا . وجَاءَ بِأمرٍ بيْنَ ذٰلكَ ٱستِصغَارًا لِأمرِهِمْ وَٱستِهانَةً بِحرْبِهِم وإنَّمَا يَهِيجُ جسِيمَاتِ ٱلأُمورِ صِغَارُهَا . (أمَّا عَلِيٌّ) فَأشَارَ بِاللِّينِ وأفرَدَ ٱلرِّفقَ وَإذَا جرَّدَ ٱلوَالِي لِمَنْ غَمطَ أمرَهُ وسَفهَ حقَّهُ ٱللِّينَ بحتًا وَٱلْخيرَ مَحضًا لَمْ يَخلِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعطِفُ ٱلقُلُوبَ عَلَى لِينِهِ وَلَا بشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إلَى خيرِهِ . فَقَدْ مَلَّكهُمُ ٱلْخلْعَ لِعُذرِهِمْ ووسَّعَ لهمُ ٱلفُرجةَ لِثَنْيِ أعْنَاقِهِمْ . فَإنْ أجَابُوا دعوَتَهُ وَقبِلُوا لِينَهُ مِنْ غَيرِ خَوفٍ ٱضطَرَّهُمْ وَلا شِدَّةٍ وَنَزْوَةٍ فِي رؤُوسِهِم يَستَدعُونَ بِهَا ٱلبَلَاءَ إلَى أنفُسِهِمْ . وَيَستَصرِخُونَ بِهَا رَأْيَ ٱلْمهدِيِّ فِيهِمْ . وَإنْ لَمْ يَقبَلُوا دَعوَتَهُ وَيُسرِعُوا لِإجَابَتِهِ بِاللِّينِ ٱلْمحضِ وَٱلْخيرِ ٱلصُّرَاحِ فَذٰلِكَ مَا عَلَيْهِ ٱلظَّنُّ بِهِمْ وَٱلرَّأْيُ فِيهِمْ وَمَا قَدْ يُشبِهُ أنْ يَكُونَ مِنْ مِثلِهِمْ . لِأنَّ ٱللَّهَ تعَالَى خَلقَ ٱلْجنَّةَ وَجعَلَ فِيهَا مِنَ ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ وَٱلْملْكِ ٱلْكبِيرِ مَا لَا يَخطُرُ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ . وَلَا تَدرِكُهُ ٱلفِكرُ وَلَا تعلَمُهُ نَفسٌ . ثُمَّ دَعَا ٱلنَّاسَ إلَيهَا وَرغَّبهُمْ فِيهَا . فَلَولَا أنَّهُ خَلقَ نَارًا جَعلَهَا لَهُمْ رَحمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إلَى ٱلْجنَّةِ لَمَا أجَابُوا وَلَا قَبِلُوا . (وَأمَّا مُوسَى) فَأشَارَ بِأنْ يَعصِبُوا بِشِدَّةٍ لَا لِينَ فِيهَا وَأنْ يَرمُوا بِشَرٍّ لَا خَيرَ مَعهُ . وَإذَا أضمَرَ ٱلوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ

ٱلْخَوْفَ مُفْرَدًا وَٱلشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا لِينٌ يَثْنِيهِمْ ٱشْتَدَّتِ ٱلْأُمُورُ بِهِمْ وَٱنْقَطَعَتِ ٱلْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ . إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ ٱلْحَمِيَّةُ مِنَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلْأَنَفَةُ مِنَ ٱلذِّلَّةِ وَٱلِٱمْتِعَاضُ مِنَ ٱلْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ ذَٰلِكَ إِلَى ٱلتَّمَادِي فِي ٱلْخِلَافِ وَٱلِٱسْتِبْسَالِ فِي ٱلْقِتَالِ وَٱلِٱسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ . وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِٱلْكُرْهِ وَيُذْعِنُوا بِٱلْقَهْرِ عَلَى بِغْضَةٍ لَازِمَةٍ وَعَدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ تُورِثُ ٱلنِّفَاقَ وَتُعْقِبُ ٱلشِّقَاقَ . فَإِذَا أَمْكَنَتْهُمْ فُرْصَةٌ أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبَ وَأَغْلَظَ وَأَشَدَّ مِمَّا كَانَ . (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي ٱلْفَضْلِ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ أَكْفَى دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ وَأَبْيَنُ خَبَرٍ . بِأَنْ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَهُ وَحَزَمَ نَظَرَهُ عَلَى ٱلْإِرْشَادِ بِبَعْثَةِ ٱلْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوْجِيهِ ٱلْبُعُوثِ نَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ ٱلْعَدْلِ . (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): ذَٰلِكَ رَأْيٌ . (قَالَ هَارُونُ) : خَلَطْتَ ٱلشِّدَّةَ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ بِٱللِّينِ . وَٱنْتَظَمَ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا بِٱلدِّينِ . فَصَارَتِ ٱلشِّدَّةُ أَمَرَّ فِطَامٍ لِمَا تَكْرَهُ وَعَادَ ٱللِّينُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا تُحِبُّ . وَلَٰكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَٰلِكَ . (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ): لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا بَدِيعًا . وَخَالَفْتَ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا . وَٱلْمَرْءُ مُؤْتَمَنٌ بِمَا قَالَ وَظَنِينٌ بِمَا ٱدَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ فَٱخْرُجْ عَمَّا قُلْتُ . (قَالَ هَارُونُ) : أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ إِنَّ ٱلْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَٱلْأَعَاجِمُ قَوْمٌ مَكَرَةٌ . وَرُبَّمَا ٱعْتَدَلَتِ ٱلْحَالُ بِهِمْ وَٱتَّفَقَتِ ٱلْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ . فَكَانَ بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ . وَرُبَّمَا ٱفْتَرَقَتِ ٱلْحَالَانِ وَخَالَفَ

الْقَلْبُ اللِّسَانَ فَانْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوبَةٍ تَبْطَنُ . وَاسْتَتَرَ بِمَدْخُولَةٍ لَا تُعْلَنُ . وَالطَّبِيبُ الرَّفِيقُ بِطِبِّهِ الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ الْعَالِمُ بِمَقْدَمِ يَدِهِ وَمَوْضِعِ مِيسَمِهِ لَا يَتَعَجَّلُ بِالدَّوَاءِ حَتَّى يَقَعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ اللَّهُ أَنْ يَفُرَّ بَاطِنَ أَمْرِهِمْ فَرَّ الْمُسِنَّةِ . وَيَمْخَضَ ظَاهِرَ حَالِهِمْ مَخْضَ السِّقَاءِ بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ وَمُوَالَاةِ الْعُيُونِ حَتَّى تَهْتِكَ حُجُبَ عُيُونِهِمْ وَتَكْشِفَ أَغْطِيَةَ أُمُورِهِمْ . فَإِنِ انْفَرَجَتِ الْحَالُ وَأَفْضَتِ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ . وَانْقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ . وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَعْتَقِدُونَهُ . وَإِثْمٍ يَسْتَحِلُّونَهُ . عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لِينَ فِيهَا وَرَمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ لَا عَفْوَ مَعَهَا . وَإِنِ انْفَرَجَتِ الْعُيُونُ وَاهْتَصَرَتِ السُّتُورُ وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ . وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعَةٌ وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدِلَةٌ . فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا وَأَعْمَالٍ يُنْكِرُونَهَا . وَظُلَامَاتٍ يَدَّعُونَهَا وَحُقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا . بِمَاتَّةِ مُسَابَقَتِهِمْ وَدَالَّةِ مُنَاصَحَتِهِمْ فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفَّقَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَّسِعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا وَيَتَجَافَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا . وَيَشْعَبَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا . وَيَرْتُقَ مِنْ فَتْقِهِمْ مَا قَطَعُوا . وَيُوَلِّيَ عَلَيْهِمْ مَنْ أَحَبُّوا وَيُدَاوِيَ بِذَلِكَ مَرَضَ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ . فَإِنَّمَا الْمَهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ وَسَوَادُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْمُجَرِّبِ الَّذِي يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ وَضَوَالِّ رَعِيَّتِهِ حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا . وَيَرُدَّ الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جَمَاعَتِهَا . ثُمَّ إِنَّ خُرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الدِّينِ لَهُمْ

دَالَّةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَاتَّةٌ مَقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُقُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ وَسُيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ ٱلْمَهْدِيِّ ٱلِاضْطِغَانُ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ وَلَا ٱلتَّوَعُّرُ بِهِمْ وَلَا ٱلْمُكَافَأَةُ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسْمِ ٱلْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى وَمُحَاوَلَةَ قَطْعِ ٱلْأُصُولِ ضَئِيلَةً قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَحْزَمُ فِي ٱلرَّأْيِ وَأَصَحُّ فِي ٱلتَّدْبِيرِ مِنَ ٱلتَّأْخِيرِ لَهَا وَٱلتَّهَاوُنِ بِهَا . حَتَّى يَلْتَئِمَ قَلِيلُهَا بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا . (قَالَ ٱلْمَهْدِيُّ) : مَا زَالَ هَارُونُ يَقَعُ وَقْعَ ٱلْحَيَاءِ حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ ٱلْقَدَحِ مِنَ ٱلْمَاءِ . (قَالَ) وَٱنْسَلَّ ٱنْسِلَالَ ٱلسَّيْفِ فِيمَا ٱدَّعَى فَدَعَوْا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ ٱلرَّأْيُ . وَثَنَّى بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مَنْ لِأَعِنَّةِ ٱلْخَيْلِ وَسِيَاسَةِ ٱلْحَرْبِ وَقَادَةِ ٱلنَّاسِ إِنْ أَمْعَنَ بِهِمِ ٱللَّجَاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمِ ٱلدَّالَّةُ . (قَالَ صَالِحٌ) : لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ بِدَوَامِ ٱلْبَحْثِ وَطُولِ ٱلْفِكْرِ أَدْنَى فِرَاسَةِ رَأْيِكَ وَبَعْضَ لَحَظَاتِ نَظَرِكَ . وَلَيْسَ يَنْقُصُ عَنْكَ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ وَرِجَالَاتِ ٱلْعَجَمِ ذُو دِينٍ فَاضِلٍ وَرَأْيٍ كَامِلٍ وَتَدْبِيرٍ قَوِيٍّ . تُقَلِّدُهُ حَرْبَكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدَكَ . مِمَّنْ يَحْتَمِلُ ٱلْأَمَانَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ بِٱلْأَعْبَاءِ ٱلثَّقِيلَةِ . وَأَنْتَ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ مَيْمُونُ ٱلنَّقِيبَةِ مُبَارَكُ ٱلْعَزِيمَةِ مَخْبُورُ ٱلتَّجَارِبِ مَحْمُودُ ٱلْعَوَاقِبِ مَعْصُومُ ٱلْعَزْمِ . فَلَيْسَ يَقَعُ ٱخْتِيَارُكَ وَلَا يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ تُوَلِّيهِ أَمْرَكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ ثَغْرَكَ إِلَّا أَرَاكَ ٱللّٰهُ مَا تُحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تُرِيدُ

(قَالَ الْمَهْدِيُّ) : إِنِّي لَا أَرْجُو ذٰلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللهِ فِيهِ وَحُسْنِ مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ . وَلٰكِنْ أُحِبُّ الْمُوَافَقَةَ عَلَى الرَّأْيِ وَالِاعْتِبَارَ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي الْأَمْرِ الْمُهِمِّ . (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ) : أَهْلُ خُرَاسَانَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ قَوْمٌ ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ وَشَيَاطِينُ خَدَعَةٌ . زُرُوعُ الْحَمِيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ . وَمَلَابِسُ الْأَنَفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ . فَالرَّوِيَّةُ عَنْهُمْ عَازِبَةٌ وَالْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ . تَسْبِقُ سُيُولُهُمْ مَطَرَهُمْ وَسُيُوفُهُمْ عَذْلَهُمْ . لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا تَعْدُو مَبْلَغَ عُقُولِهِمْ وَمَنْظَرَ عُيُونِهِمْ . (وَبَيْنَ) رُؤَسَاءَ لَا يُلْجَمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمُرِّ . وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِيعًا لَمْ تَنْقَدْ لَهُ الْعُظَمَاءُ . وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلَ عَلَى الضُّعَفَاءِ . وَإِنْ أَخَّرَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أَبِيهِ نَاصِحًا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمْلَاؤُهُمْ بِلَا أَنَفَةٍ تَلْزَمُهُمْ وَلَا حَمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةٍ تَنْفِرُهُمْ تَنَفَّسَتِ الْأَيَّامُ بِهِمْ وَتَرَاخَتِ الْحَالُ بِأَمْرِهِمْ . فَدَخَلَ بِذٰلِكَ مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ وَالضَّيَاعِ الْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَافَاهُ صَاحِبُ هٰذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ وُجِدَ . وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهِدَ . إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ . وَلَيْسَ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ قَاطِعًا عَادَتَهُمْ . وَلَا قَارِعًا صَفَاتَهُمْ . بِمِثْلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا وَلَا عِدْلَ فِي ذٰلِكَ بِهِمَا . أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مَوْصُولٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِعَيْنِكَ . وَصَخْرَةٌ لَا تُزَعْزَعُ وَبُهْمَةٌ لَا تُثْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْزِعُهُ صَوْتُ الْجَلْجَلِ . نَقِيُّ الْعِرْضِ نَزِيهُ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطَرِ قَدِ اتَّضَعَتِ الدُّنْيَا عَنْ

قَدْرِهِ وَسَمَا نَحْوَ ٱلْآخِرَةِ بِهِمَّتِهِ . فَجَعَلَ ٱلْغَرَضَ ٱلْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا وَٱلْغَرَضَ ٱلْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مَوْطِئًا . فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا . وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا . وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ . وَأَنْصَحُ بَنِي أَبِيكَ . رَجُلٌ قَدْ غُذِيَ بِلَطِيفِ كَرَامَتِكَ . وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ . وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ . فَإِنْ قَلَّدْتَهُ أَمْرَهُمْ وَحَمَّلْتَهُ ثِقَلَهُمْ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْهِ ثَغْرَهُمْ كَانَ قُفْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ وَبَابًا أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ . فَجَعَلَ ٱلْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَٱلْإِنْصَافَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا . وَإِذَا أَحْكَمَ ٱلْمَنْصَفَةَ وَسَلَكَ ٱلْمَعْدَلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ . غَرَسَ فِي ٱلَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ لَكَ فِي ٱلسُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةَ ٱلْعُرُوقِ بَاسِقَةَ ٱلْفُرُوعِ مُتَمَايِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِّهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِّهِمْ . فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا نَفَوْهُ . وَلَا يَلْزَمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا أَدَّوْهُ . وَهٰذَا أَحَدُهُمَا . وَٱلْآخَرُ عُودٌ مِنْ غَيْضَاتِكَ وَنَبْعَةٌ مِنْ أَرُومَتِكَ . فَتِيُّ ٱلسِّنِّ كَهْلُ ٱلْحِلْمِ رَاجِحُ ٱلْعَقْلِ مَحْمُودُ ٱلصَّرَامَةِ مَأْمُونُ ٱلْخِلَافِ يُجَرِّدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ . وَهُوَ فُلَانٌ أَيُّهَا ٱلْمَهْدِيُّ فَسَلِّطْهُ أَعَزَّكَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَوَجِّهْهُ بِٱلْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ . وَلَا تَمْنَعْكَ ضَرَاعَةُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةُ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ ٱلْحِلْمَ وَٱلثِّقَةَ مَعَ ٱلْحَدَاثَةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلْجَهْلِ مَعَ ٱلْكُهُولَةِ . وَإِنَّمَا أَحْدَاثُكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكُمُ ٱللهُ عَلَيْهِ وَٱخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ ٱلْفَعَالِ وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ وَصَوَابِ ٱلتَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ ٱلْأَنْفُسِ كَفِرَاخِ عِتَاقِ ٱلطَّيْرِ

ٱلمحكمة لِأَخذ ٱلصَّيد بِلا تدريب . وَٱلعارفة لِوجوه ٱلنَّفع بِلا تأديب . فَٱلحِلمُ وَٱلعِلمُ وَٱلعزمُ وَٱلحزمُ وَٱلجودُ وَٱلتُّؤدةُ وَٱلرِّفقُ ثابتٌ في صُدورِكُم مزروعٌ في قُلوبِكُم مستحكِمٌ لَكُم متكامِلٌ عِندكُم بِطَبائِع لازِمةٍ وغَرائِز ثابِتةٍ . (قالَ مُعاوِيةُ بنُ عبدِ ٱللهِ) : إِفتاءُ أَهلِ بَيتِكَ أَيُّها ٱلمَهدِيُّ في ٱلحِلمِ عَلى ما ذكرَ . وَأَهلُ خُراسانَ في حالِ عِزٍّ عَلى ما وُصِفَ . وَلٰكِن إِن وَلَّى ٱلمَهدِيُّ عَلَيهِم رَجُلًا لَيسَ بِقَديمِ ٱلذِّكرِ في ٱلجُنودِ وَلا بِنَبيهِ ٱلصَّوتِ في ٱلحُروبِ . وَلا بِطَويلِ ٱلتَّجرِبةِ لِلأُمورِ وَلا بِمَعروفِ ٱلسِّياسةِ لِلجُيوشِ وَٱلهَيبةِ في ٱلأَعداءِ . دَخَلَ ذٰلِكَ أَمرانِ عَظيمانِ وَخَطَرانِ مَهولانِ . أَحدُهُما أَنَّ ٱلأَعداءَ يَغتَمِزونَها مِنهُ وَيَحتَقِرونَها فيهِ . وَيَجتَرِئونَ بِها عَلَيهِ في ٱلنُّهوضِ بِهِ وَٱلمُقارَعةِ لَهُ وَٱلخِلافِ عَلَيهِ . قَبلَ ما حينَ ٱلإِختِيارِ لِأَمرِهِ وَٱلتَّكَشُّفِ لِحالِهِ وَٱلعِلمِ بِطِباعِهِ . وَٱلأَمرُ ٱلآخَرُ أَنَّ ٱلجُنودَ ٱلَّتي يَقودُ وَٱلجُنودَ ٱلَّتي يَسوسُ إِذا لَم يَختَبِروا مِنهُ ٱلبَأسَ وَٱلنَّجدةَ وَلَم يَعرِفوهُ بِٱلصَّوتِ وَٱلهَيبةِ ٱنكَسَرَت شَجاعَتُهُم وَماتَت نَجدَتُهُم وَٱستَأخَرَت طاعَتُهُم إِلى حينِ ٱختِبارِهِم وَوُقوعِ مَعرِفَتِهِم . وَرُبَّما وَقَعَ ٱلبَوارُ . قَبلَ ٱلإِختِبارِ . وَبِبابِ ٱلمَهدِيِّ وَفَّقَهُ ٱللهُ رَجُلٌ مَهيبٌ نَبيهٌ حَنيكٌ صَيِّتٌ . لَهُ نَسَبٌ زاكٍ وَصَوتٌ عالٍ . قَد قادَ ٱلجُيوشَ وَساسَ ٱلحُروبَ . وَتَأَلَّفَ أَهلَ خُراسانَ وَٱجتَمَعوا عَلَيهِ بِٱلمِقَةِ . وَوَثِقوا بِهِ كُلَّ ٱلثِّقةِ . فَلَو وَلّاهُ ٱلمَهدِيُّ أَمرَهُم لَكَفاهُ ٱللهُ شَرَّهُم (قالَ ٱلمَهدِيُّ) : جانَبتَ قَصدَ ٱلرَّمِيَّةِ وَأَبَيتَ إِلّا عَصَبِيَّةً . إِذ

رَأْيُ الْحَدَثِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا كَرَأْيِ عَشَرَةِ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا. وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ. (قَالُوا): لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ، وَمِنَ الدِّينِ وَأَهْلِهِ. بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ. وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ وَسَتَرَ مِنْ دُونِ عِبَادِهِ عِلْمَ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ حَوَادِثِ الْأُمُورِ وَرَيْبِ الْمَنُونِ الْمُخْتَرِمَةِ لِخَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ. فَكَرِهْنَا شُسُوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ. وَمَوْضِعِ الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ وَمُسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ. وَمَجْمَعِ الْأَمْوَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمُلْكِ وَمَصْيَدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ. وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ وَثُوَّارِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدَعِ وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءِ الْمَوْتِ. وَقُلْنَا: إِنْ وَجَّهَ الْمَهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَثَ فِي جُيُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ حَدَثَ بِجُنُودِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ. وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ إِنْ تَنَفَّسَتِ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ. وَاسْتَدَارَتِ الْحَالُ بِإِمَامِهِ. حَتَّى يَقَعَ عِوَضٌ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ أَوْ يَحْدُثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ. صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلُّ خَطَرًا لَهُ تَبَعًا وَبِهِ مُتَّصِلًا. (قَالَ الْمَهْدِيُّ): الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ. وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ. نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ عَلَى سَابِقٍ مِنَ الْعِلْمِ وَمَحْتُومٍ مِنَ الْأَمْرِ. وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا وَتَكَامَلَ بِحَذَافِيرِهِ عِنْدَنَا. فَبِهِ

نُدَبِّرُ وَعَلَى ٱللهِ نَتَوَكَّلُ . إِنَّهُ لَا بُدَّ لِوَلِيِّ عَهْدِي (وَوَلِيُّ عَهْدِي عَقِبِي بَعْدِي) أَنْ يَقُودَ إِلَى خُرَاسَانَ ٱلْبُعُوثَ وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِٱلْجُنُودِ . أَمَّا ٱلْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَيُعْمِلُ فِيهِمْ حِيَلَهُ . ثُمَّ يَخْرُجُ نَشِطًا إِلَيْهِمْ حَنِقًا عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ ٱلْفِتَنِ وَدَوَاعِي ٱلْبِدَعِ وَفُرْسَانِ ٱلضَّلَالِ إِلَّا تَوَطَّأَهُ بِحَرِّ ٱلْقَتْلِ وَأَلْبَسَهُ قِنَاعَ ٱلْقَهْرِ وَقَلَّدَهُ طَوْقَ ٱلذُّلِّ . وَلَا أَحَدًا مِنَ ٱلَّذِينَ عَمِلُوا فِي قَصِّ جَنَاحِ ٱلْفِتْنَةِ وَإِخْمَادِ نَارِ ٱلْبِدْعَةِ وَنُصْرَةِ وُلَاةِ ٱلْحَقِّ إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيَمَ فَضْلِهِ وَجَدَاوِلَ نَصْلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ مُزْمِعًا بِهِ مُجْمِعًا عَلَيْهِ لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ قَدْ عَمِلَتْ حِيَلُهُ وَكَدَحَتْ كُتُبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَايِدُهُ . فَهَدَأَتْ نَافِرَةُ ٱلْقُلُوبِ وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ ٱلْأَهْوَاءِ وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ ٱلْمُخْتَلِفُونَ بِٱلرِّضَا . فَيَمِيلُ نَظَرًا لَهُمْ وَبِرًّا بِهِمْ وَتَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ إِلَى عَدُوٍّ قَدْ أَخَافَ سَبِيلَهُمْ وَقَطَعَ طَرِيقَهُمْ وَمَنَعَ حُجَّاجَهُمْ بَيْتَ ٱللهِ ٱلْحَرَامِ وَسَلَبَ تُجَّارَهُمْ رِزْقَ ٱللهِ ٱلْحَلَالَ . وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَإِنَّهُ يُوَجِّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَعْتَقِدُ لَهُ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ مَا يَطْلُبُونَ وَبَذْلِ مَا يَسْأَلُونَ . فَإِذَا سَمَحَتِ ٱلْفِرَقُ بِقَرَابَاتِهَا لَهُ وَجَنَحَ أَهْلُ ٱلنَّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ فَأَصْغَتْ إِلَيْهِ ٱلْأَفْئِدَةُ وَٱجْتَمَعَتْ لَهُ ٱلْكَلِمَةُ . وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ ٱلْوُفُودُ قَصْدًا لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ نَجَعَتْ بِطَاعَتِهَا وَأَلْقَتْ بِأَزِمَّتِهَا . فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ حِبَائِهِ . ثُمَّ عَمَّ ٱلْجَمَاعَةَ بِٱلْمَعْدِلَةِ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِٱلرَّحْمَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ دَانِيَةٌ وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ . وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنْفَعَتُهُ .

فَأَغْنَى فَقِيرَهَا . وَجَبَرَ كَسِيرَهَا . وَرَفَعَ وَضِيعَهَا . وَزَادَ رَفِيعَهَا . مَا خَلَا نَاحِيَتَيْنِ نَاحِيَةٍ يَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ فَتَسْتَخِفُّ بِدَعْوَتِهِ وَتُبْطِئُ عَنْ إِجَابَتِهِ . وَتَتَثَاقَلُ عَنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ وَأَبْطَأَ مَنْ يُوَجِّهُ . فَيَصْطَلِي عَلَيْهَا مَوْجِدَةً وَيَبْتَغِي لَهَا عِلَّةً . لَا يَلْبَثُ أَنْ يَجِدَ بِحَقٍّ يَلْزَمُهُمْ وَأَمْرٍ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَلْحِمُهُمُ الْجُيُوشُ . وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ وَيَسْتَحِرُّ بِهِمِ الْقَتْلُ . وَيُحِيطُ بِهِمِ الْأَسْرُ وَيُفْنِيهِمِ التَّتَبُّعُ . حَتَّى يُخَرِّبَ الْبِلَادَ وَيُوتِمَ الْأَوْلَادَ وَنَاحِيَةٍ لَا يَبْسُطُ لَهُمْ أَمَانًا وَلَا يَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا يَجْعَلُ لَهُمْ ذِمَّةً . لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ وَتَدَرَّعَ جِلْبَابَ الْفِتْنَةِ وَرَبَضَ فِي شِقِّ الْعَصَا . وَلَكِنَّهُ يَقْتُلُ أَعْلَامَهُمْ وَيَأْسِرُ قُوَّادَهُمْ . وَيَطْلُبُ هُرَّابَهُمْ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ وَقُلَلِ الْجِبَالِ وَخَمَلِ الْأَوْدِيَةِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ تَقْتِيلًا وَتَغْلِيلًا وَتَنْكِيلًا . حَتَّى يَدَعَ الدِّيَارَ خَرَابًا وَالنِّسَاءَ أَيَامَى . وَهَذَا أَمْرٌ لَا نَعْرِفُ لَهُ فِي كُتُبِنَا وَقْتًا وَلَا نُصَحِّحُ مِنْهُ غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا . وَأَمَّا مُوسَى وَلِيُّ عَهْدِي فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانَ . وَمَا قَضَى اللهُ مِنَ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمُقَامِ فِيهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَغَبَّةً وَلَهُ بِإِذْنِ اللهِ عَاقِبَةً مِنَ الْمُقَامِ . بِحَيْثُ يَغْمُرُ فِي لُجَجِ بُحُورِنَا وَمَدَافِعِ سُيُولِنَا وَمَجَامِعِ أَمْوَاجِنَا . فَيَتَصَاغَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَذَأَّبُ مُشْرِقُ نُورِهِ وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ . فَمَنْ يَصْحَبُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَيَخْتَارُ لَهُ مِنَ النَّاسِ . (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ) : أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ إِنَّ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَصْبَحَ لِأُمَّتِكَ وَأَهْلِ مِلَّتِكَ عَلَمًا قَدْ تَثَنَّتْ نَحْوَهُ أَعْنَاقُهَا وَمُدَّتْ سَمْتَهُ أَبْصَارُهَا .

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جِوَارِهِ لَكَ عَطَلُ الْحَالِ غُفْلُ الْأَمْرِ وَاسِعَ الْعُذْرِ . فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَدْبِيرِهِ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ . وَتَسَأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بِرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزَرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ وَعَطْفًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللَّهُ نَاظِرًا لَهُ فِيمَا يُقَوِّي عُمُدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وِلَايَتِهِ . وَيَسْتَجْمِعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزْيَنُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِجَمَالِهِ . وَأَفْضَلُ مَغَبَّةً لِأَمْرِهِ وَأَجَلُّ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعَ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغَ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ مَرْحَمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ . وَأَنْ يَخْتَارَ الْمَهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلْدَةٍ وَفُقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرَّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تُسَهَّلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَفَتْحُ بَابِ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ فُتِحَ لَهُ وَسُهِّلَ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمَهْدِيُّ) : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِسَمْتِ وُجُوهِ الْعَامَّةِ نُصْبًا وَلِمَثْنَى أَعْطَافِ الرَّعِيَّةِ غَايَةً . فَحَسَنَتُكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَابِيَةٌ وَأَمْرُكَ

ظَاهِرٌ . فعلَيْكَ بِتقْوى اللهِ وطَاعتِهِ فَاحْتَمِلْ سُخطَ النَّاسِ فِيهِمَا وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا . فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ كافِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِيثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِيثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنْ رُسُلِهِ وبَقَايَا مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يُجَدِّدُ حَبلَ الإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ وَيُشَيِّدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ . وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْخَلَلَ وَيُقِيمُونَ الْمَيْلَ وَيَدْفَعُونَ عَنِ الأَرْضِ الْفَسَادَ . وَإِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِيَ دَوْلَتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهَ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ نُزُولَ الْعَظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعَزَائِمِهِمْ وَنُزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ . فَهُمْ عِمَادُ الأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَتْ كُنْفُهَا وَخَوْفُ الأَعْدَاءِ إِذَا أَبْرَزَتْ صَفْحَتَهَا وَحُصُونُ الرَّعِيَّةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا . قَدْ مَضَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٌ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٌ أَخْمَدَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ وَقَصَمَتْ دَوَاعِيَ الْبِدَعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ . وَلَمْ يَنْفَكُّوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا الَّتِي أَعَزَّ اللهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعَتَهُمْ . وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذُّلِّ وَقِنَاعِ الْخَوْفِ وَإِطْبَاقِ الْبَلَا وَمُخَالَفَةِ الأَسَى وَجُهْدِ الْبَأْسِ وَالضُّرِّ . فَظَاهِرْ عَلَيْهِمْ لِبَاسَ كَرَامَتِكَ وَأَنْزِلْهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ . ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ

طَاعَتِهِمْ وَوَسِيلَةَ دَالَّتِهِمْ وَمَاتَّةَ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوْسِعَةِ عَلَيْهِمْ وَالْإِثَابَةِ لِمُحْسِنِهِمْ وَالْإِقَالَةِ لِمُسِيئِهِمْ. أَيْ بُنَيَّ ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةَ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا بِالْإِنْصَافِ لَهَا. وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تُوَلِّيهِ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. فَإِنْ أَحْسَنَ حُمِدْتَ وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرْتَ. وَلَا يَنْفَكَّنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَبِعُرَى حَبْلِكَ مُتَعَلِّقًا رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَائِمِ رِجَالَاتِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامِ بُيُوتَاتِ الشَّرَفِ لَهُ أَدَبٌ فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ. وَالْآخَرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَغْمُورٍ وَمَوْضِعٌ غَيْرُ مَدْخُولٍ. بَصِيرٌ بِتَقْلِيبِ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ وَأَنْحَاءِ الْعَرَبِ وَوَضْعِ الْكُتُبِ عَالِمٌ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ. يَضَعُ آدَابًا نَافِعَةً وَآثَارًا بَاقِيَةً مِنْ مَحَاسِنِكَ وَتَحْصِينِ أَمْرِكَ وَتَحْلِيَةِ ذِكْرِكَ. فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ. فَرَجُلٌ أَصَبْتَهُ كَذَلِكَ فَهُوَ يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَرْعَى فِي خُضْرَةِ جِنَانِي. وَلَا تَدَعْ أَنْ تَخْتَارَ لَكَ مِنْ فُقَهَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ جِيرَانَكَ وَسُمَّارَكَ وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُورِدُ وَأَصْحَابَ مُنَاظَرَتِكَ فِيمَا تُصْدِرُ. فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ أَصْحَبَكَ اللهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ وَهَادِيًا يَنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ (لابن عبد ربه)

أَلْبَابُ ٱلرَّابِعُ
فِي ٱلْمَقَامَاتِ

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

٤٦ حَدَّثَ إِنْسَانٌ . مِنْ مَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ . قَالَ : كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ بَيْنَ ٱلْبَرِيَّةِ . ٱلثَّنَاءَ عَلَى نُزَهِ أَنْطَاكِيَةَ . وَأَنَّهَا قَطْعٌ لِمَنْ لَمْ يَصِلْهَا . وَخُرُوجٌ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا . وَأَفْرَطَ ثَنَائِهِ عَلَيْهَا . تَجَهَّزْتُ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُهَا . وَشَاهَدْتُهَا وَتَأَمَّلْتُهَا . أَكْبَرْتُ طُولَهَا وَطُولَهَا . وَعَجِبْتُ لِحَصَانَتِهَا وَٱلْعَاصِي دَائِرٌ حَوْلَهَا . فَٱنْتَهَيْتُ مِنْ بِدَايَتِهَا . إِلَى دَارِ وِلَايَتِهَا . فَوَجَدْتُ وَالِيَ ٱلْمَدِينَةِ . شَابًّا ذَا سَكِينَةٍ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ . وَأَجْلَسَنِي إِلَيْهِ . أَخَذَ فِي مُؤَانَسَتِي . وَأَظْهَرَ ٱلِٱبْتِهَاجَ بِمُؤَانَسَتِي . فَغَبَطْتُهُ بِحُسْنِ زِينَتِهِ . وَطِيبِ مَدِينَتِهِ . فَتَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَا . وَتَرَنَّمَ مُنْشِدًا :

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقِ ٱلْوُدِّ تَحْسَبُهُ   فِي رَاحَةٍ وَلَدَيْهِ ٱلْهَمُّ وَٱلْكَمَدُ
لَا تَغْبِطَنَّ بَنِي ٱلدُّنْيَا بِنِعْمَتِهِمْ   فَرَاحَةُ ٱلْقَلْبِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَحَدُ

قُلْتُ : لِلّٰهِ دَرُّ فَصَاحَتِكَ . مَا ٱلسَّبَبُ فِي عَدَمِ رَاحَتِكَ . قَالَ : لَقَدْ جَمَعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ بَيْنَ عَرَبٍ وَرُومٍ . وَأَنَا مَعَهُمْ فِي ٱلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ . لَا أُطِيقُ فِيهِمْ قَرَارًا . لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا . وَمَنْ يُطِيقُ ٱلْجَمْعَ بَيْنَ ٱلضِّدَّيْنِ . أَمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُوَالَاةِ نِدَّيْنِ . وَكَيْفَ يَظْفَرُ سَاكِنُ أَنْطَاكِيَةَ بِنَيْلِ أَرَبٍ . وَقَدْ حُنِيَتْ أَضْلُعُ ٱلْعَجَمِ

على بعض العرب . كم أجد ويلعبون وهم من بعد غلبهم سيغلبون :

من كل فظ أعجمي غث الكلام مذمم
إن نبهته مروة فتقول عجمته نم

قلت : قصر عن خطاك خطاك . واشكر من أنطاك أنطاك .

قصورها منيع . وعاصيها مطيع . وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح .
وأنهارها مطردة وعيونها سوارح . ونسيمها يبطل رائحة المسك
السحيق . وساكنها يزهى على الغصن الوريق . يصدأ بهوائها السلاح .
وتجلى به القلوب والأرواح . برية بحرية . سهلية جبلية :

متكامل فيها السرور لمن بها يوما أقام كما تكامل سورها
وخلت قلوب قصورها فاستضحكت إذ عاش شاكرها ومات كفورها
من حل فيها نال وصل حبيبها وشفى كليم الروح منه طورها
ما تلك إلا جنة الدنيا وها ولدانها حليت عليك وحورها
فضية وسنية وندية أرجاؤها ورياضها وقصورها
لما بكى فقد الهموم سحابها ضحكت وقد عاش السرور زهورها
فالأرض منها سندس وخلاله سلت سيوف والسيوف نهورها
هي دار مملكة الرضا فالأجل ذا قد أسبلت دون الهموم ستورها
جمعت فنون الطيب في أفنانها وعلا على المسك الذكي عبيرها
تصفيق عاصيها المطيع مرقص أغصانها لما شدته طيورها
فربوعها محروسة وسنوحها مأنوسة لا ينطوي منشورها

فَاعْجَبْ لِأَرْضٍ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ أَضْحَتْ تُضِيءُ شُمُوسُهَا وَبُدُورُهَا
فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَسَّمَتْ أَرْجَاؤُهَا أَرَجًا فَمَا الْغُصْنُ النَّضِيرُ نَظِيرُهَا

فَلَمَّا أَتْمَمْتُ جَلَاءَ هٰذِهِ الْعَرُوسِ . وَرَقَّهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ الطُّرُوسِ . قَالَ الْوَالِي : لَقَدْ زِدْتَ وَصْفَهَا . وَشَمَخْتَ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفَهَا . وَمَا أَنْطَاكِيَةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ . إِلَّا طَرَفٌ سَكَنَتْهُ الْأَطْرَافُ . فَلَوْ أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ . وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَقْضِ الْبَيْعَتَيْنِ . وَأَغْلَقْتَ بَابَ الْبَحْرِ . وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجِسْرِ . وَسَوَّدْتَ الْبَيْضَاءَ . وَأَيْبَسْتَ الْخَضْرَاءَ . لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا النَّظْمِ الْأَنِيقِ . فِي اسْتِرْقَاقِ هٰذَا الْبَلَدِ الْعَتِيقِ . وَمَاذَا تَرَكْتَ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمِنَّةِ وَالصِّفَةِ . وَقِيلَ إِنَّهَا فِي الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَّفْتَ النَّكِرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ خَجِلًا . وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا :

مَدَحْتُ أَنْطَاكِيَةً حَتَّى تَوَارَى عَقْلُهَا
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا ذَكَرْتُهُ مَحَلُّهَا
لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
فَكَيْفَ لَا أُبْغِضُهَا وَكَيْفَ لَا أَمَلُّهَا
وَعُجْمُهَا أَكْثَرُهَا وَعُرْبُهَا أَقَلُّهَا
لَوْلَا حَبِيبٌ سَاكِنٌ فِيهَا وَلَوْلَا ظِلُّهَا
لَقُلْتُ مِنْ مُدُنِ لَظًى لٰكِنَّنِي أُجِلُّهَا
لٰكِنْ أَقُولُ قَوْلَةً لَيْسَ يُرَدُّ عَدْلُهَا

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ مَا فَارَقَتْهَا أَهْلُهَا

فَلَمَّا تَمَّمَ ٱلْوَالِي نِظَامَهُ • ٱبْتَدَرْتُ مَلَامَهُ • وَقُلْتُ: إِذَا رَغِبْتَ عَنْ أَنْطَاكِيَةَ وَأَهْلِيهَا • فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا • فَقَالَ: أَلْزَمَنِي أَنْ أُقِيمَ • مَرْسُومُ كَرِيمٍ • مِمَّنْ غَمَرَنِي بِٱلْعَطَا • وَإِذَا خُولِفَ سَطَا • فَكَيْفَ ٱلْخَلَاصُ • وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ • مِنْ مَدِينَةٍ بَيْتُ ٱلْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ • وَلِعِظَمِ ٱلسَّمَكَةِ فِيهَا قَدْرٌ كَبِيرٌ:

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ ... وَغِرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا

أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسِرَّةُ مُلْكِهَا ... مُكَلَّلَةً بِٱلدُّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا

وَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا ٱلْبُنُودُ وَكَمْ حَوَتْ ... مُلُوكًا تَرَى ٱلْجَوْزَاءَ تَحْتَ نِعَالِهَا

مُعَظَّمَةً فِي ٱلْمِلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا ... مُكَرَّمَةً فِي ٱلدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا

أَلَمْ تَحْتَرِمْ فِيهَا حَبِيبًا نَزِيلَهَا ... وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا

وَسَافَرْتُ مِنْهَا ذَلِكَ ٱلْوَقْتَ مُنْشِدًا ... وَعَيْنَايَ كُلٌّ أَسْعَدَتْ بِسِجَالِهَا

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ... لَقَدْ هُزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجيّ

مقامة الغربة

٤٧ حَدَّثَ ٱلرَّبِيعُ بْنُ رَيَّانَ • عَنْ شَقِيقِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ • قَالَ: لَمَّا هَزَّتْنِي أَرْيَحِيَّةُ ٱلشَّبَابِ • إِلَى ٱقْتِعَادِ سَنَامِ ٱلْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ ٱلِٱغْتِرَابِ • وَقَدْ أَجْدَبَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَاجِدٍ • يَجْتَنِي جَنَى ٱلْمَجْدِ وَتُجْنَى لَهُ ثِمَارُ ٱلْمَحَامِدِ • وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ تَلْتَفُّ عَلَيْهِ ٱلْمَحَافِلُ • وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

أَعْلَامِهِ ٱلْجَحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأُنْسِهَا وَحْشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَائِعٍ يَتَجَشَّا . أَقْسَمْتُ بِبَيْتٍ سَالَتْ بِبَطْحَائِهِ أَعْنَاقُ ٱلْمَطَايَا . وَثَمِلَ رُكْبَانُهُ بِكَأْسِ ٱلسُّرَى فِي ٱلْغَدَايَا وَٱلْعَشَايَا . لَأَغْتَرِبَنَّ غُرْبَةً قَارِظِيَّةً يَخْفُقُ مِنْهَا قَلْبُ ٱلْخَافِقَيْنِ . وَتَدْبُغُ أَدِيمَ ٱلْجَسَدِ عَلَى مَمَرِّ ٱلْجَدِيدَيْنِ . وَتُنْسِي صَخْرَةَ ٱلسُّؤَالِ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُنْسِي غَطَفَانَ غُرْبَةَ سِنَانٍ . فَقَالَ لِي جُبَيْرُ ٱلْأَيَّامِ : ٱلْهِجْرَةُ مِنْ سُنَنِ ٱلْكِرَامِ . كَمَا فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ ٱلْقِبْطُ . وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ ٱللهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ حَبَّبَ لَهُ ٱلْأَسْفَارَ . فَزَجَرْتُ ٱلسَّانِحَ وَٱلْبَارِحَ . وَٱلطَّائِرَ ٱلْغَادِيَ وَٱلرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ ٱلصُّبْحَ أَبْلَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلْبَلَجِ . فَتَمَسَّكْتُ بِذَيْلِ ٱلْحَزْمِ . وَصَمَّمْتُ عَلَى ٱلْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

بِقَوْلِكَ طٰهَ سَافِرُوا تَغْنَمُوا لَقَدْ ... بَدَا لِيَ فَأْلٌ فِي ٱلْمَطَالِبِ رَائِحُ
فَمَا خَطَّ فِي رَمْلٍ وَلَا طَرَقَ ٱلْحَصَى ... كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي ٱلسَّرَابِ سَوَابِحُ

وَجَنَبْتُ ٱلْجِيَادَ إِلَى ٱلْمَهَارِيِّ . وَلَبِسْتُ حُلَّةَ دُجًى مُزَرَّرَةً بِٱلدَّرَارِيِّ . مَعَ صُقُورٍ عَلَى مُتُونِ أَعْوَجِيَّاتٍ وَرِكَابٍ . بِإِقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرِفُّ بَيْنَ غَرْزٍ وَرِكَابٍ . عَلَى سُفُنِ ذَوْدٍ وَزَوَارِقَ . وَسُرُوجٍ سَوَابِحَ فِي بِحَارِ ٱلسَّرَابِ غَوَارِقَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا ٱلْآلُ . بَيْنَ رِفَاقِ صَحْبٍ وَآلٍ . عَلَى عِيسٍ مَا لَهَا غَيْرَ ٱلنَّصَبِ عِقَالٌ . وَظُهُورِ سَوَابِحَ مَا لَهَا غَيْرَ ٱلْكَلَالِ شِكَالٌ . حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى ٱلْخَوَرْنَقِ وَٱلسَّدِيرِ . وَأَنَخْنَا مَطَايَا ٱلْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ ٱلْبَلَدِ . وَطَوْدِهَا ٱلَّذِي لَهُ بِسَفْحِهَا أَرْفَعُ سَنَدٍ .

فَقَالُوا : هُوَ ٱلنَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ . ٱلْمُقَرْطَسُ سِهَامَ آرَائِهِ مِنْ أَعَزِّ كِنَانَةٍ . شَيْخٌ لَبِسَ عَمَائِمَ دَهْرِهِ ٱلثَّلَاثَ . فَهِيَ عَلَى هَامَةِ هِمَّتِـهِ ثَلَاثٌ . مِنْ شَجَرَةٍ مُورِقَةِ ٱلنَّسَبِ . مُثْمِرَةٍ بِيَانِعِ ثِمَارِ ٱلْحَسَبِ . جَاهُـهُ عَرِيضٌ طَوِيلٌ . فَائِضٌ عَلَى ٱلْعَدُوِّ وَٱلْخَلِيلِ . وَطِيبُ شَمَائِلِهِ فِي كُلِّ نَادٍ ٱنْتَشَرَ . فَغَمَّةُ رَوْضَاتٍ تَزْدَرِي ٱلزَّهَرَ . هَيَّجَهَا نَفْحٌ مِنْ نَفْحِ ٱلسَّحَرِ . فَقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ ٱلْجَاهُ زَكَاةُ ٱلشَّرَفِ . وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْـهِ فَقَدِ ٱنْتَصَفَ . وَمَنْ تَرَدَّى بِسَاطِعِ ٱلْأَنْوَارِ . وَٱحْتَبَى بِحِبَـاءِ ٱلْوَقَارِ . وَلَمْ يَبْقَ لَهُ لَيْلٌ يُصِيحُ بِجَانِبَيْـهِ نَهَارٌ . فَٱلسَّعَادَةُ لَهُ شِعَارٌ وَدِثَارٌ . فَقُلْتُ : سَأُفِيضُ لَهُ وَعَلَيَّ أَجْمَلَ رِدًا . وَأَذْهَبُ إِلَيْـهِ فِي رُفْقَتِي غَدًا . فَلَمَّا عَطَسَ ٱلصَّبَاحُ . وَشَمَّتَتْهُ كُلُّ ذَاتِ جَنَاحٍ . وَرَفَعَتْ ذُكَـاءُ رَأْسَهَا مِنْ مَشْرِقِ ٱلْأَنْوَارِ . فَأَشْرَقَتْ عَلَى عَالَمِ ٱلْكَوْنِ وَٱلْفَسَادِ لِتُشَاهِدَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ . أَتَيْتُ دَارَهُ . فَرَأَيْتُ بُدُورًا لَهَا ٱلْمَنَازِلُ دَارَةٌ . دَارٌ يُسَافِرُ بِهَا ٱلنَّظَرُ . وَيَتَسَابَقُ فِي مَحَاسِنِهَا ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ . دَاخِلُهَا بَهْوٌ وَقُصُورٌ . وَسُرَادِقُ لَا يَعْرِفُ كَمَالَهُ ٱلْقُصُورُ . فِي صَدْرِهَا هُمَامٌ خَلْفَـهُ وِسَادَةٌ . أَحْدَقَ بِهِ وُجُوهُ أَعْيَانٍ وَسِيَادَةٍ . يَتَنَفَّسُونَ بِأَنْفَاسِ ٱلنُّعَامَى . بَيْنَ أَوْرَاقِ رَيْحَانٍ وَخُزَامَى :

لَوْ أَنْصَفُوهُ لَقَامُوا فِي مَجَالِسِـهِ ... عَلَى ٱلرُّؤُوسِ قِيَامَ ٱلظِّلِّ فِي ٱلْمَاءِ

فَقُلْتُ لَهُ : حَيَّاكَ ٱللهُ وَبَيَّاكَ . وَلَا زَالَتْ مِشْكَاةُ أُنْسِكَ مُشْرِقَةً بِمُحَيَّاكَ . فَرَدَّ ٱلتَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَمَا رَدَّهَا . وَأَمَدَّهَا بِطَـلَاقَةِ بِشْرٍ

كَانَتْ سُلَّمًا لِكَرَامَةٍ أَعَدَّهَا • وَحَوْلَهُ مِنْ حَوَاشِيهِ فِئَامٌ • وَأَغْصَانُ غِلْمَانٍ بِنَادِيهِ قِيَامٌ • كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمِ الطَّيْرَ • يَتَهَلَّلُ بِشْرُهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ وَمِيرٍ • فِي رَوْضٍ نَادٍ مُثْمِرٍ مُورِقٍ • عَلَيْهِ مَخَايِلُ جُودٍ مُغْدِقٍ • فَتَجَاذَبْنَا أَهْدَابَ الْحَدِيثِ • وَأَتَى بِنَوَادِرَ حَارَّةٍ مِنْ كُلِّ تَلِيدٍ وَحَدِيثٍ • فَلَمَّا خُضْنَا لُجَّةَ الْكَلَامِ وَوَقَفَتِ الْأَقْلَامُ عَلَى سَاحِلِ التَّمَامِ • قَالَ لِي: هَاتِ مِنْ هَنَاتِكَ • وَأَنْشِدْنِي مَا قُلْتَهُ مِنْ أَبْيَاتِكَ • فَأَنْشَدْتُهُ مِنْهَا :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَهْ ... لِيَرُوعَنِي وَأَحَدَّ غَرْبَهْ — حده

وَأَسَالَ مِنْ جَفْنِي كَرَا ... هُ مُرَاغِمًا وَأَسَالَ غَرْبَهْ — مجرى الدمع

وَأَجَالَنِي فِي الْأُفْقِ أَطْـ ... ـوِي شَرْقَهُ وَأَجُوبُ غَرْبَهْ — مغربه

فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهْ — غروب

وَكَذَا الْمُغَرِّبُ شَخْصُهُ ... مُتَغَرِّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَهْ — بعيده

فَلَمَّا ارْتَوَى الْحَدِيثُ مِنْ أَعْذَبِ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ • وَرَجَعَ الْحِوَارُ حَارَّ النَّوَادِرِ • بَارِدَ الْبَوَادِرِ • قَالَ : لَا فُضَّ اللهُ فَاكَ • وَلَا أَقَضَّ فِي مَهْدِ الْهَنَا مَثْوَاكَ • فَقَدْ تَرَكْتَ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ • وَجَلَوْتَ خَرَائِدَ فِكْرِكَ فِي مَعْرِضٍ أَنِيقٍ • وَلَمْ تُنْثَرْ دُرَرُ الْمَدَامِعِ • إِلَّا مِنْ دُرٍّ مُودَعٍ فِي صَدَفِ الْمَسَامِعِ • وَمَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ • وَأَهْوَنَ السُّقْمَ عَلَى الْعَائِدِ • وَقَدْ أَصَبْتَ دَارًا لِمُقَامِهِ • فَأَنْتَ جَارُ أَبِي دَاوُدَ بِدَارِ الْكَرَامَةِ • فَالْزَمْهُ لُزُومَ الطَّوْقِ جِيدَ الْحَمَامَةِ • فَمَا لَكَ لَا تَظْمَأُ بِهَذَا الْمَقَامِ • وَكَيْفَ يَظْمَأُ مَنْ كَانَ جَارَ الْغَمَامِ :

مَا بَيْنَ عَصْرٍ سَابِقٍ مُتَلَفِّتٍ شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَاحِقٍ يَتَطَلَّعُ

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة الاهوازيّة

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهُلٍ. لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرَدُ بِكْرُ الْآمَالِ. أَوْ مُخْتَطٌّ حَسَنُ الْإِقْبَالِ. مَرْجُوُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ. فَأَفَضْنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا. وَالْأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا. وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ. وَالْأُنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ. وَفَائِتِ الْحَظِّ كَيْفَ نَتَلَافَاهُ. وَالشَّرَابِ مِنْ أَيْنَ نُحَصِّلُهُ. وَالْمَجْلِسِ كَيْفَ نُرَتِّبُهُ. فَقَالَ: أَحَدُنَا عَلَيَّ الْبَيْتُ وَالنُّزُلُ. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ الشَّرَابُ وَالنَّقْلُ. وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طِمْرَيْنِ فِي يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ. وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَازَةٌ. فَتَطَيَّرْنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا. وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا. فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ. وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ. وَقَالَ: لَتَرَنَّهَا صُغْرًا. وَلَتَرْكَبُنَّهَا كُرْهًا وَقَسْرًا. مَا لَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرْكَبُهَا أَخْلَافُكُمْ. وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيرًا وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ. وَسَيَطَؤُهُ أَبْنَاؤُكُمْ. أَمَا وَاللهِ لَتُحْمَلُنَّ عَلَى هٰذِهِ الْعِيدَانِ. إِلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ. وَلَتُنْقَلُنَّ بِهٰذِهِ الْجِيَادِ. إِلَى تِلْكُمُ الْوِهَادِ. وَقَدْ حَانَ حَيْنُهُ وَيْحَكُمْ تَتَطَيَّرُونَ. كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ. وَتَتَكَرَّهُونَ. كَأَنَّكُمْ مُنَزَّهُونَ. هَلْ تَنْفَعُ هٰذِهِ الطِّيَرَةُ. يَا فَجَرَةُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَقَدْ نَغَّصَ

مَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ . وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ . فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ : مَا أَحْوَجَنَا إِلَى وَعْظِكَ . وَأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ . وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ قَالَ : إِنَّ وَرَاءَكُمْ مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً :

وَإِنَّ أَمْرَءًا قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً   إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ

وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ . يُعَامِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلْمٍ وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعِلْمٍ . فَلْيَكُنِ الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ . لِئَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ . فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ . لَمْ تَجْمَحُوا . وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ . لَمْ تَمْرَحُوا . وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ . فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ . وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ . فَهُوَ زَائِرُكُمْ . قُلْنَا : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : أَطْوَلُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ . وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ . قُلْنَا : فَسَانِحُ الْوَقْتِ . قَالَ : رَدُّ فَائِتِ الْعُمْرِ . وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَمْرِ . قُلْنَا : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا

المقامة القزوينية

٤٩ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : غَزَوْتُ الثَّغْرَ بِقَزْوِينَ . سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ . فِيمَنْ غَزَاهُ . فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا . إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا . حَتَّى وَقَفَ الْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا . فَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ . فِي حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ . أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ . تَسِيحُ فِي الرَّضْرَاضِ . سَيْحَ النَّضْنَاضِ . فَنِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نِلْنَا . ثُمَّ مِلْنَا إِلَى الظِّلِّ فَقِلْنَا . فَمَا مَلَكَنَا النَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ فَذَادَ عَنِ الْقَوْمِ .

رَائِدَ ٱلنَّوْمِ . وَفَتَحَتُ ٱلتَّوأَمَتَيْنِ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتِ ٱلْأَشْجَارُ دُونَهُ . وَأَصْغَيْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ . عَلَى إِيقَاعِ ٱلطُّبُولِ:

أَدْعُو إِلَى ٱللهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبْ   إِلَى ذُرَى رَحْبٍ وَمَرْعًى خَصِيبْ
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي   قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبْ
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ   مِنْ بَلَدِ ٱلْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبْ
إِنْ أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لَيْلَةٍ   جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ ٱلْمُرِيبْ
يَا رُبَّ خِنْزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ   وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ ٱلنَّصِيبْ
ثُمَّ هَدَانِي ٱللهُ وَٱنْتَاشَنِي   مِنْ ذِلَّةِ ٱلْكُفْرِ ٱجْتِهَادُ ٱلْمُصِيبْ
فَظَلْتُ أُخْفِي ٱلدِّينَ فِي أُسْرَتِي   وَأَعْبُدُ ٱللهَ بِقَلْبٍ مُنِيبْ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ ٱلْعِدَى   وَلَا أَرَى ٱلْكَعْبَةَ خَوْفَ ٱلرَّقِيبْ
وَأَسْأَلُ ٱللهَ إِذَا جَنَّنِي   لَيْلٌ وَأَضْنَانِي يَوْمٌ عَصِيبْ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي   فَنَجِّنِي إِنِّيَ فِيهِمْ غَرِيبْ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُ ٱللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا   وَمَا سِوَى ٱلْعَزْمِ أَمَامِي جَنِيبْ
فَمِنْكَ مِنْ سَيْرِيَ فِي لَيْلَةٍ   يَكَادُ رَأْسُ ٱلطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبْ
حَتَّى إِذَا جُزْتُ بِلَادَ ٱلْعِدَى   إِلَى حِمَى ٱلدِّينِ نَقَضْتُ ٱلْوَجِيبْ
فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ ٱلْهُدَى   نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ

فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا ٱلْبَيْتَ قَالَ : يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعَزْمٍ لَا ٱلْعِشْقُ شَاقَهُ . وَلَا ٱلْفَقْرُ سَاقَهُ . وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَخَيْلًا مُسَوَّمَةً . وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً . وَعُدَّةً وَعَدِيدًا .

وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا . وَخَرَجَتْ خُرُوجَ ٱلْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ . وَبَرَزْتُ بُرُوزَ ٱلطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ . مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ . جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ . وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ . فَلَوْ دَفَعْتُمُ ٱلنَّارَ بِشَرَارِهَا . وَرَمَيْتُمُ ٱلرُّومَ بِجِمَارِهَا . وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا . وَمُرَافَدَةً وَإِرْفَادًا . وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ . وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ . وَلَا أَسْتَكْثِرُ ٱلْبَدْرَةَ . وَأَقْبَلُ ٱلذَّرَّةَ . وَلَا أَرُدُّ ٱلتَّمْرَةَ . وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ . وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِٱلدُّعَاءِ . وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ ٱلظَّمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَٱسْتَفَزَّنِي رَائِعُ أَلْفَاظِهِ وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ ٱلنَّوْمِ . وَعَدَوْتُ إِلَى ٱلْقَوْمِ . فَإِذَا وَٱللهِ شَيْخُنَا أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ . فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَ عَلَيَّ بِعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ ٱللهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ . ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ ٱلنَّبِيطِ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مِنَ ٱلزَّمَا ... نِ كَحَالِي مَعَ ٱلنَّسَبْ
نَسَبِي فِي يَدِ ٱلزَّمَا ... نِ إِذَا سَامَهُ ٱنْقَلَبْ
أَنَا أُمْسِي مِنَ ٱلنَّبِيـ ... ـطِ وَأُضْحِي مِنَ ٱلْعَرَبْ

المقامة الناجمية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِنْ رُفَقَائِي فَتَذَاكَرْنَا ٱلْفَصَاحَةَ . وَمَا وَدَعْنَا ٱلْحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا ٱلْبَابُ . فَقُلْتُ : مَنِ ٱلْمُنْتَابُ . فَقَالَ : وَفْدُ ٱللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَفَلُّ ٱلْجُوعِ

وَطَرِيدُهُ . وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ . وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ . فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ ٱلْبَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتَهُ . وَجَمَعْنَا رِحْلَتَهُ . وَقُلْنَا : دَارَكَ أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ . وَهَلُمَّ ٱلْبَيْتَ . وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنِسَ . وَقُلْنَا : مَنِ ٱلطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ . ٱلْفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ . فَقَالَ : لَا يَعْرِفُ ٱلْعُودَ كَٱلْعَاجِمِ . وَأَنَا ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلنَّاجِمِ . عَاشَرْتُ ٱلدَّهْرَ لِأَخْبُرَهُ . فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ . وَحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ . وَجَرَّبْتُ ٱلنَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ . وَٱلْغُرْبَةَ لِأَذُوقَهَا فَمَا لَحَتْنِي أَرْضٌ إِلَّا فَقَأْتُ عَيْنَهَا . وَلَا ٱنْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا . فَأَنَا فِي ٱلشَّرْقِ أُذْكَرُ . وَفِي ٱلْغَرْبِ لَا أُنْكَرُ . فَمَا مَلِكٌ إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطَهُ . وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَقْتُ سِمَاطَهُ . وَمَا سَكَنَتْ حَرْبٌ إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا . قَدْ جَرَّبَنِي ٱلدَّهْرُ فِي زَمَنَيْ رِضَائِهِ وَبُؤْسِهِ . وَلَقِيَنِي بِوَجْهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ . فَمَا بَحَتُّ لِبُوسِهِ إِلَّا بِلَبُوسِهِ :

وَإِنْ كَانَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ قِدْمًا أَضَرَّ بِي ... وَحَمَّلَنِي مِنْ رَيْبِهِ مَا يُحَمِّلُ
فَقَدْ جَاءَ بِٱلْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي ... مَحَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْهَا مُحَوَّلُ

قُلْنَا : لَا فُضَّ فُوكَ . وَلِلّٰهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ . مَا يَحْرُمُ ٱلسُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ ٱلنُّطْقُ إِلَّا لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَغَرَّبْتَ . وَمَا ٱلَّذِي يَحْدُو أَمَلَكَ أَمَامَكَ . وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ . قَالَ : أَمَّا ٱلْوَطَنُ . فَٱلْيَمَنُ وَأَمَّا ٱلْوَطَرُ . فَٱلْمَطَرُ . وَأَمَّا ٱلسَّائِقُ فَٱلضُّرُّ . وَٱلْعَيْشُ

ٱلمرُّ . قُلْنَا : فَلوْ أَقَمْتَ بِهذَا ٱلْمَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ ٱلعمرَ فَمَا دُونَهُ وَلَصَادَفْتَ مِنَ ٱلْأَمْطَارِ مَا يُزْرِعُ . وَمِنَ ٱلْأَنْوَاءِ مَا يُكْرِعُ . قَالَ : مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا . وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُمْ رَحْبًا . وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَٱلْمَاءُ لَا يُرْوِي ٱلْعِطَاشَ . قُلْنَا : فَأَيُّ ٱلْأَمْطَارِ يُرْوِيكَ . قَالَ : مَطَرٌ خَافِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

سَجِسْتَانَ أَيَّتُهَا ٱلرَّاحِلَهْ وَبَحْرًا يَؤُمُّ ٱلْمُنَى سَاحِلَهْ
سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ
وَفَضْلُ ٱلْأَمِيرِ عَلَى ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ . وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ . وَيُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ . فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ مِنْ سَمْطِ ٱلثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ ٱلْمَرَاكِبُ تُسَاقُ وَٱلْجَنَائِبُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا : مَنِ ٱلْهَاجِمُ . فَإِذَا شَيْخُنَا ٱلنَّاجِمُ . يَرْفُلُ فِي نَيْلِ ٱلْمُنَى . وَذَيْلِ ٱلْغِنَى . فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا : مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ . فَقَالَ : جِمَالٌ مُوقَرَةٌ وَبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ . وَحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا خَافٍ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا
مَا يَسْمَعُ ٱلْعَافِينَ إِلَّا هَاكَهَا لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِهَا
إِنَّ ٱلْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ بِيضٍ وَكَانَ ٱلْخَالُ فِي وَجَنَاتِهَا
بِأَبِي شَمَائِلُهُ ٱلَّتِي تَجْلُو ٱلْعُلَا وَيَدًا تَرَى ٱلْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا
مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي مِمَّنْ يَعُدُّ ٱلدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَسَأَلْنَا ٱللهَ بَقَاءَهُ . وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ .

وَأَقَامَ ٱلنَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ . وَٱلتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعيديّة

٥١ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . قَالَ : أَزْمَعْتُ ٱلشُّخُوصَ مِنْ بَرْقَعِيدَ . وَقَدْ شِمْتُ بَرْقَ عِيدٍ . فَكَرِهْتُ ٱلرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدَ بِهَا يَوْمَ ٱلزِّينَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ . وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . أَتْبَعْتُ ٱلسُّنَّةَ فِي لُبْسِ ٱلْجَدِيدِ . وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ ٱلْتَأَمَ جَمْعُ ٱلْمُصَلَّى وَٱنْتَظَمَ . وَأَخَذَ ٱلزِّحَامُ بِٱلْكَظَمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي شَمْلَتَيْنِ . مَحْجُوبُ ٱلْمُقْلَتَيْنِ . وَقَدِ ٱعْتَضَدَ شِبْهَ ٱلْمِخْلَاةِ . وَٱسْتَقَادَ لِعَجُوزٍ كَٱلسِّعْلَاةِ . فَوَقَفَ وِقْفَةَ مُتَهَافِتٍ . وَحَيَّا تَحِيَّةَ خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ خَمْسَهُ فِي وِعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبْنَ بِأَلْوَانِ ٱلْأَصْبَاغِ . فِي أَوَانِ ٱلْفَرَاغِ . فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزَهُ ٱلْحَيْزَبُونَ . وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ ٱلزَّبُونَ . فَمَنْ آنَسَتْ نَدَى يَدَيْهِ . أَلْقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَاحَ لِي ٱلْقَدَرُ ٱلْمَعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُوذًا ... بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالِ
وَمَمْنُوًّا بِمُخْتَالٍ ... وَمُحْتَالٍ وَمُغْتَالِ
وَخَوَّانٍ مِنَ ٱلْإِخْوَا ... نِ قَالٍ لِي لِإِقْلَالِي
وَإِعْمَالٍ مِنَ ٱلْعُمَّا ... لِ فِي تَضْلِيعِ أَعْمَالِي

فَكَمْ أُصْلِي بِأَنْحَالٍ وَإِمْحَالٍ وَتَرْحَالٍ

وَكَمْ أَخْطُرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطُرُ فِي بَالِ

فَلَيْتَ ٱلدَّهْرَ لَمَّا جَارَ أَطْفَا لِيَ أَطْفَالِي

فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِيَ أَغْلَالِي وَأَعْلَالِي

لَمَا جَهَّزْتُ آمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي

وَلَا جَرَّرْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبِ إِذْلَالِي

فَمِحْرَابِيَ أَحْرَى بِي وَأَسْمَالِيَ أَسْمَى لِي

فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخْفِيـ فَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالِ

وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالِ

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا ٱسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ ٱلْأَبْيَاتِ تُقْتُ إِلَى مَعْرِفَةِ مُلْحِمِهَا . وَرَاقِمِ عَلَمِهَا . فَنَاجَانِي ٱلْفِكْرُ بِأَنَّ ٱلْوُصْلَةَ إِلَيْهِ ٱلْعَجُوزُ . وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ ٱلْمُعَرِّفِ يَجُوزُ . فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِي ٱلصُّفُوفَ . صَفًّا صَفًّا . وَتَسْتَوْكِفُ ٱلْأَكُفَّ كَفًّا كَفًّا . وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهَا عَنَاءٌ . وَلَا يَرْشَحُ عَلَى يَدِهَا إِنَاءٌ . فَلَمَّا أَكْدَى ٱسْتِعْطَافُهَا . وَكَدَّهَا مَطَافُهَا . عَاذَتْ بِٱلِٱسْتِرْجَاعِ . وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ ٱلرِّقَاعِ . وَأَنْسَاهَا ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي . فَلَمْ تَعُجْ إِلَى بُقْعَتِي . وَآبَتْ إِلَى ٱلشَّيْخِ بَاكِيَةً لِلْحِرْمَانِ . شَاكِيَةً تَحَامُلَ ٱلزَّمَانِ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ . وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينُ

وَفِي ٱلْمَسَاوِي بَدَا ٱلتَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينُ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِّي ٱلنَّفسَ وَعِدِيهَا. وَٱجْمَعِي ٱلرِّقَاعَ وَعُدِّيهَا. فَقَالَتْ: لَقَدْ عَدَدْتُهَا. لَمَّا ٱسْتَعَدْتُهَا. فَوَجَدْتُ يَدَ ٱلضَّيَاعِ. قَدْ غَالَتْ إِحْدَى ٱلرِّقَاعِ. فَقَالَ: تَعْسًا لَكِ يَا لَكَاعِ. أَنُحْرَمُ وَيْحَكِ ٱلْقَنَصَ وَٱلْحِبَالَةَ. وَٱلْقَبَسَ وَٱلذُّبَالَةَ. إِنَّهَا لَضِغْثٌ عَلَى إِبَّالَةٍ. فَٱنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا. وَتَنْشُدُ مُدْرَجَهَا. فَلَمَّا دَانَتْنِي قَرَنْتُ بِٱلرُّقْعَةِ دِرْهَمًا وَقِطْعَةً. وَقُلْتُ لَهَا: إِنْ رَغِبْتِ فِي ٱلْمَشُوفِ ٱلْمُعْلَمِ. وَأَشَرْتُ إِلَى ٱلدِّرْهَمِ. فَبُوحِي بِٱلسِّرِّ ٱلْمُبْهَمِ. وَإِنْ أَبَيْتِ أَنْ تَشْرَحِي. فَخُذِي ٱلْقِطْعَةَ وَٱسْرَحِي. فَمَالَتْ إِلَى ٱسْتِخْلَاصِ ٱلْبَدْرِ ٱلتَّمِّ. وَٱلْأَبْيَجِ ٱلْهِمِّ. وَقَالَتْ: دَعْ جِدَالَكَ. وَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. فَٱسْتَطْلَعْتُهَا طِلْعَ ٱلشَّيْخِ وَبَلْدَتِهِ. وَٱلشِّعْرِ وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ. فَقَالَتْ: إِنَّ ٱلشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ. وَهُوَ ٱلَّذِي وَشَّى ٱلشِّعْرَ ٱلْمَنْسُوجَ. ثُمَّ خَطِفَتِ ٱلدِّرْهَمَ خَطْفَةَ ٱلْبَاشِقِ. وَمَرَقَتْ مُرُوقَ ٱلسَّهْمِ ٱلرَّاشِقِ. فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ. وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِمُصَابِهِ بِنَاظِرَيْهِ. وَآثَرْتُ أَنْ أُفَاجِئَهُ وَأُنَاجِيَهُ. لِأَعْجُمَ عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ. وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقَابِ ٱلْجَمْعِ. ٱلْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي ٱلشَّرْعِ. وَعِفْتُ أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ. أَوْ يَسْرِيَ إِلَيَّ لَوْمٌ. فَسَدِكْتُ بِمَكَانِي. وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي. إِلَى أَنِ ٱنْقَضَتِ ٱلْخُطْبَةُ. وَحَقَّتِ ٱلْوَثْبَةُ. فَخَفَفْتُ إِلَيْهِ. وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى ٱلْتِحَامِ جَفْنَيْهِ. فَإِذَا ٱلْمَعِيَّتِي ٱلْمَدِيَّةُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ. وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَاسٍ. فَعَرَّفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي. وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمْصِي. وَأَهَبْتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي. فَهَشَّ لِمَعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي. وَلَبَّى دَعْوَةَ

رُغْفَانِي . وَٱنْطَلَقَ وَبِيَدِي زِمَامُهُ . وَظِلِّي إِمَامُهُ . وَٱلْعَجُوزُ ثَالِثَةُ ٱلْأَثَافِي . وَٱلرَّقِيبُ ٱلَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا ٱسْتَحْلَسَ وُكْنَتِي . وَأَحْضَرْتُهُ عُجَالَةَ مُكْنَتِي . قَالَ لِي : يَا حَارِثُ أَمَعَنَا ثَالِثٌ . فَقُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا ٱلْعَجُوزُ . قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ . ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتَيْهِ . وَرَأْرَأَ بِتَوْأَمَتَيْهِ . فَإِذَا سِرَاجَا وَجْهِهِ يَقِدَانِ . كَأَنَّهُمَا ٱلْفَرْقَدَانِ . فَٱبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ بَصَرِهِ . وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيَرِهِ . وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ . وَلَا طَاوَعَنِي ٱصْطِبَارٌ . حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى ٱلتَّعَامِي . مَعَ سَيْرِكَ فِي ٱلْمَعَامِي . وَجَوْبِكَ ٱلْمَوَامِي . وَإِيغَالِكَ فِي ٱلْمَرَامِي . فَتَظَاهَرَ بِٱللُّكْنَةِ . وَتَشَاغَلَ بِٱللُّهْنَةِ . حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ . أَثَارَ إِلَيَّ نَظَرَهُ . وَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا تَعَامَى ٱلدَّهْرُ وَهْوَ أَبُو ٱلْوَرَى ۞ عَنِ ٱلرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهْ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمًى ۞ وَلَا غَرْوَ أَنْ يَحْذُو ٱلْفَتَى حَذْوَ وَالِدِهْ

ثُمَّ قَالَ لِي : ٱنْهَضْ إِلَى ٱلْمُخْدَعِ فَأْتِنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ ٱلطَّرْفَ . وَيُنَقِّي ٱلْكَفَّ . وَيُنَعِّمُ ٱلْبَشَرَةَ . وَيُعَطِّرُ ٱلنَّكْهَةَ . وَيَشُدُّ ٱللِّثَةَ . وَيُقَوِّي ٱلْمَعِدَةَ . وَلْيَكُنْ نَظِيفَ ٱلظَّرْفِ . أَرِيجَ ٱلْعَرْفِ . فَتِيَّ ٱلدَّقِّ . نَاعِمَ ٱلسَّحْقِ . يَحْسَبُهُ ٱللَّامِسُ ذَرُورًا . وَيَخَالُهُ ٱلنَّاشِقُ كَافُورًا . وَٱقْرِنْ بِهِ خِلَالَةً نَقِيَّةَ ٱلْأَصْلِ . مَحْبُوبَةَ ٱلْوَصْلِ . أَنِيقَةَ ٱلشَّكْلِ . مَدْعَاةً إِلَى ٱلْأَكْلِ . لَهَا نَحَافَةُ ٱلصَّبِّ . وَصَقَالَةُ ٱلْعَضْبِ . وَآلَةُ ٱلْحَرْبِ . وَلُدُونَةُ ٱلْغُصْنِ ٱلرَّطْبِ . قَالَ : فَنَهَضْتُ فِيمَا أَمَرَ . لِأَدْرَأَ عَنْهُ ٱلْغَمَرَ . وَلَمْ أَهِمْ إِلَى أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ . بِإِدْخَالِي ٱلْمُخْدَعَ . وَلَا تَظَنَّيْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنْ

ٱلرَّسُولِ • فِي ٱسْتِدْعَاءِ ٱلْجَلَالَةِ وَٱلْغُسُولِ • فَلَمَّا عُدْتُ بِٱلْمُلْتَمَسِ • فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ ٱلنَّفَسِ • وَجَدْتُ ٱلْجَوَّ قَدْ خَلَا • وَٱلشَّيْخَ وَٱلشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا • فَٱسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا • وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا • فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي ٱلْمَاءِ • أَوْ عُرِجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ ٱلسَّمَاءِ

المقامة الاسكندريّة

٥٢ قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ طَحَا بِي مَرَحُ ٱلشَّبَابِ • وَهَوَى ٱلِٱكْتِسَابِ • إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرْغَانَةَ • وَغَانَةَ • أَخُوضُ ٱلْغِمَارَ • لِأَجْنِيَ ٱلثِّمَارَ • وَأَقْتَحِمُ ٱلْأَخْطَارَ • لِكَيْ أُدْرِكَ ٱلْأَوْطَارَ • وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلْعُلَمَاءِ • وَثَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا ٱلْحُكَمَاءِ • أَنَّهُ يَلْزَمُ ٱلْأَدِيبَ ٱلْأَرِيبَ • إِذَا دَخَلَ ٱلْبَلَدَ ٱلْغَرِيبَ • أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ • وَيَسْتَخْلِصَ مَرَاضِيَهُ • لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ ٱلْخِصَامِ • وَيَأْمَنَ فِي ٱلْغُرْبَةِ جَوْرَ ٱلْحُكَّامِ • فَٱتَّخَذْتُ هٰذَا ٱلْأَدَبَ إِمَامًا • وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا • فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً • وَلَا وَلَجْتُ عَرِينَةً • إِلَّا وَٱمْتَزَجْتُ بِحَاكِمِهَا ٱمْتِزَاجَ ٱلْمَاءِ بِٱلرَّاحِ • وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ تَقَوِّيَ ٱلْأَجْسَادِ بِٱلْأَرْوَاحِ • فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ • فِي عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ • وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ ٱلصَّدَقَاتِ • لِيَفُضَّهُ عَلَى ذَوِي ٱلْفَاقَاتِ • إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَةٌ • تَعْتَلُهُ ٱمْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ • فَقَالَتْ: أَيَّدَ ٱللّٰهُ ٱلْقَاضِيَ • وَأَدَامَ بِهِ ٱلتَّرَاضِيَ • إِنِّي ٱمْرَأَةٌ مِنْ أَكْرَمِ جُرْثُومَةٍ • وَأَطْيَبِ أُرُومَةٍ • وَأَشْرَفِ خُؤُولَةٍ وَعُمُومَةٍ • مِيسَمِي ٱلصَّوْنُ • وَشِيمَتِي ٱلْهَوْنُ • وَخُلُقِي نِعْمَ ٱلْعَوْنُ • وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بَوْنٌ • وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بُنَاةُ ٱلْمَجْدِ •

وَأَرْبَابُ ٱلْجِدِّ . سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ . وَعَافَ وُصْلَتَهُمْ وَصِلَتَهُمْ . وَٱحْتَجَّ بِأَنَّهُ عَاهَدَ ٱللّٰهَ تَعَالَى بِحَلْفَةٍ . أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ . فَقَيَّضَ ٱلْقَدَرُ لِنَصَبِي . وَوَصَبِي . أَنْ حَضَرَ هٰذَا ٱلْخُدَعَةُ نَادِيَ أَبِي . فَأَقْسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ . أَنَّهُ وَفْقُ شَرْطِهِ . وَٱدَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ . فَبَاعَهُمَا بِبَدْرَةٍ . فَٱغْتَرَّ أَبِي بِزَخْرَفَةِ مُحَالِهِ . وَزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ ٱخْتِبَارِ حَالِهِ . فَلَمَّا ٱسْتَخْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي . وَرَحَّلَنِي عَنْ أُنَاسِي . وَنَقَلَنِي إِلَى كِسْرِهِ . وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ . وَجَدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَةً . وَأَلْفَيْتُهُ ضُجَعَةً نُوَمَةً . وَكُنْتُ صَحِبْتُهُ بِرِيَاشٍ وَزِيٍّ . وَأَثَاثٍ وَرِيٍّ . فَمَا بَرِحَ يَبِيعُهُ فِي سُوقِ ٱلْهَضْمِ . وَيُتْلِفُ ثَمَنَهُ فِي ٱلْخَضْمِ وَٱلْقَضْمِ . إِلَى أَنْ مَزَّقَ مَا لِي بِأَسْرِهِ . وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ . فَلَمَّا أَنْسَانِي طَعْمَ ٱلرَّاحَةِ . وَغَادَرَ بَيْتِي أَنْقَى مِنَ ٱلرَّاحَةِ . قُلْتُ لَهُ : يَا هٰذَا إِنَّهُ لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ . وَلَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ . فَٱنْهَضْ لِلِٱكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ . وَأَجْنِنِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ . فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِٱلْكَسَادِ . لِمَا ظَهَرَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْفَسَادِ . وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ . كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ . وَكِلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةً . وَلَا تَرْقَأُ لَهُ مِنَ ٱلطَّوَى دَمْعَةٌ . وَقَدْ قُدْتُهُ إِلَيْكَ . وَأَحْضَرْتُهُ لَدَيْكَ . لِتَعْجُمَ عُودَ دَعْوَاهُ . وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ ٱللّٰهُ . فَأَقْبَلَ ٱلْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ . فَبَرْهِنِ ٱلْآنَ عَنْ نَفْسِكَ . وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ . وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ . فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ ٱلْأُفْعُوَانِ . ثُمَّ شَمَّرَ لِلْحَرْبِ ٱلْعَوَانِ . وَقَالَ :

إِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبٌ ... يُضْحِكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَحَبُ
أَنَا أمْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ ... عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَارِهِ رِيَبُ
سَرُوجُ دَارِي ٱلَّتِي وُلِدْتُ بِهَا ... وَٱلْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ
وَشُغْلِيَ ٱلدَّرْسُ وَٱلتَّبَحُّرُ فِي ٱلْ ... عِلْمِ طِلَابِي وَحَبَّذَا ٱلطَّلَبُ
وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي ... مِنْهُ يُصَاغُ ٱلْقَرِيضُ وَٱلْخُطَبُ
أَغُوصُ فِي لُجَّةِ ٱلْبَيَانِ فَأَخْتَارُ ... ٱللَّآلِيَ مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ
وَأَجْتَنِي ٱلْيَانِعَ ٱلْجَنِيَّ مِنَ ٱلْ ... قَوْلِ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَطِبُ
وَآخُذُ ٱللَّفْظَ فِضَّةً فَإِذَا ... مَا صُغْتُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَمْتَرِي نَشَبًا ... بِٱلْأَدَبِ ٱلْمُقْتَنَى وَأَحْتَلِبُ
وَيَمْتَطِي أَخْمَصِي لِحُرْمَتِهِ ... مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
وَطَالَمَا زُفَّتِ ٱلصِّلَاتُ إِلَى ... رَبْعِي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
فَٱلْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ ٱلرَّجَاءُ بِهِ ... أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ ٱلْأَدَبُ
لَا عِرْضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا ... يُرْقَبُ فِيهِمْ إِلٌّ وَلَا نَسَبُ
كَأَنَّهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جِيَفٌ ... يُبْعَدُ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَبُ
فَحَارَ لُبِّي لِمَا مُنِيتُ بِهِ ... مِنَ ٱللَّيَالِي وَصَرْفُهَا عَجَبُ
وَضَاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي ... وَسَاوَرَتْنِي ٱلْهُمُومُ وَٱلْكُرَبُ
وَقَادَنِي دَهْرِيَ ٱلْمُلِيمُ إِلَى ... سُلُوكِ مَا يَسْتَشِينُهُ ٱلْحَسَبُ
فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبَدٌ ... وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
وَٱدَّنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَاقَتِي ... بِحَمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ ٱلْعَطَبُ

ثُمَّ طَوَيْتُ ٱلْحَشَا عَلَى سَغَبٍ خَمْساً فَلَمَّا أَمَضَّنِي ٱلسَّغَبُ
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا عَرَضاً أَجُولُ فِي بَيْعِـهِ وَأَضْطَرِبُ
فَجُلْتُ فِيهِ وَٱلنَّفْسُ كَارِهَةٌ وَٱلْعَيْنُ عَبْرَى وَٱلْقَلْبُ مُكْتَئِبُ
وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبِثْتُ بِهِ حَدَّ ٱلتَّرَاضِي فَيَحْدُثَ ٱلْغَضَبُ
فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُّمُهَا أَنَّ بَنَانِي بِٱلنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
أَوْ أَنَّنِي إِذْ عَزَمْتُ خِطْبَتَهَا زَخْرَفْتُ قَوْلِي لِيَنْجَحَ ٱلْأَرَبُ
فَوَٱلَّذِي سَارَتِ ٱلرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّهَا ٱلنُّجُبُ
مَا ٱلْمَكْرُ بِٱلْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي وَلَا شِعَارِي ٱلتَّمْوِيهُ وَٱلْكَذِبُ
وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا إِلَّا مَوَاضِي ٱلْيَرَاعِ وَٱلْكُتُبُ
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ ٱلْقَلَائِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي ٱلْمَنْظُومُ لَا ٱلسُّخُبُ
فَهٰذِهِ ٱلْحِرْفَةُ ٱلْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وَأَجْتَلِبُ
فَأْذَنْ لِشَرْحِي كَمَا أَذِنْتَ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَٱحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

قَالَ: فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ. وَأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ. عَطَفَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلْفَتَاةِ. بَعْدَ أَنْ شُعِفَ بِٱلْأَبْيَاتِ وَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ ٱلْحُكَّامِ وَوُلَاةِ ٱلْأَحْكَامِ. ٱنْقِرَاضُ جِيلِ ٱلْكِرَامِ. وَمَيْلُ ٱلْأَيَّامِ إِلَى ٱللِّئَامِ. وَإِنِّي لَإِخَالُ بَعْلَكِ صَدُوقاً فِي ٱلْكَلَامِ. بَرِيئاً مِنَ ٱلْمَلَامِ. وَهَا هُوَ قَدِ ٱعْتَرَفَ لَكِ بِٱلْقَرْضِ. وَصَرَّحَ عَنِ ٱلْمَحْضِ. وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ ٱلنَّظْمِ. وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ ٱلْعَظْمِ. وَإِعْنَاتُ ٱلْمُعْذِرِ مَلْأَمَةٌ. وَحَبْسُ ٱلْمُعْسِرِ مَأْثَمَةٌ. وَكِتْمَانُ ٱلْفَقْرِ زَهَادَةٌ. وَٱنْتِظَارُ ٱلْفَرَجِ بِٱلصَّبْرِ عِبَادَةٌ.

فَارْجِعِي إِلَى خِدْرِكِ . وَأَعْذِرِي أَبَا عُذْرِكِ . وَٱنْتَهِي عَنْ غَرْبِكِ . وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكِ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهُمَا فِي ٱلصَّدَقَاتِ حِصَّةً . وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْضَةً . وَقَالَ لَهُمَا : تَعَلَّلَا بِهٰذِهِ ٱلْعُلَالَةِ . وَتَنَدَّيَا بِهٰذِهِ ٱلْبُلَالَةِ . وَٱصْبِرَا عَلَى كَيْدِ ٱلزَّمَانِ وَكَدِّهِ . فَعَسَى ٱللّٰهُ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ . فَنَهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرْحَةُ ٱلْمُطْلَقِ مِنَ ٱلْإِسَارِ . وَهِزَّةُ ٱلْمُوسِرِ بَعْدَ ٱلْإِعْسَارِ . قَالَ ٱلرَّاوِي : وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةَ بَزَغَتْ شَمْسُهُ . وَنَزَغَتْ عِرْسُهُ . وَكِدْتُ أُفْصِحُ عَنِ ٱفْتِنَانِهِ . وَأَثْمَارِ أَفْنَانِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ مِنْ عُثُورِ ٱلْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ . وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ . فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ أَنْ يُرَشِّحَهُ لِإِحْسَانِهِ . فَأَحْجَمْتُ عَنِ ٱلْقَوْلِ إِحْجَامَ ٱلْمُرْتَابِ . وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ . إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَمَا فَصَلَ . وَوَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ : لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ . لَأَتَانَا بِفَصِّ خَبَرِهِ . وَبِمَا يُنْشَرُ مِنْ حِبَرِهِ . فَأَتْبَعَهُ ٱلْقَاضِي أَحَدَ أُمَنَائِهِ . وَأَمَرَهُ بِٱلتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَائِهِ . فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهْدِهًا . وَقَهْقَرَ مُقَهْقِهًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي : مَهْيَمْ . يَا أَبَا مَرْيَمَ . فَقَالَ : لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا . وَسَمِعْتُ مَا أَنْشَأَ لِي طَرَبًا . فَقَالَ لَهُ : مَاذَا رَأَيْتَ . وَمَا ٱلَّذِي وَعَيْتَ . قَالَ : لَمْ يَزَلِ ٱلشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ . وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ . وَيُغَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ وَيَقُولُ :

كِدْتُ أَصْلَى بِبَلِيَّهْ ... مِنْ وَقَاحٍ شَمَّرِيَّهْ

وَأَزُورُ ٱلسِّجْنَ لَوْلَا ... حَاكِمُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّهْ

فَضَحِكَ ٱلْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِّيَّتُهُ . وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ . فَلَمَّا فَاءَ

إِلَى ٱلْوَقَارِ • وَعَقَّبَ ٱلِاسْتِغْرَابَ بِالِاسْتِغْفَارِ • قَالَ : اَللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ ٱلْمُقَرَّبِينَ • حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى ٱلْمُتَأَدِّبِينَ • ثُمَّ قَالَ لِذٰلِكَ ٱلْأَمِينِ : عَلَيَّ بِهِ • فَانْطَلَقَ مُجِدًّا بِطَلَبِهِ • ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأْيِهِ • مُخْبِرًا بِنَأْيِهِ • فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ • لَكُفِيَ ٱلْحَذَرَ • ثُمَّ لَأَوْلَيْتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى • وَلَأَرَيْتُهُ أَنَّ ٱلْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْأُولَى • قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتُ صَغْوَ ٱلْقَاضِي إِلَيْهِ • وَفَوْتَ ثَمَرَةِ ٱلتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ • غَشِيَتْنِي نَدَامَةُ ٱلْفَرَزْدَقِ حِينَ أَبَانَ ٱلنَّوَارَ • وَٱلْكُسَعِيِّ لَمَّا ٱسْتَبَانَ ٱلنَّهَارُ

المقامة البغدادية

٥٣ رَوَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ • قَالَ : نَدَوْتُ بِضَوَاحِي ٱلزَّوْرَاءِ مَعَ مَشْيَخَةٍ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ • لَا يَعْلَقُ لَهُمْ مُبَارٍ بِغُبَارٍ • وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ فِي مِضْمَارٍ • فَأَفَضْنَا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ ٱلْأَزْهَارَ • إِلَى أَنْ نَصَفْنَا ٱلنَّهَارَ • فَلَمَّا غَاضَ دَرُّ ٱلْأَفْكَارِ • وَصَبَتِ ٱلنُّفُوسُ إِلَى ٱلْأَوْكَارِ • لَمَحْنَا عَجُوزًا تُقْبِلُ مِنَ ٱلْبُعْدِ • وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ ٱلْجُرْدِ • وَقَدِ ٱسْتَتْلَتْ صِبْيَةً أَنْحَفَ مِنَ ٱلْمَغَازِلِ • وَأَضْعَفَ مِنَ ٱلْجَوَازِلِ • فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْنَا • أَنْ عَرَتْنَا • حَتَّى إِذَا مَا حَضَرَتْنَا • قَالَتْ : حَيَّى ٱللهُ ٱلْمَعَارِفَ • وَإِنْ لَمْ يَكُنَّ مَعَارِفَ • اِعْلَمُوا يَا مَآلَ ٱلْآمِلِ • وَثِمَالَ ٱلْأَرَامِلِ • أَنِّي مِنْ سَرَوَاتِ ٱلْقَبَائِلِ • وَسَرِيَّاتِ ٱلْعَقَائِلِ • لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يَحُلُّونَ ٱلصَّدْرَ وَيَسِيرُونَ ٱلْقَلْبَ • وَيُمْطُونَ ٱلظَّهْرَ • وَيُولُونَ ٱلْيَدَ • فَلَمَّا أَرْدَى ٱلدَّهْرُ ٱلْأَعْضَادَ • وَفَجَعَ بِٱلْجَوَارِحِ ٱلْأَكْبَادَ • وَٱنْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ • نَبَا ٱلنَّاظِرُ • وَجَفَا ٱلْحَاجِبُ •

وَذَهَبَتِ ٱلْعَيْنُ . وَفُقِدَتِ ٱلرَّاحَةُ . وَصَلَدَ ٱلزَّنْدُ . وَوَهَنَتِ ٱلْيَمِينُ .
وَضَاعَ ٱلْيَسَارُ . وَبَانَتِ ٱلْمَرَافِقُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ . فَمُذْ أَغْبَرَّ
ٱلْعَيْشُ ٱلْأَخْضَرُ . وَٱزْوَرَّ ٱلْمَحْبُوبُ ٱلْأَصْفَرُ . ٱسْوَدَّ يَوْمِيَ ٱلْأَبْيَضُ .
وَٱبْيَضَّ فَوْدِيَ ٱلْأَسْوَدُ . حَتَّى رَثَى لِيَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ . فَحَبَّذَا ٱلْمَوْتُ
ٱلْأَحْمَرُ . وَتِلْوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنُهُ فُرَارُهُ . وَتَرْجُمَانُهُ ٱصْفِرَارُهُ . قُصْوَى
بُغْيَةِ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ . وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةٌ . وَكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا
أَبْذُلَ ٱلْحُرَّ إِلَّا لِلْحُرِّ . وَلَوْ أَنِّي مُتُّ مِنَ ٱلضُّرِّ . وَقَدْ نَاجَتْنِي ٱلْقَرُونَةُ .
بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمُ ٱلْمَعُونَةُ . وَآذَنَتْنِي فِرَاسَةُ ٱلْحَوْبَاءِ . بِأَنَّكُمْ يَنَابِيعُ
ٱلْحِبَاءِ . فَنَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَءًا أَبَرَّ قَسَمِي . وَصَدَّقَ تَوَسُّمِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنٍ
يُقْذِيهَا ٱلْجُمُودُ . وَيُقَذِّيهَا ٱلْجُودُ . قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَهِمْنَا لِبَرَاعَةِ
عِبَارَتِهَا . وَمُلَحِ ٱسْتِعَارَتِهَا . وَقُلْنَا لَهَا : قَدْ فَتَنَ كَلَامُكِ . فَكَيْفَ إِلْمَامُكِ .
فَقَالَتْ : أُفَجِّرُ ٱلصَّخْرَ . وَلَا فَخْرَ . فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتِنَا مِنْ رُوَاتِكِ . لَمْ نَبْخَلْ
بِمُوَاسَاتِكِ . فَقَالَتْ : لَأُرِيَنَّكُمْ أَوَّلًا شِعَارِي . ثُمَّ لَأُرَوِّيَنَّكُمْ أَشْعَارِي .
فَأَبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ . وَبَرَزَتْ بَرْزَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيسٍ . وَأَنْشَدَتْ :

أَشْكُو إِلَى ٱللهِ ٱشْتِكَاءَ ٱلْمَرِيضْ ... رَيْبَ ٱلزَّمَانِ ٱلْمُتَعَدِّي ٱلْبَغِيضْ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أُنَاسٍ غَنُوا ... دَهْرًا وَجَفْنُ ٱلدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضْ
فَخَارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ... وَصِيتُهُمْ بَيْنَ ٱلْوَرَى مُسْتَفِيضْ
كَانُوا إِذَا مَا نُجْعَةٌ أَعْوَزَتْ ... فِي ٱلسَّنَةِ ٱلشَّهْبَاءِ رَوْضًا أَرِيضْ
تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ ... وَيُطْعِمُونَ ٱلضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضْ

مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِباً ... وَلَا لِرَوْعٍ قَالَ حَالَ الْجَرِيضْ
فَغَيَّضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى ... بِحَارَ جُودٍ لَمْ نَخَلْهَا تَغِيضْ
وَأَوْدَعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ الثَّرَى ... أُسْدَ التَّحَامِي وَأُسَاةَ الْمَرِيضْ
فَمَحْمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا ... وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْيَفَاعِ الْحَضِيضْ
وَأَفْرُخِي مَا تَأْتَلِي تَشْتَكِي ... بُؤْسًا لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضْ
إِذَا دَعَا الْقَانِتُ فِي لَيْلِهِ ... مَوْلَاهُ نَادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفِيضْ
يَا رَازِقَ النَّعَّابِ فِي عُشِّهِ ... وَجَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ الْمَهِيضْ
أَتِحْ لَنَا اللَّهُمَّ مَنْ عِرْضُهُ ... مِنْ دَنَسِ الذَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيضْ
يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ ... بِمَذْقَةٍ مِنْ حَازِرٍ أَوْ مَخِيضْ
فَهَلْ فَتًى يَكْشِفُ مَا نَابَهُمْ ... وَيَغْنَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضْ

قَالَ الرَّاوِي : فَوَاللهِ لَقَدْ صَدَعَتْ بِأَبْيَاتِهَا أَعْشَارَ الْقُلُوبِ . وَاسْتَخْرَجَتْ خَبَايَا الْجُيُوبِ . حَتَّى مَاحَهَا مَنْ دِينُهُ الِامْتِيَاحُ . وَارْتَاحَ لِرِفْدِهَا مَنْ لَمْ نَخَلْهُ يَرْتَاحُ . فَلَمَّا أَفْعَمَ جَيْبَهَا تِبْرًا . وَأَوْلَاهَا كُلٌّ مِنَّا بِرًّا . تَوَلَّتْ يَتْلُوهَا الْأَصَاغِرُ . وَفُوهَا بِالشُّكْرِ فَاغِرٌ . فَاشْرَأَبَّتِ الْجَمَاعَةُ بَعْدَ مَمَرِّهَا . إِلَى سَبْرِهَا . لِتَبْلُوَ مَوَاقِعَ بِرِّهَا . فَكَفَلْتُ لَهُمْ بِاسْتِنْبَاطِ السِّرِّ الْمَرْمُوزِ . وَنَهَضْتُ أَقْفُو أَثَرَ الْعَجُوزِ . حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى سُوقٍ مُغْتَصَّةٍ بِالْأَنَامِ . مُخْتَصَّةٍ بِالزِّحَامِ . فَانْغَمَسَتْ فِي الْغُمَارِ . وَامَّلَسَتْ مِنَ الصِّبْيَةِ الْأَغْمَارِ . ثُمَّ عَاجَتْ بِخُلُوِّ بَالٍ إِلَى مَسْجِدٍ خَالٍ . فَأَمَاطَتِ الْجِلْبَابَ . وَنَضَتِ النِّقَابَ . وَأَنَا أَلْمَحُهَا مِنْ خَصَاصِ الْبَابِ . وَأَرْقُبُ مَا

سَتُبْدِي مِنَ ٱلْعُجَابِ . فَلَمَّا ٱنْسَرَتْ أُهْبَةُ ٱلْخَفَرِ . رَأَيْتُ مُحَيَّا أَبِي زَيْدٍ قَدْ سَفَرَ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ . لِأُعَنِّفَهُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ . فَٱسْلَنْقَى ٱسْلِنْقَاءَ ٱلْمُتَمَرِّدِينَ . ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ ٱلْمُغَرِّدِينَ . وَٱنْدَفَعَ يُنْشِدُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَدَهْرِي ... أَحَاطَ عِلْمًا بِقَدْرِي
وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي ... فِي ٱلْخُدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ ... بِحِيلَتِي وَبِمَكْرِي
وَكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْفٍ ... عَلَيْهِمِ وَبِنُكْرِ
أَصْطَادُ قَوْمًا بِوَعْظٍ ... وَآخَرِينَ بِشِعْرِ
وَأَسْتَفِزُّ بِخَلٍّ ... عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِ
وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ ... وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرِ
وَلَوْ سَلَكْتُ سَبِيلًا ... مَأْلُوفَةً طُولَ عُمْرِي
لَخَابَ قِدْحِي وَقَدْحِي ... وَدَامَ عُسْرِي وَحُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لَامَ هٰذَا ... عُذْرِي فَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ . وَبَدِيعَةِ إِمْرِهِ . وَمَا زَخْرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ . عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ ٱلْمَرِيدَ . لَا يَسْمَعُ ٱلتَّفْنِيدَ . وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . فَثَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي . وَأَبْثَثْتُهُمْ مَا أَثْبَتَهُ عِيَانِي . فَوَجَمُوا لِضَيْعَةِ ٱلْجَوَائِزِ . وَتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ ٱلْعَجَائِزِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : شَتَوْتُ بِٱلْكَرَجِ لِدَيْنٍ أَقْتَضِيهِ .

وَأَرَبٍ أَقْضِيهِ . فَبَلَوْتُ مِنْ شِتَائِهَا الْكَالِحِ . وَصِرِّهَا النَّافِحِ . مَا عَرَّفَنِي جَهْدَ الْبَلَاءِ . وَعَكَفَ بِي عَلَى الِاصْطِلَاءِ . فَلَمْ أَكُنْ أُزَايِلُ وِجَارِي . وَلَا مُسْتَوْقَدَ نَارِي . إِلَّا لِضَرُورَةٍ أُدْفَعُ إِلَيْهَا . أَوْ إِقَامَةِ جَمَاعَةٍ أُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَاضْطُرِرْتُ فِي يَوْمٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ . وَدَجْنُهُ مُكْفَهِرٌّ . إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ كِنَانِي . لِمُهِمٍّ عَنَانِي . فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي الْجِلْدَةِ . بَادِي الْجُرْدَةِ . وَقَدِ اعْتَمَّ بِرُيْطَةٍ . وَاسْتَثْفَرَ بِفُوَيْطَةٍ . وَحَوَالَيْهِ جَمْعٌ كَثِيفُ الْحَوَاشِي . وَهُوَ يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي :

يَا قَوْمِ لَا يُنْبِئْكُمْ عَنْ فَقْرِي   أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَانَ الْقُرِّ
فَاعْتَبِرُوا بِمَا بَدَا مِنْ ضُرِّي   بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
وَحَاذِرُوا انْقِلَابَ سِلْمِ الدَّهْرِ   فَإِنَّنِي كُنْتُ نَبِيهَ الْقَدْرِ
آوِي إِلَى وَفْرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي   تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي
وَتَشْتَكِي كُومِي غَدَاةَ أَقْرِي   فَجَرَّدَ الدَّهْرُ سُيُوفَ الْغَدْرِ
وَشَنَّ غَارَاتِ الرَّزَايَا الْغُبْرِ   وَلَمْ يَزَلْ يَنْحَتُنِي وَيَبْرِي
حَتَّى عَفَتْ دَارِي وَغَاضَ دَرِّي   وَبَارَ سِعْرِي فِي الْوَرَى وَشِعْرِي
وَصِرْتُ نِضْوَ فَاقَةٍ وَعُسْرِ   عَارِيَ الْمَطَا مُجَرَّدًا مِنْ قِشْرِي
كَأَنَّنِي الْمِغْزَلُ فِي التَّعَرِّي   لَا دِفْءَ لِي فِي الصِّنِّ وَالصِّنَّبْرِ
غَيْرُ التَّضَحِّي وَاصْطِلَاءِ الْجَمْرِ   فَهَلْ خِضَمٌّ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِ
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طِمْرِ   طِلَابَ وَجْهِ اللهِ لَا لِشُكْرِي

ثُمَّ قَالَ : يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ . الرَّافِلِينَ فِي الْفِرَاءِ . مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا

فَلْيُنْفِقْ . وَمَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ . فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا غَرُورٌ . وَٱلدَّهْرَ عَثُورٌ . وَٱلْمُكْنَةَ زَوْرَةُ طَيْفٍ . وَٱلْفُرْصَةَ مُزْنَةُ صَيْفٍ . وَإِنِّي وَٱللهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ ٱلشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ . وَأَعْدَدْتُ ٱلْأُهَبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ . وَهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ يَا سَادَتِي . سَاعِدِي وِسَادَتِي . وَجِلْدَتِي . بُرْدَتِي . وَحَفْنَتِي . جَفْنَتِي . فَلْيَعْتَبِرِ ٱلْعَاقِلُ بِحَالِي . وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ ٱللَّيَالِي . فَإِنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنِ ٱتَّعَظَ بِسِوَاهُ . وَٱسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ . فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ . فَأَجْلُ لَنَا نَسَبَكَ . فَقَالَ : تَبًّا لِمُفْتَخِرٍ . بِعَظْمٍ نَخِرٍ . إِنَّمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلتُّقَى . وَٱلْأَدَبِ ٱلْمُنْتَقَى . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْإِنْسَانُ إِلَّا ٱبْنُ يَوْمِهِ ... عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ٱبْنُ أَمْسِهِ
وَمَا ٱلْفَخْرُ بِٱلْعَظْمِ ٱلرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ ٱلَّذِي يَبْغِي ٱلْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا . وَٱجْرَنْثَمَ مُقْفَقِفًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ . وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ . أَعِنِّي عَلَى ٱلْبَرْدِ وَأَهْوَالِهِ . وَأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ مِنْ خَصَاصَةٍ . وَيُوَاسِي وَلَوْ بِقُصَاصَةٍ . قَالَ ٱلرَّاوِي : فَلَمَّا جَلَّى عَنِ ٱلنَّفْسِ ٱلْعِصَامِيَّةِ . وَٱلْمُلَحِ ٱلْأَصْمَعِيَّةِ . جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَجْمُسُهُ . وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُمُهُ . حَتَّى ٱسْتَبَنْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ . وَأَنَّ تَعَرِّيَهُ أُحْبُولَةُ صَيْدٍ . وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ . وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتِكَهُ . فَقَالَ : أُقْسِمُ بِٱلسَّمَرِ وَٱلْقَمَرِ . وَٱلزُّهْرِ وَٱلزَّهَرِ . إِنَّهُ لَنْ يَسْتُرَنِي إِلَّا مَنْ طَابَ خِيمُهُ . وَأُشْرِبَ مَاءَ ٱلْمُرُوءَةِ أَدِيمُهُ . فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ . وَإِنْ لَمْ يَدْرِ ٱلْقَوْمُ مَعْنَاهُ . وَسَاءَنِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ ٱلرِّعْدَةِ . وَٱقْشِعْرَارِ ٱلْجِلْدَةِ . فَعَمَدْتُ

لِفَرْوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي . وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي . فَنَضَوْتُهَا عَنِّي . وَقُلْتُ لَهُ : اقْبَلْهَا مِنِّي . فَمَا كَذَّبَ أَنِ افْتَرَاهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لِلّٰهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرْوَةً أَضْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جُنَّهْ
أَلْبَسَنِيهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي وُقِيَ شَرَّ الإِنْسِ وَالْجِنَّهْ
سَيَكْتَسِي الْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي غَدٍ سَيُكْسَى سُنْدُسَ الْجَنَّهْ

قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ . بِافْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاعَةِ . أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَاءِ الْمُغَشَّاةِ . وَالْجِبَابِ الْمُوَشَّاةِ . مَا آدَهُ ثِقْلُهُ . وَلَمْ يَكَدْ يُقِلُّهُ . فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ . مُسْتَنْشِقًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ . وَبَدَتِ السَّمَاءُ نَقِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَّسَكَ الْبَرْدُ . فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيْكَ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ . سُرْعَةُ الْعَذْلِ . فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْمٌ . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ . وَطَيَّبَ تُرْبَةَ طَيْبَةَ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لَرُحْتُ بِالْخَيْبَةِ . وَصَفَرِ الْعَيْبَةِ . ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ . وَتَبَرْقَعَ بِالِاكْفِهْرَارِ . وَقَالَ : أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِنَتِي الِانْتِقَالُ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَالِانْعِطَافُ مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عُقْتَنِي وَعَقَقْتَنِي . وَأَفَتَّنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي . فَأَعْفِنِي عَافَاكَ اللّٰهُ مِنْ لَغْوِكَ . وَاسْدُدْ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ . فَجَبَذْتُهُ جَبْذَ التِّلْعَابَةِ . وَجَمْجَمْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَاللّٰهِ لَوْ لَمْ أُوَارِكَ . وَأُغَطِّ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتَ إِلَى صِلَةٍ . وَلَا انْقَلَبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَازِنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتْرِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ ٱلْفَرْوَةِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ ٱلشَّتْوَةِ . فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ ٱلْمُتَعَجِّبِ . وَٱزْمَهَرَّ ٱزْمِهْرَارَ ٱلْمُتَغَضِّبِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ ٱلْفَرْوَةِ فَأَبْعَدُ مِنْ رَدِّ أَمْسِ ٱلدَّابِرِ . وَٱلْمَيْتِ ٱلْغَابِرِ . وَأَمَّا كَافَاتُ ٱلشَّتْوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى ذِهْنِكَ . وَأَوْهَى وِعَاءَ خَزْنِكَ . حَتَّى أُنْسِيتَ مَا أَنْشَدْتُكَ بِٱلدَّسْكَرَةِ . لِٱبْنِ سُكَّرَةٍ :

جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ   سَبْعٌ إِذَا ٱلْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا

كِنٌّ وَكِيسٌ وَكَانُونٌ وَكَاسُ طِلًا   بَعْدَ ٱلْكَبَابِ وَكَفٌّ نَاعِمٌ وَكِسَا

ثُمَّ قَالَ : لَجَوَابٌ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جِلْبَابٍ يُدْفِي . فَٱكْتَفِ بِمَا وَعَيْتَ وَٱنْكَفِي . فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرْوَتِي لِشِقْوَتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى ٱلرِّعْدَةِ طُولَ شَتْوَتِي

المقامة التفليسية

٥٥ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ ٱللهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ . أَنْ لَا أُؤَخِّرَ ٱلصَّلَاةَ مَا ٱسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ ٱلْفَلَوَاتِ . وَلَهْوِ ٱلْخَلَوَاتِ . أُرَاعِي أَوْقَاتَ ٱلصَّلَاةِ . وَأُحَاذِرُ مِنْ مَأْثَمِ ٱلْفَوَاتِ . وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ . مَرْحَبْتُ بِصَوْتِ ٱلدَّاعِي إِلَيْهَا . وَٱقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَٱتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلِيسَ . أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زُمْرَةٍ مَفَالِيسَ . فَلَمَّا قَضَيْنَا ٱلصَّلَاةَ . فَأَزْمَعْنَا ٱلِٱنْفِلَاتَ . بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي ٱللَّقْوَةِ . بَالِي ٱلْكِسْوَةِ وَٱلْقُوَّةِ . فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ طِينَةِ ٱلْحُرِّيَّةِ . وَتَفَوَّقَ دَرَّ ٱلْعَصَبِيَّةِ . إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْثَةً . وَٱسْتَمَعَ

مِنّي نَفْثَةً . ثُمَّ لَهُ ٱلْخِيارُ مِنْ بَعْدُ . وَبِيَدِهِ ٱلْبَذْلُ وَٱلرَّدُّ . فَعقَدَ لَهُ ٱلْقَوْمُ ٱلْحُبى . وَرَسَوْا أَمْثَالَ ٱلرُّبى . فَلَمَّا آنَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ . وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ . قَالَ : يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ ٱلرَّامِقَةِ . وَٱلْبَصَائِرِ ٱلرَّائِقَةِ . أَمَا يُغْنِي عَنِ ٱلْخَبَرِ ٱلْعِيَانُ . وَيُنْبِئُ عَنِ ٱلنَّارِ ٱلدُّخَانُ . شَيْبٌ لَائِحٌ . وَوَهْنٌ فَادِحٌ . وَدَاءٌ وَاضِحٌ . وَٱلْبَاطِنُ فَفَاضِحٌ . وَلَقَدْ كُنْتُ وَٱللهِ مِمَّنْ مَلَكَ وَمَالَ . وَوَلِيَ وَآلَ . وَرَفَضَ وَأَنَالَ . وَوَصَلَ وَصَالَ . فَلَمْ تَزَلِ ٱلْجَوَائِحُ تَسْحَتُ . وَٱلنَّوَائِبُ تَنْحَتُ . حَتَّى ٱلْوَكْرُ قَفْرٌ . وَٱلْكَفُّ صِفْرٌ . وَٱلشِّعَارُ ضُرٌّ . وَٱلْعَيْشُ مُرٌّ . وَٱلصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ ٱلطَّوَى . وَيَتَمَنَّوْنَ مُصَاصَةَ ٱلنَّوَى . وَلَمْ أَقُمْ هٰذَا ٱلْمَقَامَ ٱلشَّائِنَ . وَأَكْشِفْ لَكُمُ ٱلدَّفَائِنَ . إِلَّا بَعْدَ مَا شَقِيتُ وَلَقِيتُ . وَشِبْتُ مِمَّا لَقِيتُ . فَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بَقِيتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهَ ٱلْأَسِيفِ . وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ :

أَشْكُو إِلَى ٱلرَّحْمَانِ سُبْحَانَهُ تَقَلُّبَ ٱلدَّهْرِ وَعُدْوَانَهُ
وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرْوَتِي وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبُنْيَانَهُ
وَٱهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَا وَيْلَ مَنْ تَهْتَصِرُ ٱلْأَحْدَاثُ أَغْصَانَهُ
وَأَمْحَلَتْ رَبْعِي حَتَّى خَلَتْ مِنْ رَبْعِيَ ٱلْمُمْحِلِ جِرْذَانُهُ
وَغَادَرَتْنِي حَائِرًا بَائِرًا أُكَابِدُ ٱلْفَقْرَ وَأَشْجَانَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَا ثَرْوَةٍ يَسْحَبُ فِي ٱلنِّعْمَةِ أَرْدَانَهُ
يَخْتَبِطُ ٱلْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَحْمَدُ ٱلسَّارُونَ نِيرَانَهُ
فَأَصْبَحَ ٱلْيَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي عَانَهُ

وَٱزْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا   وَعَافَ عَافِي ٱلْعُرْفِ عِرْفَانَهُ
فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى   مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيُفْرِجَ ٱلْهَمَّ ٱلَّذِي هَمَّهُ   وَيُصْلِحَ ٱلشَّانَ ٱلَّذِي شَانَهُ

قَالَ ٱلرَّاوِي: فَصَبَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَثْبِتَهُ. لِتَسْتَنْجِشَ خَبَأَتَهُ. وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَهُ. فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُتْبَتِكَ. وَرَأَيْنَا دَرَّ مُزْنَتِكَ. فَعَرِّفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ. وَٱحْسِرِ ٱللِّثَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ. فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِٱلْإِعْنَاتِ. وَجَعَلَ يَلْعَنُ ٱلضَّرُورَاتِ. وَيَتَأَفَّفُ مِنْ تَغَيُّضِ ٱلْمُرُوءَاتِ. ثُمَّ أَنْشَدَ بِلَفْظٍ صَادِعٍ. وَجَرْسٍ خَادِعٍ:

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ   جَنَاهُ ٱللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
فَكُلْ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ   وَلَا تَسْأَلِ ٱلشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ
وَمِيِّزْ إِذَا مَا ٱعْتَصَرْتَ ٱلْكُرُومَ   سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ
لِتُغْلِيَ وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ   وَتَشْرِيَ كُلًّا شِرَى مِثْلِهِ
فَعَارٌ عَلَى ٱلْفَطِنِ ٱللَّوْذَعِيِّ   دُخُولُ ٱلْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

قَالَ: فَٱزْدَهَى ٱلْقَوْمَ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ. وَٱخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ دَائِهِ. حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا ٱلْخُبَنِ. وَخَفَايَا ٱلثُّبَنِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا هٰذَا إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ. وَتَعَرَّضْتَ لِحِلْيَةٍ خَلِيَّةٍ. فَخُذْ هٰذِهِ ٱلصُّبَابَةَ. وَهَبْهَا لَا خَطَأً وَلَا إِصَابَةً. فَنَزَّلَ قُلَّهُمْ مَنْزِلَةَ ٱلْكُثْرِ. وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِٱلشُّكْرِ. ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ. وَيَنْهَبُ بِٱلْخَبْطِ طُرْقَهُ. قَالَ ٱلْمُخْبِرُ بِهٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ: فَصُوِّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ. مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ. فَنَهَضْتُ

أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ . وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ . وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا . وَيُوسِعُنِي هَجْرًا . حَتَّى إِذَا خَلَا ٱلطَّرِيقُ . وَأَمْكَنَ ٱلتَّحْقِيقُ . نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ . وَمَاحَضَ بَعْدَ مَا غَشَّ . وَقَالَ : إِنِّي لَإِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ . وَرَائِدَ صُحْبَةٍ . فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيَرْفِقُ . وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ . فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَتَانِي هٰذَا ٱلرَّفِيقُ . لَوَاتَانِي ٱلتَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي : قَدْ وَجَدْتَ فَٱغْتَبِطْ . وَٱسْتَكْرَمْتَ فَٱرْتَبِطْ . ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا . وَتَمَثَّلَ لِي بَشَرًا سَوِيًّا . فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا ٱلسَّرُوجِيُّ لَا قَلَبَةَ بِجِسْمِهِ . وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ . فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ . وَكَذِبِ لَقْوَتِهِ . وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ . عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ . فَشَحَا فَاهُ . وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرَثٍّ لِكَيْمَا يُقَالَ فَقِيرٌ يُزَجِّي ٱلزَّمَانَ ٱلْمُزَجَّى
وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِجْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
وَلَوْلَا ٱلرَّثَاثَةُ لَمْ يُرْثَ لِي وَلَوْلَا ٱلتَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فَلْجَا

ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهٰذِهِ ٱلْأَرْضِ مَرْتَعٌ . وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ . فَإِنْ كُنْتَ ٱلرَّفِيقَ . فَٱلطَّرِيقَ ٱلطَّرِيقَ . فَسِرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدَيْنِ . وَرَافَقْتُهُ عَامَيْنِ أَجْرَدَيْنِ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ . فَأَبَى ٱلدَّهْرُ ٱلْمُشِتُّ

المقامة المروية

٥٦ حَكَى ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : حُبِّبَ إِلَيَّ مُذْ سَعَتْ قَدَمِي . وَنَفَثَ قَلَمِي . أَنْ أَتَّخِذَ ٱلْأَدَبَ شِرْعَةً . وَٱلْإِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْعَةً .

فَكُنْتُ أُنَقِّبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخَزَنَةِ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أُلْفِيتُ مِنْهُمْ بُغْيَةَ
ٱلْمُلْتَمِسِ . وَجُذْوَةَ ٱلْمُقْتَبِسِ . شَدَدتُ يَدَيَّ بِغَرْزِهِ . وَٱسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ
زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَٱلسَّرُوجِيِّ فِي غَزَارَةِ ٱلسُّحُبِ . وَوَضْعِ
ٱلْهِنَاءِ مَوَاضِعَ ٱلنُّقَبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسْيَرَ مِنَ ٱلْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ ٱلْقَمَرِ
فِي ٱلنَّقَلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَٱسْتِحْسَانِ مَقَامَاتِهِ . أَرْغَبُ فِي
ٱلِٱغْتِرَابِ . وَأَسْتَعْذِبُ ٱلسَّفَرَ ٱلَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْعَذَابِ . فَلَمَّا
تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرْوَ . وَلَا غَرْوَ . بَشَّرَنِي بِمَلْقَاهُ زَجْرُ ٱلطَّيْرِ . وَٱلْفَأْلُ
ٱلَّذِي هُوَ بَرِيدُ ٱلْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي ٱلْمَحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلَقِّي
ٱلْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْيَرًا . حَتَّى غَابَ
ٱلْيَأْسُ ٱلطَّمَعَ . وَٱنْزَوَى ٱلتَّأْمِيلُ وَٱنْقَمَعَ . فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ
وَالِي مَرْوَ . وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْفَضْلَ وَٱلسَّرْوَ . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلَقٍ
مِمْلَاقٍ . وَخُلُقٍ مَلَّاقٍ . فَحَيَّا ٱلْوَالِيَ تَحِيَّةَ ٱلْمُحْتَاجِ . إِذَا لَقِيَ رَبَّ ٱلتَّاجِ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : ٱعْلَمْ وُقِيتَ ٱلذَّمَّ . وَكُفِيتَ ٱلْهَمَّ . أَنَّ مَنْ عُذِقَتْ بِهِ
ٱلْأَعْمَالُ . أُعْلِقَتْ بِهِ ٱلْآمَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ ٱلدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ
ٱلْحَاجَاتُ . وَأَنَّ ٱلسَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ ٱلْقَدَرُ . أَدَّى زَكَاةَ ٱلنِّعَمِ . كَمَا
يُؤَدِّي زَكَاةَ ٱلنَّعَمِ . وَٱلْتَزَمَ لِأَهْلِ ٱلْحُرَمِ . مَا يُلْتَزَمُ لِلْأَهْلِ وَٱلْحَرَمِ . وَقَدْ
أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ ٱللهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُزْجَى ٱلرَّكَائِبُ إِلَى
حَرَمِكَ . وَتُرْجَى ٱلرَّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتُنْزَلُ ٱلْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ .
وَتُسْتَنْزَلُ ٱلرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .

وَإِحسَانُهُ لَدَيكَ عَمِيًا . ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ ٱلْإِتْرَابِ . وَعَدِمَ ٱلْأَعْشَابَ حِينَ شَابَ . فَقَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ نَازِحَةٍ . وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ . آمُلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً . وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً . وَٱلتَّأْمِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ ٱلسَّائِلِ . وَنَائِلِ ٱلنَّائِلِ . فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِيَ عِذَارَكَ . عَمَّنِ ٱزْدَارَكَ . وَأَمَّ دَارَكَ . أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ . عَمَّنِ ٱمْتَاحَكَ . وَٱمْتَارَ سَمَاحَكَ . فَوَٱللهِ مَا مَجَدَ مَنْ جَمَدَ . وَلَا رَشَدَ مَنْ حَشَدَ . بَلِ ٱللَّبِيبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ . وَإِنْ بَدَا بِعَائِدَةٍ عَادَ . وَٱلْكَرِيمُ مَنْ إِذَا ٱسْتُوهِبَ ٱلذَّهَبَ . لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أُكُلَ غَرْسِهِ . وَيَرْصُدُ مَطِيَّةَ نَفْسِهِ . وَأَحَبَّ ٱلْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطْفَتُهُ تَمُدُّ . أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدَدٌ . فَأَطْرَقَ يُرَوِّي فِي ٱسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ . وَٱسْتِشْفَافِ فِرِنْدِهِ . وَٱلْتَبَسَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرُّ صَمْتِهِ . وَإِرْجَاءِ صِلَتِهِ . فَتَوَغَّرَ غَضَبًا . وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا :

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ ذَا أَدَبٍ	لِأَنْ بَدَا خَلَقَ ٱلسِّرْبَالِ سُبْرُوتَا
وَلَا تُضِعْ لِأَخِي ٱلتَّأْمِيلِ حُرْمَتَهُ	أَكَانَ ذَا لَسَنٍ أَمْ كَانَ سِكِّيتَا
وَٱنْفَحْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُخْتَبِطًا	وَٱنْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أَلْفَيْتَ مَنْكُوتَا
فَخَيْرُ مَالِ ٱلْفَتَى مَالٌ أَشَادَ لَهُ	ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ ٱلرُّكْبَانُ أَوْ صِيتَا
وَمَا عَلَى ٱلْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهِبَةٍ	غَبْنٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتَا
لَوْلَا ٱلْمُرُوءَةُ ضَاقَ ٱلْعُذْرُ عَنْ فَطِنٍ	إِذَا ٱشْرَأَبَّ إِلَى مَا جَاوَزَ ٱلْقُوتَا
لٰكِنَّهُ لِٱبْتِنَاءِ ٱلْمَجْدِ جَدَّ وَمَنْ	حَبَّ ٱلسَّمَاحَ ثَنَى نَحْوَ ٱلْعُلَى لِيتَا

وَمَا تَنَشَّقَ نَشْرَ ٱلشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ ... إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ ٱلْمِسْكِ مَفْتُوتَا
وَٱلْحَمْدُ وَٱلْبُخْلُ لَمْ يُقْضَ ٱجْتِمَاعُهُمَا ... حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتَا
وَٱلسَّمْحُ فِي ٱلنَّاسِ مَحْبُوبٌ خَلَائِقُهُ ... وَٱلْجَامِدُ ٱلْكَفِّ مَا يَنْفَكُّ مَمْقُوتَا
وَلِلشَّحِيحِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ ... يُوسِعْنَهُ أَبَدًا ذَمًّا وَتَبْكِيتَا
فَجُدْ بِمَا جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ ... حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَدْوَاكَ مَبْهُوتَا

فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: تَٱللهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ. فَأَيُّ وَلَدِ ٱلرَّجُلِ أَنْتَ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ عُرْضٍ. وَأَنْشَدَ وَهُوَ مُغْضٍ:

لَا تَسْأَلِ ٱلْمَرْءَ مَنْ أَبُوهُ وَرُزْ ... خِلَالَهُ ثُمَّ صِلْهُ أَوْ فَٱصْرِمِ
فَمَا يَشِينُ ٱلسُّلَافَ حِينَ حَلَا ... مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ٱبْنَةَ ٱلْحِصْرِمِ

قَالَ: فَقَرَّبَهُ ٱلْوَالِي لِبَيَانِهِ ٱلْفَاتِنِ. حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ ٱلْخَاتِنِ. ثُمَّ فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ. مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ وَقِصَرِ لَيْلِهِ. فَنَهَضَ عَنْهُ بِرُدْنٍ مَلْآنَ. وَقَلْبٍ جَذْلَانَ. وَتَبِعْتُهُ حَاذِيًا حَذْوَهُ. وَقَافِيًا خَطْوَهُ. حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ. وَفَصَلَ عَنْ غَابِهِ. قُلْتُ لَهُ: هُنِّئْتَ بِمَا أُوتِيتَ. وَمُلِّيتَ بِمَا أُولِيتَ. فَأَسْفَرَ وَجْهُهُ وَتَلَالَا. وَوَالَى شُكْرًا لِلهِ تَعَالَى. ثُمَّ خَطَرَ ٱخْتِيَالًا. وَأَنْشَدَ ٱرْتِجَالًا:

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِٱلْحَمَاقَةِ حَظًّا ... أَوْ سَمَا قَدْرُهُ لِطِيبِ ٱلْأُصُولِ
فَبِفَضْلِي ٱنْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي ... وَبِقَوْلِي ٱرْتَفَعْتُ لَا بِقُيُولِي

ثُمَّ قَالَ: تَعْسًا لِمَنْ جَدَبَ ٱلْأَدَبَ. وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ وَدَأَبَ. ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ. وَأَوْدَعَنِي ٱللَّهَبَ

أَلْبَابُ ٱلْخَامِسُ
فِي ٱللَّطَائِفِ

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَشِيعَتِهِ ٱحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يُطْعِمُ ٱلنَّاسَ. فَدَخَلَ حُجْرَةً فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا هٰذَا لَا تَأْكُلُ. قَالَ: لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي. قَالَ: إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا. قَالَ: لَا أَعْلَمُ. فَآكُلَ بِأَمْرِكَ. قَالَ: كُلْ فَأَكَلَ وَعَبْدُ ٱلْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ مِنْ فِعَالِهِ. فَلَمَّا أَكَلَ ٱلنَّاسُ جَلَسَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ خَوَاصُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَرَّقَ ٱلنَّاسُ فَجَاءَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَهُ فِي ٱلْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبْلِغْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّنِي ... مِمَّا لَقِيتُ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ مُوجَعُ
مُنِعَ ٱلْقَرَارَ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِبًا ... جَيْشٌ يَجُرُّ وَمِقْنَبٌ يَتَلَمَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: وَمَا خَوْفُكَ لَا أُمَّ لَكَ لَوْلَا أَنَّكَ مُرِيبٌ. فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ:

كُنَّا تَنَحَّلْنَا ٱلْبَصَائِرَ مَرَّةً ... وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ ٱلْبَصَائِرُ نَرْجِعُ
إِنَّ ٱلَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا ... مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... وَأُطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

أُعطِي نَصِيحَتِيَ الْخَلِيفَةَ نَاجِحًا وَخِزَامَةَ الْأَنْفِ الْمُقَوَّدِ فَأَتْبَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هٰذَا لا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبِذَنْبِكَ . فَإِذَا عَرَفْتَ الْحَوْبَةَ قَبِلْنَا التَّوْبَةَ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ :

وَلَقَدْ وَطِئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطْأَةً وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَعَرْشُهُ مُتَضَعْضِعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذٰلِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْكِبًا عَنْ مَنْكِبٍ تَعْلُو وَيَسْفُلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْفَعُ

وَوَطِئْتُمُ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يُؤَسُّ وَغَابِرًا يَتَجَعْجَعُ

فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا أَلْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ الْأَنْزَعُ

لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ آفِلٌ وَالْبَدْرُ مُنْبَلِجًا إِذَا مَا يَطْلُعُ

وَضَعَتْ أُمَيَّةُ وَاسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسْطَهُمُ فَنِعْمَ الْمَوْضِعُ

بَيْتٌ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَالِي الْمَشَارِفِ عِزُّهُ مَا يُدْفَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّ تَوْرِيَتَكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيبُنِي فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ . فَقَالَ :

جَرَبَتْ أُصَيْبِيَتِي يَدٌ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَعَادِهَا مَا تَرْجِعُ

وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نُجُومُهُمُ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَجَّاجِ :

فَانْعَشْ أُصَيْبِيَتِي الْأُلَاءَ كَأَنَّهُمْ حَجَلٌ تَدَرَّجُ بِالشَّرَبَّةِ جُوَّعُ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْعَشَهُمُ اللهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ :

مَالٌ لَهُمْ مَاإِنْ يُضَنُّ جَمَعْتُهُ   يَوْمَ ٱلْقَلِيبِ فَحِيزَ عَنهُمْ أَجْمَعُ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حِلِّهِ . وَأَرْصَدتَّ بِهِ لِمُشَاقَّةِ أَوْلِيَاءِ ٱللهِ وَأَعْدَدتَّهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ . فَنَزَعَهُ مِنْكَ إِذَا ٱسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ ٱللهِ . فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ :

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِي وَتَجْبُرَ فَاقَتِي   فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ ٱلْمَدْفَعُ

فَتَبَسَّمَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ : أَ مِنْتُ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ . فَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : كُنْ مَنْ شِئْتَ إِلَّا عَبْدَ ٱللهِ بْنَ ٱلْحَجَّاجِ . قَالَ : أَنَا وَٱللهِ هُوَ قَدْ وَطِئْتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَنْشَدتُّكَ . فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذٰلِكَ فَأَنْتَ وَمَا تَرَاهُ . وَأَنْتَ بِمَا عَلَيْكَ فِي هٰذَا عَارِفٌ . ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ :

ضَاقَتْ ثِيَابُ ٱلْمُلْبِسِينَ وَفَضْلُهُمْ   عَنِّي فَأَلْبِسْنِي فَثَوْبُكَ أَوْسَعُ

فَنَبَذَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ إِلَيْهِ مُطْرَفًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ . ٱلْبَسْهُ لَا لَبِسْتَ . فَٱلْتَحَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: أَوْلَى لَكَ . وَٱللهِ لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَمَعًا فِي أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هٰؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ . فَأَبَى ٱللهُ ذٰلِكَ فَلَا تُجَاوِرْنِي فِي بَلَدٍ . وَٱنْصَرِفْ آمِنًا فَقُمْ حَيْثُ شِئْتَ . ثُمَّ أَمْضَى لَهُ ٱلْأَمَانَ (للاصبهاني)

اجازة عُبيد الابرص وامرئ القيس

٥٨ لَقِيَ عَبِيدُ بْنُ ٱلْأَبْرَصِ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عَبِيدٌ : كَيْفَ مَعْرِفَتُكَ بِٱلْأَوَابِدِ . فَقَالَ: أَلْقِ مَا أَحْبَبْتَ . فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا حَبَّةٌ مَيْتَةٌ قَامَتْ بِمَيْتَتِهَا   دَرْدَاءُ مَا أَنْبَتَتْ سِنًّا وَأَضْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَابِلِهَا   فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ ٱلْمُكْثِ أَكْدَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا ٱلسُّودُ وَٱلْبِيضُ وَٱلْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ   لَا يَسْتَطِيعُ لَهُنَّ ٱلنَّاسُ تَمْسَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلسَّحَابُ إِذَا ٱلرَّحْمَانُ أَرْسَلَهَا   رَوَّى بِهَا مِنْ مُحُولِ ٱلْأَرْضِ أَيْبَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا مُرْتَجَاتٌ عَلَى هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا   يَقْطَعْنَ طُولَ ٱلْمَدَى سَيْرًا وَأَمْرَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلنُّجُومُ إِذَا حَالَتْ مَطَالِعُهَا   شَبَّهْتُهَا فِي سَوَادِ ٱللَّيْلِ أَقْبَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أَنِيسَ بِهَا   تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلرِّيَاحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا   كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا ٱلْفَاجِعَاتُ جِهَارًا فِي عَلَانِيَةٍ   أَشَدُّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْمَنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ   يَكْفِتْنَ حَمْقَى وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسَا

فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا ٱلسَّابِقَاتُ سِرَاعَ ٱلطَّيْرِ فِي مَهَلٍ   لَا يَشْتَكِينَ وَلَوْ أَلْجَمْتَهَا فَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْجِيَادُ عَلَيْهَا ٱلْقَوْمُ قَدْ سَبَحُوا كَانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ أَحْلَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ ٱلْجَوِّ فِي طَلَقٍ قَبْلَ ٱلصَّبَاحِ وَمَا يَسْرِينَ قِرْطَاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ :

تِلْكَ ٱلْأَمَانِيُّ يَتْرُكْنَ ٱلْفَتَى مَلِكًا دُونَ ٱلسَّمَاءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا

فَقَالَ عَبِيدٌ :

مَا ٱلْحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَا

فَقَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ

تِلْكَ ٱلْمَوَازِينُ وَٱلرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا رَبُّ ٱلْبَرِيَّةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ مِقْيَاسَا

٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا نَعُودُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بِرْكَةٌ قَدْ رَاقَ مَاؤُهَا. وَصَحَّتْ سَمَاؤُهَا. وَقَدْ رُصَّ تَحْتَ دَسَاتِيرِهَا نَارَنْجٌ فَتَنَ قُلُوبَ ٱلْحُضَّارِ . وَمَلَأَ بِٱلْمَحَاسِنِ عُيُونَ ٱلنُّظَّارِ . فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَالِجُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ ٱلنُّضَارِ فَأَشَارَ ٱلْحَاضِرُونَ إِلَى وَصْفِهَا فَقُلْتُ بَدِيهًا :

أَبْدَعْتَ يَا ٱبْنَ هِلَالٍ فِي فِسْقِيَّةٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ

عَجَبًا لِأَمْوَاهِ ٱلدَّسَاتِيرِ ٱلَّتِي فَاضَتْ عَلَى نَارَنْجِهَا ٱلْمُتَوَقِّدِ

فَكَأَنَّهُنَّ صَوَالِجٌ مِنْ فِضَّةٍ رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتِ خَالِصِ عَسْجَدِ

عليّ بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : وَمِنْ أَعْجَبِ مَا دُهِيتُ بِهِ وَرُمِيتُ إِلَّا أَنَّ ٱللهَ بِفَضْلِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى ٱلظَّفَرَ وَأَعَانَ خَاطِرِيَ ٱلْكَلِيلَ . حَتَّى مَضَى مُضَاءَ ٱلسَّيْفِ ٱلصَّقِيلِ . أَنِّي كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا ٱلْعَادِلِ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ مَعَ مَنْ ضَمَّتْهُ مَاشِيَةُ ٱلْعَسْكَرِ ٱلْمَنْصُورِ مِنَ ٱلْكُتَّابِ وَدَخَلَتْ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَنَحْنُ مُقِيمُونَ بِٱلْخِدْمَةِ . مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ ٱلنِّعْمَةِ . فَحَضَرْتُ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَنَاءِ . مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ . وَٱلْمَشَايِخِ وَٱلْكُبَرَاءِ . وَجَمَاعَةِ ٱلدِّيوَانِ وَٱلْأُمَرَاءِ . فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْجُلُوسِ لِلْأَحْكَامِ . وَٱلْعَرْضِ لِطَوَائِفِ ٱلْأَجْنَادِ بِٱلتَّمَامِ . فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ وَلَا مِنَ ٱلْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهَنِّيًا . وَمَثَلَ شَاكِرًا وَدَاعِيًا . فَلَمَّا غَصَّ ٱلْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ . وَشَرِقَ بِجَمْعِ ٱلنَّاسِ وَحَفْلِهِ . وَخَرَجَ مَوْلَانَا ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَحَلِّهِ . وَٱسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ . أَخْرَجَ كِتَابًا نَاوَلَهُ إِلَى ٱلصَّاحِبِ ٱلْأَجَلِّ صَفِيِّ ٱلدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَلِيٍّ وَزِيرِ دَوْلَتِهِ . وَكَبِيرِ جُمْلَتِهِ . وَهُوَ مَفْضُوضُ ٱلْخِتَامِ . مَفْكُوكُ ٱلْفِدَامِ . فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَتْ مِنَ ٱلْمَوْلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْمُعَظَّمِ أَبْقَاهُ ٱللهُ . كَتَبَهَا إِلَيْهِ يَتَشَوَّقُهُ وَيَسْتَعْطِفُهُ لِزِيَارَتِهِ وَيَرَقِّقُهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رِكَابِهِ إِلَى ٱلشَّامِ لِلْمُثَاغَرَةِ بِهَا وَقَمْعِ عَدُوِّهَا . وَيُعَرِّضُ بِذِكْرِ مِصْرَ وَشِدَّةِ حَرِّهَا وَوَقْدِ جَمْرِهَا . وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِٱلثُّغُورِ ثُمَّ رَجَعَ :

أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَا وَٱنْهَبْ بِخَيْلِكَ مَنْ أَطَاعَ سِوَاكَا

وَٱرْكَبْ خُيُولًا كَالسَّعَالِي شُزَّبًا ... وَٱضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْ يَشُقُّ عَصَاكَا
وَٱجْلِبْ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلَّ سَمَيْذَعٍ ... يَفْرِي بِعَزْمِكَ كُلَّ مَنْ يَشْنَاكَا
وَٱسْتَرْعِفِ ٱلسُّمْرَ ٱللِّدَانَ وَرَوِّهَا ... وَٱسْقِ ٱلْمَنِيَّةَ سَيْفَكَ ٱلسَّفَّاكَا
وَسِرِ ٱلْغَدَاةَ إِلَى ٱلْعُدَاةِ مُبَادِرًا ... بِٱلضَّرْبِ فِي هَامِ ٱلْعَدُوِّ دِرَاكَا
وَٱقْرِنْ رِمَاحَكَ بِٱلثُّغُورِ فَإِنَّهَا ... مُشْتَاقَةٌ أَنْ تَنْثَنِي بِعُلَاكَا
فَٱلْعِزُّ فِي نَصْبِ ٱلْخِيَامِ عَلَى ٱلْعِدَى ... تُرْدِي ٱلطُّغَاةَ وَتَرْفَعُ ٱلْمُلَّاكَا
وَٱلنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهِمَّتِكَ ٱلَّتِي ... قَدْ أَصْبَحَتْ فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ سِمَاكَا
فَإِذَا عَزَمْتَ وَجَدْتَ مَنْ هُوَ طَائِعٌ ... وَإِذَا نَهَضْتَ وَجَدْتَ مَنْ يَخْشَاكَا
وَٱلنَّصْرُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ ... أَحْلَى مِنَ ٱلْكَاسِ ٱلَّذِي رَوَّاكَا
وَٱلْعَجْزُ أَنْ تُمْسِي بِمِصْرَ مُخَيِّمًا ... وَتَحِلَّ مِنْ تِلْكَ ٱلْعِرَاصِ عَرَاكَا
فَأَرِحْ حَشَاشَتَكَ ٱلْكَرِيمَةَ مِنْ لَظَى ... مِصْرَ لِكَيْ تَحْظَى ٱلْغَدَاةَ بِذَاكَا
فَلَقَدْ غَدَا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ ... شَغَفًا وَلَا حَرُّ ٱلْبِلَادِ هُنَاكَا
وَٱنْهَضْ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا ... فَمُنَايَ مِنْ كُلِّ ٱلْأُمُورِ لِقَاكَا
وَٱبْرِدْ فُؤَادَ ٱلْمُسْتَهَامِ بِنَظْرَةٍ ... وَأَعِدْ عَلَيْهِ ٱلْعَيْشَ مِنْ رُؤْيَاكَا
وَٱشْفِ ٱلْغَدَاةَ عَلِيلَ صَبٍّ هَائِمٍ ... أَضْحَى مُنَاهُ مِنَ ٱلْحَيَاةِ مُنَاكَا
فَسَعَادَتِي بِٱلْعَادِلِ ٱلْمَلِكِ ٱلَّذِي ... مَلَكَ ٱلْمُلُوكَ وَقَارَنَ ٱلْأَمْلَاكَا
فَبَقِيتَ لِي يَا مَالِكِي فِي غِبْطَةٍ ... وَجُعِلْتُ فِي كُلِّ ٱلْأُمُورِ فِدَاكَا

فَلَمَّا تَلَا ٱلصَّاحِبُ عَلَى ٱلْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا. وَجَلَا مِنْهَا ٱلْعَرُوسَ ٱلَّتِي حَازَتْ مِنَ ٱلْمَحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا. أَخَذُوا فِي ٱسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا.

وتناسق غريب التئامها . والثناء على الخاطر الذي نظم محكم أبياتها . وأطلع من مشرق فكره آياتها . فقال السلطان (خلد الله ملكه) : نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها . فالتفت مسرعاً إليَّ وأنا على يمينه وقال : يا مولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان . والمعتاد للتخلص في مضايق هذا الشان . ثم قطع وصلاً من درج كان بين يديه وألقاه إليَّ . وعمد إلى دواته فأدارها بين يديَّ . فقال السلطان (خلد الله ملكه) : على مثل هذه الحال . قال : نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع إجابة الفكر . فقال السلطان : وعلى كل حال قم إلى ههنا لتكف عنك أبصار الناظرين . وتنقطع جلبة الحاضرين . وأشار إلى مكان عن يمين البيت الخشب الذي هو منفرد به فقمت وقد فقدت رجلي انخزالا . وذهني اختلالا . لهيبة المجلس في صدري وكثرة من حضره من المترقبين لي المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بي . فما هو إلا أن جلست حتى ثاب إليَّ خاطري . وانثال الشعر على ضمائري . فكنت أرى فكري كالبازي الصيود لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسره . ولا معنى إلا شك فيه ظفره . فقلت في أسرع وقت :

وصلت من الملك المعظم تحفة ... ملأت بفاخر درها الأسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة ... فلذا حكت أوراقها الأفلاكا
عجباً وقد جاءت كمثل الروض إذ ... لم تذوها بالحر نار ذكاكا

جَلَتِ ٱلْهُمُومَ عَنِ ٱلْفُؤَادِ كَمِثْلِ مَا ... تَجْلُو بِغُرَّةِ وَجْهِكَ ٱلْأَحْلَاكَا

كَقَمِيصِ يُوسُفَ إِذْ شَفَتْ يَعْقُوبَ رَيَّاهُ شَفَتْنِي ... مِثْلَهُ رَيَّاكَا

قَدْ أَعْجَزَتْ شُعَرَاءَ أَهْلِ زَمَانِنَا ... حُسْنًا فَلِمْ لَا تُعْجِزُ ٱلْأَمْلَاكَا

مَا كَانَ هٰذَا ٱلْفَضْلُ يُمْكِنُ مِثْلُهُ ... أَنْ يَحْتَوِيهِ مِنَ ٱلْأَنَامِ سِوَاكَا

لِمْ لَا أَغِيبُ عَنِ ٱلشَّآمِ وَهَلْ لَهُ ... مِنْ حَاجَةٍ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَا

أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَٱلْبِلَادُ جَمِيعُهَا ... مَحْمِيَّةٌ فِي جَاهِ طَعْنِ قَنَاكَا

يَكْفِي ٱلْأَعَادِيَ حَرُّ بَأْسِكَ فِيهِمِ ... أَضْعَافَ مَا يَكْفِي ٱلْوَلِيَّ نَدَاكَا

مَا زُرْتُ مِصْرَ لِغَيْرِ ضَبْطِ ثُغُورِهَا ... فَلِذَا صَبَرْتُ فُدِيتَ عَنْ رُؤْيَاكَا

أُمُّ ٱلْبِلَادِ عَلَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا ... لَا سِيَّمَا مُذْ شُرِّفَتْ بِخُطَاكَا

طَابَتْ وَحَقٌّ لَهَا وَلِمْ لَا وَهْيَ قَدْ ... حَوَتِ ٱلْمُعَلَّى فِي ٱلْفَخَارِ أَخَاكَا

أَنَا كَٱلسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَافِيًا ... حِينًا وَأَمْنَحُ غَيْرَهَا سُقْيَاكَا

مُكْثِي جِهَادٌ لِلْعَدُوِّ لِأَنَّنِي ... أَغْزُوهُ بِٱلرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ دِرَاكَا

لَوْلَا ٱلرِّبَاطُ وَفَضْلُهُ لَقَصَدْتُ بِٱلسَّيْرِ ٱلْحَثِيثِ إِلَيْكَ نَيْلَ رِضَاكَا

وَلَئِنْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلشَّآمِ فَإِنَّمَا ... يَحْتَثُّنِي شَوْقِي إِلَى لُقْيَاكَا

إِنِّي لَأَمْنَحُكَ ٱلْمَحَبَّةَ جَاهِدًا ... وَهَوَايَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَا

فَٱفْخَرْ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِي وَبِبَأْسِكَ ٱلسَّامِي وَكُلُّ مُمَلَّكٍ يَخْشَاكَا

لَا زِلْتَ تَقْهَرُ مَنْ يُعَادِي مُلْكَنَا ... أَبَدًا وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَا

وَأَعِيشُ أَنْظُرُ إِبْنَكَ ٱلْبَاقِي أَبًا ... وَتَعِيشُ تَخْدُمُ فِي ٱلسُّعُودِ أَبَاكَا

ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي وَقَدْ بَيَّضْتُهَا . وَحَلَّيْتُ بِزَهْرِهَا سَاحَةَ ٱلْقِرْطَاسِ

ٱلْأَبْيَضِ وَرَوْضَتِهَا . فَلَمَّا رَآنِي ٱلسُّلْطَانُ (خَلَّدَ ٱللّٰهُ مُلْكَهُ) قَدْ عُدْتُ قَالَ : أَعَلِمْتَ شَيْئًا . ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ ٱلْعَمَلَ فِي تِلْكَ ٱللَّمْحَةِ مُتَعَذِّرٌ . وَبُلُوغَ ٱلْغَرَضِ فِيهَا غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ . فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : أَنْشِدْنَا فَصَمَتَ ٱلنَّاسُ وَحَدَّقَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَأَصَاخَتِ ٱلْأَسْمَاعُ . وَظَنَّ ٱلنَّاسُ بِيَ ٱلظُّنُونَ . وَتَرَقَّبُوا مِنِّي مَا يَكُونُ . فَمَا تَوَالَى إِنْشَادِي حَتَّى صَفَّقَتِ ٱلْأَيْدِي إِعْجَابًا . وَتَغَامَزَتِ ٱلْأَعْيُنُ ٱسْتِغْرَابًا . وَحِينَ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ مَوْلَانَا ٱلْكَامِلِ بِأَنَّهُ ٱلْمُعَلَّى إِذَا ضُرِبَتْ قِدَاحُهُمْ . وَسُرِدَتْ أَمْدَاحُهُمْ . اُغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ لِذِكْرِهِ . وَبَانَ مِنْهُ مُخْفِي ٱلْمَحَبَّةِ فَأَعَانَ بِسِرِّهِ . وَحِينَ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا فَاضَ دَمْعُهُ . وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنْعُهُ . ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ فَرَجِيَّةً مِنْ خَاصِّ مَلَابِسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى كَتِفِي (بدائع البدائه للازدي)

٦١ للباني يرثي ضرسهُ بعد قلعهِ

أَيُّ طَوْدٍ مِنَ ٱلرَّوَاسِي ٱلْعِظَامِ فَجَعَتْنَا بِهِ يَدُ ٱلْأَيَّامِ
هَدَمَتْهُ نَوَازِلُ ٱلدَّهْرِ وَٱلدَّهْـرُ وَلُوعٌ بِهَدْمِ عِزِّ ٱلْكِرَامِ
فَهَوَى شَاطِيًا مِنَ ٱلذِّرْوَةِ ٱلْقَعْسَاءِ قَسْرًا وَأَنْفُهُ فِي ٱلرَّغَامِ
صَاحِبٌ كَانَ لِي وَفِيًّا وَبِي بَرًّا حَفِيًّا يَعُولُنِي بِٱلْتِزَامِ
وَخَلِيلٌ فِي كُلِّ مَخْمَصَةٍ كَانَ عَتِيدَ ٱلْإِطْعَامِ وَٱلْإِنْعَامِ
أَبْيَضُ ٱلْوَجْهِ فِي ٱلتَّقَالِينُ ٱلْمَلْمَسِ صَعْبُ ٱلْمِرَاسِ عِنْدَ ٱلصِّدَامِ
كَاسِرٌ طَاحِنٌ إِذَا ٱصْطَدَمَ ٱلصَّفَّانِ مَاضِي ٱلشَّبَا أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ
ضَعْضَعَتْ رُكْنَهُ ٱلْخُطُوبُ وَثَلَّتْ عَرْشَ سُلْطَانِهِ ٱلْمَنِيعِ ٱلسَّامِي

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هَيْهَاتَ أَنَّى أَتَهَنَّا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامِ
يَا رَفِيقِي مُذْ كُنْتُ طِفْلًا إِلَى أَنْ جَلَّلَ ٱلشَّيْبُ مَفْرِقِي بِٱلثَّغَامِ
وَصَدِيقِي ٱلَّذِي تَحَوَّلْتُ مِنْ جَدْ وَاهُ قُوتِي وَقُوَّتِي وَقِوَامِي
مَنْ يَرُوضُ ٱلصِّعَابَ بَعْدَكَ مَنْ لِلْبَطْشِ مَنْ لِلْقِرَاعِ مَنْ لِلصِّدَامِ
رُبَّ قِشْرٍ مَحَضْتَهُ عَنْ لُبَابٍ وَلُحُومٍ عَرَقْتَهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بِنْتَ فَٱذْهَبْ مُمَتَّعًا بِسَلَامِ
وَتَأَسَّى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهٰذَا ٱلشَّنْ أَرْدَتْهُ غَارَةُ ٱلْأَيَّامِ
أَبْدَلَتْنِي عَنِ ٱلثُّرَيَّا بَنِي نَعْشٍ كُرُورُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْأَعْوَامِ
فَجَعَتْنِي بِكُلِّ أَبْيَضَ طَلَّاعِ ٱلثَّنَايَا مُسْتَأْسِدٍ بَسَّامِ
أَيَّ وِتْرٍ تَبْغِي ٱلنَّوَازِلُ مِنِّي بَعْدَ ضُعْفِ ٱلْقُوَى وَفَتِّ ٱلْعِظَامِ
مَنْ يُرِدْ صُحْبَةَ ٱلزَّمَانِ طَوِيلًا فَيُوَطِّنْ نَفْسًا عَلَى ٱلْآلَامِ
كُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ إِنْ أَنْعَمَ ٱللّٰهُ عَلَى عَبْدِهِ بِحُسْنِ ٱلْخِتَامِ

٩٣ حدّث أبو هريرة النحويُّ قال: كان أبو شبل البرجيُّ قد اشترى كبشاً للاضحى. فجعل يعلفهُ ويُسمّنهُ فأفلت يوماً على قنديلٍ لهُ كان يسرجهُ بين يديهِ وسراجٍ وقارورةِ لزيت. فنطحهُ فكسرهُ ونصبَّ الزيت على ثيابهِ وكتبهِ وفراشهِ. فلمّا عاين ذلك ذبح الكبش قبل الاضحى وقال يرثي سراجهُ:

يَا عَيْنِ أَبْكِي لِفَقْدِ مِسْرَجَةٍ كَانَتْ عَمُودَ ٱلضِّيَاءِ وَٱلنُّورِ
أَوْحَشَتِ ٱلدَّارُ مِنْ ضِيَائِكِ وَٱنْبَتْتُ إِلَى مَطْبَخٍ وَتَنُّورِ
قَلْبِي حَزِينٌ عَلَيْكِ إِذَا سَجَاتْ عَلَيْكِ بِٱلدَّمْعِ عَيْنُ تَنْمِيرِ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكِ ٱلزَّمَانُ فَقَدْ أَبْقَيْتِ مِنْكِ ٱلْحَدِيثَ فِي ٱلدُّورِ

دَعْ ذِكْرَهَا وَٱنْهَجْ قَرْنَ نَاطِحِهَا وَٱسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَفْسِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِّي ٱشْتَرَيْتُ فَمَا ٱشْتَرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خِنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِٱلنَّوَى أُسَمِّنُهُ وَٱلتِّبْنِ وَٱلْقَتِّ وَٱلْأَثَاجِيرِ
أُبَرِّدُ ٱلْمَاءَ فِي ٱلْقِلَالِ لَهُ وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَحْذُورِ
كَانَتْ إِذَا مَا ٱلظَّلَامُ أَلْبَسَنِي مِنْ حِنْدِسِ ٱللَّيْلِ ثَوْبَ دَيْجُورِ
شَقَّتْ بِنِيرَانِهَا غَيَابَتَهُ شَقًّا رَعَى ٱللَّيْلَ بِٱلدَّيَاجِيرِ
صِينِيَّةُ ٱلصِّينِ حِينَ أَبْدَعَهَا مُصَوِّرُ ٱلْحُسْنِ بِٱلتَّصَاوِيرِ
وَقَبْلَ ذَا بِدْعَةٌ أُتِيحَ لَهَا مِنْ قِبَلِ ٱلدَّهْرِ قَرْنُ يَعْفُورِ
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَمَا ٱنْبَتَتْ أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ ٱلْمَكَاسِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَتْ ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى ٱلْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ يَأْسِرُهُ فَلَمْ يَشُبْ يُسْرَهُ بِتَعْسِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ ٱلزَّمَانُ صَفْوَتَهُ فَلَمْ يَشُبْ صَفْوَهُ بِتَكْدِيرِ
مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتِ مَا بَخِلَتْ عَنْكِ يَدُ ٱلْجُودِ بِٱلدَّنَانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكِ مَا نُقَدِّرُهُ لَكِنَّمَا ٱلْأَمْرُ بِٱلْمَقَادِيرِ
مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتِ مِنْ ظُلَمٍ جَلَيْتِ ظَلْمَاءَهَا بِتَنْوِيرِ
تَخْدُمُهُ طُولَ كُلِّ لَيْلَتِهَا خِدْمَةَ عَبْدٍ بِٱلذُّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَغْتَذِي ٱلسُّرُورَ وَمَا ٱ مَحْزُونُ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ يَكْفُرُ نُعْمَى تَقْرِيبُ تَغْيِيرِ
فَمَدَّ قَرْنَيْهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ تُعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

شَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَنَقٍ مُعَوَّدٍ لِلنِّطَاحِ مَشْهُورِ
وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ صَلْدٌ مِنَ ٱلشُّمِّ ٱلْمَذَاكِيرِ
فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ أَرَقُّ مِنْ جَوْهَرِ ٱلْقَوَارِيرِ
تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ وَمَا صَحِيحُ ٱلْهَوَى كَمَكْسُورِ
فَأَدْرَكَتْهُ شَعُوبُ فَٱنْشَعَبَتْ بِٱلرَّوْعِ وَٱلشِّلْوُ غَيْرُ مَقْتُورِ
أُدِيلَ مِنْهُ فَأَدْرَكَتْهُ يَدٌ مِنَ ٱلْمَنَايَا بِحَدٍّ مَطْرُورِ
يَلْتَهِبُ ٱلْمَوْتُ فِي ظُبَاهُ كَمَا تَلْتَهِبُ ٱلنَّارُ فِي ٱلْمَسَاعِيرِ
وَمَزَّقَتْهُ ٱلْمُدَى فَمَا تَرَكَتْ كَفُّ ٱلْقِرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
وَٱغْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدَرٌ صَيَّرَهُ نُهْزَةَ ٱلسَّنَانِيرِ
فَمَزَّقَتْ لَحْمَهُ بَرَاثِنُهَا وَبَذَّرَتْهُ أَشَدَّ تَبْذِيرِ
وَٱخْتَلَسَتْهُ ٱلْحِدَاءُ خَاسًا مَعَ ٱلْغِرْبَانِ لَمْ تَزْدَجِرْ لِتَكْبِيرِ
وَصَارَ حَظُّ ٱلْكِلَابِ أَعْظُمَهُ يَهْشِمُ أَلْحَاءَهَا بِتَكْسِيرِ
كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَفَى ٱلْمَنَاقِيرِ
وَخَامِعٍ نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَبَا ٱلْأَظَافِيرِ
قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرُسًا بِلَا ٱفْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
وَلَا مُغَنٍّ سِوَى هَمَاهِمِهَا إِذَا تَمَطَّتْ لِوَارِدِ ٱلْعِيرِ
يَا كَبْشُ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمُدْيَةِ ٱلْمَوْتِ كَأْسَ تَنْحِيرِ
بَغَيْتَ ظُلْمًا وَٱلْبَغْيُ مَصْرَعُ مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
أُضْحِيَّةٌ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا فِي قَسْمِهِ لَحْمَهَا بِمَأْجُورِ

٦٣ قال ابو العلاء المعرّي من قصيدةٍ على لسان درعٍ يخاطب سيفًا

أَلَمْ يَبْلُغْكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالزِّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابٌ كَالْمُدَامِ بِلَا مِزَاجِ
مَنَعْتُ الشَّيْبَ مِن كَتْمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعْهُ مِنْ خَطَرِ الْعَجَاجِ
فَهَلْ حُدِّثْتَ بِالْحِرْبَاءِ يَلْقَى بِرَأْسِ الْعَيْرِ مُوضِحَةَ الشِّجَاجِ
تَصِيحُ ثَعَالِبُ الْمُرَّانِ كَرْبًا صِيَاحَ الطَّيْرِ تَطْرَبُ لِابْتِهَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ نَجِيعُ قِرْنٍ يَجُوبُ النَّقْعَ وَهْوَ إِلَيَّ لَاجِي
يُقَضِّبُ عَنْهُ أَمْرَاسَ الْمَنَايَا لِبَاسٌ مِثْلُ أَغْرَاسِ النِّتَاجِ
تَعَوَّذَ بِي حَلِيفُ التَّاجِ قِدْمًا وَفَارِسُ لَمْ تَهُمَّ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنَيْ بَغِيضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَحْرَاءِ النِّبَاجِ
فَلَا يُطْمِعْكَ فِي الْغَمَرَاتِ وِرْدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمُرِّ الْأُجَاجِ
فَإِنْ تَرْكُدْ بِغِمْدِكَ لَا تُخِفْنِي وَإِنْ تَهْجُمْ عَلَيَّ فَغَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِيَ الزَّوَايَا تَجِدْ قَضَّاءَ مُبْهَمَةَ الرِّتَاجِ
يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرْدِي رُفَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الزُّجَاجِ
تُنَاجِينِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيْبَ غَيْرِكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُعُوبَهَا مُتَنَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبٍ تُرَضَّخُ لِلنَّوَاجِي
مُمَوَّهَةٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشًا لِفَرْطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تُضَيِّفُنِي الذَّوَابِلُ مُكْرَهَاتٍ فَتَرْحَلُ مَا أُذِيقَتْ مِنْ لَمَاجِ
إِذَا مَا السَّهْمُ حَاوَلَ فِيَّ نَهْجًا فَإِنِّي عَنْهُ ضَيِّقَةُ الْفِجَاجِ

وَهَلْ تَعْشُو ٱلنِّبَالُ إِلَى ضِيَاءٍ ... ثَنَى ٱلسَّمْرَاءَ مُطْفَأَةَ ٱلسِّرَاجِ

يَهُونُ عَلَيَّ وَٱلْحِدْثَانُ طَاغٍ ... أَتُنْذِرُنِي ٱلْفَوَارِسُ أَمْ تُفَاجِي

فَلَوْ طُعِنَ ٱلْفَتَى بِأَشَدِّ غُصْنٍ ... حَنَاهُ أَشَدُّ حِصْنٍ فِي ٱلْهِيَاجِ

أَخَالَتْنِي ظِمَاءُ ٱلْخَطِّ لُجًّا ... فَأَلْفَتْ رُكْنَ شَابَةَ فِي ٱللُّجَاجِ

وَلَيْسَ لِكَرِّ يَوْمِ ٱلشَّرِّ نَافٍ ... سِوَى كَرٍّ مِنَ ٱلْأَذْرَاعِ سَاجِ

٦٤ وقال ايضاً من قصيدةٍ على لسان رجل يسأل أُمَّهُ عن درع أبيه

مَا فَعَلَتْ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرَتْ ... فِي نَهَرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ

أَمِ ٱسْتُعِيرَتْ مِنَ ٱلْأَرَاقِمِ فَٱرْ ... تَدَّتْ عَوَارِيَّهَا بَنُو ٱلرَّقِمِ

أَمْ بِعْتِهَا تَبْتَغِينَ مَصْلَحَةً ... فِي سَنَةٍ وَٱلسَّمَاءُ لَمْ تَغِمِ

عَابِسَةٌ لَمْ يَجِدْ بِهَا ٱلْأَسَدُ ٱلـ ... ـظَّبْيَةَ إِلَّا ضَعَائِفَ ٱلرَّهَمِ

أَمْ كُنْتِ صَيَّرْتِهَا لَهُ كَفَنًا ... فَتِلْكَ لَيْسَتْ مِنْ آلَةِ ٱلرَّجَمِ

لَعَلَّهُ أَنْ يَجِيءَ مُدَّرِعًا ... يَوْمَ رُجُوعِ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلرِّمَمِ

أَمْ كُنْتِ أَوْدَعْتِهَا خَائِنَةً ... فَخَانَ وَٱلْخَوْنُ أَقْبَحُ ٱلشِّيَمِ

ضَافِيَةٌ فِي ٱلْمَجَرِّ صَافِيَةٌ ... لَيْسَتْ بِمَطْوِيَّةٍ عَلَى قَتَمِ

كَأَنَّهَا وَٱلنِّصَالُ تَأْخُذُهَا ... أَضَاةُ حَزْنٍ تُجَادُ بِٱلدِّيَمِ

ضَنَّ بِهَا رَبُّهَا لِضِنَّتِهَا ... بِهِ وَكَمْ ضِنَّةٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ

تَحْسَبُهَا مِنْ رُضَابِ غَادِيَةٍ ... مَجْمُوعَةً أَوْ دُمُوعِهَا ٱلسُّجُمِ

ضَاحِكَةٌ بِٱلسِّهَامِ سَاخِرَةٌ ... بِٱلرُّمْحِ هَزَّاءَةٌ مِنَ ٱلْخُذُمِ

عَادَتُهَا أَرْمُهَا ضُبًّا وَقَنًا ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأُخْتِهَا إِرَمِ

تَغُـرُّهَا غِرَّةَ ٱلسَّرَابِ نُهًى   فِي نَاجِرِيِّ ٱلنَّهَـارِ مُحْتَدِمِ

أَوْ عَمَـلُ ٱلْكُفْرِ مَنْ يَدِينُ بِهِ   فِي ٱلْبَعْثِ إِبَّانَ مَجْمَعِ ٱلْأُمَمِ

ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَـوْلِدِهَا   وَلَمْ يَكُنْ شَيْبُهَا مِنَ ٱلْقِـدَمِ

فَمَا عَدَدْنَا بَيَـاضَهَا هَرَمـاً   حِينَ يُعَدُّ ٱلْبَيَـاضُ فِي ٱلْهَـرَمِ

مَا خَضَبَتْـهُ ٱلْمُهَنَّـدَاتُ لَهَا   وَلَا ٱلْعَوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ

مَلْبَسُ قَيْلٍ مَا خِيطَ مُشْبِهُـهُ   لِدَارِمٍ قَبْلَنَـا وَلَا دَرِمِ

رَآهُ كَهْلَانُ مِنْ مَعَـاقِلِهِ   فِي ٱلْحَرْبِ دُونَ ٱلْعَبِيدِ وَٱلْحَشَمِ

عَذَّبَهَـا ٱلْهَالِكِيُّ صَانِعُهَـا   فِي جَاحِمٍ مِنْ وَقُودِهِ ضَرِمِ

يَنْفِرُ عَنْهَـا ضَبُّ ٱلْعَذَاةِ كَمَا   يَهَابُ نَقْعاً مِنْ بَارِدٍ شَبِمِ

يَدُ ٱلْمَنَـايَا إِذَا تُصَافِحُهَـا   أَعْيَى بِهَـا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ

مَعَابِلُ ٱلرَّمْيِ عِنْدَهَا عَبَـثٌ   مُلْقًى وَتُحْمُ ٱلنِّصَالِ كَٱلسُّحُمِ

فَهْيَ فَمُ ٱلْعُـودِ يَزْهُنَّ بِهِ   وَهُنَّ شَوْكُ ٱلْقَتَـادِ وَٱلسَّلَـمِ

٦٥ لابي الحفص الفارضي في التغزل بالكمالات الالهية

أَوَمِيضُ بَرْقٍ بِٱلْأُبَيْرِقِ لَاحَا   أَمْ فِي رُبَى نَجْدٍ أَرَى مِصْبَـاحَا

أَمْ تِلْكَ لَيْلَى ٱلْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ   لَيْـلًا فَصَيَّرَتِ ٱلْمَسَاءَ صَبَاحَا

يَا رَاكِبَ ٱلْوَجْنَاءِ (٢) وُقِيتَ ٱلرَّدَى   إِنْ جُبْتَ حَزْناً أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحَا

وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ ٱلْأَرَاكِ (٣) فَعُجْ إِلَى   وَادٍ (٤) هُنَـاكَ عَهِدْتُهُ فَيَّاحَا

---

(١) قال الشيخ حسن البوريني : أراد بليلى العمرية ذات وجود الحق والعزة الالهية

(٢) المراد براكب الوجناء السالك في طريق الخلاص القاهر نفسهُ

(٣) اسم مكان وكنى بهِ عن الدخول في التجليات الالهية (٤) أراد بهِ الرياض السموية

فَبِأَيْمَنِ ٱلْعَلَمَيْنِ (١) مِنْ شَرْقِيِّهِ   عَرِّجْ وَأُمَّ أُرَيْنَهُ ٱلْفَوَّاحَا
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى ثَنِيَّاتِ ٱللِّوَى (٢)   فَٱنْشُدْ فُؤَادًا بِٱلْأُبَيْطِحِ طَاحَا
وَٱقْرِ ٱلسَّلَامَ أُهَيْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ   غَادَرْتُهُ لِجَنَابِكُمْ مُلْتَاحَا
يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ   لِأَسِيرِ إِلْفٍ لَا يُرِيدُ سَرَاحَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ (٤) تَحِيَّةً   فِي طَيِّ صَافِيَةِ ٱلرِّيَاحِ رَوَاحَا
يَحْيَى بِهَا مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ   مَزْحًا وَيَعْتَقِدُ ٱلْمِزَاحَ مُزَاحَا
يَا أَهْلَ وُدِّي هَلْ لِرَاجِي وَصْلِكُمْ   طَمَعٌ فَيَنْعَمَ بَالُهُ ٱسْتِرْوَاحَا
مُذْ غِبْتُمُ عَنْ نَاظِرِي لِيَ أَنَّةٌ   مَلَأَتْ نَوَاحِيَ أَرْضِ مِصْرَ نُوَاحَا
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمُ أَمِيلُ كَأَنَّنِي   مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمُ سُقِيتُ ٱلرَّاحَا
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ   أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِحَاحَا
سَقْيًا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ (٥)   كَانَتْ لَيَالِينَا بِهِمْ أَفْرَاحَا
حَيْثُ ٱلْحِمَى وَطَنِي وَسُكَّانُ ٱلْغَضَا   سَكَنِي وَوِرْدِي ٱلْمَاءُ فِيهِ مُبَاحَا
وَأُهَيْلُهُ أَرَبِي وَظِلُّ نَخِيلِهِ   طَرَبِي وَرَمْلَةُ وَادِيَيْهِ مَرَاحَا
وَاهًا عَلَى ذَاكَ ٱلزَّمَانِ وَطِيبِهِ   أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ ٱللُّغُوبِ مُرَاحَا
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَٱلْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى ٱلْـ   ـبَيْتَ ٱلْحَرَامَ مُلَبِّيًا سَيَّاحَا
مَا رَنَّحَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا شِيحَ ٱلرُّبَى   إِلَّا وَأَهْدَتْ مِنْكُمُ أَرْوَاحَا

---

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب وبوصوله عن تجلي الحضرة الالهية (٢) كنى بثنيات اللوى عن الصفات الربانية. (٣) هم الاولياء والطوباويون. وكذلك ساكنو نجد (٤) يريد بالمشوق نفسه الهائمة بحبه تعالى (٥) يكني عن زمان زجاه بالبر والصلاح مع الاولياء

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ مُدَامَـةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ ٱلْكَرْمُ

(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو الحق تعالى . وقد يُراد (بالذكر) الذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله عنده من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا شراب المحبة الالهية الناشئة من شهود اثار الاسماء الجمالية لحضرة الطية . وقوله (سكرنا) أي غبنا لذةً وطرباً بنشأة تلك الخمرة . وقوله (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : ألستُ انا ربكم قبل ان يخلق الكرم الى الوجود

لَهَا ٱلْبَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

هذا البيت عجيب في بابِهِ فانهُ مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلال و لنجم وكذلك الكاس والادارة والمزج . وقولهُ : لها البدر كأسٌ اي قلب العالم المحقق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهية التي تفيض انوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها واشراقها . وقولهُ يديرها اي ينشر اسماء تلك الحضرة الالهية وصفاتها . وقولهُ هلالٌ هو ذاك البدر الا انهُ محتجب

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا ٱهْتَدَيْتُ لِحَانِهَـا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا ٱلْوَهْمُ

يقول : لولا روائح تلك الحضرات لما اهتديت الى الاسماء الحسنى والصفات العليا لان عبيرهُ عطَّر الاكوان . وقولهُ : لولا سناها الخ كنى بهِ عن النور الروحاني الذي بضوءِهِ ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا ٱلدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ ٱلنُّهَى كَتْمُ

يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق . ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشرية خفاء الأسرار وكتمها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي ٱلْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلَا عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمُ

يعني ان ذكرت تلك الحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصبحون سكارى ويغيبون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ ٱلدِّنَانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي ٱلْحَقِيقَةِ إِلَّا ٱسْمُ

يقول : انهُ بتقاصر الهمم الروحانية عن نيل هذه المدامة ولانحراف قلوب البشر اختفت

العلوم الالهيّة شيئاً فشيئاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبقَ منها الّا الاسم

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ ... أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ الْهَمُّ

يقول ان تجلّي العزّة الالهيّة يبدّد كل غمّ ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النُّدْمَانُ خَتْمَ إِنَائِهَا ... لَأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذٰلِكَ الْخَتْمُ

يقول ان أثر التجلّي الربّاني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ ... لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرْمِهَا ... عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السُّقْمُ

وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقْعَداً مَشَى ... وَتَنْطِقُ مِنْ ذِكْرَى مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيبِهَا ... وَفِي الْغَرْبِ مَزْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُّ

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ ... لَمَا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرّاً عَلَى أَكْمَهٍ غَدَا ... بَصِيراً وَمِنْ رَاوُوقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

وَلَوْ أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوا تُرْبَ أَرْضِهَا ... وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى ... جَبِينِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

وَفَوْقَ لِوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا ... لَأَسْكَرَ مَنْ تَحْتَ اللِّوَا ذٰلِكَ الرَّقْمُ

تُهَذِّبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى فَيَهْتَدِي ... بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لَا لَهُ عَزْمُ

وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفُّهُ ... وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ

وَلَوْ نَالَ فَدْمُ الْقَوْمِ لَثْمَ فِدَامِهَا ... لَأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّثْمُ

اراد الشاعر بهذه الابيات صفة ما تنتجهُ الحضرة الالهيّة في البشر وذوي العاهات من برء أسقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانيّة وان أرادوا نهج المسالك الربّانيّة

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا ... خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوًا ... وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

قد جمع الشاعر اوصافهُ عزَّ وجلَّ فان هذه الصفات باعتبار تجلّي حقيقتها الغيبيّة عليهِ ظاهرة لهُ باربعة اوصاف الصفاء واللطف والضياء والروح . في روح مجرّد عن كثافات العناصر الاربعة بعيدة عن كل جسم حسي

تَقَدَّمَ كُلَّ ٱلْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ

يُريد ان وجود الله قد سبق وجود الكائنات باجمعها قبلما تُبدع الصُوَر الحسيَّة في عالم الكون

وَقَامَتْ بِهَا ٱلْأَشْيَاءُ ثَمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا ٱحْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ

أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وانما قد خَفيَت عن الخطأة والذين لم يُدركوا الالهيات

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجَا ٱتِّحَادًا وَلَا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

يقول انهُ لفرط شغفهِ بهذه الحكمة الربَّانيَّة قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا وَقَبْلِيَّةُ ٱلْأَبْعَادِ فَهْيَ لَهَا حَتْمُ

وَقَالُوا شَرِبْتَ ٱلْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ ٱلَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ ٱلْإِثْمُ

ان هذا البيت ردٌّ على من اتهمهُ بشرب الخمرة فيقول ان سكره لا بالخمرة المعتصرة من العنب بل بالعزَّة الالهيَّة التي هام بحبها

هَنِيئًا لِأَهْلِ ٱلدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلٰكِنَّهُمْ هَمُّوا

يقول انهُ يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة الجمال الالهي

وَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ ٱلْعَظْمُ

يقول ان قلبهُ تشرَّب محبة الله فلا يعدمها وان فاجأتهُ المنيَّة

فَمَا سَكَنَتْ وَٱلْهَمَّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذٰلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ ٱلنَّغَمِ ٱلْغَمُّ

فَلَا عَيْشَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِيًا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ ٱلْحَزْمُ

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ

هذا القول اغراء بشرب هذه المدامة السماويَّة التي اضحت مبدأ كل سرور فانها حيث حلَّت تضمحلُّ اكدار العالم وخطوب الدهر

ٱلْبَابُ ٱلسَّادِسُ
فِي ٱلْوَصْفِ

وصف المطر والسحابة

٦٧ أَخْبَرَنَا عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ فَقَالَ : ٱسْتَقَلَّ سُدٌّ مَعَ ٱنْتِشَارِ ٱلطَّفَلِ فَشَصَا وَٱحْزَأَلَّ . ثُمَّ ٱكْفَهَرَّتْ أَرْجَاؤُهُ . وَٱحْمَوْمَتْ أَرْحَاؤُهُ . وَٱبْذَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ . وَتَضَاحَكَتْ بَوَارِقُهُ . وَٱسْتَطَارَ وَادِقُهُ . وَٱرْتَتَقَتْ جُوَبُهُ . وَٱرْتَعَنَ هَيْدَبُهُ . وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ . وَٱسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ . وَٱنْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ . فَٱلرَّعْدُ مُرْتَجِسٌ . وَٱلْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ . وَٱلْمَاءُ مُنْبَجِسٌ . فَأَتْرَعَ ٱلْغُدُرَ . وَأَنْبَثَ ٱلْوُجُرَ . وَخَلَطَ ٱلْأَوْعَالَ بِٱلْآجَالِ . وَقَرَنَ ٱلصِّيرَانَ بِٱلرِّئَالِ . فَلِلْأَوْدِيَةِ هَدِيرٌ . وَلِلشِّرَاجِ خَرِيرٌ . وَلِلتِّلَاعِ زَفِيرٌ . وَحَطَّ ٱلنَّبْعَ وَٱلْعُتْمَ مِنَ ٱلْقُلَلِ ٱلشُّمِّ . إِلَى ٱلْقِيعَانِ ٱلصُّحْمِ . فَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِمٌ . أَوْ دَاحِضٌ مُجْرَجِمٌ . وَذَلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ ٱلْمُذْنِبِينَ

٦٨ أَخْبَرَ ٱلْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ عَنْ مَطَرٍ صَابَ بِلَادَهُمْ فَقَالَ : نَشَأَ عَارِضًا . فَطَلَعَ نَاهِضًا . ثُمَّ ٱبْتَسَمَ وَامِضًا . فَٱعْتَنَّ فِي ٱلْأَقْطَارِ فَأَشْجَاهَا . وَٱمْتَدَّ فِي ٱلْآفَاقِ فَغَطَّاهَا . ثُمَّ ٱرْتَجَزَ فَهَمْهَمَ . ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ . فَأَرَكَّ وَدَثَّ وَبَغَشَ . ثُمَّ قَطْقَطَ فَأَفْرَطَ . ثُمَّ دَيَّمَ فَأَغْمَطَ . ثُمَّ رَكَدَ فَأَثْجَمَ . ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ . وَجَادَ فَأَنْعَمَ . فَقَمَسَ ٱلرُّبَى .

وَأَفْرَطَ ٱلزُّبَى . سَبْعًا تِبَاعًا . مَا يُرِيدُ ٱنْقِشَاعًا . حَتَّى إِذَا ٱرْتَوَتِ ٱلْحُزُونُ . وَتَضَحْضَحَتِ ٱلْمُتُونُ . سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ

٦٩ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ غَنِيٍّ يَذْكُرُ مَطَرًا أَصَابَهُمْ فِي غِبِّ جَدْبٍ فَقَالَ: تَدَارَكَ خَلْقَهُ وَقَدْ كَلِبَتِ ٱلْأَمْحَالُ . وَتَقَاصَرَتِ ٱلْآمَالُ . وَعَكَفَ ٱلْيَاسُ . وَكَظَمَتِ ٱلْأَنْفَاسُ . وَأَصْبَحَ ٱلْمَاشِي مُصْرِمًا . وَٱلْمُتْرِبُ مُعْدِمًا . وَجُفِيَتِ ٱلْحَلَائِلُ . وَٱمْتُهِنَتِ ٱلْعَقَائِلُ . فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَامًا . كَنَهْوَرًا سَجَّامًا . بُرُوقُهُ مُتَأَلِّقَةٌ وَرُعُودُهُ مُتَقَعْقِعَةٌ . فَسَحَّ سَاجِيًا رَاكِدًا ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوَاقٍ . ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ ٱلشَّمَالَ فَطَحَرَتْ رُكَامَهُ . وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ . فَٱنْقَشَعَ مَحْمُودًا . وَقَدْ أَحْيَا فَأَغْنَى . وَجَادَ فَأَرْوَى . فَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَا تُكَتُّ نِعَمُهُ . وَلَا تَنْفَدُ قِسَمُهُ . وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ . وَلَا يَنْزُرُ نَائِلُهُ

٧٠ وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ ٱلْأَصْمَعِيِّ قَالَ: مَرَرْتُ بِغِلْمَةٍ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ يَصِفُ لِيَ ٱلْغَيْثَ وَأُعْطِيهِ دِرْهَمًا . فَقَالُوا: كُلُّنَا يَصِفُ (وَهُمْ ثَلَاثَةٌ) . فَقُلْتُ: صِفُوا فَأَيُّكُمْ ٱرْتَضَيْتُ صِفَتَهُ أَعْطَيْتُهُ ٱلدِّرْهَمَ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ: عَنَّ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا تَسُوقُهُ ٱلصَّبَا وَتَحْدُوهُ ٱلْجَنُوبُ . يَحْبُو حَبْوَ ٱلْمُعْتَنِكِ حَتَّى إِذَا ٱزْلَأَمَّتْ صُدُورُهُ . وَٱنْتَجَلَتْ خُصُورُهُ . وَرَجَعَ هَدِيرُهُ . وَأَصْعَقَ زَئِيرُهُ . وَٱسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ . وَتَلَاءَمَ خَصَاصُهُ . وَٱرْتَجَّ ٱرْتِعَاصُهُ . وَأَوْفَدَتْ سِقَابُهُ . وَٱمْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ . تَدَارَكَ وَدْقُهُ . وَتَأَلَّقَ بَرْقُهُ . وَحُفِرَتْ تَوَالِيهِ . وَٱنْسَفَحَتْ عَزَالِيهِ .

فَغَادَرَ الثَّرَى عَمِدًا. وَالْعَزَازَ ثَئِدًا. وَالْجُثَّ عَقِدًا. وَالضَّحَاضِحَ مُتَوَاصِلَةً. وَالشِّعَابَ مُتَدَاعِيَةً. (قَالَ الْآخَرُ): تَرَاءَتِ الْمَخَايِلُ مِنَ الْأَقْطَارِ. تَحِنُّ حَنِينَ الْعِشَارِ. وَتَتَرَامَى بِشُهُبِ النَّارِ. قَوَاعِدُهَا مُتَلَاحِكَةٌ. وَبَوَاسِقُهَا مُتَضَاحِكَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَقَاذِفَةٌ. وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ. فَوَصَلَتِ الْغَرْبَ بِالشَّرْقِ. وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ. سَحًّا دِرَاكًا. مُتَتَابِعًا لِكَاكًا. فَضَحْضَحَتِ الْجَفَاجِفَ. وَأَنْهَرَتِ الصَّفَاصِفَ. وَحَوَّضَتِ الْأَصَالِفَ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحْسِبَةً مَحْمُودَةَ الْآثَارِ. مَوْقُوفَةَ الْجِبَارِ. (وَقَالَ الثَّالِثُ): وَاللهِ مَا خِلْتُهُ بَلَغَ خِمْسًا: هَلُمَّ الدِّرْهَمَ أَصِفْ لَكَ. فَقُلْتُ: لَا أَوْ تَقُولَ كَمَا قَالَا. فَقَالَ: وَاللهِ لَأَبُذَّنَّهُمَا وَصْفًا. وَلَأَفُوقَنَّهُمَا رَصْفًا. قُلْتُ: هَاتِ لِلّٰهِ أَبُوكَ. فَقَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بَيْنَ الْيَأْسِ. وَالْإِبْلَاسِ. قَدْ غَمَرَهُمُ الْإِشْفَاقُ. رَهْبَةَ الْإِمْلَاقِ. قَدْ حَتَبَتِ الْأَنْوَاءُ. وَرَفْرَفَ الْبَلَاءُ. وَاسْتَوْلَى الْقُنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ. وَكَثُرَ الْاِسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ. ارْتَاحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ. فَأَنْشَأَ سَحَابًا مُسْجَهِرًّا كَنَهْوَرًا. مُعَنْوِنًا مُحْلَوْلِكًا. ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَاخْزَأَلَّ. فَصَارَ كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ. وَكَالْأَرْضِ الْمَدْحُوَّةِ فِي لَوْحِ الْهَوَاءِ. فَأَحْسَبَ السُّهُولَ. وَأَتْأَقَ الْهُجُولَ. وَأَحْيَا الرَّجَاءَ. وَأَمَاتَ الضَّرَّاءَ. وَذٰلِكَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (قَالَ): فَمَلَأَ وَاللهِ الْيَفَعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دِرْهَمًا وَكَتَبْتُ كَلَامَهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَدْهَمَ): وَطَالَمَا امْتَطَيْتُ صَهْوَةَ مُطَهَّمٍ

نَهْدٍ . فَغَنِيتُ عَنْ نَشْوَةِ ٱلْكُمَيْتِ مِنْ ذَاتِ نَهْدٍ . يُسَابِقُ ٱلرِّيحَ فَيَغْبُرُ فِي وَجْهِهَا دُونَ شَقِّ غُبَارِهِ . وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسْرَى فِي مِضْمَارِهِ . نُسِبَ إِلَى ٱلْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي ٱلْكَرِّ وَٱلْفَرِّ . وَقَدْ حَنِقَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ ٱلشَّمْسِ إِذْ لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَرْسُمَ ظِلَّهُ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِذَا مَرَّ . لَيْلِيُّ ٱلْإِهَابِ لَطَمَ جَبِينَهُ ٱلصَّبَاحُ بِبَهَائِهِ . فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاضَ يَقْتَصُّ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . كَمَا قَالَ ٱبْنُ نُبَاتَةَ ٱلسَّعْدِيُّ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ ٱلصَّبَاحُ جَبِينَهُ   فَٱقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

وَقَدْ أَغْتَدِي عَلَيْهِ وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا فَلَا يَفُوتُنِي إِلَّا جِدَالٌ . وَإِذَا أَطْلَقْتُهُ لِصَيْدِ ٱلْوَحْشِ رَأَيْتَنِي عَلَى مُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

(وَقُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ هَجِينٍ) : فَرَسٌ لَهُ مِنَ ٱلْعَرَبِيَّةِ حَسَبٌ وَمِنَ ٱلْكَرَدَةِ نَسَبٌ . فَهُوَ مِنْ بَيْنِهِمَا مُسْتَنْتَجٌ . لَا يَنْتَسِبُ إِلَى خُبَيْبٍ وَلَا إِلَى أَعْوَجَ . وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبُ ٱللَّبَانِ . عَرِيضُ ٱلْبِطَانِ . سَلِسُ ٱلْعِنَانِ . يَنْثَنِي عَلَى قَدْرِ ٱلطِّعَانِ . وَعَلَى قَدْرِ ٱلْكُرَةِ وَٱلصَّوْلَجَانِ . قَدِ ٱسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَادِمًا وَمُتَأَخِّرًا . فَإِذَا أَقْبَلَ خِلْتَهُ مُرْتَفِعًا . وَإِذَا أَدْبَرَ خِلْتَهُ مُنْحَدِرًا . كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ دُمْيَةُ مِحْرَابٍ . وَفِي خَلْقِهِ ذُرْوَةُ هِضَابٍ . وَهُوَ فِي سِبَاقِهِ وَلِحَاقِهِ مُخَلَّقٌ بِخُلُقِ ٱلْمِضْمَارِ . وَبِدَمِ ٱلسِّرْبِ وَٱلصِّوَارِ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى ذَوَاتِ ٱلْقَوَادِمِ . وَإِنْ كَانَ مَحْسُوبًا فِي ذَوَاتِ ٱلْقَوَائِمِ . كَأَنَّمَا ثَنَى لِجَامَهُ عَلَى سَالِفَةِ عُقَابٍ . وَشَدَّ حِزَامَهُ عَلَى بَارِقَةِ سَحَابٍ   (الوشي المرقوم لابن الأثير)

سفر البحر

٧٢ لَمَّا رَكِبنَا ٱلْبَحْرَ . وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ ٱلسَّحْرِ وَٱلنَّحْرِ . شَاهَدْنَا مِنْ أَهْوَالِهِ . وَتَنَافِي أَحْوَالِهِ . مَا لَا يُعَبَّرُ عَنْهُ . وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُ

أَلْبَحْرُ صَعْبُ ٱلْمَرَامِ جِدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ مَاءً وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبْرُنَا عَلَيْهِ

فَكَمْ ٱسْتَقْبَلَتْنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهٍ بَوَاسِرَ . وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ عِقْبَانٌ كَوَاسِرُ . قَدْ أَزْعَجَتْهَا أَكُفُّ ٱلرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا . لَمَّا نَبَّهَتِ ٱللُّجَجَ مِنْ سُكْرِهَا . فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا . فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا . وَلِلرِّيَاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا . وَتَيَقَّنَّا أَنَّا لَا نَجِدُ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا فَضْلَ ٱللّٰهِ مُجِيرًا وَخَفِيرًا . وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ . وَأَيِسْنَا مِنَ ٱلْحَيَاةِ لِصَوْتِ تِلْكَ ٱلْعَوَاصِفِ وَٱلْمِيَاهِ . فَلَا حَيَّا ٱللّٰهُ ذٰلِكَ ٱلْهَوْلَ ٱلْمُزْعِجَ وَلَا بَيَّاهُ . وَٱلْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ ٱلرِّيَاحِ فَيَطْرَبُ بَلْ وَيَضْطَرِبُ . فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ ٱلْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ . فَيَبْتَعِدُ وَيَقْتَرِبُ وَفِرَقُهُ تَلْتَطِمُ وَتَصْطَفِقُ . وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّفِقُ . فَتَخْتَالُ ٱلْجَوَّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا . وَتَجْذِبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطْحُ ٱلْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا . وَعَنَانُ ٱلسُّحُبِ يُخْطَفُ فِي ٱسْتِقْلَالِهَا . وَقَدْ أَشْرَفَتِ ٱلنُّفُوسُ عَلَى ٱلتَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَٱعْتِلَالِهَا . وَآذَنَتِ ٱلْأَحْوَالُ بَعْدَ ٱنْتِظَامِهَا بِٱخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ ٱلظُّنُونُ . وَتَرَاءَتْ فِي صُوَرِهَا ٱلْمَنُونُ . وَٱلشِّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُيُوشِ ٱلْأَمْوَاجِ . ٱلَّتِي أَمَدَّتْ

مِنها ٱلأَفْوَاجُ بِالأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ قُعُودٌ . كَدُودٍ عَلَى عُودٍ . مَا بَيْنَ فُرَادَى وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنَ ٱلْقَلَقِ أَمْكِنَتُنَا . وَخَرِسَتْ مِنَ ٱلْفَرَقِ أَلْسِنَتُنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْوُجُودِ أَغْوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا ٱلسَّمَاءُ وَٱلْمَاءُ وَذَلِكَ ٱلسَّفِينُ . وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينٌ . مَعَ تَرَقُّبِ هُجُومِ ٱلْعَدُوِّ فِي ٱلرَّوَاحِ وَٱلْغُدُوِّ . فَزَادَنَا ذَلِكَ ٱلْحَذَرُ ٱلَّذِي لَمْ يُبْقِ وَلَمْ يَذَرْ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ ٱلْبَحْرِ قَلَقًا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مَيْدَانِ ٱلْإِلْقَاءِ بِٱلْيَدِ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ طَلَقًا . وَتَشَتَّتَتْ أَفْكَارُنَا فِرَقًا . وَذُبْنَا أَسًى وَنَدَمًا وَفَرَقًا . إِلَى أَنْ قَضَى ٱللهُ بِٱلنَّجَاةِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهُوَ ٱلْكَائِنُ . وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ ٱلْمَائِنُ . فَرَأَيْنَا ٱلْبَرَّ وَكَأَنَّنَا قَبْلُ لَمْ نَرَهُ . وَشُفِيَتْ بِهِ أَعْيُنُنَا مِنَ ٱلْمَرَهِ . وَحَصَلَ بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ ٱلْفَرَجُ . وَشَمِمْنَا مِنَ ٱلسَّلَامَةِ أَطْيَبَ ٱلْأَرَجِ (نفح الطيب لمقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مُلُوكًا وَأُمَرَاءَ . وَأَوْجُهُهُمْ لِلصَّبَاحَةِ . وَأَلْسِنَتُهُمْ لِلْفَصَاحَةِ . وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ . وَعُقُولُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ . وَسَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ مَشْهُورٌ بِسِيَادَتِهِمْ . وَوَاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ . كَانَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ . وَجَعَلَ ٱلْجَنَّةَ مَأْوَاهُ . غُرَّةَ ٱلزَّمَانِ . وَعِمَادَ ٱلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ سِدَادُ ٱلثُّغُورِ . وَسَدَادُ ٱلْأُمُورِ . وَكَانَتْ وَقَائِعُهُ فِي عُصَاةِ ٱلْعَرَبِ تَكُفُّ بَأْسَهَا وَتَفُلُّ أَنْيَابَهَا . وَتُذِلُّ صِعَابَهَا . وَتَكْفِي ٱلرَّعِيَّةَ سُوءَ آدَابِهَا . وَغَزَوَاتُهُ تُدْرِكُ مِنْ طَاغِيَةِ ٱلرُّومِ ٱلثَّأْرَ . وَتَحْسِمُ شَرَّهُمُ ٱلْمُثَارَ . وَتُحْسِنُ فِي ٱلْإِسْلَامِ

الآثار . وحضرته مقصد الوفود . ومطلع الجود . وقبلة الآمال ومحط الرحال . وموسم الأدباء . وحلبة الشعراء . ويقال إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر . وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها . وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به . فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم فالأريحية فيهم بمكان

وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد بن الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول المتنبي :

خليلي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع في الحرب منتض ومن عادة الإحسان والصفح غامد
ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد
أخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم إلا وسيحان جامد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم على القتل موموق كأنك شاكد
وأن دما أجريته بك فاخر وأن فؤادا رعته لك حامد

وَكُلٌّ يَرَى طُرْقَ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَى ... وَلَٰكِنَّ طَبْعَ ٱلنَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
نَهَبْتَ مِنَ ٱلْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ
فَأَنْتَ حُسَامُ ٱلْمُلْكِ وَٱللهُ ضَارِبٌ ... وَأَنْتَ لِوَاءُ ٱلدِّينِ وَٱللهُ عَاقِدُ
أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ ٱلزَّمَانِ وَبَدْرَهُ ... وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ ٱلسُّهَى وَٱلْفَرَاقِدُ
وَذَاكَ لِأَنَّ ٱلْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ ... وَلَيْسَ لِأَنَّ ٱلْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

وَكَقَوْلِ ٱلسَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ٱلْمَوْصِلِيِّ :

أَغُرَّتُكَ ٱلشِّهَابُ أَمِ ٱلنَّهَارُ ... أَرَاحَتُكَ ٱلسَّحَابُ أَمِ ٱلْبِحَارُ
خُلِقْتَ مَنِيَّةً وَمُنًى فَأَضْحَتْ ... تَمُورُ بِكَ ٱلْبَسِيطَةُ أَوْ تَمَارُ
تُحَلِّي ٱلدِّينَ أَوْ تَحْمِي حِمَاهُ ... فَأَنْتَ عَلَيْهِ سُورٌ أَوْ سِوَارُ
سُيُوفُكَ مِنْ شُكَاةِ ٱلثَّغْرِ بُرْءٌ ... وَلَٰكِنْ لِلْعِدَى فِيهَا بَوَارُ
وَكَفُّكَ ٱلْغَمَامُ ٱلْجَوْدُ يَسْرِي ... وَفِي أَحْشَائِهِ مَاءٌ وَنَارُ
يَسَارٌ مِنْ سَجِيَّتِهَا ٱلْمَنَايَا ... وَيُمْنَى مِنْ عَطِيَّتِهَا ٱلْيَسَارُ
حَضَرْنَا وَٱلْمُلُوكُ لَهُ قِيَامٌ ... تَغُضُّ نَوَاظِرًا فِيهَا ٱنْكِسَارُ
وَزُرْنَا مِنْهُ لَيْثَ ٱلْغَابِ طَلْقًا ... وَلَمْ نَرَ قَبْلَهُ لَيْثًا يُزَارُ
فَكَانَ لِجَوْهَرِ ٱلْمَجْدِ ٱنْتِظَامٌ ... وَكَانَ لِجَوْهَرِ ٱلْحَمْدِ ٱنْتِثَارُ
فَعِشْتَ مُخَيَّرًا لَكَ فِي ٱلْأَمَانِي ... وَكَانَ عَلَى ٱلْعَدُوِّ لَكَ ٱلْخِيَارُ
فَضَيْفُكَ لِلْحَيَا ٱلْمُنْهَلِّ ضَيْفٌ ... وَجَارُكَ لِلرَّبِيعِ ٱلطَّلْقِ جَارُ

وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ ٱلْحَارِثِ بْنِ سَعِيدٍ ٱلْحَمْدَانِيِّ :

أَشِدَّةٌ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمٌ ... تَجُودُ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْأَرْوَاحُ تَصْطَلِمُ

يَا بَاذِلَ ٱلنَّفْسِ وَٱلْأَمْوَالِ مُبْتَسِماً   أَمَا يَهُولُكَ لَا مَوْتٌ وَلَا عَدَمُ
لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ ٱلْجَحْفَلَيْنِ تَرَى   أَنَّ ٱلسَّلَامَةَ مِنْ وَقْعِ ٱلْقَنَا تَصِمُ
نَشَدْتُكَ ٱللّٰهَ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسِ عُلًى   حَيَاةُ صَاحِبِهَا تَحْيَا بِهَا أُمَمُ
هِيَ ٱلشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ   وَكُلُّ فَضْلِكَ لَا قَصْدٌ وَلَا أَمَمُ
إِذَا لَقِيتَ رِقَاقَ ٱلْبِيضِ مُنْفَرِدًا   تَحْتَ ٱلْعَجَاجِ فَلَمْ تُسْتَكْثَرِ ٱلْخَدَمُ
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلْقَى ٱلْقِتَالَ بِهِ   وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ ٱلْخَيْلُ وَٱلْبُهَمُ
تَضُنُّ بِٱلطَّعْنِ عَنَّا ضَنَّ ذِي بُخُلٍ   وَمِنْكَ فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرَفُ ٱلْكَرَمُ
لَا تَبْخَلَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قُتِلُوا   أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو ٱلْهَيْجَاءِ دُونَهُمُ
أَلْبَسْتَ مَا لَبِسُوا رَكِبْتَ مَا رَكِبُوا   عَرَفْتَ مَا عَرَفُوا عَلِمْتَ مَا عَلِمُوا
هُمُ ٱلْفَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمِ أَسَلٌ   فَإِنْ رَأَوْكَ فَأُسْدٌ وَٱلْقَنَا أَجَمُ

وَكَقَوْلِ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلنَّامِي :

خُلِقْتَ كَمَا أَرَادَتْكَ ٱلْمَعَالِي   فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
عَجِبْتُ لِسَيْفِكَ لَيْسَ يَرْوَى   وَسَيْفُكَ فِي ٱلْوَرِيدِ لَهُ وُرُودُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُمْحُكَ حِينَ يُسْقَى   فَيَصْحُو وَهْوَ نَشْوَانٌ يَمِيدُ

وَكَقَوْلِ أَبِي نَصْرِ بْنِ نُبَاتَةَ وَهُوَ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدَّعِيكَ ٱلْعُرْبُ وَاحِدَهَا   يَا مَنْ تَرَى قَدَمَيْهِ طِينَةُ ٱلْعَرَبِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهٌ مِثْلُ أَوْجُهِهِمْ   عِنْدَ ٱلْعِيَانِ فَلَيْسَ ٱلصُّفْرُ كَٱلذَّهَبِ
وَإِنْ يَكُنْ لَكَ نُطْقٌ مِثْلُ نُطْقِهِمِ   فَلَيْسَ مِثْلُ كَلَامِ ٱللّٰهِ فِي ٱلْكُتُبِ

وَكَادَتْ غَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ تَنْفِيضُ . وَمَآثِرُ كَرَمِهِ تَسْتَفِيضُ .

فَتُؤَرِّخُ بِهَا أَيَّامَ ٱلْمَجْدِ وَتُخَلِّدُ فِي صَحَائِفِ حُسْنِ ٱلذِّكْرِ (اليتيمة للثعالبي)

٧٤ قال بشر بن ابي عوانة يصف قتاله الاسد وقتله اياه

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى ٱلْهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا
إِذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا أَمَّ لَيْثًا هِزَبْرًا أَغْلَبًا لَاقَى هِزَبْرَا
تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ ٱلْأَرْضِ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهِرَّا
يُكَفْكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ وَبِٱللَّحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي ٱلْعَزْمِ أَبْغِي بِمَضْرِبِهِ قِرَاعَ ٱلْمَوْتِ أَثْرَا
نَصَحْتُكَ فَٱلْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرَّا
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْهُ كَفِّي بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ قَتَلْتُ عَمْرَا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ ٱلنُّصْحَ غِشٌّ وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا
سَلَلْتُ لَهُ ٱلْحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى ٱلظَّلْمَاءِ فَجْرَا
وَأَطْلَقْتُ ٱلْمُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ ٱلْأَضْلَاعِ عَشْرَا
فَخَرَّ مُضَرَّجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّا
بِضَرْبَةِ فَيْصَلٍ تَرَكَتْهُ شَفْعًا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وِتْرَا
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلَدًا وَقَهْرَا

وَلٰكِنْ رُمْتَ أَمْرًا لَمْ يَرُمْهُ سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرَّا

٧٥ صفة النفس لابن سيناء الرئيس

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ
مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ
وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهْيَ ذَاتُ تَوَجُّعِ
أَلِفَتْ وَمَا أَلِفَتْ فَلَمَّا وَاصَلَتْ أَلِفَتْ مُجَاوَرَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ
وَأَظُنُّهَا نَسِيَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ
حَتَّى إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَاءِ هُبُوطِهَا مِنْ مِيمِ مَرْكَزِهَا بِدَارِ الْأَجْرَعِ
عَلِقَتْ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخُضَّعِ
تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى بِمَدَامِعٍ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
حَتَّى إِذَا قَرُبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحِمَى وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَغَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةِ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
وَتَظَلُّ سَاجِعَةً عَلَى الدِّمَنِ الَّتِي دَرَسَتْ بِتَكْرَارِ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ
إِذْ عَاقَهَا الشَّرَكُ الْكَثِيفُ وَصَدَّهَا نَقْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْبَعِ
وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخَلَّفٍ فِيهَا حَلِيفَ التُّرْبِ غَيْرَ مُشَيَّعِ
هَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ فَأَبْصَرَتْ مَا لَيْسَ يُدْرَكُ بِالْعُيُونِ الْهُجَّعِ
وَتَعُودُ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ فَخَرْقُهَا لَمْ يُرْقَعِ
فَلِأَيِّ شَيْءٍ أُهْبِطَتْ مِنْ شَامِخٍ سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ

إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا ٱلإِلٰهُ لِحِكْمَةٍ　طُوِيَتْ عَنِ ٱلْفَذِّ ٱللَّبِيبِ ٱلأَرْوَعِ
فَهُبُوطُهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةَ لَازِبٍ　لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
وَهِيَ ٱلَّتِي قَطَعَ ٱلزَّمَانُ طَرِيقَهَا　حَتَّى لَقَدْ غَرَبَتْ بِغَيْرِ ٱلْمَطْلَعِ
فَكَأَنَّهَا بَرْقٌ تَأَلَّقَ بِٱلْحِمَى　ثُمَّ ٱنْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعِ

٧٦　قال عليّ بن محمد الايادي يصف أُسطول القائم فأجاد ما أراد

إِعْجَبْ لِأُسْطُولِ ٱلإِمَامِ مُحَمَّدٍ　وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ ٱلْمُسْتَغْرَبِ
لَبِسَتْ بِهِ ٱلأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ　يَبْدُو لِعَيْنِ ٱلنَّاظِرِ ٱلْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ　إِشْرَافَ صَدْرِ ٱلأَجْدَلِ ٱلْمُتَنَصِّبِ
دَهْمَاءُ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصَنُّعٍ　تَسْبِي ٱلْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرَهُّبِ
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ فِي ٱلْهَوَاءِ مُنَشَّرٍ　مِنْهَا وَأَسْحَمَ فِي ٱلْخَلِيجِ مُغَيَّبِ
كَمُرَاءَةٍ فِي ٱلْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرُهَا　فِي ٱلْبَحْرِ أَنْفَاسَ ٱلرِّيَاحِ ٱلشُّذَّبِ
مَحْفُوفَةٍ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ　فِي ٱلْجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ
كَقَوَادِمِ ٱلنَّسْرِ ٱلْمُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ　مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ ٱلْمُتَهَدِّبِ
وَتَحُثُّهَا أَيْدِي ٱلرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ　بِمُصَعَّدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مُصَوَّبِ
خَرْقَاءُ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا　فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَاحِ وَمَذْهَبِ
جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا　يَوْمَ ٱلرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ
وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ بِطَيْرِهَا　طَوْعَ ٱلرِّيَاحِ وَرَاحَةَ ٱلْمُتَطَرِّبِ
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ ٱلْعُبَابِ مُطَارَةً　فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ ٱلْقَطَا　طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ ٱجْتِمَاعَ ٱلرَّبْرَبِ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلِ ٱلْأَهِلَّةِ جُنَّحٍ لَحِقَ ٱلْمَطَالِبِ فَائِتَاتِ ٱلْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً وَيَجِئْنَ فِعْلَ ٱلطَّائِرِ ٱلْمُتَغَلِّبِ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةٍ تَخْتَالُ فِي عُدَدِ ٱلسِّلَاحِ ٱلْمُرْهِبِ
فَكَأَنَّمَا ٱلْبَحْرُ ٱسْتَعَارَ بِزِيِّهِمْ ثَوْبَ ٱلْجَمَالِ مِنَ ٱلرَّبِيعِ ٱلْمُذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنّسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ ٱلدِّينِ سِرْنَا كَمَا هَيَّجْتَ آسَادًا غِضَابَا
أَسِنَّتُهُ إِذَا لَاقَى طِعَانًا صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابَا
دَعَانَا وَٱلْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتٌ فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلْجَوَابَا
صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ وَغَرْسٌ طَابَ غَارِسُهُ فَطَابَا
وَكُنَّا كَٱلسِّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ مَرَامِيَهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
فَلَمَّا ٱشْتَدَّتِ ٱلْهَيْجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدَّ نَابَا
وَأَمْنَعَ جَانِبًا وَأَعَزَّ جَارًا وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقَلَّ عَابَا
سَقَيْنَا بِٱلرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ بِبَطْنِ ٱلْعَنْتَرِ ٱلسَّمَّ ٱلْمُذَابَا
وَسِرْنَا بِٱلْخُيُولِ إِلَى نُمَيْرٍ تُجَاذِبُنَا أَعِنَّتَهَا جِذَابَا
وَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنْ لَا غِيَاثٌ دَعَوْهُ لِلْمَغُوثَةِ فَٱسْتَجَابَا
وَعَادَ إِلَى ٱلْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى ٱلرِّقَابَا
أَمَرَّ عَلَيْهِمِ خَوْفًا وَأَمْنًا أَذَاقَهُمُ بِهِ أَرْيًا وَصَابَا
أَحَلَّهُمُ ٱلْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ ٱلْعِقَابَا
دِيَارُهُمُ ٱنْتَزَعْنَاهَا ٱقْتِسَارًا وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَاهَا ٱغْتِصَابَا

وَلَوْ رُمْنَا حَمَيْنَاهَا ٱلْبَوَادِي ... كَمَا تَحْمِي أُسُودُ ٱلْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَرْسَلَ ٱلْأُمَرَاءُ جَيْشًا ... إِلَى ٱلْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا ٱلْكِتَابَا
أَنَا ٱبْنُ ٱلضَّارِبِينَ ٱلْهَامَ قِدْمًا ... إِذَا كَرِهَ ٱلْمُحَامُونَ ٱلضِّرَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قَالَ حَقًّا ... بِأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَهَا شِهَابَا

٧٨ لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

وَتَنُوفَةٍ مَدَّ ٱلضَّمِيرِ قَطَعْتُهَا ... وَٱللَّيْلُ فَوْقَ إِكَامِهَا يَتَرَبَّعُ
لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ ... آمَالُ ذِي ٱلْحِرْصِ ٱلَّذِي لَا يَقْنَعُ
بَاتَتْ كَوَاكِبُهُ تَحُوطُ بَقَاءَهُ ... فِي كُلِّ أُفْقٍ مِنْهُ نَجْمٌ يَلْمَعُ
زُهْرٌ يُثِيرُ عَلَى ٱلصَّبَاحِ طَلَائِعًا ... حَوْلَ ٱلسَّمَاءِ فَهُنَّ حَسْرَى ضُلَّعُ
مُتَيَقِّظَاتٌ فِي ٱلْمَسِيرِ كَأَنَّهَا ... بَاتَتْ تُنَاجِي بِٱلَّذِي يَتَوَقَّعُ
وَٱلصُّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهُ غِرَّةً ... مُتَضَائِلٌ مِنْ شُحْقِهِ يَتَطَلَّعُ
مُتَنَفِّسًا فِيهِ جَنَانًا وَاهِنًا ... فِي كُلِّ لَحْظَةِ سَاعَةٍ يَتَشَجَّعُ
حَتَّى ٱنْزَوَى ٱللَّيْلُ ٱلْبَهِيمُ لِضَوْئِهِ ... وَقَدِ ٱسْتَجَابَ ظَلَامُهُ يَتَقَشَّعُ
وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا ... تَدْرِي بِوَشْلِ زِيَالِهَا مَا تَصْنَعُ
مُتَبَادِلَاتِ ٱلنُّورِ فِي آفَاقِهَا ... مُسْتَعْبِرَاتٍ فِي ٱلدُّجَى تَسْتَرْجِعُ
وَكَوَاكِبُ ٱلْجَوْزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَهَا ... لِتُعَانِقَ ٱلظَّلْمَاءَ وَهْيَ تُوَدِّعُ
وَكَأَنَّهَا فِي ٱلْجَوِّ نَعْشُ أَخِي وَلَا ... يَبْكِي وَيُوقَفُ تَارَةً وَيُشَيَّعُ
وَكَأَنَّمَا ٱلشِّعْرَى ٱلْعَبُورُ وَرَاءَهَا ... ثَكْلَى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يَهْمَعُ
وَبَنَاتُ نَعْشٍ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرًا ... قُدَّامَهَا أَخَوَاتُهُنَّ ٱلْأَرْبَعُ

عَبْرَى هَتَكْنَ قِنَاعَهُنَّ عَلَى ٱلدُّجَى جَزَعًا وَآتٍ بَعْدُ لَا تَتَقَنَّعُ
وَكَأَنَّ أُفْقًا مِنْ تَلَأْلُؤِ نَجْمِهِ عِنْدَ ٱفْتِقَادِ ٱللَّيْلِ عَيْنِي تَدْمَعُ
وَٱلْفَجْرُ فِي صَفْوِ ٱلْهَوَاءِ مُوَرَّدٌ مِثْلَ ٱلْمُدَامَةِ فِي ٱلزُّجَاجِ تُشَعْشَعُ
يَا لَيْلُ مَالَكَ لَا تَغِيبُ كَوَاكِبًا زَفَرَاتُهَا وَجْدًا عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
لَوْ أَنَّ لِي بِضِيَاءِ صُبْحِكَ طَاقَةً يَا لَيْلُ كُنْتُ أَرُدُّهُ لَا يَسْطَعُ
حَذَرًا عَلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي جَرَّعْتُهُ ٱلْغُصَصَ ٱلَّتِي تَتَجَرَّعُ
يَا صُبْحُ هَاكَ شَبِيبَتِي فَٱفْتِكْ بِهَا وَدَعِ ٱلدُّجَى بِسَوَادِهِ يَتَمَتَّعُ
أَفْقَدْتَنِي أُنْسِي بِأَنْجُمِهَا ٱلَّتِي أَصْبَحْتُ مِنْ فَقْدِي لَهَا أَتَوَجَّعُ

٧٩ الربيع بن زياد العبسيّ في وصف حرب

قِيدَتْ لَهُمْ فَيْلَقٌ شَهْبَاءُ كَالِحَةٌ بِٱلْمَوْتِ تَسْرِي وَبِٱلْأَبْطَالِ تَقْتَسِرُ
صَرِيفُ أَنْيَابِهَا صَوْتُ ٱلْحَدِيدِ إِذَا فَضَّ ٱلْحَدِيدَ بِهَا أَبْنَاؤُهَا ٱلْوُقُرُ
وَدَرُّهَا ٱلْمَوْتُ يَقْوَى فِي مَخَالِبِهَا لِلْوَارِدِينَ يُوَافِي وِرْدَهَا ٱلصَّدَرُ
فِي جَرِّهَا ٱلْبِيضُ وَٱلْمَاذِيُّ مُخْتَلِطٌ وَٱلْجُرْدُ وَٱلْمُرْدُ وَٱلْخَطِّيَّةُ ٱلسُّمُرُ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهْيَ كَالِحَةٌ شَوْهَاءُ مِنْهَا حِمَامُ ٱلْمَوْتِ يُنْتَظَرُ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَمِيٍّ مُعْلَمٍ ذَكَرٍ فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
مُسْتَوْرِدِينَ ٱلْوَغَى لِلْمَوْتِ دَرُّهُمُ يَوْمَ ٱلْحِفَاظِ عَلَى رُوَّادِهِمْ عُسُرُ
لَهُمْ سَرَابِيلُ مِنْ مَاءِ ٱلْحَدِيدِ وَمِنْ نَضْحِ ٱلدِّمَاءِ سَرَابِيلٌ لَهُمْ أُخَرُ
مُظَاهَرَاتٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَأْسِهِمِ لَوْنَانِ جَوْنٌ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حُمُرُ
فِي يَوْمِ حَتْفٍ بِهَا ٱلنَّاظِرُونَ لَهُ مَا إِنْ تَبِينُ لَهُمْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

بِٱلْبِيضِ يَهْتِفْنَ وَٱلْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ ... مِمَّا تَرَى وَخُدُودُ ٱلْقَوْمِ تَنْعَفِرُ
تَكْسُوهُمُ مُرْهَفَاتٍ غَيْرَ مُجْدِبَةٍ ... يَشْفِي ٱخْتِرَاطُ ظُبَاهَا مَنْ بِهِ صَعَرُ
هِنْدِيَّةٌ كَٱشْتِعَالِ ٱلنَّارِ تَقْصِمُهُمْ ... بِهَا مَغَاوِيرُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غُيُرُ

٨٠ لصفيّ الدين الحلّي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح ورحيلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاحِلَا ... تَطْوِي ٱلْفَلَا وَتَقْطَعُ ٱلْمَرَاحِلَا
تَذَكَّرَتْ آكَامَ دَرْبَنْدَاتِهَا ... وَعَافَتِ ٱلْآجَامَ وَٱلسَّوَاحِلَا
أَذْكَرَهَا عَرْفُ ٱلرَّبِيعِ إِلْفَهَا ... فَأَقْبَلَتْ لِشَوْقِهَا حَوَامِلَا
تَفْرُقُ فِي ٱلْجَوِّ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ ... يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَائِلَا
لَمَّا رَأَتْ حَرَّ ٱلْمَصِيفِ مُقْبِلًا ... وَطِيبَ بَرْدِ ٱلْقُرِّ ظِلًّا زَائِلَا
أَهْمَلَتِ ٱلتَّخْيِيطَ فِي مَطَارِهَا ... وَعَسْكَرَتْ لِسَيْرِهَا قَوَافِلَا
تَنْهَضُ مِنْ صَرْحِ ٱلْجَلِيلِ تَحْتَهَا ... بِأَرْجُلٍ لِبُرْدِهِ قَوَافِلَا
قَدْ أَنِفَتْ أَيَّامَ كَانُونٍ لَهَا ... مِنْ أَنْ تَرَى مِنَ ٱلْحُلَى عَوَاطِلَا
فَصَاغَتِ ٱلطَّلَّ لَهَا قَلَائِدًا ... وَٱلثَّلْجَ فِي أَرْجُلِهَا خَلَاخِلَا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةٍ ... وَنَبَّهَ ٱلزُّمَّيْلَ وَٱلْمَقَاوِلَا
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِهَا ... نَبْهَتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلَا
ثُمَّ بَرَزْنَا نَقْتَفِي آثَارَهُ ... وَنَقْصِدُ ٱلْإِمْلَاقَ وَٱلْمَنَاهِلَا
وَٱلصُّبْحُ قَدْ أَعَمَّنَا بِنُورِهِ ... لَمَّا ٱنْثَنَى جُنْحُ ٱلظَّلَامِ رَاحِلَا
وَقَدْ أَقَمْنَا فِي ٱلْمَقَامَاتِ لَهَا ... مَعَالِمًا تَحْسَبُهَا مَجَاهِلَا

تَرْشُقُهَا مِنْ تَحْتِهَا بِبُنْدُقٍ   يَعْرُجُ كَالشُّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلَا
فَمَا رَقِي تَحْتَ الطُّيُورِ صَاعِدٌ   إِلَّا اغْتَدَى بِهَا الْبَلَاءُ نَازِلَا
لِلَّهِ أَيَّامٌ بِسُورِ بَابِلٍ   أَضْحَى بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا بَاخِلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شَمْلًا جَامِعًا   وَكَمْ صَحِبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلَا

٨١ ـ ولصفي الدين الحلي في صفة الشمع وفيه خمسة عشر تشبيهاً

جَلَتِ الظَّلْمَاءَ بِاللَّهَبِ   إِذْ بَدَتْ فِي اللَّيْلِ كَالشُّهُبِ
فَانْجَلَتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَتْ   ظُلَمَ الْأَحْزَانِ وَالْكُرَبِ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضَاحِكَةً   مِنْ تَوَارِي الشَّمْسِ فِي الْحُجُبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا   ضَاحِكًا فِي زِيِّ مُنْتَحِبِ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا   وَبِهَا ضَرْبٌ مِنَ الضَّرَبِ
خِلْتُهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ   وَنُجُومُ الْأُفْقِ لَمْ تَغِبِ
قُضُبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ   فَوْقَ كُثْبَانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيتًا مُنَضَّدَةً   بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضُبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي الْعِدَى طَعَنَتْ   فَغَدَتْ مُحْمَرَّةَ الْعَذَبِ
أَوْ سِهَامًا نَصْلُهَا ذَهَبٌ   لِسِوَى الظَّلْمَاءِ لَمْ تُصِبِ
أَوْ أَعَالِي حُمْرِ أَلْوِيَةٍ   نُشِرَتْ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
أَوْ شُوَظًا لِلْقِرَى رُفِعَتْ   تَتَرَاءَى فِي ذُرَى كُثُبِ
أَوْ لَظَى نَارِ الْحُبَاحِبِ قَدْ   لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبَبِ
أَوْ عُيُونَ الْأُسْدِ مُوصَدَةً   فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ الْقَصَبِ

أَوْ شَقِيقَ ٱلرَّوْضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مَجْدُولٍ مِنَ ٱلْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نَيْلُوفَرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ ٱلْغَرَبِ

٨٢ وصف الفيل لابن حسن الجوهري

فِيلٌ كَرَضْوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ ٱلْغَيْمِ بُرْدَا
مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ مُلِئَتْ أَكْنَافُهَا بَرْقًا وَرَعْدَا
رَأْسٌ كَقُلَّةِ شَاهِقٍ كُسِيَتْ مِنَ ٱلْخُيَلَاءِ جِلْدَا
فَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ ٱلدَّلَا لِ مُصَعِّرًا لِلنَّاسِ خَدَّا
يَزْهَى بِخُرْطُومٍ كَمِثْلِ ٱلصَّوْلَجَانِ يُرَدُّ رَدَّا
يَسْطُو بِسَارِيَتَيْ لُجَيْنٍ يَحْطِمَانِ ٱلصَّخْرَ هَدَّا
أُذْنَاهُ مِرْوَحَتَانِ أُسْنِدَتَا إِلَى ٱلْفَوْدَيْنِ عَقْدَا
عَيْنَاهُ غَائِرَتَانِ ضِيقَتَا لِجَمْعِ ٱلضَّوْءِ عَمْدَا
فَكٌّ كَفُوَّهَةِ ٱلْخَلِيجِ يَلُوكُ طُولَ ٱلدَّهْرِ حِقْدَا
تَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ فَتَحْسَبُهُ غَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتْنٌ كَبُنْيَانِ ٱلْخَوَرْ نَقِ مَا يَزَالُ فِي ٱلدَّهْرِ كَدَّا
رِدْفًا كَدَكَّةِ عَنْبَرٍ مُتَمَايِلِ ٱلْأَوْرَاكِ نَهْدَا
ذَنَبًا كَمِثْلِ ٱلسَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَزَنْدَا
يَخْطُو عَلَى أَمْثَالِ أَعْمِدَةِ ٱلْخِبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلَ أَمْيَالٍ نُضِدْنَ مِنَ ٱلصُّخُورِ ٱلصُّمِّ نَضْدَا
مُتَوَارِدًا حَوْضَ ٱلْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وِرْدَا

مُتَمَاسِكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُؤَدَّى
مُتَلَفِّعًا بِالْكِبْرِيَا ءِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفَدَّى
أَدْنَى إِلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ يُرَادُ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
أَذْكَى مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ رَأَى خَلَلًا لَسَدَّا

٨٣ وصف الكرمة للطغرائي

وَكَرْمَةٍ أَعْرَاقُهَا مِنَ الثَّرَى بَعِيدَةِ الْمَنْزَعِ وَالْمَضْرِبِ
كَرِيمَةٍ تَلْتَفُّ أَغْصَانُهَا الْـ غَضَّةُ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ
يَمْتَاحُ مِنْ قَعْرِ الثَّرَى رِيَّهَا أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْدِبِ
أَنْتَجَهَا الرِّيحُ وَصَوْبُ الْحَيَا وَالشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
فَأَعْقَبَتْ حَامِلَهَا بَعْدَ مَا عَاشَتْ زَمَانًا وَهْيَ لَمْ تُعْقِبِ
وَوَضَعَتْهَا بِجَنًى يَنْتَمِي إِلَى أَبٍ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ أَبِ
وَأَلْحَفَتْهَا خُضْرَ أَوْرَاقِهَا مَعْذُوبَةً بِالْحَلَبِ الْأَعْذَبِ
وَبَدَّلَتْ خُضْرَ عَنَاقِيدِهَا بِأَدْهَمِ النُّجُومِ وَالْأَشْهَبِ
فَاسْتَسْلَفَتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ مُدَامَةً كَالْقَبَسِ الْمُلْهَبِ
وَلَمْ تَزَلْ بِالرِّفْقِ حَتَّى اكْتَسَى لُجَيْنُهَا مِنْ صُنْعِهَا الْمُذْهَبِ
فَالْأَشْقَرُ الْمَنْسُوجُ مِنْ نَسْلِهَا سَلِيلُ ذَاكَ الْأَشْهَبِ الْمُنْجِبِ
تَرَى الثُّرَيَّا مِنْ عَنَاقِيدِهَا تَلُوحُ فِي الْخُضْرِ كَالْغَيْهَبِ
أَلْوَانُهَا شَتَّى وَأَنْوَاعُهَا مُتَّفِقَاتُ النَّجْرِ وَالْمَنْصِبِ
كَمْ سَبَجٍ فِيهِ وَكَمْ جَزْعَةٍ صَحِيحَةِ التَّدْوِيرِ لَمْ تُثْقَبِ

مِنْ حَالِكِ ٱللَّوْنِ كَجُنْحِ ٱلدُّجَى ... وَنَاصِعٍ يَلْمَعُ كَٱلْكَوْكَبِ
أَطِيبْ بِهَا حِلًّا وَمَحْظُورَةً ... فِي كَرْمِهَا وَكَأْسِهَا ٱلْأَطْيَبِ

٨٤ زهريّة الفقيه ابي الحسن بن زنباع

أَبْدَتْ لَنَا ٱلْأَيَّامُ زَهْرَةَ طِيبِهَا ... وَتَسَرْبَلَتْ بِنَضِيرِهَا وَقَشِيبِهَا
وَٱهْتَزَّ عِطْفُ ٱلْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا ... وَبَدَتْ بِهَا ٱلنَّعْمَاءُ بَعْدَ شُحُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عِتِيَّ مَشِيبِهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهَا ٱلسُّحْبُ وِقْفَةَ رَاحِمٍ ... فَبَكَتْ لَهَا بِعُيُونِهَا وَقُلُوبِهَا
فَعَجِبْتُ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكَتْ ... بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرَتْ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرْبَلَتْ حُلَلًا تَجُرُّ ذُيُولَهَا ... مِنْ لَدْنِهَا فِيهَا وَشَقَّ جُيُوبِهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ ٱلْمُزْنُ فِي إِنْجَادِهَا ... وَأَجَادَ حَرُّ ٱلشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا
مَا أَنْصَفَ ٱلْخِيرِيُّ يَمْنَعُ طِيبَهُ ... لِحُضُورِهَا وَيُبِيحُهُ لِمَغِيبِهَا
وَهِيَ ٱلَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ بِدَفْنِهَا ... وَتَعَاهَدَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيبِهَا
فَكَأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ مُوَقَّتٌ ... وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
وَعَلَى سَمَاءِ ٱلْيَاسَمِينِ كَوَاكِبٌ ... أَبْدَتْ ذَكَاءُ ٱلْعَجْزَ عَنْ تَغْيِيبِهَا
زُهْرٌ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا ... وَتَنَزَّهَتْ عَنْ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
فَتَأَرَّجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهُبُوبِهَا ... وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِنُكُوبِهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلٍ ... تَتَصَاعَدُ ٱلْأَبْصَارُ فِي تَصْوِيبِهَا
تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي أُصُولِ ثِمَارِهَا ... وَٱلْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوِّهَا وَرُسُوبِهَا
أَوَمَا تَرَى ٱلْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ ... إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فَقَارَ قَضِيبِهَا

وَٱلطَّيْرُ قَدْ خَفَقَتْ عَلَى أَفْنَانِهَا ... تُلْقِي فُنُونَ ٱلشَّدْوِ فِي أُسْلُوبِهَا

تَشْدُو وَتَهْتَزُّ ٱلْغُصُونُ كَأَنَّمَا ... حَرَكَاتُهَا رَقْصٌ عَلَى تَطْرِيبِهَا

٨٥ قال ابن حمديس الصقليّ يصف دارًا بناها المنصور بن اعلى بجباية

أَعْمِرْ بِقَصْرِ ٱلْمُلْكِ نَادِيكَ ٱلَّذِي ... أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتُهُ مَعْمُورَا

قَصْرٌ لَوَ ٱنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بِنُورِهِ ... أَعْمَى لَعَادَ إِلَى ٱلْمَقَامِ بَصِيرَا

وَٱشْتُقَّ مِنْ مَعْنَى ٱلْجِنَانِ نَسِيمُهُ ... فَيَكَادُ يُحْدِثُ بِٱلْعِظَامِ نُشُورَا

نَسِيَ ٱلصَّبِيحُ مَعَ ٱلْفَصِيحِ بِذِكْرِهِ ... وَسَمَا فَفَاقَ خَوَرْنَقًا وَسَدِيرَا

أَبْصَرْتُهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنْظَرٍ ... ثُمَّ ٱنْثَنَيْتُ بِنَاظِرِي مَحْسُورَا

فَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ ... لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْمُلْكَ فِيهِ كَبِيرَا

لَوْ أَنَّ بِٱلْإِيوَانِ قُوبِلَ حُسْنُهُ ... مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكُورَا

أَعْيَتْ مَصَانِعُهُ عَلَى ٱلْفُرْسِ ٱلْأُلَى ... رَفَعُوا ٱلْبِنَاءَ وَأَحْكَمُوا ٱلتَّدْبِيرَا

وَمَضَتْ عَلَى ٱلرُّومِ ٱلدُّهُورُ وَمَا بَنَوْا ... لِمُلُوكِهِمْ شَبَهًا لَهُ وَنَظِيرَا

أَذْكَرْتَنَا ٱلْفِرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا ... غُرَفًا رَفَعْتَ بِنَاءَهَا وَقُصُورَا

وَمُحَصَّبٍ بِٱلدُّرِّ تَحْسَبُ تُرْبَهُ ... مِسْكًا تَضَوَّعَ نَشْرُهُ وَعَبِيرَا

تَسْتَخْلِفُ ٱلْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى ... صُبْحًا عَلَى غَسَقِ ٱلظَّلَامِ مُنِيرَا

ثمّ ذكر بركةً فيها عليها أشجارٌ من ذهبٍ وفضةٍ ترمي فروعها الماء وتفتنُ. فذكر أُسودًا على حافتها قاذفةً بالماء ايضًا فقال:

وَضَرَاغِمٍ سَكَنَتْ عَرِينَ رِئَاسَةٍ ... تَرَكَتْ خَرِيرَ ٱلْمَاءِ فِيهِ زَئِيرَا

فَكَأَنَّمَا غَشَّى ٱلنُّضَارُ جُسُومَهَا ... وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا ٱلْبَلُّورَا

أُسُدٌ كَأَنَّ سُكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ فِي ٱلنَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُثِيرَا
وَتَذَكَّرَتْ فَتَكَاتِهَا فَكَأَنَّمَا أَقْعَتْ عَلَى أَدْبَارِهَا لِتَثُورَا
وَتَخَالُهَا وَٱلشَّمْسُ تَجْلُو لَوْنَهَا نَارًا وَأَلْسُنُهَا ٱللَّوَاحِسَ نُورَا
فَكَأَنَّمَا سَلَّتْ سُيُوفَ جَدَاوِلٍ ذَابَتْ بِلَا نَارٍ فَعُدْنَ غَدِيرَا
وَكَأَنَّمَا نَسَجَ ٱلنَّسِيمُ لِمَائِهِ دِرْعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرَا
وَبَدِيعَةِ ٱلثَّمَرَاتِ تَعْبُرُ نَحْوَهَا عَيْنَايَ بَحْرَ عَجَائِبٍ مَسْجُورَا
شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ نَزَعَتْ إِلَى سِحْرٍ يُؤَثِّرُ فِي ٱلنُّهَى تَأْثِيرَا
قَدْ سُرِّحَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا قَبَضَتْ بِهِنَّ مِنَ ٱلْفَضَاءِ طُيُورَا
وَكَأَنَّمَا تَأْبَى لِوُقُوعِ طَيْرِهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرَا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَلْسَالِ ٱللُّجَيْنِ نَمِيرَا
خُرْسٌ تُعَدُّ مِنَ ٱلْفِصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بِٱلْمِيَاهِ صَفِيرَا
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غُصْنٍ فِضَّةٌ لَانَتْ فَأَرْسَلَ خَيْطَهَا مَجْرُورَا
وَتُرِيكَ فِي ٱلصِّهْرِيجِ مَوْقِعَ قَطْرِهَا فَوْقَ ٱلزَّبَرْجَدِ لُؤْلُؤًا مَنْثُورَا
ضَحِكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا جَعَلَتْ لَهَا زُهْرُ ٱلنُّجُومِ ثُغُورَا
وَمُصَفَّحِ ٱلْأَبْوَابِ تِبْرًا نَظَّرُوا بِٱلنَّقْشِ فَوْقَ شُكُولِهِ تَنْظِيرَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي ٱلسَّمَاءِ نَضِيرَا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَّاعُهَا أَقْلَامَهَا فَأَرَتْكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرَا
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لِيقَةٌ مَشَقُوا بِهَا ٱلتَّزْوِيقَ وَٱلتَّشْجِيرَا
وَكَأَنَّمَا ٱللَّازَوَرْدُ مُخَرَّمٌ بِٱلْخَطِّ فِي وَرَقِ ٱلسَّمَاءِ سُطُورَا

أَلْبَابُ ٱلسَّابِعُ
فِي ٱلشِّعْرِ ٱلْقَدِيمِ

نُخَب من المعلَّقات

٨٦ نخبة من معلقة امرئ القيس بن حُجر الكندي

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلَا ٱنْجَلِي   بِصُبْحٍ وَمَا ٱلْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ   بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ
وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ ٱللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ   كَمَا زَلَّتِ ٱلصَّفْوَاءُ بِٱلْمُتَنَزِّلِ
عَلَى ٱلذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ ٱهْتِزَامَهُ   إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذَا مَا ٱلسَّابِحَاتُ عَلَى ٱلْوَنَى   أَثَرْنَ غُبَارًا بِٱلْكَدِيدِ ٱلْمُرَكَّلِ
يُزِلُّ ٱلْغُلَامَ ٱلْخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ   وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ ٱلْعَنِيفِ ٱلْمُثَقَّلِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ ٱلْوَلِيدِ أَمَرَّهُ   تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ   وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ   عَذَارَى دُوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ
فَأَلْحَقَنَا بِٱلْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ   جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

فعادى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دراكاً ولم ينضح بماءٍ فيغسلِ

فظلّ طهاة اللحم من بين منضجٍ صفيف شواءٍ أو قديرٍ معجّلِ

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترقّ العين فيه تسهّلِ

فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مرسلِ

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبيٍّ مكلّلِ

يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ أمال السليط بالذبال المفتّلِ

قعدت له وصحبتي بين ضارجٍ وبين العذيب بعد ما متأمّلي

على قطنٍ بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبلِ

فأضحى يسحّ الماء فوق كتيفةٍ يكبّ على الأذقان دوح الكنهبلِ

ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كلّ منزلِ

وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أطماً إلا مشيداً بجندلِ

٨٧ نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاشٌ كرأس الحية المتوقّدِ

وآليت لا ينفكّ كشحي بطانةً لعضبٍ رقيق الشفرتين مهنّدِ

حسامٍ إذا ما قمت منتصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضدِ

أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضريبةٍ إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي

إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعاً إذا بلّت بقائمه يدي

وبركٍ هجودٍ قد أثارت مخافتي بواديها أمشي بعضبٍ مجرّدِ

فمرّت كهاةٌ ذات خيفٍ جلالةٌ عقيلة شيخٍ كالوبيل يلندَدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ ٱلْوَظِيفُ وَسَاقُهَا ... أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ

وَقَالَ أَلَا مَا ذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ ... شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُـهُ مُتَعَمِّدِ

فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ ... وَإِلَّا تَكُفُّوا قَاصِيَ ٱلْبَرْكِ يَزْدَدِ

فَظَلَّ ٱلْإِمَاءُ يَمْتَلِـنَ حُوَارَهَا ... وَتَسْعَى عَلَيْنَا بِٱلسَّدِيفِ ٱلْمُسَرْهَدِ

فَإِنْ مُتُّ فَٱنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ ... وَشُقِّي عَلَيَّ ٱلْجَيْبَ يَا ٱبْنَـةَ مَعْبَدِ

وَلَا تَجْعَلِينِي كَٱمْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ ... كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي

بَطِيءٍ عَنِ ٱلْجُلَّى سَرِيعٍ إِلَى ٱلْخَنَا ... ذَلُولٍ بِأَجْمَاعِ ٱلرِّجَالِ مُلَهَّدِ

فَلَوْ كُنْتُ وَغْلًا فِي ٱلرِّجَالِ لَضَرَّنِي ... عَدَاوَةُ ذِي ٱلْأَصْحَابِ وَٱلْمُتَوَحِّدِ

وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي ٱلرِّجَالَ جَرَاءَتِي ... عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمَحْتِدِي

لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ ... نَهَارِي وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ

وَيَوْمٍ حَبَسْتُ ٱلنَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا ... حِفَاظًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَٱلتَّهَدُّدِ

عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى ٱلْفَتَى عِنْدَهُ ٱلرَّدَى ... مَتَى تَعْتَرِكْ فِيهِ ٱلْفَرَائِصُ تُرْعَدِ

وَأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ ... عَلَى ٱلنَّارِ وَٱسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ

سَتُبْدِي لَكَ ٱلْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ... وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وَيَأْتِيكَ بِٱلْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ ... بَتَاتًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

٨٨ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلمى المزني

فَأَقْسَمْتُ بِٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

يَمِينًا لَنِعْمَ ٱلسَّيِّـدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيـلٍ وَمُبْرَمِ

سَعَى سَاعِيَا غَيْـظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَ مَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ ٱلْعَشِيرَةِ بِٱلدَّمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

تُعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ ... يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... وَلَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ

أَلَا أَبْلِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً ... وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا ... قُرًى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ

رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا ... غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلَاحِ وَبِالدَّمِ

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا ... إِلَى كَلَإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ ... دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ

وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ... وَلَا وَهَبٍ مِنْهَا وَلَا ابْنِ الْمُخَزَّمِ

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ   صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ
لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ ٱلنَّاسَ أَمْرُهُمْ   إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى ٱللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
كِرَامٍ فَلَا ذُو ٱلضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ   لَدَيْهِمْ وَلَا ٱلْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
سَئِمْتُ تَكَالِيفَ ٱلْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ   ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ
وَأَعْلَمُ مَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱلْأَمْسِ قَبْلَهُ   وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ   تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَمَنْ لَا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ   يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ   يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ ٱلشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ   عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ يُوفِ لَا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ   إِلَى مُطْمَئِنِّ ٱلْبِرِّ لَا يَتَجَمْجَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ   وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ   يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ ٱلزِّجَاجِ فَإِنَّهُ   يُطِيعُ ٱلْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ
وَمَنْ لَا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ   يُهَدَّمْ وَمَنْ لَا يَظْلِمِ ٱلنَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ   وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ ٱلنَّاسَ نَفْسَهُ   وَلَا يُغْنِهَا يَوْمًا مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْدَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ   وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى ٱلنَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي ٱلتَّكَلُّمِ
لِسَانُ ٱلْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ ٱلشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ ‏ وَإِنَّ ٱلْفَتَى بَعْدَ ٱلسَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا وَعُدْتُمُ ‏ وَمَنْ أَكْثَرَ ٱلتَّسْآلَ يَوْمًا سَيُحْرَمِ

٨٩ • نخبة من معلقة لبيد بن ربيعة العامري

إِقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ‏ وَلَخَيْرُ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ‏ مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ ‏ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هِبَابٌ فِي ٱلزِّمَامِ كَأَنَّهَا ‏ صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ ٱلْجَنُوبِ جَهَامُهَا
أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ‏ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ ٱلصِّوَارِ قِوَامُهَا
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ ٱلْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ ‏ عُرْضَ ٱلشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ‏ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا ‏ إِنَّ ٱلْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ ‏ يُرْوِي ٱلْخَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
تَجْتَافُ أَصْلًا قَالِصًا مُتَنَبِّذًا ‏ بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ ‏ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ ٱلنُّجُومَ غَمَامُهَا
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ ٱلظَّلَامِ مُنِيرَةً ‏ كَجُمَانَةِ ٱلْبَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا ٱنْحَسَرَ ٱلظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ ‏ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ ٱلثَّرَى أَزْلَامُهَا
عَلِهَتْ تَرَدَّدُ فِي نِهَاءِ صُعَائِدٍ ‏ سَبْعًا تُؤَامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا
حَتَّى إِذَا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ ‏ لَمْ يُبْلِهِ إِرْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا
وَتَسَمَّعَتْ رِزَّ ٱلْأَنِيسِ فَرَاعَهَا ‏ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَٱلْأَنِيسُ سَقَامُهَا

فَغَدَتْ كِلَا ٱلْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى ٱلْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

حَتَّى إِذَا يَئِسَ ٱلرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا ... غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا

فَلَحِقْنَ وَٱعْتَكَرَتْ لَهَا مَدَرِيَّةٌ ... كَٱلسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ ... أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ ٱلْحُتُوفِ حِمَامُهَا

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ ... بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي ٱلْمَكَرِّ سُخَامُهَا

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ ٱللَّوَامِعُ بِٱلضُّحَى ... وَٱجْتَابَ أَرْدِيَةَ ٱلسَّرَابِ إِكَامُهَا

أَقْضِي ٱللُّبَانَةَ لَا أُفَرِّطُ رِيبَةً ... أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لُوَّامُهَا

وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ ... قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ ٱلشَّمَالِ زِمَامُهَا

وَلَقَدْ حَمَيْتُ ٱلْحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتِي ... فُرُطٌ وِشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ ... حَرِجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا

أَسْهَلْتُ وَٱنْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ ... جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا

رَفَّعْتُهَا طَرْدَ ٱلنَّعَامِ وَفَوْقَهُ ... حَتَّى إِذَا سَخُنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا

قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا ... وَٱبْتَلَّ مِنْ زَبَدِ ٱلْحَمِيمِ حِزَامُهَا

تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي ٱلْعِنَانِ وَتَنْتَحِي ... وِرْدَ ٱلْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حَمَامُهَا

وَكَثِيرَةٍ غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةٍ ... تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِٱلذُّحُولِ كَأَنَّهَا ... جِنُّ ٱلْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا

أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا ... عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ ... بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا ... هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا

تَأْوِي إِلَى الْأَطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ ... مِثْلَ الْبَلِيَّةِ قَالِصٍ أَهْدَامُهَا

وَيُكَلِّلُونَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... خُلُجًا تُمَدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامُهَا

إِنَّا إِذَا الْتَقَتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ ... مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا

وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا ... وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا

فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى ... سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ... وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

إِنْ يَفْزَعُوا تُلْقَ الْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ ... وَالسِّنُّ تَلْمَعُ كَالْكَوَاكِبِ لَامُهَا

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فِعَالُهُمْ ... إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإِنَّمَا ... قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَّامُهَا

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا

فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمْكُهُ ... فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا

فَهُمُ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أُفْظِعَتْ ... وَهُمُ فَوَارِسُهَا وَهُمْ حُكَّامُهَا

وَهُمُ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمُ ... وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبَطِّئَ حَاسِدٌ ... أَوْ أَنْ يَمِيلَ مَعَ الْعَدُوِّ لِئَامُهَا

٩٠ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا

بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا ٱلْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ ٱلْمُلْكِ يَحْمِي ٱلْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا ٱلْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا ٱلْبُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إِلَى ٱلشَّامَاتِ تَنْفِي ٱلْمُوعِدِينَا
وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ ٱلْحَيِّ مِنَّا وَشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
مَتَى نُنْقَلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي ٱللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ ٱلْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا ٱلْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ ٱلصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى ٱلنَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِٱلسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا ٱلْخَطِّيِّ لُدْنٍ ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَعْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ ٱلْأَبْطَالِ فِيهَا وُسُوقٌ بِٱلْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ ٱلْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ ٱلرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
وَإِنَّ ٱلضِّغْنَ بَعْدَ ٱلضِّغْنِ يَفْشُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينَا
وَرِثْنَا ٱلْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ ٱلْحَيِّ خَرَّتْ عَلَى ٱلْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
نَجُذُّ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بِرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا
كَأَنَّ سُيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ ... خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِينَا

إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَافِ حَيٌّ ... مِنَ الْهَوْلِ الْمُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ ... مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا

بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا ... وَشِيبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا

حُدَيَّا النَّاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا ... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ ... فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينَا

وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ ... فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَا

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحُزُونَا

أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا ... تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ وَنِينَا

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِينَا قَطِينَا

بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا

تَهَدَّدْنَا وَتُوعِدْنَا رُوَيْدًا ... مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مَقْتَوِينَا

فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ ... عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ ... وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

عَشَوْزَنَةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ ... تَشُجُّ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا

فَهَلْ حُدِّثْتَ فِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ... بِنَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَا

وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ ... أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا

وَرِثْتُ مُهَلْهِلًا وَالْخَيْرَ مِنْهُ ... زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا

وَعَتَّابًا وَكُلْثُومًا جَمِيعًا   بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ ٱلْأَكْرَمِينَا

وَذَا ٱلْبُرَةِ ٱلَّذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ   بِهِ نُحْمَى وَنَحْمِي ٱلْمُلْتَجِينَا

وَمِنَّا قَبْلَهُ ٱلسَّاعِي كُلَيْبٌ   فَأَيُّ ٱلْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ   تَجُذَّ ٱلْحَبْلَ أَوْ تَقِصِ ٱلْقَرِينَا

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا   وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا

وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فِي خَزَازَى   رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ ٱلرَّافِدِينَا

وَكُنَّا ٱلْأَيْمَنِينَ إِذَا ٱلْتَقَيْنَا   وَكَانَ ٱلْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا

فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ   وَصُلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا

فَآبُوا بِٱلنِّهَابِ وَبِٱلسَّبَايَا   وَأُبْنَا بِٱلْمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ   أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا ٱلْيَقِينَا

أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ   كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينَا

عَلَيْنَا ٱلْبَيْضُ وَٱلْيَلَبُ ٱلْيَمَانِي   وَأَسْيَافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينَا

عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلَاصٍ   تَرَى فَوْقَ ٱلنِّطَاقِ لَهَا غُضُونَا

إِذَا وُضِعَتْ عَنِ ٱلْأَبْطَالِ يَوْمًا   رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ ٱلْقَوْمِ جُونَا

كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ   تُصَفِّقُهَا ٱلرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَا

وَتَحْمِلُنَا غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ جُرْدٌ   عُرِفْنَ لَنَا نَقَائِذَ وَٱفْتُلِينَا

وَرَدْنَ دَوَارِعًا وَخَرَجْنَ شُعْثًا   كَأَمْثَالِ ٱلرَّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ   وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَنِينَا

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ   نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونَا

ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ   خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا

يَقُتْنَ جِيَادَنَا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ   بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا

أَخَذْنَ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ عَهْدًا   إِذَا لَاقَوْا كَتَائِبَ مُعْلَمِينَا

لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْرَاسًا وَبِيضًا   وَأَسْرَى فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا

تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ   قَدِ ٱتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا

وَإِنَّا ٱلْعَاصِمُونَ لِكُلِّ كَحْلٍ   وَإِنَّا ٱلْبَاذِلُونَ لِمُجْتَدِينَا

وَإِنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا   إِذَا مَا ٱلْبِيضُ فَارَقَتِ ٱلْجُفُونَا

كَأَنَّا وَٱلسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ   وَلَدْنَا ٱلنَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا

يُدَهْدِهْنَ ٱلرُّؤُوسَ كَمَا يُدَهْدِي   حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا ٱلْكُرِينَا

وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ   إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا

بِأَنَّا ٱلْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا   وَأَنَّا ٱلْمُهْلِكُونَ إِذَا ٱبْتُلِينَا

وَأَنَّا ٱلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا   وَأَنَّا ٱلنَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا

وَأَنَّا ٱلتَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا   وَأَنَّا ٱلْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا

وَأَنَّا ٱلْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا   وَأَنَّا ٱلْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا ٱلْمَاءَ صَفْوًا   وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي ٱلطَّمَّاحِ عَنَّا   وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا

إِذَا مَا ٱلْمَلْكُ سَامَ ٱلنَّاسَ خَسْفًا   أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ ٱلْخَسْفَ فِينَا

مَلَأْنَا ٱلْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا   وَظَهْرَ ٱلْبَحْرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا

لَنَا ٱلدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا   وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

إِذَا بَلَغَ ٱلْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخِرُّ لَهُ ٱلْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

٩١ نخبة من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكري

وَأَتَانَا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱلْأَنْبَاءِ خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ

أَنَّ إِخْوَانَنَا ٱلْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ

يَخْلِطُونَ ٱلْبَرِيَّ مِنَّا بِذِي ٱلذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ ٱلْخَلِيَّ ٱلْخَلَاءُ

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ ٱلْعَيْرَ مُوَالٍ لَنَا وَأَنَّا ٱلْوَلَاءُ

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْهَالِ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ

أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ

لَا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا قَبْلَمَا قَدْ وَشَى بِنَا ٱلْأَعْدَاءُ

فَبَقِينَا عَلَى ٱلشَّنَاءَةِ تَنْمِينَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ

قَبْلَ مَا ٱلْيَوْمِ بَيَّضَتْ بِعُيُونِ ٱلنَّاسِ فِيهَا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءُ

فَكَأَنَّ ٱلْمَنُونَ تَرْدِي بِنَا أَرْعَنَ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ ٱلْعَمَاءُ

مُكْفَهِرًّا عَلَى ٱلْحَوَادِثِ لَا تَرْتُوهُ لِلدَّهْرِ مُؤْيِدٌ صَمَّاءُ

إِرَمِيٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ ٱلْخَيْلُ وَتَأْبَى لِخَصْمِهَا ٱلْإِجْلَاءُ

مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْشِي وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ ٱلثَّنَاءُ

أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّوهَا إِلَيْنَا تَشْقَى بِهَا ٱلْأَمْلَاءُ

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَٱلصَّاقِبِ فِيهَا ٱلْأَمْوَاتُ وَٱلْأَحْيَاءُ

أَوْ نَقَشْتُمْ فَٱلنَّقْشُ يَجْشَمُهُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ ٱلْإِسْقَامُ وَٱلْإِبْرَاءُ

أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْـ مَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا ٱلْأَقْذَاءُ
أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا ٱلْعَلَاءُ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنْتَهَبُ ٱلنَّا سُ غِوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إِذْ رَفَعْنَا ٱلْجِمَالَ مِنْ سَعَفِ ٱلْبَحْـ رَيْنِ سَيْرًا حَتَّى نَهَاهَا ٱلْحِسَاءُ
ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمْـ نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ
لَا يُقِيمُ ٱلْعَزِيزُ بِٱلْبَلَدِ ٱلسَّهْـ لِ وَلَا يَنْفَعُ ٱلذَّلِيلَ ٱلنَّجَاءُ
لَيْسَ يُنْجِي ٱلَّذِي يُوَائِلُ مِنَّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ
مَلِكٌ أَضْرَعَ ٱلْبَرِيَّةَ لَا يُو جَدُ فِيهَا لِمَا لَدَيْهِ كِفَاءُ
كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا ٱلْمُنْـ ذِرُ هَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُو لٌ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ ٱلْعَفَاءُ
أَيُّهَا ٱلنَّاطِقُ ٱلْمُبَلِّغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ ٱنْتِهَاءُ
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ آيَا تٌ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ ٱلْقَضَاءُ
آيَةٌ شَارِقَ ٱلشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلَاءُ
وَصَتِيتٍ مِنَ ٱلْعَوَاتِكِ لَا تَنْـ هَاهُ إِلَّا مُبْيَضَّةٌ رَعْلَاءُ
فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا يَخْـ رُجُ مِنْ خُرْبَةِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمُ عَلَى حَزْمِ ثَهْلَا نَ شِلَالًا وَدُمِّيَ ٱلْأَنْسَاءُ
وَجَبَهْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ هَزُ فِي جَمَّةِ ٱلطَّوِيِّ ٱلدِّلَاءُ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ ٱللَّـهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ

ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ٱبْنَ أُمِّ قَطَامٍ   وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ

أَسَدٌ فِي ٱللِّقَاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ   وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَّرَتْ غَبْرَاءُ

وَفَكَكْنَا غُلَّ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ عَنْهُ   بَعْدَمَا طَالَ حَبْسُهُ وَٱلْعَنَاءُ

وَمَعَ ٱلْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي ٱلْأَوْ   سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ

مَا جَزِعْنَا تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ إِذْ وَلَّـوا شِلَالًا وَإِذْ تَلَظَّى ٱلصِّلَاءُ

وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِٱلْمُنْـ   ـذِرِ كَرْهًا إِذْ لَا تُكَالُ ٱلدِّمَاءُ

وَأَتَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلَا   كٍ كِرَامٍ أَسْلَابُهُمْ أَغْلَاءُ

وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ إِيَاسٍ   مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا ٱلْحِبَاءُ

مِثْلُهَا تُخْرِجُ ٱلنَّصِيحَةَ لِلْقَوْ   مِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ

فَٱتْرُكُوا ٱلطَّيْخَ وَٱلتَّعَدِّي وَإِمَّا   تَتَعَاشَوْا فَفِي ٱلتَّعَاشِي ٱلدَّاءُ

وَٱذْكُرُوا حِلْفَ ذِي ٱلْمَجَازِ وَمَا قُـدِّ   مَ فِيهِ ٱلْعُهُودُ وَٱلْكُفَلَاءُ

حَذَرَ ٱلْجَوْرِ وَٱلتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ   ـقُضُ مَا فِي ٱلْمَهَارِقِ ٱلْأَهْوَاءُ

وَٱعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمُ فِيـ   ـمَا ٱشْتَرَطْنَا يَوْمَ ٱخْتَلَفْنَا سَوَاءُ

عَنَنًا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تُعْـ   ـتَرُ عَنْ حُجْرَةِ ٱلرَّبِيضِ ٱلظِّبَاءُ

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ   ـنَمَ غَازِيهِمُ وَمِنَّا ٱلْجَزَاءُ

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى إِيَادٍ كَمَا نِيـ   ـطَ بِجَوْزِ ٱلْمُحَمَّلِ ٱلْأَعْبَاءُ

لَيْسَ مِنَّا ٱلْمُضَرَّبُونَ وَلَا قَيْـ   ـسٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا ٱلْحَذَّاءُ

أَمْ جَنَايَا بَنِي عَتِيقٍ فَإِنَّا   مِنْهُمُ إِنْ غَدَرْتُمُ لَبَرَاءُ

وَثَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيـ   ـهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ ٱلْقَضَاءُ

تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وَآبُوا ... بِنِهَابٍ يُصَمُّ مِنْهَا ٱلْحُدَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَمْ مَا ... جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـ ... سَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ
ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ ... جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ
لَمْ يُحِلُّوا بَنِي رَزَاحٍ بِبَرْقَا ... ءِ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ
ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ ٱلظَّهْـ ... ـرِ وَلَا يَبْرُدُ ٱلْغَلِيلَ ٱلْمَاءُ
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ ٱلْغَلْـ ... ـلَاقِ لَا رَأْفَةٌ وَلَا إِبْقَاءُ
وَهُوَ ٱلرَّبُّ وَٱلشَّهِيدُ عَلَى يَوْ ... مِ ٱلْحِيَارَيْنِ وَٱلْبَلَاءُ بَلَاءُ

٩٢ نخبة من معلّقة عنتر بن شدّاد العبسي

هَلَّا سَأَلْتِ ٱلْخَيْلَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ ... إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالَةِ سَابِحٍ ... نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ ٱلْكُمَاةُ مُكَلَّمِ
طَوْرًا يُجَرَّدُ لِلطِّعَانِ وَتَارَةً ... يَأْوِي إِلَى حَصِدِ ٱلْقِسِيِّ عَرَمْرَمِ
يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَقِيعَةَ أَنَّنِي ... أَغْشَى ٱلْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ ٱلْمَغْنَمِ
وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ ٱلْكُمَاةُ نِزَالَهُ ... لَا مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ ٱلْكُعُوبِ مُقَوَّمِ
فَشَكَكْتُ بِٱلرُّمْحِ ٱلْأَصَمِّ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ ٱلْكَرِيمُ عَلَى ٱلْقَنَا بِمُحَرَّمِ
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ ٱلسِّبَاعِ يَنُشْنَهُ ... يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَٱلْمِعْصَمِ
وَمِشَكِّ سَابِغَةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَهَا ... بِٱلسَّيْفِ عَنْ حَامِي ٱلْحَقِيقَةِ مُعْلِمِ
رَبِذٍ يَدَاهُ بِٱلْقِدَاحِ إِذَا شَتَا ... هَتَّاكِ غَايَاتِ ٱلتِّجَارِ مُلَوَّمِ

لَمَّا رَآنِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ بِغَيْرِ تَبَسُّمِ

عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ

فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْذَمِ

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتِي ... وَالْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى ... إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ

فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي ... غَمَرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ ... عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ... وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ

وَالْخَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَابِسًا ... مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ

ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي ... لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا ... وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمَ الْقَهُمَا دَمِي

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ... جَزَرَ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ … فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ … وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

وَفِي الْأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى … وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَزَّلُ

لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ … سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ … وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ … لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وَكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي … إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ … بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ … عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلُ

وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدُ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا … بِحُسْنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ … وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا … رَصَائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّتْ كَأَنَّهَا … مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ

وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ … مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ

وَلَا جُبَّإٍ أَكْهَى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ … يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ

وَلَا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ … يَظَلُّ بِهِ الْمُكَّاءُ يَعْلُو وَيَسْفُلُ

وَلَا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ … يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَحَّلُ

وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ … أَلَفَّ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

وَلَسْتُ بِمِحْيَارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَتْ   هُدَى الْهَوْجَلِ الْعِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي   تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

أُدِيمُ مِطَالَ الْجُوعِ حَتَّى أُمِيتَهُ   وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهُ   عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ   يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُ بِي   عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وَأَطْوِي عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ   خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وَتُفْتَلُ

وَأَغْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا   أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا   يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ

فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ   دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

مُهَلْهَلَةٌ شِيبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا   قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

أَوِ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ   مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

مُهَرَّتَةٌ فُوهٌ كَأَنَّ شُدُوقَهَا   شُقُوقُ الْعِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاحِ كَأَنَّهَا   وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ   مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ   وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ أَجْمَلُ

وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا   عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمِلُ

وَتَشْرَبُ أَسْآرِي الْقَطَا الْكُدْرُ بَعْدَمَا   سَرَتْ قَرَبًا أَحْنَاؤُهَا تَتَصَلْصَلُ

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ   وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهْيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ ... يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَحَوْصَلُ
كَأَنَّ وَغَاهَا حَجْرَتَيْهِ وَحَوْلَهُ ... أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ الْقَبَائِلِ نُزَّلُ
تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا ... كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مَنْهَلُ
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا ... مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلُ
وَآلَفُ وَجْهَ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا ... بِأَهْدَأَ تُنْبِيهِ سَنَاسِنُ قُحَّلُ
وَأَعْدِلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ ... كِعَابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ فَهْيَ مُثَّلُ
فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَى أُمُّ قَسْطَلٍ ... لَمَا اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ
طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ ... عَقِيرَتُهُ لِأَيِّهَا حُمَّ أَوَّلُ
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى عُيُونُهَا ... حِثَاثًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلْغَلُ
وَإِلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُهُ ... عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا ... تَثُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتُ وَمِنْ عَلُ
فَإِمَّا تَرَيْنِي كَابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيًا ... عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَنَعَّلُ
فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزَّهُ ... عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ وَالْحَزْمَ أَفْعَلُ
وَأُعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنَى وَإِنَّمَا ... يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَذِّلُ
فَلَا جَزِعٌ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ ... وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الْغِنَى أَتَخَيَّلُ
وَلَا تَزْدَهِي الْأَجْهَالُ حِلْمِي وَلَا أُرَى ... سَؤُولًا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أُنْمِلُ
وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا ... وَأَقْطُعَهُ اللَّاتِي بِهَا يَتَنَبَّلُ
دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي ... سُعَارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ
فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيْتَمْتُ وِلْدَةً ... وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغُمَيْصَاءِ جَالِسًا ... فَرِيقَانِ مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا ... فَقُلْنَا أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ ... فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحَ طَارِقًا ... وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى يَذُوبُ لُعَابُهُ ... أَفَاعِيهِ فِي رَمْضَائِهِ تَتَمَلْمَلُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنَّ دُونَهُ ... وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِيُّ الْمُرَعْبَلُ
وَضَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ ... لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ
وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِعَامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ
وَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ مُوفِيًا ... عَلَى قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَارًا وَأَمْثُلُ
تَرُودُ الْأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا ... عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُذَيَّلُ
وَيَرْكُدْنَ بِالْآصَالِ حَوْلِي كَأَنَّنِي ... مِنَ الْعُصْمِ أَدْفَى يَنْتَحِي الْكِيحَ أَعْقَلُ

٩٤ نخبة من لامية العجم للطغرائي (*)

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ ... وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعٌ ... وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ
فِيمَ الْإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لَا سَكَنِي ... بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفْرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ ... كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْخِلَلِ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي ... وَلَا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي ... وَرَحْلُهَا وَقَرَى الْعَسَّالَةِ الذُّبُلِ

(*) انما ثبتناها في باب الشعر القديم وهي ليست منه ايثارًا لذكرها مع لاميّة العرب

وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَعَجَّ لِمَا ... يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ ٱلرَّكْبُ فِي عَذَلِي

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا ... عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي

وَٱلدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي ... مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ بَعْدَ ٱلْكَدِّ بِٱلْقَفَلِ

حُبُّ ٱلسَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ ... عَنِ ٱلْمَعَالِي وَيُغْرِي ٱلْمَرْءَ بِٱلْكَسَلِ

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَٱتَّخِذْ نَفَقًا ... فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلْجَوِّ فَٱعْتَزِلِ

وَدَعْ غِمَارَ ٱلْعُلَى لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى ... رُكُوبِهَا وَٱقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِٱلْبَلَلِ

يَرْضَى ٱلذَّلِيلُ بِخَفْضِ ٱلْعَيْشِ يَخْفِضُهُ ... وَٱلْعِزُّ بَيْنَ رَسِيمِ ٱلْأَيْنُقِ ٱلذُّلُلِ

فَٱدْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ ٱلْبِيدِ حَافِلَةً ... مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي ٱللُّجْمِ بِٱلْجُدُلِ

إِنَّ ٱلْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ ... فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ ٱلْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى ... لَمْ تَبْرَحِ ٱلشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ ٱلْحَمَلِ

أَهَبْتُ بِٱلْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا ... وَٱلْحَظُّ عَنِّي بِٱلْجُهَّالِ فِي شُغُلِ

لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ ... لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي

أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلْآمَالِ أَرْقُبُهَا ... مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ

لَمْ أَرْتَضِ ٱلْعَيْشَ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ ... فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ

غَالَى بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا ... فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

وَعَادَةُ ٱلنَّصْلِ أَنْ يَزْهُو بِجَوْهَرِهِ ... وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلِ

مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي ... حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسَّفَلِ

تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ ... وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَمْشِي عَلَى مَهَلِ

هٰذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا ... مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ ٱلْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ ... لِي أُسْوَةٌ بِٱنْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ
فَٱصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ ... فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا ... مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
غَاضَ ٱلْوَفَاءُ وَفَاضَ ٱلْغَدْرُ وَٱنْفَرَجَتْ ... مَسَافَةُ ٱلْخُلْفِ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ كِذْبُهُمُ ... وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْوَجٌّ بِمُعْتَدِلِ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمِ ... عَلَى ٱلْعُهُودِ فَسَبْقُ ٱلسَّيْفِ لِلْعَذَلِ
يَا وَارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ ... أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ ٱلْأُوَلِ
فِيمَ ٱعْتِرَاضُكَ لُجَّ ٱلْبَحْرِ تَرْكَبُهُ ... وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ ٱلْوَشَلِ
مُلْكُ ٱلْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا ... تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ٱلْأَنْصَارِ وَٱلْخَوَلِ
تَرْجُو ٱلْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا ... فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
وَيَا خَبِيرًا عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعًا ... أَنْصِتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ ... فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ ٱلْهَمَلِ

٩٥ قصيدة النابغة يعتذر بها الى النعمان وكان قد جفاه

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي ٱلْعَلْيَاءِ فَٱلسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ ٱلْأَبَدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَالًا أُسَائِلُهَا ... عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِٱلرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا ... وَٱلنُّؤْيَ كَٱلْحَوْضِ بِٱلْمَظْلُومَةِ ٱلْجَلَدِ
رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ... ضَرْبُ ٱلْوَلِيدَةِ بِٱلْمِسْحَاةِ فِي ٱلثَّأَدِ

خلت سبيل أتي كان يحبسه … ورفعته إلى السجفين فالنضد

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا … أخنى عليها الذي أخنى على لبد

فعد عما مضى إذ لا ارتجاع له … وانم القتود على عيرانة أجد

مقذوفة بدخيس النحض بازلها … له صريف صريف القعو بالمسد

كأن رحلي وقد زال النهار بنا … بذي الجليل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشي أكارعه … طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

سرت عليه من الجوزاء سارية … تزجي الشمال عليه جامد البرد

فارتاع من صوت كلاب فبات له … طوع الشوامت من خوف ومن صرد

فبثهن عليه واستمر به … صمع الكعوب بريئات من الحرد

فهاب ضمران منه حيث يوزعه … طعن المعارك عند المحجر النجد

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها … شك المبيطر إذ يشفي من العضد

كأنه خارجا من جنب صفحته … سفود شرب نسوه عند مفتأد

فظل يعجم أعلى الروق منقبضا … في حالك اللون صدق غير ذي أود

لما رأى واشق إقعاص صاحبه … ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس إني لا أرى طمعا … وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

فتلك تبلغني النعمان إن له … فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه … وما أحاشي من الأقوام من أحد

إلا سليمان إذ قال الإله له … قم في البرية فاحددها عن الفند

وخيس الجن إني قد أذنت لهم … يبنون تدمر بالصفاح والعمد

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعْقِبْهُ بِطَاعَتِهِ ... كَمَا أَطَاعَكَ وَٱدْلُلْهُ عَلَى ٱلرَّشَدِ

فَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنْهَى ٱلظَّلُومَ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ

فَلَا لَعَمْرُ ٱلَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حِجَجًا ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى ٱلْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ... سَبْقَ ٱلْجَوَادِ إِذَا ٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْأَمَدِ

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ ... إِذًا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي

إِذًا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقَبَةً ... قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ مَنْ يَأْتِيكَ بِٱلْحَسَدِ

هٰذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ ... طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كَبِدِي

مَهْلًا فِدَاءٌ لَكَ ٱلْأَقْوَامُ كُلُّهُمُ ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ

لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ... وَلَوْ تَأَثَّفَكَ ٱلْأَعْدَاءُ بِٱلرِّفَدِ

فَمَا ٱلْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ... تَرْمِي أَوَاذِيُّهُ ٱلْعِبْرَيْنِ بِٱلزَّبَدِ

يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُزْبِدٍ لَجِبٍ ... فِيهِ حُطَامٌ مِنَ ٱلْيَنْبُوتِ وَٱلْخَضَدِ

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ ٱلْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا ... بِٱلْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ وَٱلنَّجَدِ

يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ ... وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ دُونَ غَدِ

أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي ... وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ ٱلْأَسَدِ

هٰذَا ٱلثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ ... فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ ٱللَّعْنَ بِٱلصَّفَدِ

هَا إِنَّ تَا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ ... فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي ٱلْبَلَدِ

٩٦ نخبة من قصيدة الاعشى ميمون بن قيس بن جندل

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ ٱلْإِبِلُ

تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ فَيُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا ... وَالْتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ

تُلْحِمُ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدَّيْنِ إِنْ غَضِبُوا ... أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَزِلُ

لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا ... تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ

سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ

وَاسْأَلْ قُشَيْرًا وَعَبْدَ اللهِ كُلَّهُمُ ... وَاسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ

إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهِلُوا

قَدْ كَانَ فِي آلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُ احْتَرَبُوا ... وَالْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ

إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا ... تَخْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْغُيُلُ

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا ... لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ

وَإِنْ مُنِيتَ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ ... لَا تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ

لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتُلُ

حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفِقًا ... يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ

أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ ... أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ

كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ ... إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنْوِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلُ

قَالُوا الطِّرَادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ ... وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطَلُ

ألبابُ ألثَّامِنُ
في ألمَرَاثي

٩٧ رثاء أعرابيةٍ لابنها

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَلَهُّبًا وَقَدْ حَرَقَتْ مِنِّي ٱلشُّؤُونَ ٱلْمَدَامِعُ
وَقَدْ أَضْرَمَتْ نَارُ ٱلْمُصِيبَةِ شُعْلَةً وَقَدْ حَمِيَتْ مِنِّي ٱلْحَشَا وَٱلْأَضَالِعُ
وَأَسْأَلُ عَنْكَ ٱلرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونَنِي بِحَالِكَ كَيْمَا تَسْتَكِنَّ ٱلْمَضَاجِعُ
فَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقٌ وَلَا فِيهِمِ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَيَا وَلَدِي مُذْ غِبْتَ كَدَّرْتَ عِيشَتِي فَقَلْبِي مَصْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَفِكْرِي مَسْقُومٌ وَعَقْلِي ذَاهِبٌ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بَلَاقِعُ

٩٨ لكعب بن سعد الغَنَويّ في أخيهِ ابي المغوار

تَتَابَعُ أَحْدَاثٍ يُجَرِّعْنَ إِخْوَتِي فَشَيَّبْنَ رَأْسِي وَٱلْخُطُوبُ تُشِيبُ
لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةٌ أَخِي فَٱلْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا حِلْمُهُ فَمُرَوِّحٌ عَلَيَّ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَغَرِيبُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ رِيبَةٍ وَلَا وَرِعٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ هَيُوبُ
أَخٌ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينُنِي عَلَى ٱلنَّائِبَاتِ ٱلسُّودِ حِينَ تَنُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ ٱلْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى ٱلشَّيْبِ لِلنَّفْسِ ٱللَّجُوجِ غَلُوبُ
هُوَ ٱلْعَسَلُ ٱلْمَاذِيُّ حِلْمًا وَشِيمَةً وَلَيْثٌ إِذَا لَاقَى ٱلْعُدَاةَ قَطُوبُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ ٱلصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يَوَدُّ ٱللَّيْلُ حِينَ تَؤُوبُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُهُ | مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَنُوبُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ | سَيَكْثُرُ مَاءٌ فِي إِنَاهُ يَطِيبُ
حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ | جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبَّ وَهُوَ أَدِيبُ
إِذَا قَصَّرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى | تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
جَمُوعُ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ | إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَّ ذَهُوبُ
مُفِيدٌ لِمُلْقَى الْفَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ | لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى | فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً | لَعَلَّ أَبَا الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
يُجِبْكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ | بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الذِّرَاعِ أَرِيبُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى | كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
فَتًى مَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجِسْمِهِ | إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاءَى لِلرِّجَالِ رَأَيْتَهُ | فَلَمْ يَنْطِقُوا الْعَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيبُ
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأَيْتَهُ | وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا صَعْدَةٌ وَنَصِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ | سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
غِيَاثٌ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُغِيثُهُ | وَمُخْتَبِطٍ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فِنَاؤُهُ | إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ غُيُوبُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ | مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ
غَنِينَا بِخَيْرٍ حِقْبَةً ثُمَّ جُلِّحَتْ | عَلَيْنَا الَّتِي كُلَّ الْأَنَامِ تُصِيبُ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ | لِآخَرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْبَاقِيَ ٱلْحَيَّ مِنْهُمْ ... إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
لَقَدْ أَفْسَدَ ٱلْمَوْتُ ٱلْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى ... عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ جَنِيبُ
فَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً ... إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ
وَإِنِّي لَبَاكِيهِ وَإِنِّي لَصَادِقٌ ... عَلَيْهِ وَبَعْضُ ٱلْقَائِلِينَ كَذُوبُ
فَلَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تُبَاعُ ٱشْتَرَيْتُهُ ... بِهَا إِذْ بِهِ كَانَ ٱلنُّفُوسُ تَطِيبُ
فَوَٱللهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَمَا ٱهْتَزَّ بِي فَرْعُ ٱلْأَرَاكِ قَضِيبُ

٩٩ قال دُرَيد بن الصِّمَّة في مقتل أخيه عبد الله

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِسًا ... فَقُلْتُ أَعَبْدُ ٱللهِ ذَٰلِكُمُ ٱلرَّدِي
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ ٱللهِ خَلَّى مَكَانَهُ ... فَمَا كَانَ وَقَّافًا وَلَا طَائِشَ ٱلْيَدِ
دَعَانِي أَخِي وَٱلْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِمَقْعَدِ
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ ... كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ ... وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِ
فَمَا رُمْتُ حَتَّى خَرَّقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... وَغُودِرْتُ أَكْبُو فِي ٱلْقَنَا ٱلْمُتَقَصِّدِ
قِتَالَ ٱمْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ... وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
كَمِيشُ ٱلْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ ... بَعِيدٌ عَنِ ٱلْآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
قَلِيلُ ٱلتَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ ... مِنَ ٱلْيَوْمِ أَعْقَابَ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
سَلِيمُ ٱلشَّظَى عَبْلُ ٱلشَّوَاةِ وَٱلشَّوَى ... طَوِيلُ ٱلْقَرَى نَهْدٌ نَبِيلُ ٱلْمُقَلَّدِ
يَفُوتُ طَوِيلَ ٱلْقَوْمِ عِقْدُ عِذَارِهِ ... مُنِيفٌ كَجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ٱلْمُتَجَرِّدِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ ٱلنَّاسِ وَاحِدٌ ... وَإِنْ يَلْقَ مَثْنَى ٱلْقَوْمِ يَفْرَحْ وَيَزْدَدِ

تَرَاهُ خَمِيصَ ٱلْبَطْنِ وَٱلزَّادُ حَاضِرٌ ... عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي ٱلْقَمِيصِ ٱلْمُقَدَّدِ
وَإِنْ مَسَّهُ ٱلْإِقْوَاءُ وَٱلْجَهْدُ زَادَهُ ... سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي ٱلْيَدِ
حَبَا مَا حَبَا حَتَّى عَلَا ٱلشَّيْبُ رَأْسَهُ ... فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ٱبْعُدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ ... كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

١٠٠ لما دفن المهلهل اخاهُ كليباً قام على قبرهِ يرثيه

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي ٱلْإِذِّكَارُ ... هُدُوًّا فَٱلدُّمُوعُ لَهَا ٱنْحِدَارُ
وَصَارَ ٱللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا ... كَأَنَّ ٱللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أُرَاقِبُ ٱلْجَوْزَاءَ حَتَّى ... تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا ٱنْحِدَارُ
أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ ... تَبَايَنَتِ ٱلْبِلَادُ بِهِمْ فَغَارُوا
وَأَبْكِي وَٱلنُّجُومُ مُطَلَّعَاتٌ ... إِلَى أَنْ تَحْوِهَا عَنِّي ٱلْبِحَارُ
عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا ... لَقَادَ ٱلْخَيْلَ يَحْجُبُهَا ٱلْغُبَارُ
دَعَوْتُكَ يَا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي ... وَكَيْفَ يُجِيبُنِي ٱلْبَلَدُ ٱلْقِفَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ... ضَنِينَاتُ ٱلنُّفُوسِ لَهَا مَدَارُ
أَجِبْنِي يَا كُلَيْبُ خَلَاكَ ذَمٌّ ... لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
سَقَاكَ ٱلْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا ... وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ ٱلْيَسَارُ
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا ... كَأَنَّ قَذَى ٱلْقَتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ ... وَتَعْفُو عَنْهُمُ وَلَكَ ٱقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ... مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى ٱلنَّاعِي كُلَيْبًا ... تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ ٱلشَّرَارُ

فَدُرْتُ وَقَدْ غَشِي بَصَرِي عَلَيْهِ   كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا ٱلْعُقَارُ
سَأَلْتُ ٱلْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ   فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ ٱلْحَيِّ دَارُ
فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَثِيثًا   وَطَارَ ٱلنَّوْمُ وَٱمْتَنَعَ ٱلْقَرَارُ
وَحَادَتْ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرٍ   ثَوَى فِيهِ ٱلْمَكَارِمُ وَٱلْفَخَارُ
لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشِنْهُ   وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ فِي ٱلنَّاسِ عَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا   جَبَانُ ٱلْقَوْمِ أَنْجَاهُ ٱلْفِرَارُ
أَتَغْدُو يَا كُلَيْبُ مَعِي إِذَا مَا   حُلُوقُ ٱلْقَوْمِ يَشْحَذُهَا ٱلشِّفَارُ
خُذِ ٱلْعَهْدَ ٱلْأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي   بِتَرْكِي كُلَّ مَا حَوَتِ ٱلدِّيَارُ
وَلَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي   إِلَى أَنْ يَخْلَعَ ٱللَّيْلَ ٱلنَّهَارُ
وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ   فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١ وقال مالك بن الريب التميمي يرثي نفسهُ ويصف قبرهُ. وكان قد خرج مع سعيد بن عفّان أخي عثمن لمّا ولي خراسان. فلمّا كان ببعض الطريق أراد ان يلبس خفهُ فاذ بأفعى فيهِ فلسعتهُ فلمّا احسّ بالموت أنشأ يقول:

دَعَانِي ٱلْهَوَى مِنْ أَهْلِ وُدِّي وَصُحْبَتِي   بِذِي ٱلطَّبَسَيْنِ فَٱلْتَفَتُّ وَرَائِيَا
أَجَبْتُ ٱلْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ   تَقَنَّعْتُ فِيهَا أَنْ أُلَامَ رِدَائِيَا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَى   وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ٱبْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي   لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعًا   بَنِيَّ بِأَعْلَى ٱلرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
وَدَرُّ ٱلظِّبَاءِ ٱلسَّانِحَاتِ عَشِيَّةً   يُخَبِّرْنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا
تَفَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ   سِوَى ٱلسَّيْفِ وَٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا

وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ ... إِلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ ٱلْمَوْتُ سَاقِيَا

وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي ... وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا

أَقُولُ لِأَصْحَابِي ٱرْفَعُونِي فَإِنَّنِي ... يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا

وَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي دَنَا ٱلْمَوْتُ فَٱنْزِلَا ... بِرَابِيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا

أَقِيمَا عَلَيَّ ٱلْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ ... وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا

وَقُومَا إِذَا مَا ٱسْتُلَّ رُوحِي فَهَيِّئَا ... لِيَ ٱلسِّدْرَ وَٱلْأَكْفَانَ ثُمَّ ٱبْكِيَا لِيَا

وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ ٱللهُ فِيكُمَا ... مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا

وَخُطَّا بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... وَرُدَّا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا

خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا ... فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا

وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا ٱلْخَيْلُ أَدْبَرَتْ ... سَرِيعًا إِلَى ٱلْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا

وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى ٱلزَّادِ وَٱلْقِرَى ... وَعَنْ شَتْمِ إِبْنِ ٱلْعَمِّ وَٱلْجَارِ وَانِيَا

وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى ٱلْقِرْنِ فِي ٱلْوَغَى ... ثَقِيلًا عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا

وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ضَلَالٍ وَمَجْمَعٍ ... وَطَوْرًا تَرَانِي وَٱلْعِتَاقُ رِكَابِيَا

وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحًى مُسْتَدِيرَةٍ ... تُخَرِّقُ أَطْرَافُ ٱلرِّمَاحِ ثِيَابِيَا

وَقُومَا عَلَى بِئْرِ ٱلشُّبَيْكِ فَأَسْمِعَا ... بِهَا ٱلْوَحْشَ وَٱلْبِيضَ ٱلْحِسَانَ ٱلرَّوَانِيَا

بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ ... تَهِيلُ عَلَيَّ ٱلرِّيحُ فِيهَا ٱلسَّوَافِيَا

وَلَا تَنْسَيَا عَهْدِي خَلِيلَيَّ إِنَّنِي ... تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا

فَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْوِلْدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي ... وَلَنْ يَعْدَمَ ٱلْمِيرَاثُ مِنِّي مَوَالِيَا

يَقُولُونَ لَا تُبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي ... وَأَيْنَ مَكَانُ ٱلْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

غَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ ... إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَخُلِّفْتُ ثَاوِيَا
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ ... لِغَيْرِي وَكَانَ ٱلْمَالُ بِٱلْأَمْسِ مَالِيَا
وَبِٱلرَّمْلِ مِنِّي نِسْوَةٌ لَوْ شَهِدْنَنِي ... بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ ٱلطَّبِيبَ ٱلْمُدَاوِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَٱبْنَتَاهَا وَخَالَتِي ... وَبَاكِيَةٌ أُخْرَى تَهِيجُ ٱلْبَوَاكِيَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ ٱلرَّمْلِ مِنِّي وَأَهْلِهِ ... ذَمِيمًا وَلَا لِلرَّمْلِ وَدَّعْتُ قَالِيَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ ... كَمَا كُنْتُ لَوْ عَادَى نَعِيُّكِ بَاكِيَا
إِذَا مُتُّ فَٱعْتَادِي ٱلْقُبُورَ وَسَلِّمِي ... عَلَى ٱلرِّيمِ أُسْقِينَ ٱلْغَمَامَ ٱلْغَوَادِيَا
تَرَى جَدَثًا قَدْ جَرَّتِ ٱلرِّيحُ فَوْقَهُ ... غُبَارًا كَلَوْنِ ٱلْقَسْطَلَانِيِّ هَابِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِي مَالِكٍ وَٱلرِّيبِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَبَلِّغْ أَخِي عِمْرَانَ بُرْدِي وَمِئْزَرِي ... وَبَلِّغْ عَجُوزِي ٱلْيَوْمَ أَلَّا تَدَانِيَا
وَسَلِّمْ عَلَى شَيْخَيَّ مِنِّي كِلَيْهِمَا ... كَثِيرًا وَعَمِّي وَٱبْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
وَعَطِّلْ قَلُوصِي فِي ٱلرِّكَابِ فَإِنَّمَا ... سَتُبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
أُقَلِّبُ طَرْفِي فَوْقَ رَحْلِي فَلَا أَرَى ... بِهِ مِنْ عُيُونِ ٱلْمُؤْنِسَاتِ مُرَاعِيَا

١٠٢ وقال متمم بن نويرة اليربوعيّ يرثي أخاهُ مالكًا

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ مَالِكٍ ... وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَّنَ ٱلْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ ٱلْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
لَبِيبٌ أَعَانَ ٱللُّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ ... خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ ٱلْجَدْبِ أَوْضَعَا
أَغَرُّ كَنَصْلِ ٱلسَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... إِذَا لَمْ تَجِدْ فِيهِ ٱمْرُؤُ ٱلسُّوءِ مَطْمَعَا
وَمَا كَانَ وَقَّافًا إِذَا ٱلْخَيْلُ أَحْجَمَتْ ... وَلَا طَالِبًا مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ مَفْزَعَا

وَلَا بِكَهَامٍ نَاكِلٍ عَنْ عَدُوِّهِ ... إِذَا هُوَ لَاقَى حَاسِرًا أَوْ مُقَنَّعَا

إِذَا ضَرَّسَ ٱلْغَزْوُ ٱلرِّجَالَ وَجَدْتَهُ ... أَخَا ٱلْحَرْبِ صِدْقًا فِي ٱللِّقَاءِ سَمَيْدَعَا

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ ٱلسَّنَا فِي رَبَابِهِ ... بِجَوْنٍ تَسُحُّ ٱلْمَاءَ حَتَّى تَرَيَّعَا

تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا ... وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ ٱلْأَرْضُ بَلْقَعَا

فَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا ... لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وَفَقْدُ بَنِي أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ ... خِلَافَهُمُ أَنْ أَسْتَكِينَ فَأَخْضَعَا

وَلَكِنَّنِي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقْدِمًا ... إِذَا بَعْضُ مَنْ يَلْقَى ٱلْخُطُوبَ تَضَعْضَعَا

قَعِيدَكِ أَنْ لَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً ... وَلَا تَنْكَئِي جُرْحَ ٱلْفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

وَحَسْبُكِ أَنِّي قَدْ جَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ ... بِكَفِّي عَنْهُ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا

سَقَى ٱللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ... رِهَامَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُزْجِيَاتِ فَأَمْرَعَا

١٠٣ لشبل بن معبد البجلي يرثي بنيه وكانوا أُصيبوا بالطاعون

أَتَى دُونَ حُلْوِ ٱلْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَّهُ ... نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبُ

تَتَابَعْنَ فِي ٱلْأَحْبَابِ حَتَّى أَبَدْنَهُمْ ... فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ فِي ٱلدِّيَارِ غَرِيبُ

بَرَتْنِي صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَمَا تَبْتَرِي دُونَ ٱللِّحَاءِ عَسِيبُ

فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةَ ٱللهِ مُفْرَدًا ... لَدَى ٱلنَّاسِ صَبْرًا وَٱلْفُؤَادُ كَئِيبُ

إِذَا رَدَّ قَرْنُ ٱلشَّمْسِ عَلَّلْتُ بِٱلْأَسَى ... وَيَأْوِي إِلَيَّ ٱلْحُزْنُ حِينَ يَؤُوبُ

وَنَامَ خَلِيُّ ٱلْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أَنَمْ ... كَمَا لَمْ يَنَمْ عَارِي ٱلْفِنَاءِ غَرِيبُ

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفَتْ بِنَا ... نَوَى غُرْبَةٍ عَمَّنْ نُحِبُّ شُطُوبُ

مَتَى ٱلْعَهْدُ بِٱلْأَهْلِ ٱلَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ ... لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِٱلْعِرَاقِ نَصِيبُ
فَمَا تَرَكَ ٱلطَّاعُونُ فِي ذِي قَرَابَةٍ ... إِلَيْهِ إِذَا حَانَ ٱلْإِيَابُ يَؤُوبُ
فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارُهُمْ مِنْكَ غُرْبَةٌ ... بَعِيدٌ وَلَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ قَرِيبُ
وَكُنْتَ تُرَجِّي أَنْ تَؤُوبَ إِلَيْهِمِ ... فَغَالَتْهُمُ مِنْ دُونِ ذَاكَ شَعُوبُ
وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدِ مَنْهَلٍ ... عَلَى حَوْضِهِ بِٱلْبَالِيَاتِ نَهِيبُ
إِلَيْهِ تَنَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ ... مِيَاهٌ رِوَاءٌ كُلُّهُنَّ شَرُوبُ
فَهَوَّنَ عَنِّي بَعْضَ وَجْدِي أَنَّنِي ... رَأَيْتُ ٱلْمَنَايَا تَغْتَدِي وَتَؤُوبُ
وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنَا ... إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَنُجِيبُ
وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَاقَيْتُ أُسْوَةً ... تَكَادُ لَهَا نَفْسُ ٱلْحَزِينِ تَطِيبُ
فَتًى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ ... بِهِ ٱلدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهْوَ حَرِيبُ
وَكَيْفَ عَزَاءُ ٱلْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ... وَلَيْسَ لَهُ فِي ٱلْغَابِرِينَ حَبِيبُ
مَتَى يَذْكُرُوا يَفْرَحْ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ ... وَيَنْسَجِمْ دَمْعٌ بَيْنَهُنَّ نَحِيبُ
دُمُوعٌ سَرَاهَا ٱلشَّجْوُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبُ
إِذَا مَا أَرَدْتُ ٱلصَّبْرَ هَاجَ لِيَ ٱلْبُكَا ... فُؤَادٌ إِلَى أَهْلِ ٱلْقُبُورِ طَرُوبُ
فَوَجْدِي بِأَهْلِي وَجْدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ ... شَبَابٌ يَزِينُونَ ٱلنَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أَبِي ذُؤَيب الهذليّ وهو خويلد بن خالدٍ وكان لهُ اولاد سبعة فماتوا كلهم الّا طفلًا فقال يرثيهم

أَمِنَ ٱلْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ... وَٱلدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ إِمَامَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا ... مُنْذُ ٱبْتَذَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

وَإِذَا ٱلْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

فَٱلْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ جُفُونَهَا ... كُحِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمِ ... أَنِّي لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ لَا أَتَضَعْضَعُ

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ ... نِصْفَ ٱلْمُشَقَّرِ كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ

لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَٱنْتَظِرْ ... أَبِأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى ٱلْمَضْجَعُ

وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ ٱلْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ ... وَلَسَوْفَ يُولَعُ بِٱلْبُكَا مَنْ يَفْجَعُ

وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةً ... يُبْكَى عَلَيْكَ مُقَنَّعًا لَا تَسْمَعُ

فَلَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ ٱلزَّمَانُ وَرَيْبُهُ ... إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ

وقال في الطفل الذي بقي له

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال الاصمعي : هذا افضل بيتٍ قالتهُ العرب

١٠٥ عينية عليّ بن جبلة في حميد الطوسي

أَلِلدَّهْرِ تَبْكِي أَمْ عَلَى ٱلدَّهْرِ تَجْزَعُ ... وَمَا صَاحِبُ ٱلْأَيَّامِ إِلَّا مُفَجَّعُ

وَلَوْ سَهَّلَتْ عَنْكَ ٱلْأَسَى كَانَ فِي ٱلْأَسَى ... عَزَاءٌ مُعَزٍّ لِلَّبِيبِ وَمَقْنَعُ

تَعَزَّ بِمَا عَزَّيْتَ غَيْرَكَ إِنَّهَا ... سِهَامُ ٱلْمَنَايَا حَائِمَاتٌ وَوُقَّعُ

أُصِبْنَا بِيَوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوَ ٱنَّهُ ... أَصَابَ عُرُوشَ ٱلدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعْضَعُ

وَأَدَّبَنَا مَا أَدَّبَ ٱلنَّاسَ قَبْلَنَا ... وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ

أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ ... بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ

وَكَيْفَ ٱلْتِقَى مَثْوًى مِنَ ٱلأَرْضِ ضَيِّقٌ ... عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ ٱلأَرْضُ تُمْنَعُ
وَلَمَّا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُهُ ٱنْقَضَتِ ٱلْعُلَا ... وَأَضْحَى بِهَا أَنْفُ ٱلنَّدَى وَهْوَ أَجْدَعُ
وَرَاحَ عَـدُوُّ ٱلدِّينِ جَذْلَانَ يَنْتَحِي ... أَمَانِيَّ كَانَتْ فِي حَشَاهُ تُقَطَّعُ
وَكَانَ حُمَيْدٌ مَعْقِلًا رَكَعَتْ بِهِ ... قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى ٱلضَّيْمِ تَرْكَعُ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَٱلرَّزَايَا رُزِئْتُهَا ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِينَا ٱلْمَنَايَا بِثَأْرِهَا ... وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهْيُهُ لَيْسَ يُرْقَعُ
نَعَاءِ حُمَيْدًا لِلسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ ... تُذَادُ بِأَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ وَتُوزَعُ
وَلِلْمُرْهَقِ ٱلْمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ ... فَلَمْ يَدْرِ فِي حَوْمَاتِهَا كَيْفَ يَصْنَعُ
وَلِلْبِيضِ خَلَّتْهَا ٱلْبُعُولُ وَلَمْ يَدَعْ ... لَهَا غَـيْرَهُ دَاعِي ٱلصَّبَاحِ ٱلْمُفَزِّعُ
كَأَنَّ حُمَيْدًا لَمْ يَقُدْ جَيْشَ عَسْكَرٍ ... إِلَى عَسْكَرٍ أَشْيَاعُـهُ لَا تُرَوَّعُ
وَلَمْ يَبْعَثِ ٱلْخَيْلَ ٱلْمُغِيرَةَ بِٱلضُّحَى ... مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهْيَ ظُلَّـعُ
رَوَاجِعُ يَحْمِلْـنَ ٱلنِّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ ... كَتَائِبُـهُ إِلَّا عَلَى ٱلنَّهْبِ تَرْجِعُ
هَوَى جَبَلُ ٱلدُّنْيَا ٱلْمَنِيعُ وَغَيْثُهَا ٱلْ ... مَرِيعُ وَحَامِيهَا ٱلْكَمِيُّ ٱلْمُشَيَّـعُ
وَسَيْفُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَرُمْحُهُ ... وَمِفْتَاحُ بَابِ ٱلْخَطْبِ وَٱلْخَطْبُ أَفْظَعُ
فَأَقْنِعْهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ ... وَنَائِلِهِ قَفْرٌ مِنَ ٱلأَرْضِ بَلْقَعُ
عَلَى أَيِّ شَجْوٍ تَشْتَكِي ٱلنَّفْسُ بَعْدَهُ ... عَلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخَرُ ٱلدَّمْعَ مَدْمَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ حَالَ ضِيَاؤُهَا ... عَلَيْـهِ وَأَضْحَى لَوْنُهَا وَهْوَ أَسْفَعُ
وَأَوْحَشَتِ ٱلدُّنْيَـا وَأَوْدَى بَهَاؤُهَا ... وَأَجْدَبَ مَرْعَاهَا ٱلَّذِي كَانَ يُمْرِعُ
وَقَدْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا بِهِ مُطْمَئِنَّةً ... فَقَـدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا تَتَقَلَّـعُ

بكى فقده روح الحياة كما بكى ... نداه الندى وابن السبيل المدفع
وأيقظ أجفانا وكان لها الكرى ... ونامت عيون لم تكن قبل تهجع

١٠٦ انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

أحق أنه أودى يزيد ... فبين أيها الناعي المشيد
أحامي الملك والإسلام أودى ... فما للأرض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليد
أما هدت لمصرعه نزار ... بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه ... طريف المجد والمجد تليد
فمن يحمي حمى الإسلام أم من ... يذب عن المكاره أو يذود
وأين يؤم منتجع ولاج ... وأين تحط أرحلها الوفود
فلو قبل الفداء فداه منا ... بمهجته المسود والمسود
أبعد يزيد تختزن البواكي ... دموعا أو تصان له الخدود
وإن تجمد دموع لئيم قوم ... فليس لدمع ذي حسب جمود
وإن يك غاله دهر لما قد ... يفادى من مخافته الأسود
فإن يك عن خلود قد دعته ... مآثره فكان لها الخلود
فما أودى امرؤ أودى وأبقى ... لوارثه مكارم لا تبيد
ليبكك خامل ناداك لما ... تواكله الأقارب والبعيد
ويبكك شاعر لم يبق دهر ... له نشبا وقد كسد القصيد
أصيب المجد والإسلام لما ... أصابك بالردى سهم شديد

لَقَدْ عَزَّى رَبِيعَةَ أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَصَدْنَ لَهُ ٱلْمَنَايَا بِأَسْهُمِهَا وَهُنَّ لَهُ جُنُودُ
سَقَى جَدَثًا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ ٱلْوَسْمِيِّ بَسَّامٌ رَعُودُ
لِيَذْهَبْ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ آسَى عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

١٠٧ وقال صفي الدين الحلي يرثي الملك ناصر الدين عمر

بَكَى عَلَيْكَ ٱلْحُسَامُ وَٱلْقَلَمُ وَٱنْفَجَعَ ٱلْعِلْمُ فِيكَ وَٱلْعَلَمُ
وَضَجَّتِ ٱلْأَرْضُ فَٱلْعِبَادُ بِهَا لَاطِمَةٌ وَٱلْبِلَادُ تَلْتَطِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جُلُّ مُلُوكِ ٱلْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضِّ ٱلشَّبَابِ مُقْتَبِلِ ٱلْ عُمْرِ وَلٰكِنْ مَجْدُهُ هَرِمُ
مُحَكَّمٍ فِي ٱلْوَرَى وَآمِلُهُ يَحْكُمُ فِي مَالِهِ وَيَحْتَكِمُ
يَجْتَمِعُ ٱلْمَجْدُ وَٱلثَّنَاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي ٱلْوُفُودِ يَقْتَسِمُ
قَدْ سَئِمَتْ جُودَهُ ٱلْأَنَامُ وَلَا يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ ٱلنَّدَى سَأَمُ
مَا عُرِفَتْ مِنْهُ لَا وَلَا نَعَمُ بَلْ دُونَهُنَّ ٱلْآلَاءُ وَٱلنِّعَمُ
أَلْوَاهِبُ ٱلْأَلْفَ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ وَٱلْقَاتِلُ ٱلْأَلْفَ وَهُوَ مُقْتَحِمُ
مُتَبَسِّمٌ وَٱلْكُمَاةُ عَابِسَةٌ وَعَابِسٌ وَٱلسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
يَسْتَصْغِرُ ٱلْعَضْبَ أَنْ يَصُولَ بِهِ إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلْهِمَمُ
وَيَسْتَخِفُّ ٱلْقَنَاةَ يَحْمِلُهَا كَأَنَّهَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمِ ٱلْعَالِمُونَ مَا فَقَدُوا مِنْهُ وَلَا ٱلْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقْدُ فَرْدٍ مِنَ ٱلْأَنَامِ كَمَنْ إِنْ مَاتَ مَاتَتْ لِفَقْدِهِ أُمَمُ

وَٱلنَّاسُ كَٱلْعَيْنِ إِنْ نَقَدْتَهُمُ   تَفَاوَتَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ ٱلْقِيَمُ
يَا طَالِبَ ٱلْجُودِ قَدْ قَضَى عُمَرٌ   فَكُلُّ جُودٍ وُجُودُهُ عَدَمُ
وَيَا مُنَادِيَ ٱلنَّدَى لِيُدْرِكَهُ   أَقْصِرْ فَفِي مَسْمَعِ ٱلنَّدَى صَمَمُ
مَضَى ٱلَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبًا   فَٱلْيَوْمَ كُلُّ ٱلْأَنَامِ قَدْ يَتِمُوا
وَسَارَ فَوْقَ ٱلرِّقَابِ مُطَّرِحًا   وَصَوْلَةُ ٱلصَّافِنَاتِ تَزْدَحِمُ
مُقَلَّبَاتِ ٱلسُّرُوجِ شَاخِصَةً   لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ ٱللُّجُمُ
وَحَلَّ دَارًا ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا   وَدُونَ أَدْنَى دِيَارِهِ إِرَمُ
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَى رُتَبٍ   تَقْصُرُ مِنْ دُونِ نَيْلِهَا ٱلْهِمَمُ
وَلَمْ يُمَهِّدْ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً   بِهَا عُيُونُ ٱلْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
وَلَمْ تُقَبِّلْ لَهُ ٱلْمُلُوكُ يَدًا   تَرْغَبُ فِي سِلْمِهَا فَتَسْتَلِمُ
وَلَمْ يَقُدْ لِلْحُرُوبِ أُسْدَ وَغًى   تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أُجُمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَدًا   وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ   لَا ظُلْمَ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظُلَمُ
أَيْنَ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلذِّمَامَ لَنَا   إِنْ خُفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ ٱلذِّمَمُ
يَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ وَٱبْنَ نَاصِرِهِ   وَمَنْ بِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ يُعْتَصَمُ
وَصَاحِبَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلَّتِي وَطِئَتْ   لَهَا عَلَى هِمَّةِ ٱلسُّهَى قَدَمُ
يُثْنِي عَلَيْكَ ٱلْوَرَى وَمَا شَهِدُوا   مِنَ ٱلسَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
يَبْكِيكَ مَأْلُوفُكَ ٱلتُّقَى أَسَفًا   وَصَاحِبَاكَ ٱلْعَفَافُ وَٱلْكَرَمُ

لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري

رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ ٱلْعِتَابِ مُرْصَدٌ بِٱلْأَوْصَالِ وَٱلْأَوْصَابِ
جَفَّ دَرُّ ٱلدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْتَالُ أَرْوَاحَنَا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَيْبَ ٱلزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهْدِي ٱلرَّزَايَا إِلَى ذَوِي ٱلْأَحْسَابِ
فَلِهٰذَا يَجِفُّ بَعْدَ ٱخْضِرَارٍ قَبْلَ رَوْضِ ٱلْوِهَادِ رَوْضُ ٱلرَّوَابِي
لَمْ تَدُرْ عَيْنُهُ عَنِ ٱلْخَمْسِ حَتَّى ضَعْضَعَتْ رُكْنَ حِمْيَرَ ٱلْأَرْبَابِ
بَطَشَتْ مِنْهُمُ بِلُؤْلُؤَةِ ٱلْغَوَّاصِ حُسْنًا وَدُمْيَةِ ٱلْمِحْرَابِ
بِٱلصَّرِيحِ ٱلصَّرِيحِ وَٱلْأَرْوَعِ ٱلْأَرْ وَعِ مِنْهُمْ وَبِٱللُّبَابِ ٱللُّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ ٱلْغُرُّ مِنْ أَيَّامِكَ ٱلْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ ٱللَّحْدُ وَٱلثَّرَى مِنْكَ وَجْهًا غَيْرَ مَا عَابِسٍ وَلَا قَطَّابِ
أَطْفَأَ ٱللَّحْدُ وَٱلثَّرَى لُبَّكَ ٱلْمُسْـ رَجَ فِي وَقْتِ ظُلْمَةِ ٱلْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلْتَ مَنْزِلًا ظَاهِرَ ٱلْجَدْ بِ يُسَمَّى مُقَطِّعَ ٱلْأَسْبَابِ
مَنْزِلًا مُوحِشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُو رًا بِجُلِّ ٱلصَّدِيقِ وَٱلْأَحْبَابِ
يَا شِهَابًا خَبَا لِآلِ عُبَيْدِ ٱللّٰهِ أَعْزِزْ بِفَقْدِ هٰذَا ٱلشِّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَمَتَّعَ عَنْهَا ٱلْ مَجْدُ فِي مَنْبِتٍ أَنِيقِ ٱلْجَنَابِ
خُلُقٌ كَٱلْمُدَامِ أَوْ كَرُضَابِ ٱلْـ ـمِسْكِ أَوْ كَٱلْعَبِيرِ أَوْ كَٱلْمَلَابِ
وَحَيَاءٌ نَاهِيكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ وَصِبًا مُشْرِقٌ بِغَيْرِ تَصَابِ
أَنْزَلَتْهُ ٱلْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي ٱلرِّكَابِ
حِينَ سَامَى ٱلشَّبَابَ وَٱغْتَدَتِ ٱلدُّنْـ يَا عَلَيْهِ مُفَتَّحَةَ ٱلْأَبْوَابِ

وَحَكَى الصَّارِمَ الْمُحَلَّى سِوَى أَمْ نَ حِلَاهُ جَوَاهِرُ الْآدَابِ
وَهْوَ غَضُّ الْآرَاءِ وَالْحَزْمِ خِرْقٌ ثُمَّ غَضُّ النَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ
قَصَدَتْ نَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتُّرَابِ

١٠٩ وللحبيب يرثي القاسم بن طوق

جَوًى سَاوَرَ الْأَحْشَاءَ وَالْقَلْبَ وَاغِلُهْ وَدَمْعٌ يَضِيمُ الْعَيْنَ وَالْجَفْنَ هَامِلُهْ
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوٌّ يَخَافُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهْ
وَأَيُّ أَخِي عَزَّاءَ أَوْ جَبْرِيَّةٍ يُنَابِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُنَاضِلُهْ
إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ الْمَرْءِ حُكْمُهُ وَبُثَّتْ عَلَى طُرْقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُهْ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةً شَكِيَّةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهْ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَبِيعَةَ أَنَّهُ تَقَشَّعَ طَلُّ الْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهْ
وَأَنَّ الْحِجَى مِنْهَا اسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ وَأَنَّ النَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ
مَضَى لِلزِّيَالِ الْقَاسِمُ الْوَاهِبُ اللُّهَى وَلَوْ لَمْ يُزَايِلْنَا لَكُنَّا نُزَايِلُهْ
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يَرِيدُهُ بِفَجْعٍ وَلَوْ أَنَّ الْمَنَايَا تُرَاسِلُهْ
فَتًى سِيطَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ وَخَامَرَهُ حَقُّ السَّمَاحِ وَبَاطِلُهْ
فَتًى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ تَهُبُّ شَمَالًا لِلصَّدِيقِ شَمَائِلُهْ
فَتًى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَاثْنَتَا الْعُلَى يَدَاهُ وَعَشْرُ الْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلُهْ
فَتًى يَنْفَحُ الْأَيَّامَ مِنْ طِيبِ ذِكْرِهِ ثَنَاءً كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْوَرْدَ شَامِلُهْ
لَقَدْ فُجِعَتْ عَتَّابُهُ وَزُهَيْرُهُ وَتَغْلِبُهُ أُخْرَى اللَّيَالِي وَوَائِلُهْ
وَكَانَ لَهُمْ غَيْثًا وَعِلْمًا لِمُعْدِمٍ فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٍ فَيُسَائِلُهْ

وَمُبْتَدِرَ ٱلْمَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُهُ ... إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ غَوَائِلُهْ
فَتًى لَمْ تَكُنْ تَغْلِي ٱلْحُقُودُ بِصَدْرِهِ ... وَتَغْلِي لِأَضْيَافِ ٱلشِّتَاءِ مَرَاجِلُهْ
وَكُنَّ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضُيُوفَهُ ... وَيُرْجَى مُرَجِّيهِ وَيُسْأَلُ سَائِلُهْ
طَوَاهُ ٱلرَّدَى طَيَّ ٱلرِّدَاءِ وَغُيِّبَتْ ... فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُهْ
طَوَى شِيَمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي ... وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهْ
فَيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مُزْنُهُ ... وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهْ
أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي ... مُحَمَّدٍ ٱلنَّجْمِ ٱلْمُغَيَّبِ آفِلُهْ
وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ ... طَرِيدَ ٱللَّيَالِي أَخْضَلَتْنِي نَوَافِلُهْ
وَلٰكِنَّنِي أَطْرِي ٱلْحُسَامَ إِذَا مَضَى ... وَإِنْ كَانَ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ غَيْرِي حَامِلُهْ
وَآسَى عَلَى جَيْحَانَ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ ... وَإِنْ كَانَ ذَوْدًا غَيْرَ ذَوْدِي نَاهِلُهْ
عَلَيْكَ أَبَا كُلْثُومٍ ٱلصَّبْرَ إِنَّنِي ... أَرَى ٱلصَّبْرَ أُخْرَاهُ تُقًى وَأَوَائِلُهْ
يُعَادِلُ وَزْنًا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى ... سِوَى صِحَّةِ ٱلتَّوْحِيدِ شَيْئًا يُعَادِلُهْ
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ ... وَصِنْوَاكَ مِنْهُ مَنْكِبَاهُ وَكَاهِلُهْ
وَلَيْسَتْ أَثَافِي ٱلْقِدْرِ إِلَّا ثَلَاثَهَا ... وَلَا ٱلرُّمْحُ إِلَّا لَهْذَمَاهُ وَعَامِلُهْ

١١٠ لابي العلاء المعرّي في جعفر بن المهذب

أَحْسَنُ بِٱلْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ ... صَبْرٌ يُعِيدُ ٱلنَّارَ فِي زَنْدِهِ
وَمَنْ أَبَى ٱلرُّزْءَ غَيْرَ ٱلْأَسَى ... كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جُهْدِهِ
فَلْيَذْرِفِ ٱلْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ ... إِذْ كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ
وَٱلشَّيْءُ لَا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ ... إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ

لَيسَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى وَصْلِهِ ... مِثْلَ ٱلَّذِي يُبْكَى عَلَى صَدِّهِ
وَٱلطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غُمْضِهِ ... وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سُهْدِهِ
كَانَ ٱلْأَسَى فَرْضًا لَوَانَّ ٱلرَّدَى ... قَالَ لَنَا ٱفْدُوهُ فَلَمْ نَفْدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لِلْهُدَى ... سَارَ مِنَ ٱلتُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَدْنَى مِنْ يَدٍ بَيْتَنَا ... كَأَنَّهُ ٱلْكَوْكَبُ فِي بُعْدِهِ
يَا دَهْرُ يَا مُنْجِزَ إِيعَادِهِ ... وَمُخْلِفَ ٱلْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ
أَيَّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ ... وَأَيَّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ ٱلْعِقْبَانَ فِي جَوِّهَا ... وَتُنْزِلُ ٱلْأَعْصَمَ مِنْ فِنْدِهِ
أَرَى ذَوِي ٱلْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ ... يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ ٱلْفَتَى نَافِعًا ... فَغَيُّهُ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبَةُ ٱلدُّنْيَا وَأَفْعَالِهَا ... حَثَّتْ أَخَا ٱلزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنَّ زَمَانِي بِرَزَايَاهُ لِي ... صَيَّرَنِي أَمْرَحُ فِي قِدِّهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ ... يُنْفِقُ مَا يَخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ ٱلْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ ... لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى ٱلَّذِي أُجِّلَ فِي سِنِّهِ ... مِثْلَ ٱلَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي ٱلْمَيْتُ فِي قَبْرِهِ ... بِذَمِّهِ شِيعَ أَمْ حَمْدِهِ
وَٱلْوَاحِدُ ٱلْمُفْرَدُ فِي حَتْفِهِ ... كَٱلْحَاشِدِ ٱلْأَكْثَرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ ٱلْبَاكِي لِآبَائِهِ ... كَحَالَةِ ٱلْبَاكِي عَلَى وُلْدِهِ
مَا رَغْبَةُ ٱلْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ ... عَمَّا جَنَى ٱلْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

وَمَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا ٱلَّذِي   مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ

لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ   لَكَانَ كَٱلْمَعْدُومِ فِي وُجْدِهِ

تَشْتَاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ ٱلْوَرَى   وَإِنَّمَا ٱلشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ

تَدْعُو بِطُولِ ٱلْعُمْرِ أَفْوَاهُنَا   لِمَنْ تَنَاهَى ٱلْقَلْبُ فِي وُدِّهِ

يُسَرُّ إِنْ مُدَّ بَقَاءٌ لَهُ   وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ

أَفْضَلُ مَا فِي ٱلنَّفْسِ يَغْتَالُهَا   فَنَسْتَعِيذُ ٱللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ

كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ   سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ

وَحَامِلٍ ثِقْلَ ٱلثَّرَى جِيدُهُ   وَكَانَ يَشْكُو ٱلضَّعْفَ مِنْ عِقْدِهِ

وَرُبَّ ظَمْآنَ إِلَى مَوْرِدٍ   وَٱلْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وِرْدِهِ

وَمُرْسِلِ ٱلْغَارَةِ مَبْثُوثَةً   مِنْ أَدْهَمِ ٱللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ

يَخُوضُ بَحْرًا نَقْعُهُ مَاؤُهُ   يَحْمِلُهُ ٱلسَّابِحُ فِي لِبْدِهِ

أَشْجَعُ مَنْ قَلَّبَ خَطِّيَّةً   عَلَى طَوِيلِ ٱلْبَاعِ مُمْتَدِّهِ

يَرَى وُقُوعَ ٱلزُّرْقِ فِي دِرْعِهِ   مِثْلَ وُقُوعِ ٱلزَّرْقِ فِي جِلْدِهِ

لَا يَصِلُ ٱلرُّمْحُ إِلَى طِرْفِهِ   وَلَا إِلَى ٱلْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ

يَأْتِي عَلَيْهِ ٱلطَّعْنُ إِلْقَاءَكَ ٱلْ   حَبَّ عَلَى ٱلْمِسْرَعِ فِي عَقْدِهِ

بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا   يَرُدُّ غَرْبَ ٱلْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ

أَمْهَلَهُ ٱلدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ   مُبْيَضُّهُ يُحْدَى بِمُسْوَدِّهِ

فَيَا أَخَا ٱلْمَفْقُودِ فِي خَمْسَةٍ   كَٱلشُّهُبِ مَا سَلَّاكَ عَنْ فَقْدِهِ

جَاءَكَ هٰذَا ٱلْحُزْنُ مُسْتَجْدِيًا   أَجْرَكَ فِي ٱلصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ

سَلِّمْ إِلَى ٱللهِ فَكُلُّ ٱلَّذِي سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَعْدَمُ ٱلْأَسْمَرُ فِي غَابِهِ حَتْفًا وَلَا ٱلْأَبْيَضُ فِي غِمْدِهِ
إِنَّ ٱلَّذِي ٱلْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ ٱلرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أُوحِشَتْ دَارُكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَابُكَ مِنْ أُسْدِهِ

١١١ ولأبي العلاء المعرّي في فقيه حنفي

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَٱعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ ٱلنَّعِيِّ إِذَا قِيـ سَ بِصَوْتِ ٱلْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ ٱلْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا ٱلْمَيَّادِ
صَاحِ هٰذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ ٱلرُّحْـ ـبَ فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِّفِ ٱلْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـ أَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـ ـدُ هَوَانُ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ رُوَيْدًا لَا ٱخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ ٱلْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ ٱلْأَزْمَانِ وَٱلْآبَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا ٱلْحَيَاةُ فَمَا أَعْـ ـجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ٱزْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ ٱلْمِيلَادِ
خُلِقَ ٱلنَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
ضَجْعَةُ ٱلْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ ٱلْـ ـجِسْمُ فِيهَا وَٱلْعَيْشُ مِثْلُ ٱلسُّهَادِ

أَبَنَاتِ ٱلْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ   نَ قَلِيلَ ٱلْعَزَاءِ بِٱلْإِسْعَادِ

فَتَسَلَّبْنَ وَٱسْتَعِرْنَ جَمِيعًا   مِنْ قَمِيصِ ٱلدُّجَى ثِيَابَ حِدَادِ

ثُمَّ غَرِّدْنَ فِي ٱلْمَآتِمِ وَٱنْدُبْـ   ـنَ بِشَجْوٍ مَعَ ٱلْغَوَانِي ٱلْخِرَادِ

قَصَدَ ٱلدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ ٱلْأَوَّ   ابِ مَوْلَى حِجًى وَخِدْنَ ٱقْتِصَادِ

وَفَقِيهًا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ   ـمَانِ مَا لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيَادِ

فَٱلْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيْـ   ـيِ قَلِيلُ ٱلْخِلَافِ سَهْلُ ٱلْقِيَادِ

وَخَطِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وُحُوشٍ   عَلَّمَ ٱلضَّارِيَاتِ بِرَّ ٱلنِّقَادِ

رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُحْوِجِ ٱلْمَعْـ   ـرُوفَ مِنْ صِدْقِهِ إِلَى ٱلْإِسْنَادِ

أَنْفَقَ ٱلْعُمْرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ ٱلْعِلْـ   ـمَ بِكَشْفٍ عَنْ أَصْلِهِ وَٱنْتِقَادِ

مُسْتَقِي ٱلْكَفِّ مِنْ قَلِيبِ زُجَاجٍ   بِغُرُوبِ ٱلْيَرَاعِ مَاءَ مِدَادِ

ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمُسُ ٱلذَّهَبَ ٱلْأَحْـ   ـمَرَ زُهْدًا فِي ٱلْعَسْجَدِ ٱلْمُسْتَفَادِ

وَدِّعَا أَيُّهَا ٱلْخَفِيَّانِ ذَاكَ ٱلشْـ   ـشَخْصَ إِنَّ ٱلْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ

وَٱغْسِلَاهُ بِٱلدَّمْعِ إِنْ كَانَ طُهْرًا   وَٱدْفِنَاهُ بَيْنَ ٱلْحَشَى وَٱلْفُؤَادِ

وَٱحْبُوَاهُ ٱلْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ ٱلْمُصْـ   ـحَفِ كِبْرًا عَنْ أَنْفَسِ ٱلْأَبْرَادِ

وَٱتْلُوَا ٱلنَّعْشَ بِٱلْقِرَاءَةِ وَٱلتَّسْـ   ـبِيحِ لَا بِٱلنَّحِيبِ وَٱلتَّعْدَادِ

أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَٱجْتِهَادٌ   لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءِ ٱجْتِهَادِ

طَالَمَا أَخْرَجَ ٱلْحَزِينَ جَوَى ٱلْحُزْ   نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِٱلسَّدَادِ

كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي   يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ ٱفْتِقَادِ

قَدْ أَقَرَّ ٱلطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ   وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ ٱلْعُوَّادِ

وَٱنْتَهَى ٱلْيَأْسُ مِنْكَ وَٱسْتَشْعَرَ ٱلْوَجْـدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى ٱلْمَعَادِ
هَجَدَ ٱلسَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْـرِيضِ وَيْحٌ لِأَعْـيُنِ ٱلْهُجَّادِ
لَا يُغَيِّرْكُمُ ٱلصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ ٱلسُّيُوفِ فِي ٱلْأَغْمَادِ
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ ٱللَّيَـالِي رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ ٱلْهَوَادِي
كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ٱلْـبَيْنَ وَافَقْتَ رَأْيَهُ فِي ٱلْمُـرَادِ
وَرَأَيْتَ ٱلْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ ٱلْأَوَّلِ مِنْ شِيمَةِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْجَوَادِ
وَخَلَعْـتَ ٱلشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْـتَكَ أَبْلَيْتَـهُ مَعَ ٱلْأَنْدَادِ
فَٱذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَيْـنِ بِسُقْيَـا رَوَائِحٍ وَغَوَادِ
وَمَرَاثٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَمَحَوْنَ ٱلسُّطُورَ فِي ٱلْإِنْشَادِ
فَلْيَكُنْ لِلْمُحَسِّنِ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَـمْدُودُ رَغْمًا لِآنُفِ ٱلْحُسَّـادِ
وَلْيَطِبْ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَاءِ أَخِيـهِ جَرَائِحُ ٱلْأَكْبَادِ
وَإِذَا ٱلْبَحْرُ غَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرْوَ فَلَا رِيَّ بِٱدِّخَارِ ٱلثِّمَـادِ
كُلُّ بَيْتٍ لِلْهَدْمِ مَا تَبْتَنِي ٱلْوَرْقَاءُ وَٱلسَّيِّدُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعِمَادِ
وَٱللَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَـرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

١١٢ قال ابو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتك

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَٱلتَّجَمُّـلُ يَرْدَعُ وَٱلدَّمْعُ بَيْنَهُمَـا عَصِيٌّ طَيِّـعُ
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّـدٍ هٰذَا يَجِيءُ بِهَـا وَهٰـذَا يَرْجِعُ
أَلنَّوْمُ بَعْـدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَٱللَّيْلُ مُعْيٍ وَٱلْكَوَاكِبُ ظُلَّـعُ
إِنِّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِٱلْحِمَـامِ فَأَشْجُـعُ

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ ٱلأَعَادِي قَسْوَةً ... وَيُلِمُّ بِي عَتْبُ ٱلصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ
تَصْفُو ٱلْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي ٱلْحَقَائِقِ نَفْسَهُ ... وَيَسُومُهَا طَلَبَ ٱلْمُحَالِ فَتَطْمَعُ
أَيْنَ ٱلَّذِي ٱلْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا ٱلْمَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ ٱلآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا ... حِينًا وَيُدْرِكُهَا ٱلْفَنَاءُ فَتَتْبَعُ
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ ... قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ
وَإِذَا ٱلْمَكَارِمُ وَٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا ... وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
أَلْمَجْدُ أَخْسَرُ وَٱلْمَكَارِمُ صَفْقَةً ... مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِهَا ٱلْكَرِيمُ ٱلأَرْوَعُ
وَٱلنَّاسُ أَنْزَلُ فِي زَمَانِكَ مَنْزِلًا ... مِنْ أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ
بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ ... فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا ... مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... إِلَّا نَفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ
وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا ... فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهْوَ تَبَرُّعُ
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً ... أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنْزَعُ
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا ... حَتَّى لَبِسْتَ ٱلْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ ... حَتَّى أَتَى ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي لَا يُدْفَعُ
فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُيُوفُكَ قُطَّعُ
بِأَبِي ٱلْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ ... يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ ٱلسِّلَاحِ ٱلأَدْمُعُ

وإذا حصلت من السلاح على البكا   فحشاك رعت به وخدك تقرع

وصلت إليك يد سواء عندها الـ   باز الأشيهب والغراب الأبقع

من للمحافل والجحافل والسرى   فقدت بفقدك نيرا لا يطلع

ومن اتخذت على الضيوف خليفة   ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيع

قبحا لوجهك يا زمان فإنه   وجه له من كل لؤم برقع

أيموت مثل أبي شجاع فاتك   ويعيش حاسده الخصي الأوكع

أيد مقطعة حوالي رأسه   وقفا يصيح بها ألا من يصفع

أبقيت أكذب كاذب أبقيته   وأخذت أصدق من يقول ويسمع

وتركت أنتن ريحة مذمومة   وسلبت أطيب ريحة تتضوع

فاليوم قر لكل وحش نافر   دمه وكان كأنه يتطلع

وتصالحت ثمر السياط وخيله   وأوت إليها سوقها والأذرع

وعفا الطراد فلا سنان راعف   فوق القناة ولا حسام يلمع

ولى وكل مخالم ومنادم   بعد اللزوم مشيع ومودع

من كان فيه لكل قوم ملجأ   ولسيفه في كل قوم مرتع

إن حل في فرس ففيها ربها   كسرى تذل له الرقاب وتخضع

أو حل في روم ففيها قيصر   أو حل في عرب ففيها تبع

قد كان أسرع فارس في طعنة   فرسا ولكن المنية أسرع

لا قلبت أيدي الفوارس بعده   رمحا ولا حملت جوادا أربع

١١٣ وله ايضاً يرثي والدة سيف الدولة وقد توفيت بميافارقين وجاءهُ الخبر بموتها الى حلب

نُعِدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ وَٱلْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا ٱلْمَنُونُ بِلَا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ ٱلسَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ ٱللَّيَالِي
وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ ٱلدُّنْيَا قَدِيمًا وَلٰكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱلْوِصَالِ
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ
رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِٱلرَّزَايَا لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَهٰذَا أَوَّلُ ٱلنَّاعِينَ طُرًّا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا ٱلْجَلَالِ
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
صَلَاةُ ٱللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْمُكَفَّنِ بِٱلْجَمَالِ
عَلَى ٱلْمَدْفُونِ قَبْلَ ٱلتُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ ٱللَّحْدِ فِي كَرَمِ ٱلْخِلَالِ
فَإِنَّ لَهُ بِبَطْنِ ٱلْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهْوَ بَالِي
وَمَا أَحَدٌ يُخَلَّدُ فِي ٱلْبَرَايَا بَلِ ٱلدُّنْيَا تَؤُولُ إِلَى زَوَالِ
أَطَابَ ٱلنَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتًا تَمَنَّتْهُ ٱلْبَوَاقِي وَٱلْخَوَالِي
وَزُلْتِ وَلَمْ تَرَيْ يَوْمًا كَرِيهًا يُسَرُّ ٱلرُّوحُ فِيهِ بِٱلزَّوَالِ
رِوَاقُ ٱلْعِزِّ حَوْلَكِ مُسْبَطِرٌّ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ٱبْنِكِ فِي كَمَالِ
سَقَى مَثْوَاكِ غَادٍ فِي ٱلْغَوَادِي نَظِيرُ نَوَالِ كَفِّكِ فِي ٱلنَّوَالِ

أُسَائِلُ عَنْكِ بَعْدَكِ كُلَّ مَجْدٍ ... وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكِ خَالِي

يَمُرُّ بِقَبْرِكِ ٱلْعَافِي فَيَبْكِي ... وَيَشْغَلُهُ ٱلْبُكَاءُ عَنِ ٱلسُّؤَالِ

وَمَا أَهْدَاكِ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ... لَوَ انَّكِ تَقْدِرِينَ عَلَى فِعَالِ

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوْتِ فَإِنَّ قَلْبِي ... وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غَيْرُ سَالِ

نَزَلْتِ عَلَى ٱلْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ ... بَعُدْتِ عَنِ ٱلنُّعَامَى وَٱلشَّمَالِ

تُحَجَّبُ عَنْكِ رَائِحَةُ ٱلْخُزَامَى ... وَتُمْنَعُ مِنْكِ أَنْدَاءُ ٱلطِّلَالِ

بِدَارٍ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ ... طَوِيلُ ٱلْهَجْرِ مُنْبَتُّ ٱلْحِبَالِ

حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ ٱلْمُزْنِ فِيهِ ... كَتُومُ ٱلسِّرِّ صَادِقَةُ ٱلْمَقَالِ

يُعَلِّلُهَا نِطَاسِيُّ ٱلشَّكَايَا ... وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيُّ ٱلْمَعَالِي

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ ... سَقَاهُ أَسِنَّةَ ٱلْأَسَلِ ٱلطِّوَالِ

وَلَيْسَتْ كَٱلْإِنَاثِ وَلَا ٱللَّوَاتِي ... تُعَدُّ لَهَا ٱلْقُبُورُ مِنَ ٱلْحِجَالِ

وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ ... يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ ٱلنِّعَالِ

مَشَى ٱلْأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً ... كَأَنَّ ٱلْمَرْوَ مِنْ زِفِّ ٱلرِّئَالِ

وَأَبْرَزَتِ ٱلْخُدُورُ مُخَبَّآتٍ ... يَضَعْنَ ٱلنِّقْسَ أَمْكِنَةَ ٱلْغَوَالِي

أَتَتْهُنَّ ٱلْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ ... فَدَمْعُ ٱلْحُزْنِ فِي دَمْعِ ٱلدَّلَالِ

وَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ

وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلَا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا ... قُبَيْلَ ٱلْفَقْدِ مَفْقُودَ ٱلْمِثَالِ

يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي ... أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ ٱلْأَوَالِي

أَسَيفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ ... وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ
فَأَنْتَ تُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلتَّعَزِّي ... وَخَوْضَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلسِّجَالِ

١١٤ وقال يرثي جدّتهُ وكانت يئست منهُ لطول غيبتهِ فكتب اليها كتابًا فلما وصلها قبلتهُ وحمت من وقتها لما غلب عليها من السرور فماتت

أَلَا لَا أُرِي ٱلْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا ... فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ ٱلْفَتَى مَرْجِعُ ٱلْفَتَى ... يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى
لَكِ ٱللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا
أَحِنُّ إِلَى ٱلْكَاسِ ٱلَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا ٱلتُّرَابَ وَمَا ضَمَّا
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا ... وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا
وَلَوْ قَتَلَ ٱلْهَجْرُ ٱلْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ ... مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا
عَرَفْتُ ٱللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا هَمَّا
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي ٱلسُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ ٱلَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمَّا
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ ٱلسَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا
وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا
رَقَا دَمْعُهَا ٱلْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى
وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا ٱلْمَنَايَا وَإِنَّمَا ... أَشَدُّ مِنَ ٱلسُّقْمِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ ٱلسُّقْمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ لَهَا قَسْمَا
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْغَمَامَ لِقَبْرِهَا ... وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي ٱلْوَغَى وَٱلْقَنَا ٱلصُّمَّا

وَكُنْتُ قُبَيْلَ ٱلْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ ٱلنَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ ٱلصُّغْرَى ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلْعُظْمَى

هَبِينِي أَخَذْتُ ٱلثَّأْرَ فِيكِ مِنَ ٱلْعِدَى ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ ٱلثَّأْرِ فِيكِ مِنَ ٱلْحُمَّى

وَمَا ٱنْسَدَّتِ ٱلدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلٰكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى

فَوَا أَسَفَا أَنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا ... لِرَأْسِكِ وَٱلصَّدْرِ ٱلَّذِي مُلِئَا حَزْمَا

وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ ٱلطَّيِّبَ ٱلَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ ٱلْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ ٱلضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ ٱلشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِآنُفِهِمْ رَغْمَا

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا

يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى

كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ ٱلْيُتْمَا

وَمَا ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ فِي يَدِي ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ ٱلْجَدَّ وَٱلْفَهْمَا

وَلٰكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ ٱلْغَشْمَا

وَجَاعِلُهُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإِلَّا فَلَسْتُ ٱلسَّيِّدَ ٱلْبَطَلَ ٱلْقَرْمَا

إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفَ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ ٱللَّحْمَ وَٱلْعَظْمَا

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَٱذْهَبِي ... وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا

فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي ... وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ ٱلظُّلْمَا

أَلبابُ ٱلتَّاسِعُ
فِي ٱلفَخْرِ

١١٥ قال طرفة يفتخر في قومهِ

سَائِلُوا عَنَّا ٱلَّذِي يَعْرِفُنَا بِقُوَانَا يَوْمَ تَحْلَاقِ ٱللِّمَمْ
يَوْمَ تُبْدِي ٱلبِيضُ عَنْ أَسْوَاقِهَا وَتَلُفُّ ٱلْخَيْلُ أَعْرَاجَ ٱلنَّعَمْ
أَجْدَرُ ٱلنَّاسِ بِرَأْسٍ صِلْدِمٍ حَازِمُ ٱلْأَمْرِ شُجَاعٌ فِي ٱلوَغَمْ
كَامِلٌ يَحْمِلُ آلَاءَ ٱلْفَتَى نَبِهٌ سَيِّدُ سَادَاتٍ خِضَمْ
خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمُوا لِكَفِيٍّ وَلِجَارٍ وَٱبْنِ عَمْ
يَجْبُرُ ٱلْمَحْرُوبُ فِينَا مَالَهُ بِبِنَاءٍ وَسَوَامٍ وَخَدَمْ
نُقُلٌ لِلشَّحْمِ فِي مَشْتَاتِنَا نُحُرٌ لِلنِّيبِ طَرَّادُ ٱلْقَرَمْ
نَزَعُ ٱلْجَاهِلَ فِي مَجْلِسِنَا فَتَرَى ٱلْمَجْلِسَ فِينَا كَٱلْحَرَمْ
وَتَفَرَّعْنَا مِنِ ٱبْنَيْ وَائِلٍ هَامَةَ ٱلْمَجْدِ وَخُرْطُومَ ٱلْكَرَمْ
مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا نُسِبُوا وَبَنِي تَغْلِبَ ضَرَّابِي ٱلْبُهَمْ
حِينَ يَحْمِي ٱلنَّاسَ نَحْمِي سِرْبَنَا وَاضِحِي ٱلْأَوْجُهِ مَعْرُوفِي ٱلْكَرَمْ
بِحُسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَّبًا فِي ٱلضَّرِيبَاتِ مُتِرَّاتِ ٱلْعُصُمْ
وَفُحُولٍ هَيْكَلَاتٍ وُقُحٍ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى ٱلشَّأْوِ أُزُمْ
وَقَنًا جُرْدٍ وَخَيْلٍ ضُمَّرٍ شُزَّبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ ٱللُّجُمْ
بِشَبَابٍ وَكُهُولٍ نُهَّدٍ كَلُيُوثٍ بَيْنَ عِرِّيسِ ٱلْأَجَمْ

تُمْسِكُ ٱلْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا ... حِينَ لَا يُمْسِكُ إِلَّا ذُو كَرَمْ
نَذَرُ ٱلْأَبْطَالَ صَرْعَى بَيْنَهَا ... تَعْكُفُ ٱلْعِقْبَانُ فِيهَا وَٱلرَّخَمْ

١١٦ لعبيد بن الابرص الاسدي

وَلَا أَبْتَغِي وِدَّ ٱمْرِءٍ قَلَّ خَيْرُهُ ... وَمَا أَنَا عَنْ وَصْلِ ٱلصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ
وَإِنِّي لَأُطْفِي ٱلْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا ... وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلْغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ ... وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ ٱلْأُمُورِ بِمُبْتَدِ
إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ ٱلْخَؤُونَ أَمَانَةً ... فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ
وَجَدْتُ خَؤُونَ ٱلْقَوْمِ كَٱلْعُرِّ يُتَّقَى ... وَمَا خِلْتُ غَمَّ ٱلْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدِ
وَلَا تُظْهِرَنْ وِدَّ ٱمْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلَاءِ ٱلْمَرْءِ فَٱذْمُمْ أَوِ ٱحْمَدِ
وَلَا تَتْبَعَنَّ ٱلرَّأْيَ مِنْهُ تَقُصُّهُ ... وَلٰكِنْ بِرَأْيِ ٱلْمَرْءِ ذِي ٱللُّبِّ فَٱقْتَدِ
وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... لِذُخْرٍ وَفِي وَصْلِ ٱلْأَبَاعِدِ فَٱزْهَدِ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ... فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَٱزْدَدِ
تَزَوَّدْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ زَادِ ٱلْمُزَوَّدِ
تَمَنَّى مُرَيْءُ ٱلْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ
لَعَلَّ ٱلَّذِي يَرْجُو رَدَاءِي وَمَوْتَتِي ... سَفَاهًا وَجُبْنًا أَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلرَّدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَائِرٍ ... وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِمُخْلِدِي
وَلِلْمَرْءِ أَيَّامٌ تُعَدُّ وَقَدْ دَعَتْ ... حِبَالُ ٱلْمَنَايَا لِلْفَتَى كُلَّ مَرْصَدِ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي ٱلْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ ... سَيَعْلَقُهُ حَبْلُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غَدِ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ ٱلَّذِي مَضَى ... تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنْ قَدِ

فَإِنَّا وَمَنْ قَدْ بَادَ مِنَّا لَكَٱلَّذِي ... يَرُوحُ وَكَٱلْقَاضِي ٱلْبَتَاتَ لِيَغْتَدِي

١١٧ وقال عروة بن الورد العبسي الملقَّب بعروة الصعاليك

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ ... جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ
لَحَا ٱللّٰهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مَضَى فِي ٱلْمُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ
يَعُدُّ ٱلْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيًا ... يَحُتُّ ٱلْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ ٱلْمُتَعَفِّرِ
قَلِيلُ ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَالِ إِلَّا لِنَفْسِهِ ... إِذَا هُوَ أَضْحَى كَٱلْعَرِيشِ ٱلْمُجَوَّرِ
يُعِينُ نِسَاءَ ٱلْحَيِّ لَا يَسْتَعِنَّهُ ... فَيُمْسِي طَلِيحًا كَٱلْبَعِيرِ ٱلْمُحَسَّرِ
وَلٰكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ ٱلْقَابِسِ ٱلْمُتَنَوِّرِ
مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ ٱلْمَنِيحِ ٱلْمُشَهَّرِ
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ ٱقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّقَ أَهْلِ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُتَنَظَّرِ
فَذٰلِكَ إِنْ يَلْقَ ٱلْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ
أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌّ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقُمْ ... عَلَى نَدَبٍ يَوْمًا وَلِي نَفْسُ مُخْطِرِ
فَيَوْمٌ عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتُ أَهْلِهَا ... وَيَوْمٌ بِأَرْضٍ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرْعَرِ
يُنَاقِلْنَ بِٱلشُّمْطِ ٱلْكِرَامِ إِلَى ٱلنُّهَى ... نِقَابَ ٱلْحِجَازِ فِي ٱلسَّرِيحِ ٱلْمُسَيَّرِ
يُرِيحُ عَلَى ٱللَّيْلِ أَضْيَافَ مَاجِدٍ ... كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتِرِ
سَلِي ٱلسَّاغِبَ ٱلْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... إِذَا مَا ٱعْتَرَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَمَجْزِرِي
أَأَبْسُطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ ٱلْقِرَى ... وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
سَيُفْزِعُ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ مَنْ لَا يَخَافُنَا ... كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى ٱلسَّوَامِ ٱلْمُنَفَّرِ

يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ ٱلْخَيْلِ بِٱلْقَنَا ... وَبِيضٍ خِفَافٍ ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَّرِ

١١٨ قال حسان بن ثابت الانصاري

لَعَمْرُ أَبِيكَ ٱلْخَيْرِ يَا شَعْثُ مَا نَبَا ... عَلَيَّ لِسَانِي فِي ٱلْخُطُوبِ وَلَا يَدِي

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا ... وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ ٱلسَّيْفُ مِذْوَدِي

وَإِنْ أَكُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجُدْ بِهِ ... وَإِنْ يُهْتَصَرْ عُودِي عَلَى ٱلْجَهْدِ يُحْمَدِ

فَلَا ٱلْمَالُ يُنْسِينِي حَيَائِي وَعِفَّتِي ... وَلَا وَاقِعَاتُ ٱلدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِبْرَدِي

وَأُكْثِرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمُ ... وَأَطْوِي عَلَى ٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ ٱلْمُبَرَّدِ

وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائِلٌ ... لِمُوقِدِ نَارِي لَيْلَةَ ٱلرِّيحِ أَوْقِدِ

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لَدَى ٱلْبَثِّ مَرْحَبًا ... وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدِ

وَإِنِّي لَيَدْعُونِي ٱلنَّدَى فَأُجِيبُهُ ... وَأَضْرِبُ بَيْضَ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَوَقِّدِ

وَإِنِّي لَحُلْوٌ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ ... وَإِنِّي لَتَرَّاكٌ لِمَا لَمْ أُعَوَّدِ

وَإِنِّي ٱلْمُرَجَّى لِلْمَطِيِّ عَلَى ٱلْوَجَى ... وَإِنِّي لَتَرَّاكُ ٱلْفِرَاشِ ٱلْمُمَهَّدِ

فَلَا تَعْجَلَنْ يَا قَيْسُ وَٱرْبَعْ فَإِنَّمَا ... قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدِ

حُسَامٌ وَأَرْمَاحٌ بِأَيْدِي أَعِزَّةٍ ... مَتَى تَرَهُمْ يَا ٱبْنَ ٱلْخُطَيْمِ تَبَلَّدِ

لُيُوثٌ لَدَى ٱلْأَشْبَالِ تَحْمِي عَرِينَهَا ... مَدَاعِيسُ بِٱلْخَطِّيِّ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

فَقَدْ ذَاقَتِ ٱلْأَوْسُ ٱلْقِتَالَ وَطُرِّدَتْ ... وَأَنْتَ لَدَى ٱلْكُنَّاتِ فِي كُلِّ مَطْرَدِ

نَفَتْكُمْ عَنِ ٱلْعَلْيَاءِ أُمٌّ لَئِيمَةٌ ... وَزَنْدٌ مَتَى تُقْدَحْ بِهِ ٱلنَّارُ يَصْلَدِ

١١٩ وقال بشر بن ابي خازم الاسدي

سَائِلْ تَمِيمًا فِي ٱلْحُرُوبِ وَعَامِرًا ... وَهَلِ ٱلْمُجَرَّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً نَشْفِي صِدَاعَهُمُ بِأَسْمَرَ صِلْدِمِ

نَعْلُو ٱلْقَوَانِسَ بِٱلسُّيُوفِ وَنَعْتَزِي وَٱلْخَيْلُ مُشْعَلَةُ ٱلنُّحُورِ مِنَ ٱلدَّمِ

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلْغُبَارِ عَوَابِسًا خَبَبَ ٱلسِّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفَ ضَيْغَمِ

مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي ٱلنِّجَادِ مُنَازِلٍ يَسْمُو إِلَى ٱلْأَقْرَانِ غَيْرَ مُقَلَّمِ

فَفَضَضْنَ جَمْعَهُمُ وَأَدْبَرَ حَاجِبٌ تَحْتَ ٱلْعَجَاجَةِ فِي ٱلْغُبَارِ ٱلْأَقْتَمِ

وَعَلَى عُقَابِهِمِ ٱلْمَذَلَّةُ أَصْبَحَتْ نُبِذَتْ بِأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمِ

أَقْصَدْنَ حُجْرًا قَبْلَ ذٰلِكَ وَٱلْقَنَا شُرُعٌ إِلَيْهِ وَقَدْ أُكِبَّ عَلَى ٱلْفَمِ

يَنْوِي مُحَاوَلَةَ ٱلْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ مَخَارِصُ كُلِّ لَدْنٍ لَهْذَمِ

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلَابٍ خَبْطَةً أَلْحَقْنَهُمْ بِدَعَائِمِ ٱلْمُتَخَيَّمِ

وَسَلَقْنَ كَعْبًا قَبْلَ ذٰلِكَ سَلْقَةً بِقَنًا تَعَاوَرَهُ ٱلْأَكُفُّ مُقَوَّمِ

حَتَّى سَقَيْنَا ٱلنَّاسَ كَأْسًا مُرَّةً مَكْرُوهَةً حَسَوَاتُهَا كَٱلْعَلْقَمِ

قُلْ لِلْمُثَلَّمِ وَٱبْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ إِنْ كُنْتَ رَائِمَ عِزِّنَا فَٱسْتَقْدِمِ

تَلْقَ ٱلَّذِي لَاقَى ٱلْعَدُوُّ وَتَصْطَبِحْ كَأْسًا صُبَابَتُهَا كَطَعْمِ ٱلْعَلْقَمِ

تَحْبُو ٱلْكَتِيبَةَ حِينَ نَفْتَرِشُ ٱلْقَنَا طَعْنًا كَإِلْهَابِ ٱلْحَرِيقِ ٱلْمُضْرَمِ

وَلَقَدْ صَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ يَوْمَ ٱلنِّسَارِ بِطَعْنَةٍ لَمْ تَكْلَمِ

١٢٠ قال الفرزدق واسمُهُ همام بن غالب التميمي

لَنَا ٱلْعِزَّةُ ٱلْقَعْسَاءُ وَٱلْعَدَدُ ٱلَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ ٱلْحَصَى يَتَخَلَّفُ

لَنَا حَيْثُ آفَاقُ ٱلْبَرِيَّةِ تَلْتَقِي عَدِيدُ ٱلْحَصَى وَٱلْقَسْوَرُ ٱلْمُتَخَنْدِفُ

وَمِنَّا ٱلَّذِي لَا تَنْطِقُ ٱلنَّاسُ عِنْدَهُ وَلٰكِنْ هُوَ ٱلْمُسْتَأْذَنُ ٱلْمُتَصَرِّفُ

تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ وَعُيُونُهُمْ ... مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطَرَّفُ
وَبُنْيَانُ بَيْتِ اللّٰهِ نَحْنُ وُلَاتُهُ ... وَبَيْتٌ بِأَعْلَى الرَّامَتَيْنِ مُشَرَّفُ
تَرَى النَّاسَ مَاسِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ... وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَّفُوا
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ ... وَيَسْأَلُنَا النَّصَفَ الذَّلِيلُ فَنُنْصِفُ
وَإِنْ فَتَنُوا يَوْمًا ضَرَبْنَا رُؤُوسَهُمْ ... عَلَى الدِّينِ حَتَّى يُقْتَلَ الْمُتَأَنِّفُ
فَإِنَّكَ إِنْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا ... لَأَنْتَ الْمُعَنَّى يَا جَرِيرُ الْمُكَلَّفُ
أَتَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ النُّجُومِ مَكَانَةً ... تَرِيقُ وَغُبَّرٌ ظَهْرِهِ يَتَقَرَّفُ
وَشَيْخَيْنِ قَدْ عَاشَا ثَمَانِينَ حِجَّةً ... أَثَانِيهِمَا هٰذَا كَبِيرٌ وَأَعْجَفُ
عَطَفْتُ عَلَيْكَ الْحَرْبَ إِنِّي إِذَا وَنَى ... أَخُو الْحَرْبِ كَرَّارٌ عَلَى الْقِرْنِ مِعْطَفُ
أَتَى لِجَرِيرٍ رَهْطُ سُوءٍ أَذِلَّةٌ ... وَعِرْضٌ لَئِيمٌ لِلْمَخَازِي مُوَقَّفُ
وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا وُجِدَ الثَّرَى ... وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ
وَنَمْنَعُ مَوْلَانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا ... نَبَا دَارُهُ مِمَّا يُخَافُ وَيَأْنَفُ
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَإِنْ جَنَى ... وَلَا هُوَ مِمَّا يَنْطِفُ الْجَارُ يَنْطَفُ
وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كِلَابٌ عَنِ الْقِرَى ... إِلَى الضَّيْفِ نَمْشِي مُسْرِعِينَ وَنَخْلُفُ
وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا ... جَوَامِعُ لِلْأَرْزَاقِ وَالرِّيحُ زَفْزَفُ
تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ ... عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيِّنَا ... فَيَنْطِقَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يُتَّقَى الرَّدَى ... وَرَأْبُ الثَّأَى وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوَّفُ
وَأَضْيَافِ لَيْلٍ قَدْ نَقَلْنَا قِرَاهُمْ ... إِلَيْهِمْ فَأَتْلَفْنَا الْمَنَايَا وَأَتْلَفُوا

وَكُنَّا إِذَا مَا ٱسْتَكْرَهَ ٱلضَّيْفُ بِٱلْقِرَى ... أَتَتْهُ ٱلْعَوَالِي وَهْيَ بِٱلسُّمِّ رُعَّفُ
وَكُلَّ قِرَى ٱلْأَضْيَافِ نَقْرِي مِنَ ٱلْقَنَا ... وَمُعْتَبِطًا مِنْهُ ٱلسَّنَامُ ٱلْمُشَرَّفُ
وَجَدْنَا أَعَزَّ ٱلنَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصًى ... وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ بِٱلْمَكَارِمِ يُعْرَفُ
وَكِلْتَاهُمَا فِينَا لَنَا حِينَ نَلْتَقِي ... عَصَائِبُ لَاقَى بَيْنَهُنَّ ٱلْمُعَرَّفُ
مَنَازِيلُ عَنْ ظَهْرِ ٱلْقَلِيلِ كَثِيرُنَا ... إِذَا مَا دَعَا ذُو ٱلثَّرْوَةِ ٱلْمُتَرَدِّفُ
فَلَقْنَا ٱلْحَصَى عِنْدَ ٱلَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ ... بِأَحْلَامِ جُهَّالٍ إِذَا مَا تَعَطَّفُوا
وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُوبَهُ ... وَمَا كَادَ لَوْلَا عِزُّنَا يَتَزَحْلَفُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى ٱسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ ... بِنَا بَعْدَ مَا كَادَ ٱلْقَنَا يَتَقَصَّفُ

١٢١ قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

بِأَيِّ حُسَامٍ أَمْ بِأَيِّ سِنَانِ ... أُنَازِلُ ذَاكَ ٱلْقِرْنَ حِينَ دَعَانِي
لَئِنْ عُرِّيَ ٱلْيَوْمَ ٱلْجَوَادُ لِعِلَّةٍ ... فَبِٱلْأَمْسِ شَدُّوا سَرْجَهُ لِطِعَانِ
وَإِنْ عُطِّلَ ٱلسَّهْمُ ٱلَّذِي كُنْتُ رَائِشًا ... فَفِيهِ دَمُ ٱلْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانِ
أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تُبَّعِيَّةٌ ... وَسَيْفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
وَمَا قَصَبَاتُ ٱلسَّبْقِ إِلَّا لِأَدْهَمِي ... إِذَا ٱلْخَيْلُ جَاءَتْ فِي مَجَالِ رِهَانِ
تَمَنَّى لِقَاءِي مَنْ حَلَلْتُ وِثَاقَهُ ... وَأَعْطَى غَدَاةَ ٱلْمَنِّ ذِلَّةَ عَانِ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْأَقْوَامُ مَنْ صَحَّ وِدُّهُ ... وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ ٱلشَّنَآنِ
وَمَا يَزْدَهِينِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّهٍ ... وَلَيْسَ لَهُ بِٱلْمُعْضِلَاتِ يَدَانِ
وَيَزْعُمُ أَنِّي فِي ٱلْبَيَانِ مُقَصِّرٌ ... وَيَأْبَى بَنَانِي وَٱقْتِدَارُ لِسَانِي
وَإِنِّي لَنَبَّاضٌ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانِ

نَهَضْتُ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدَّعٍ ... يُشَارِكُ أَهْلَ ٱلْقَوْلِ شِرْكَ عِنَانِ
أَيَنْسَى مَقَامِي إِذْ أُكَافِحُ دُونَهُ ... وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلذُّعْرِ بِٱلْخَفَقَانِ
وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُمْتُ فِيهِ بِخُطْبَةٍ ... كَآثَارِ عَدِّ ٱلْمَاءِ بِٱلسَّيَلَانِ
وَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْمَرْءُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ ... وَإِنْ دَهَنُوهُ حِيلَةً بِدِهَانِ
تَهَاوَنَ بِٱلْإِنْصَافِ حَتَّى أَحَلَّهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ بِدَارِ هَوَانِ
وَلَوْ كَانَ يُعْطِي ٱلزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ ... لَمَا تَرَكُوهُ فِي يَدِ ٱلْحَدَثَانِ

١٢٢ قال الطغرائي يفتخر

أَبَى ٱللهُ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فَضَائِلِي ... إِذَا مَا سَمَا بِٱلْمَالِ كُلُّ مُسَوَّدِ
وَإِنْ كَرُمَتْ قَبْلِي أَوَائِلُ أُسْرَتِي ... فَإِنِّي بِحَمْدِ ٱللهِ مُبْتَدَأُ سُؤْدُدِي
يُذَمُّ لِأَجْلِي ٱلدَّهْرُ إِنْ يَكْبُ مَرَّةً ... بِجَدِّي وَإِنْ يَنْهَضْ بِجَدِّي يُحْمَدِ
وَمَا مَنْصِبٌ إِلَّا وَقَدْرِي فَوْقَهُ ... وَلَوْ حُطَّ رَحْلِي بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ
إِذَا شَرُفَتْ نَفْسُ ٱلْفَتَى زَادَ قَدْرُهُ ... عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَمَحْتِدِ
كَذَاكَ حَدِيدُ ٱلسَّيْفِ إِنْ يَصْفُ جَوْهَرًا ... فَقِيمَتُهُ أَضْعَافُهُ وَزْنَ عَسْجَدِ
تَكَادُ تَرَى مَنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ ... بِشِسْعِي إِذَا مَا ضَمَّنَا صَدْرُ مَشْهَدِ
وَمَا ٱلْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ ... فَهَلَّا بِفَضْلِي كَاثَرُونِي وَمَحْتِدِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي ٱلْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ ... يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أُجِيزُهُ ... فَأُرْغِمَ أَعْدَائِي وَأَكْبِتَ حُسَّدِي
فَأُعْذَرُ إِنْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدٍ ... وَآمَنُ أَنْ يَعْتَدَّنِي كَيْدُ مُعْتَدِ
أَأُكْفَى وَلَا أَكْفِي وَتِلْكَ غَضَاضَةٌ ... أَرَى دُونَهَا وَقْعَ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

وَلَوْلَا تَكَالِيفُ ٱلْعُلَى وَمَغَارِمٌ ثِقَالٌ وَأَعْقَابُ ٱلْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
لَأَعطَيْتُ نَفسِي فِي ٱلتَّخَلِّي مُرَادَهَا فَذَاكَ مُرَادِي مُذْ نَشَأْتُ وَمَقْصِدِي
مِنَ ٱلْحَزْمِ أَنْ لَا يَضْجَرَ ٱلْمَرْءُ بِٱلَّذِي يُعَانِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَأَنْ قَدِ
إِذَا جَلَدِي فِي ٱلْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يُعِنْ مَرِيرَةَ عَزْمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلُّدِي
وَمَنْ يَسْتَعِنْ بِٱلصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعِدِ

١٢٣ قال ابو تمام يفتخر بقومه

أَنَا ٱبْنُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَرْضَعَ ٱلْجُودُ فِيهِمِ وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهْوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
نُجُومٌ طَوَالِعٌ جِبَالٌ فَوَارِعٌ غُيُوثٌ هَوَامِيعٌ سُيُولٌ دَوَافِعُ
مَضَوْا وَكَأَنَّ ٱلْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمِ لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي ٱلْمَحْلِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمُ ٱسْتَوْدَعُوا ٱلْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا ٱلْوَدَائِعُ
بَهَالِيلُ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكُفِّهِمْ لَأَيْقَنْتَ أَنَّ ٱلرِّزْقَ فِي ٱلْأَرْضِ وَاسِعُ
إِذَا خَفَقَتْ بِٱلْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ حَدَاهَا ٱلنَّدَى وَٱسْتَنْشَقَتْهَا ٱلْمَطَامِعُ
رِيَاحٌ كَرِيحِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْغَضِّ فِي ٱلنَّدَى وَلٰكِنَّهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ زَعَازِعُ
هِيَ ٱلسُّمُّ مَا تَنْفَكُّ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهْوَ نَاقِعُ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضَ ٱلْعَدُوِّ قَطَائِعًا نُفُوسٌ لِحَدِّ ٱلْمُرْهَفَاتِ قَطَائِعُ
بِكُلِّ فَتًى مَا شَابَ مِنْ رَوْعِ وَقْعَةٍ وَلٰكِنَّهُ قَدْ شَيَّبَتْهُ ٱلْوَقَائِعُ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَٱحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَٱحْتَوَتْهُ ٱلصَّنَائِعُ
فَتُعْطِي ٱلَّذِي تُعْطِيهِمِ ٱلْخَيْلُ وَٱلْقَنَا أَكُفٌّ لِإِرْثِ ٱلْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

هُمْ قَوَّمُوا دَرْأَ ٱلشَّآمِ وَأَيْقَظُوا ... بِنَجْدٍ عُيُونَ ٱلْحَرْبِ وَهْيَ هَوَاجِعُ
يَمُدُّونَ بِٱلْبِيضِ ٱلْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا ... وَهُنَّ سَوَاءٌ وَٱلسُّيُوفُ ٱلْقَوَاطِعُ
إِذَا أَسَرُوا لَمْ يَأْسِرِ ٱلْبَغْيُ عَفْوَهُمْ ... وَلَمْ يُمْسِ عَانٍ فِيهِمِ وَهْوَ كَانِعُ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ ... تَيَقَّنَ أَنَّ ٱلْمَنَّ أَيْضًا جَوَامِعُ
وَإِنْ صَارَعُوا عَنْ مَفْخَرٍ قَامَ دُونَهُمْ ... وَخَلْفَهُمُ بِٱلْجِدِّ جِدٌّ مُصَارِعُ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ ... بِشِعْرِي وَهْوَ ٱلْيَوْمَ خَزْيَانُ ضَارِعُ
كَشَفْتُ قِنَاعَ ٱلشِّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ ... فَطَيَّرْتُهُ عَنْ فِكْرِهِ وَهْوَ وَاقِعُ
بِعِزٍّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ ... وَيَدْنُو إِلَيْهَا ذُو ٱلْحِجَى وَهْوَ شَاسِعُ
يَوَدُّ وِدَادًا أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ ... إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا ٱلْمَسَامِعُ

١٢٤ قال ابو فراس الحمدانيّ يفتخر

وَوَٱللهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... وَلَكِنْ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ عَنِّيَ غَافِلُ
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا ٱنْتَجَعْتُهَا ... حَلَبْتُ بَكِيَّاتٍ وَهُنَّ حَوَافِلُ
تُدَافِعُنِي ٱلْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ ... كَمَا دَفَعَ ٱلدَّيْنَ ٱلْغَرِيمُ ٱلْمُمَاطِلُ
فَمِثْلِيَ مَنْ نَالَ ٱلْأَعَادِي بِسَيْفِهِ ... وَيَا رُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا ٱلْغَوَائِلُ
وَمَا لِيَ لَا تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي يَدِي ... كَرَائِمُ أَمْوَالِ ٱلرِّجَالِ ٱلْعَقَائِلُ
أُحَكِّمُ فِي ٱلْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا ... أُحَكِّمُهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
وَمَا زَالَ مَحْمِيَّ ٱلْحَمَائِلِ عَنْوَةً ... سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي ٱلْجُفُونِ ٱلْحَمَائِلُ
يَنَالُ ٱخْتِيَارَ ٱلصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ ٱلْوَسَائِلُ
لَنَا عَقِبُ ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي فِي صُدُورِهِ ... تَطَاوَلُ أَعْنَاقُ ٱلْعِدَى وَٱلْكَوَاهِلُ

أَصَاغِرُنا فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ أَكَابِرٌ وَآخِرُنَا فِي ٱلْمَأْثُرَاتِ أَوَائِلُ
إِذَا صُلْتُ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُ

١٢٥ وعُرِضت على سيف الدولة خيولهُ وبنو أخيهِ حضورٌ فكلٌّ اختار منها وطاب حاجتهُ من دون ابي فراس فعتب عليهِ سيف الدولة فانشدهُ :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْوَافِي
لَا أَرْتَضِي وِدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ ٱلْوَفَاءِ وَقِلَّةِ ٱلْإِنْصَافِ
تَعِسَ ٱلْحَرِيصُ وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ ٱلْإِلْحَاحِ وَٱلْإِلْحَافِ
إِنَّ ٱلْغَنِيَّ هُوَ ٱلْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَ أَنَّهُ عَارِي ٱلْمَنَاكِبِ حَافِ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ ٱلْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا ٱقْتَنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِ
وَيَعَافُ لِي طَبْعَ ٱلْحَرِيصِ أُبُوَّتِي وَمُرُوَّتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي
مَا كَثْرَةُ ٱلْخَيْلِ ٱلْجِيَادِ بِزَائِدِ شَرَفًا وَلَا عَدَدُ ٱلسَّوَامِ ٱلصَّافِي
وَمَكَارِمِي عَدَدُ ٱلنُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ ٱلْكِرَامِ وَمَنْزِلُ ٱلْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلَافِي
خَيْلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرٌ نَفْعُهَا بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا ٱلرَّعَّافِ
شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

١٢٦ لابي العلاء المعرّي في الفخر

أَلَا فِي سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ
أَعِنْدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدَّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيَّبُ سَائِلُ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا ٱلْعُلَى وَٱلْفَضَائِلُ

كَأَنِّي إِذَا طُلْتُ ٱلزَّمَانَ وَأَهْلَهُ   رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ

وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي ٱلْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ   بِإِخْفَاءِ شَمْسٍ ضَوْءُهَا مُتَكَامِلُ

يُهِمُّ ٱللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ   وَيُثْقِلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ   لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ

وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ ٱلصَّبَاحَ صَوَارِمٌ   وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ ٱلظَّلَامَ جَحَافِلُ

وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلَّ لِجَامُهُ   وَنَصْلٌ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ ٱلصَّيَاقِلُ

فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ ٱلْفَتَى شَرَفٌ لَهُ   فَمَا ٱلسَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَٱلْحَمَائِلُ

وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي   عَلَى أَنَّنِي بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ نَازِلُ

لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ   وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ٱلْمُتَنَاوِلُ

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْجَهْلَ فِي ٱلنَّاسِ فَاشِيًا   تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّيَ جَاهِلُ

فَوَاعَجَبًا كَمْ يَدَّعِي ٱلْفَضْلَ نَاقِصٌ   وَوَا أَسَفَا كَمْ يُظْهِرُ ٱلنَّقْصَ فَاضِلُ

وَكَيْفَ تَنَامُ ٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا   وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ ٱلْحَبَائِلُ

يُنَافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفًا   وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ ٱلْأَصَائِلُ

وَطَالَ ٱعْتِرَافِي بِٱلزَّمَانِ وَصَرْفِهِ   فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ تَغُولُ ٱلْغَوَائِلُ

فَلَوْ بَانَ عَنْقِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي   وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ ٱلْأَنَامِلُ

إِذَا وَصَفَ ٱلطَّائِيَّ بِٱلْبُخْلِ مَادِرٌ   وَعَيَّرَ قُسًّا بِٱلْفَهَاهَةِ بَاقِلُ

وَقَالَ ٱلسُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ ضَئِيلَةٌ   وَقَالَ ٱلدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ

وَطَاوَلَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ سَفَاهَةً   وَفَاخَرَتِ ٱلشُّهْبَ ٱلْحَصَى وَٱلْجَنَادِلُ

فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ   وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

أَلْبَابُ ٱلْعَاشِرُ
فِي ٱلْمَدِيحِ

١٢٧ لزهير في مديح هرم بن سنان من قصيدةٍ

إِلَى هَرِمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ ٱللِّوَى ... فَنِعْمَ مَسِيرُ ٱلْوَاثِقِ ٱلْمُتَعَمِّدِ
سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ ... أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعَدِ
أَلَيْسَ بِضَرَّابِ ٱلْكُمَاةِ بِسَيْفِهِ ... وَفَكَّاكِ أَغْلَالِ ٱلْأَسِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ
كَلَيْثٍ أَبِي شِبْلَيْنِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... إِذَا هُوَ لَاقَى نَجْدَةً لَمْ يُعَرِّدِ
وَمِدْرَهِ حَرْبٍ حَمْيُهَا يُتَّقَى بِهِ ... شَدِيدُ ٱلرِّجَامِ بِٱللِّسَانِ وَبِٱلْيَدِ
وَثِقْلٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ لَا يَضْعُونَهُ ... وَحَمَّالُ أَثْقَالٍ وَمَأْوَى ٱلْمُطَرَّدِ
أَلَيْسَ بِفَيَّاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ... ثِمَالِ ٱلْيَتَامَى فِي ٱلسِّنِينَ مُحَمَّدِ
إِذَا ٱبْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ غَايَةً ... مِنَ ٱلْمَجْدِ مَنْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا يُسَوَّدِ
سَبَقْتَ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ ... سَبُوقٍ إِلَى ٱلْغَايَاتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
كَفَضْلِ جَوَادِ ٱلْخَيْلِ يَسْبِقُ عَفْوُهُ ... م ٱلسِّرَاعَ وَإِنْ يَجْهَدْنَ يَجْهَدْ وَيَبْعُدِ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكَثِّرْ غَنِيمَةً ... بِنَهْكَةِ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقَلَّدِ
سِوَى رُبَعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَانَةً ... وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِذٍ مُتَهَوِّدِ
يَطِيبُ لَهُ أَوْ ٱفْتِرَاصٍ بِسَيْفِهِ ... عَلَى دَهَشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ ٱلنَّاسَ لَمْ تَمُتْ ... وَلٰكِنَّ حَمْدَ ٱلنَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدِ
وَلٰكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وِرَاثَةً ... فَأَوْرِثْ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوَّدِ

تَزَوَّدْ إِلَى يَوْمِ ٱلْمَمَاتِ فَإِنَّهُ ۞ وَلَوْ كَرِهَتْهُ ٱلنَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدِ

١٢٨ للنابغة الذبياني في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني من قصيدة

وَثِقْتُ لَهُ بِٱلنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ۞ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ

بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ۞ أُولَئِكَ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

إِذَا مَا غَزَوْا بِٱلْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ۞ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُغِرْنَ مُغَارَهُمْ ۞ مِنَ ٱلضَّارِيَاتِ بِٱلدِّمَاءِ ٱلضَّوَارِبِ

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ ۞ إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا ۞ إِذَا عَرَضَ ٱلْخَطِّيُّ فَوْقَ ٱلْكَتَائِبِ

عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ ۞ بِهِنَّ كُلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ

إِذَا ٱسْتُنْزِلُوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا ۞ إِلَى ٱلْمَوْتِ إِرْقَالَ ٱلْجِمَالِ ٱلْمَصَاعِبِ

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ ٱلْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ ۞ بِأَيْدِيهِمِ بِيضٌ رِقَاقُ ٱلْمَضَارِبِ

يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ ۞ وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ ٱلْحَوَاجِبِ

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ۞ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

بِضَرْبٍ يُزِيلُ ٱلْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ ۞ وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ ٱلْمَخَاضِ ٱلضَّوَارِبِ

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا ٱللهُ غَيْرَهُمْ ۞ مِنَ ٱلْجُودِ وَٱلْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ

مَجَلَّتُهُمْ ذَاتُ ٱلْإِلٰهِ وَدِينُهُمْ ۞ قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ ٱلْعَوَاقِبِ

رِقَاقُ ٱلنِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ۞ يُحَيَّوْنَ بِٱلرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَاسِبِ

تُحَيِّيهِمِ بِيضُ ٱلْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ ۞ وَأَكْسِيَةُ ٱلْإِضْرِيجِ فَوْقَ ٱلْمَشَاجِبِ

يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا ۞ بِخَالِصَةِ ٱلْأَرْدَانِ خُضْرِ ٱلْمَنَاكِبِ

وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ ٱلشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

حَبَوْتُ بِهَا غَسَّانَ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا ... بِقَوْمِي وَإِذْ أَعْيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

١٢٩ لعلقمة الفحل في مدح الحارث الوهّاب سيّد بني غسّان وملك الشام

إِلَى ٱلْحَارِثِ ٱلْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... لِكَلْكَلِهَا وَٱلْقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ

تُبَلِّغُنِي دَارَ ٱمْرِئٍ كَانَ نَائِيًا ... فَقَدْ قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ

فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَبِيبَهَا ... وَغُودِرَ فِي بَعْضِ ٱلْجُنُودِ رَبِيبُ

فَوَٱللهِ لَوْلَا فَارِسُ ٱلْجَوْنِ مِنْهُمْ ... لَآبُوا خَزَايَا وَٱلْإِيَابُ حَبِيبُ

تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ ... وَأَنْتَ لِبِيضِ ٱلدَّارِعِينَ ضَرُوبُ

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا ... عَقِيلَا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ

فَجَالَدْتَهُمْ حَتَّى ٱتَّقَوْكَ بِكَبْشِهِمْ ... وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ ٱلنَّهَارِ غُرُوبُ

وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانَ أَهْلُ حِفَاظِهَا ... وَهِنْبٌ وَقَاسٌ جَالَدَتْ وَشَبِيبُ

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ ٱلْحَدِيدِ عَلَيْهِمُ ... كَمَا خَشْخَشَتْ يُبْسَ ٱلْحَصَادِ جَنُوبُ

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ ٱللِّقَاءِ خَصِيبُ

كَأَنَّ رِجَالَ ٱلْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَمَا جَمَعَتْ جَلٌّ مَعًا وَعَتِيبُ

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ ٱلسَّمَاءِ فَدَاحِضٌ ... بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ

كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةٌ بِلِجَامِهَا ... وَإِلَّا طِمِرٌّ كَٱلْقَنَاةِ نَجِيبُ

وَإِلَّا كَمِيٌّ ذُو حِفَاظٍ كَأَنَّهُ ... بِمَا ٱبْتَلَّ مِنْ حَدِّ ٱلظُّبَاتِ خَضِيبُ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ　　مِنَ ٱلْبُؤْسِ وَٱلنُّعْمَى لَهُنَّ نُدُوبُ

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ　　فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ　　مُسَاوٍ وَلَا دَانٍ لِذَاكَ قَرِيبُ

فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ　　فَإِنِّي ٱمْرُؤٌ وَسْطَ ٱلْقِبَابِ غَرِيبُ

١٣٠ للفرزدق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

إِلَيْكَ سَمَتْ يَا ٱبْنَ ٱلْوَلِيدِ رِكَابُنَا　　وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ

إِلَى عُمَرٍ أَقْبَلْنَ مُعْتَمِدَاتِهِ　　سِرَاعًا وَنِعْمَ ٱلرَّكْبُ وَٱلْمُتَعَمَّدُ

وَلَمْ تَجْرِ إِلَّا جِئْتَ لِلْخَيْلِ سَابِقًا　　وَلَا عُدْتَ إِلَّا أَنْتَ فِي ٱلْعَوْدِ أَحْمَدُ

إِلَى ٱبْنِ ٱلْإِمَامَيْنِ ٱللَّذَيْنِ أَبُوهُمَا　　إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا ٱلنُّبُوَّةُ يُسْجَدُ

إِذَا هُوَ أَعْطَى ٱلْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ　　عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ ٱلْغَدُ

بِحَقِّ ٱمْرِئٍ بَيْنَ ٱلْوَلِيدِ قَنَاتُهُ　　وَكِنْدَةَ فَوْقَ ٱلْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ

أَقُولُ لِحَرْفٍ مَنْ يَدَعْ رَحْلَهَا لَهَا　　سَنَامًا وَتَشْوِيزُ ٱلْقَطَا وَهْيَ هُجَّدُ

عَلَيْكَ فَتَى ٱلنَّاسِ ٱلَّذِي إِنْ بَلَغْتَهُ　　فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدَّدُ

وَإِنَّ لَهُ نَارَيْنِ كِلْتَاهُمَا لَهَا　　قِرًى دَائِمٌ قُدَّامَ بَيْتَيْهِ تُوقَدُ

فَهٰذِي لِعَبْطِ ٱلْمُشْبِعَاتِ إِذَا شَتَا　　وَهٰذِي يَدٌ فِيهَا ٱلْحُسَامُ ٱلْمُهَنَّدُ

وَلَوْ خَلَّدَ ٱلْفَخْرُ ٱمْرَأً فِي حَيَاتِهِ　　خَلَدْتَ وَمَا بَعْدَ ٱلنَّبِيِّ مُخَلَّدُ

وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ عُوِّدْتَ لِلْمَجْدِ عَادَةً　　وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ

تُسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِيًا　　أَهَمًّا جَفَا أَمْ جَفْنُ عَيْنِكَ أَرْمَدُ

فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلْ عِيَالٌ أَرَاهُمُ　　وَمَالُهُمُ مَا فِيهِ لِلْغَيْثِ مَقْعَدُ

فَقَالَتْ أَلَيْسَ ٱبْنُ ٱلْوَلِيدِ ٱلَّذِي لَهُ ... يَمِينٌ بِهَا ٱلْإِمْحَالُ وَٱلْفَقْرُ يُطْرَدُ
يَجُودُ وَإِنْ لَمْ تَرْتَحِلْ يَا ٱبْنَ غَالِبٍ ... إِلَيْهِ وَإِنْ لَاقَيْتَهُ فَهْوَ أَجْوَدُ
مِنَ ٱلنِّيلِ إِذْ عَمَّ ٱلْمَنَارَ غُثَاؤُهُ ... وَمَنْ يَأْتِهِ مِنْ رَاغِبٍ فَهْوَ أَسْعَدُ
فَإِنَّ ٱرْتِدَادَ ٱلْهَمِّ عَجْزٌ عَلَى ٱلْفَتَى ... عَلَيْهِ كَمَا رُدَّ ٱلْبَعِيرُ ٱلْمُقَيَّدُ
وَلَا نُجْحَ فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... زَمَاعٌ وَحَبْلٌ لِلصَّرِيمَةِ مُحْصَدُ
جَرَى ٱبْنُ أَبِي ٱلْعَاصِي فَأَحْرَزَ غَايَةً ... إِذَا أَحْرَزَتْ مَنْ نَالَهَا فَهْوَ أَمْجَدُ
وَكَانَ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلشِّتَاءُ جِفَانُهُ ... جِفَانٌ إِلَيْهَا بَادِئُونَ وَعُوَّدُ
لَهُمْ طُرُقٌ أَقْوَامُهُمْ قَدْ عَرَفْنَهَا ... إِلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى ٱلشَّحْمِ جُمَّدُ
وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٌ ... وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا عَلَيْهِ لَكُمْ يَدُ
إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مَجْدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ ... فَضَلْتُمْ إِذَا مَا أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ عَدَّدُوا

١٣١ وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

هٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
هٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللّٰهِ كُلِّهِمِ ... هٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ ٱلْعِزِّ ٱلَّتِي قَصُرَتْ ... عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْعَجَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ ٱلْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْشَقُّ نُورُ ٱلْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ ... كَٱلشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا ٱلْقَتَمُ

مُشتقةٌ من كرامِ القومِ نبعتُهُ / طابت عناصرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ

هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ / بجدِّهِ أولياءُ اللهِ قد خُتِموا

اللهُ شرَّفَهُ قدرًا وعظَّمَهُ / جرى بذاكَ لهُ في لوحِهِ القلمُ

وليسَ قولُكَ مَن هذا بضائرِهِ / العُربُ تعرفُ مَن أنكرتَ والعجمُ

كِلتا يديهِ غياثٌ عمَّ نفعُهُما / يُستوكفانِ ولا يعروهما عدمُ

سهلُ الخليقةِ لا تُخشى بوادرُهُ / يزينُهُ اثنانِ حُسنُ الخَلقِ والشِّيَمُ

حمّالُ أثقالِ أقوامٍ إذا افترضوا / حلوُ الشمائلِ يحلو عندَهُ نَعَمُ

ما قالَ لا قطُّ إلّا في تشهُّدِهِ / لولا التشهُّدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ

عمَّ البريةَ بالإحسانِ فانقشعت / عنها الغياهبُ والإملاقُ والعدمُ

مِن معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهُمُ / كفرٌ وقربُهُمُ منجًى ومعتصمُ

إن عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتَهم / أو قيلَ مَن خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ هُمُ

لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ غايتِهم / ولا يدانيهمُ قومٌ وإن كرُموا

همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمت / والأُسدُ أُسدُ الشرى والبأسُ محتدمُ

لا ينقصُ العسرُ بسطًا من أكفِّهمُ / سيّانِ ذلكَ إن أثروا وإن عدموا

مُقدَّمٌ بعدَ ذكرِ اللهِ ذكرُهُمُ / في كلِّ بدءٍ ومختومٌ بهِ الكلِمُ

يأبى لهم أن يحلَّ الذمُّ ساحتَهم / خُلقٌ كريمٌ وأيدٍ بالندى هُضُمُ

أيُّ الخلائقِ ليست في رقابِهِمُ / لأوّليّةِ هذا أو لهُ نِعَمُ

مَن يعرفِ اللهَ يعرفْ أوّليّةَ ذا / فالدينُ مِن بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

١٣٢ لابن خفاجة الاندلسي في مدح الامير يحيى بن ابراهيم

ضافي رداء المجد طماح العلا طامي عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالي والقنا حامي الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طريدة زجل الجناح مورد الأظفار
ملتفة أعطافه بحبيلة مكحولة أجفانه بنضار
خدم القضاء مراده فكأنما ملكت يداه أعنة الأقدار
وعنى الزمان لأمره فكأنما أصغى الزمان به إلى أمار
وجلا الإمارة في رقيق نضارة جلت الدجى في حلة الأنوار
في حيث وشح لبة بقلادة منها وحلى معصما بسوار
جذلان يملأ منحة وبشاشة أيدي العفاة وأعين الزوار
أرج الندي بذكره فكأنه متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله ما شاء من نار ومن إعصار
والخيل تعثر في شبا شوك القنا قصدا وتسبح في الدم الموار
والبيض تجني في الطلى فكأنما تلوي عرى منها على أزرار
والنقع يكسر من سنا شمس الضحى فكأنه صدأ على دينار
صحب الحسام النصر صحبة عبطة في كف صوال به سوار
لو أنه أومى إليه بنظرة يوما لثار ولم ينم عن ثار
وقضى وقد ملكته هزة عزة تحت العجاج وضحكة استبشار

١٣٢ لابن الازرق الاندلسي في مدح رئيس ابي يحيى بن عاصم وتهنئته بعيد

يَا مُطْلِعَ ٱلْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى ... وَمُشَعْشِعَ ٱلصَّهْبَاءِ نَارًا تُلْمَسُ
بِكَ مَجْلِسُ ٱلْأُنْسِ ٱطْمَأَنَّ وَبِٱبْنِ عَا ... صِمٍ ٱطْمَأَنَّ مِنَ ٱلرِّئَاسَةِ مَجْلِسُ
بَدْرٌ بِأَنْوَارِ ٱلْهُدَى مُتَطَلِّعٌ ... غَيْثٌ بِأَشْتَاتِ ٱلنَّدَى مُتَبَجِّسُ
حَامَى فَلَمْ تَرْتَعْ لِخَطْبٍ يَعْتَرِي ... وَوَفَى فَلَمْ تَحْفِلْ بِدَهْرٍ يَبْخَسُ
شِيَمٌ مُهَذَّبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ ... وَمَكَارِمٌ هُتُنٌ وَمَجْدٌ أَقْعَسُ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذِكْرُهُ لَبَدَا عَلَى ... أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تَحْمِي ٱلْعُلَا ... وَبِهِ خِلَالُ ٱلْفَخْرِ طُرًّا تُحْرَسُ
بَيْتٌ عَلَى عَمَدِ ٱلْفَخَارِ مُطَنَّبٌ ... مَجْدٌ عَلَى مَتْنِ ٱلسِّمَاكِ مُؤَسَّسُ
إِنَّا لَنَغْدُو هِيمًا فَيُنِيلُنَا ... رِيًّا وَيُوحِشُنَا ٱلنَّوَى فَيُؤَنِّسُ
حَتَّى أَقَمْنَا وَٱلْأَمَانِي مُنْهِضَا ... تٌ وَٱبْتَسَمْنَا وَٱلزَّمَانُ مُعَبِّسُ
لَمْ نَدْرِ قَبْلَ يَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ ... أَنَّ ٱلذَّوَابِلَ بِٱلْغَمَامِ تَبَجَّسُ
هُنَّ ٱلْيَرَاعُ بِهَا يُؤَمَّنُ خَائِفٌ ... وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيُغْنَى مُفْلِسُ
مَهْمَا ٱنْبَرَتْ فَهِيَ ٱلسِّهَامُ يُرَى لَهَا ... وَقْعٌ لِأَغْرَاضِ ٱلْبَيَانِ مُقَرْطِسُ
يَشْفِي بِمَأْمَلِهِ ٱلشَّكِيَّ ٱلْمُعْتَرِي ... يَحْيَى بِمَأْمَنِهِ ٱلْحِمَامُ ٱلْمُؤْيِسُ
قَدْ جَمَّعَ ٱلْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ ... فَبِذَا ٱطِّرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعْكَسُ
عَطْشَانُ ذُو رِيٍّ يَبِيسٌ مُثْمِرٌ ... غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحٌ أَخْرَسُ
لِلَّهِ مِنْ تِلْكَ ٱلْيَرَاعِ جَوَاذِبٌ ... لِلسِّحْرِ مِنْكَ كَأَنَّهَا ٱلْمُغْنِطِسُ
رُضْنَا شِمَاسَ ٱلْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا ... فَهِيَ ٱلَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ

وَإِلَيْكَهَا حُلَلًا تَشَابَهَ نَسْجُهَا مِثْلِي يُفَصِّلُهَا وَمِثْلُكَ يَلْبَسُ
وَاهْنَأْ بِعِيدٍ بَاسِمٍ مُتَهَلِّلٍ وَافَاكَ يَجْهَرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ
وَاحْبِسْ لِوَاءَ الْفَخْرِ مَوْقُوفًا فَإِنَّ الْحَمْدَ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ مُحَبَّسُ

١٣٤ لأبي تمام في هارون الواثق بالله من قصيدة

سِيرُوا بَنِي الْحَاجَاتِ يَنْجَحْ سَعْيُكُمْ غَيْثٌ سَحَابُ الْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ
فَالْحَادِثَاتُ بِوَبْلِهِ مَصْفُودَةٌ وَالْمَحْلُ فِي شُؤْبُوبِهِ مَسْجُونُ
حَمَلُوا ثَقِيلَ الْهَمِّ وَاسْتَتْأَى بِهِمْ سَفَرٌ يَهُدُّ الْمَتْنَ وَهْوَ مَتِينُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْهُ عَنْ أَكْتَافِهِمْ بِالْعَزْمِ وَهْوَ عَلَى النَّجَاحِ ضَمِينُ
وَجَدُوا جَنَابَ الْمُلْكِ أَخْضَرَ فَاجْتَلَوْا هَارُونَ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
أَلْفَوْا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَّهُ خَضِلَ الْغَمَامِ وَظِلُّهُ مَسْكُونُ
فَغَدَوْا وَقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَاثِقٍ بِاللهِ طَائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ
مَلَكُوا خِطَامَ الْعَيْشِ بِالْمَلِكِ الَّذِي أَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ حُصُونُ
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ خَفَّ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهْوَ رَكِينُ
لَيْثٌ إِذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ يَعْلُو قَرَا الْهَيْجَاءِ وَهْيَ زَبُونُ
لِحِيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِخَطْبِهَا مُتَعَمِّدٌ وَبِنَدْبِهَا مَلْبُونُ
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبٌّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِقُلُوبِنَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جِلِيَّةٌ صِدْقٌ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعْرَعَ أَنَّهُ لِأَمِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ ... كَرَمٌ يَذُوبُ ٱلْمُزْنُ مِنْهُ وَلِينُ

يَسْمُو بِكَ ٱلسَّفَّاحُ وَٱلْمَنْصُورُ وَٱلْـ ... مَهْدِيُّ وَٱلْمَعْصُومُ وَٱلْمَأْمُونُ

مَنْ يَعْشُ ضَوْءَ ٱلْآلِ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ ... مَلَأٌ لَدَى مَلَإِ ٱلسَّمَاءِ مَكِينُ

فُرْسَانُ مَمْلَكَةٍ أُسُودُ خِلَافَةٍ ... ظِلُّ ٱلْهُدَى غَابٌ لَهُمْ وَعَرِينُ

فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ ... مُتَكَنِّفَاهَا ٱلنَّصْرُ وَٱلتَّمْكِينُ

قَدْ أَصْبَحَ ٱلْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا ... وَٱلْهِنْدُ بَعْضُ ثُغُورِهَا وَٱلصِّينُ

يَفْدِي أَمِينَ ٱللهِ كُلُّ مُنَافِقٍ ... شَنَآنُهُ بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ كَمِينُ

مِمَّنْ يَدَاهُ يَسْرَيَانِ وَلَمْ تَزَلْ ... فِينَا وَكِلْتَا رَاحَتَيْكَ يَمِينُ

تُدْعَى بِطَاعَتِكَ ٱلْوُحُوشُ فَتَرْعَوِي ... وَٱلْأُسْدُ فِي عِرِّيسِهَا فَتَدِينُ

مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقًى مَجْدٍ أَلَا ... كُلُّ ٱفْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

١٣٥ وله في المعتصم بالله عند فتح عمورية عاصمة الروم من قصيدة

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لَا سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ ٱلشَّكِّ وَٱلرِّيَبِ

وَٱلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلْأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لَا فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

أَيْنَ ٱلرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ ٱلنُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ

تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

عَجَائِبًا زَعَمُوا ٱلْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ ٱلْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ

وَخَوَّفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ

فَتْحُ ٱلْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ ٱلْخُطَبِ

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ لَهُ   وَتَبْرُزُ ٱلْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا ٱلْقُشُبِ

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ ٱنْصَرَفَتْ   عَنْكَ ٱلْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ ٱلْحَلَبِ

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي ٱلْإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ   وَٱلْمُشْرِكِينَ وَدَارَ ٱلشِّرْكِ فِي صَبَبِ

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا   فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ

وَبَرْزَةُ ٱلْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا   كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذٰلِكَ قَدْ   شَابَتْ نَوَاصِي ٱللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ

بِكْرٌ فَمَا ٱفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ   وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ ٱلنُّوَبِ

حَتَّى إِذَا مَخَضَ ٱللهُ ٱلسِّنِينَ لَهَا   مَخْضَ ٱلْحَلِيبَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ ٱلْحِقَبِ

أَتَتْهُمُ ٱلْكُرْبَةُ ٱلسَّوْدَاءُ سَادِرَةً   مِنْهَا وَكَانَ ٱسْمُهَا فَرَّاجَةَ ٱلْكُرَبِ

جَرَى لَهَا ٱلْفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ   إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ ٱلسَّاحَاتِ وَٱلرَّحَبِ

لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِٱلْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ   كَانَ ٱلْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ ٱلْجَرَبِ

كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ   قَانِي ٱلذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ

بِسُنَّةِ ٱلسَّيْفِ وَٱلْخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ   لَا سُنَّةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ

لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِهَا   لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ ٱلصَّخْرِ وَٱلْخَشَبِ

غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ ٱللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى   يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ ٱللَّهَبِ

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ ٱلدُّجَى رَغِبَتْ   عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

ضَوْءٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَٱلظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ   وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

فَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ   وَٱلشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ

تَصَرَّحَ ٱلدَّهْرُ تَصْرِيحَ ٱلْغَمَامِ لَهَا   عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى	بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ
مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ	غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
لَمْ يَعْلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ	لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضُبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ	لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَهِبِ
وَمُطْعَمِ النَّصْلِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ	يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ
لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ	إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ
لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا	مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا	وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يُصِبِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا	وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشِبِ
وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ	لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ
أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا	ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلُبِ
إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمْرٍ	دَلْوَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ
لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ	كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ	بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ
أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا	وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِرًا	وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تُوفَلِسٌ	وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا	فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ وَالْعُبَبِ
هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ	عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوِ مُكْتَسِبِ

لَمْ يُنفِقِ ٱلذَّهَبَ ٱلْمُرْبِي بِكَثْرَتِهِ ... عَلَى ٱلْحَصَى وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى ٱلذَّهَبِ

إِنَّ ٱلْأُسُودَ أُسُودَ ٱلْغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ فِي ٱلْمَسْلُوبِ لَا ٱلسَّلَبِ

وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلْخَطِّيُّ مَنْطِقَهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا ٱلْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ

أَحسى قَرَابِينَهُ صَرْفَ ٱلرَّدَى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ ٱلْهَرَبِ

مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ ٱلْأَرْضِ يُشْرِفُهُ ... مِنْ خِفَّةِ ٱلْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ ٱلطَّرَبِ

إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ ٱلظَّلِيمِ فَقَدْ ... أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ٱلْحَطَبِ

تِسْعُونَ أَلْفًا كَآسَادِ ٱلشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ ٱلتِّينِ وَٱلْعِنَبِ

وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ ٱلسُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ ٱلرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ ٱلْغَضَبِ

وَٱلْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِجٍ ... تَجْثُو ٱلرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى ٱلرُّكَبِ

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَا قَمَرٍ ... وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ ٱلرِّقَابِ بِهَا ... إِلَى ٱلْمُخَدَّرَةِ ٱلْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ ٱلْهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ

بِيضٌ إِذَا ٱنْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ ... أَحَقَّ بِٱلْبِيضِ أَبْدَانًا مِنَ ٱلْحُجُبِ

خَلِيفَةَ ٱللهِ جَازَى ٱللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ وَٱلْحَسَبِ

بَصُرْتَ بِٱلرَّاحَةِ ٱلْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ ٱلتَّعَبِ

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ ٱللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ ٱلنَّسَبِ

أَبعتْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱلْمُصْفَرِّ كَٱسْمِهِمِ ... صُفْرَ ٱلْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ ٱلْعَرَبِ

١٣٦ للتلمساني في مدح الملك المنصور محمد بن عثمان الايوبي

أَأَخَافُ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ أَمْ حِدْثَانَهُ وَٱلدَّهْرُ لِلْمَنْصُورِ بَعْضُ عَبِيدِهِ
مَلِكٌ نَدَاهُ فَكَّنِي وَٱنْتَاشَنِي مِنْ مِخْلَبَيْهِ وَمِنْ إِسَارِ قُيُودِهِ
مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتُ عَنْ إِحْسَانِهِ حَدَّثْتُ عَنْ مُبْدِي ٱلنَّدَى وَمُعِيدِهِ
سَادَ ٱلْمُلُوكَ بِفَضْلِهِ وَبِنَفْسِهِ وَٱلْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
وَإِذَا تَرَنَّمَتِ ٱلرُّوَاةُ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ ٱهْتَزَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
لِأَبِي ٱلْمَعَالِي رَاحَةٌ وَكَّافَةٌ كَٱلْغَيْثِ يَوْمَ بُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ
صَبٌّ بِتَحْصِيلِ ٱلثَّنَاءِ وَجَمْعِهِ كَلِفٌ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِهِ
مَا زَالَ يَشْمَلُ حَاسِدِيهِ نَوَالُهُ حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حَسُودِهِ
سَلَّ عَفْوَهُ وَحُسَامَهُ فِي غِمْدِهِ وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَغْشَى ٱلْوَرَى مُتَلَفِّعًا بِرِدَائِهِ وَيَخُوضُهَا مُتَسَرْبِلًا بِحَدِيدِهِ
فَتَرَى ٱلشُّجَاعَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً وَٱلْمَوْتُ بَيْنَ لَهَاتِهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَقَهْقَرُ ٱلْجَيْشُ ٱللُّهَامُ مَخَافَةً مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُخْفِقَةَ ٱلرَّجَاءِ عُدَاتُهُ وَقُلُوبُهَا خَفَّاقَةٌ كَبُنُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كَسَّرَتْ فِيهِ ٱلْقَنَا وَصَلَ ٱلْحُسَامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ
جَارَى ٱلْغَمَامَ فَفَاتَهُ بِنَوَالِهِ كَرَمًا وَفَاقَ كَبِيرَهُ بِزَهِيدِهِ
وَٱلدِّينَ أَصَّلَهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ حِينَ ٱعْتَنَى بِحُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَٱلْمُلْكَ لَمْ يَنْفَكَّ يُعْمِلُ عَزْمَهُ فِي نَصْرِ طَاهِرِهِ وَنُصْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ ٱلْمَنَايَا وَٱلْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

وَأَرَى ٱلْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ ... وَأَرَى ٱلْوُجُودَ مُشَرَّفًا بِوُجُودِهِ
فَلَوَ ٱنَّنِي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي ٱلْمُنَى ... لَاخْتَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُودِهِ
يَا آلَ أَيُّوبٍ جُزِيتُمْ صَالِحًا ... عَنْ مُحْسِنٍ مَدْحَ ٱلْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
وَنَعِمْتُمُ مَا ٱفْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ ٱلضُّحَى ... صُبْحٌ وَمَا فَضَحَ ٱلدُّجَى بِعَمُودِهِ
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي حَازَ ٱلْعُلَى ... فَثَنَى عِنَانَ ٱلْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عِقْدِهِ ... وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
وَٱلشِّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَهْتَزُّ عِنْـ ... ـدَ سَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ نَشِيدِهِ
فَٱسْلَمْ لِمُلْكٍ بَلْ لِمَجْدٍ أَنْتَ فِي ... تَأْسِيسِهِ وَٱللهُ فِي تَأْيِيدِهِ

١٣٧ لابي الطيب المتنبي في الحسين بن اسحاق التنوخي

هُوَ ٱلْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأَنَّى ٱلْحَزَائِقُ ... وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وُقُوفُنَا ... فَرِيقَيْ هَوًى مِنَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
وَقَدْ صَارَتِ ٱلْأَجْفَانُ قَرْحَى مِنَ ٱلْبُكَا ... وَصَارَ بَهَارًا فِي ٱلْخُدُودِ ٱلشَّقَائِقُ
عَلَى ذَا مَضَى ٱلنَّاسُ ٱجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَمَيْتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالٍ وَوَامِقُ
تَغَيَّرَ حَالِي وَٱللَّيَالِي بِحَالِهَا ... وَشِبْتُ وَمَا شَابَ ٱلزَّمَانُ ٱلْغَرَانِقُ
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّا جَلَتْ لَنَا ... مُحَيَّاكَ فِيهِ فَٱهْتَدَيْنَا ٱلسَّمَالِقُ
فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جِنْحُهُ ... وَلَا جَابَهَا ٱلرُّكْبَانُ لَوْلَا ٱلْأَيَانِقُ
وَهَزٌّ أَطَارَ ٱلنَّوْمَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... مِنَ ٱلسُّكْرِ فِي ٱلْغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ
شَدَوْا بِٱبْنِ إِسْحَاقَ ٱلْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ... ذَفَارِيَهَا كِيرَانُهَا وَٱلنَّمَارِقُ
بِمَنْ تَقْشَعِرُّ ٱلْأَرْضُ خَوْفًا إِذَا مَشَى ... عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ ٱلْجِبَالُ ٱلشَّوَاهِقُ

فَتًى كَالسَّحَابِ ٱلْجُونِ يُخْشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى ٱلْحَيَا مِنْهَا وَتُخْشَى ٱلصَّوَاعِقُ

وَلٰكِنَّهَا تَمْضِي وَهٰذَا مُخَيِّمٌ وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا ٱلدَّهْرَ صَادِقُ

تَخَلَّى مِنَ ٱلدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ مَغَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَٱلْمَشَارِقُ

غَذَا ٱلْهِنْدُوَانِيَّاتِ بِٱلْهَامِ وَٱلطُّلَى فَهُنَّ مَدَارِيهَا وَهُنَّ ٱلْمَخَانِقُ

تُشَقَّقُ مِنْهُنَّ ٱلْجُيُوبُ إِذَا غَزَا وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ ٱللِّحَى وَٱلْمَفَارِقُ

يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُهُ مِنْهُ طَالِقُ

يُحَاجَى بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهْوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَٱلسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقُ

نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي وَلَا عَجَبٌ مِنْ حُسْنِ مَا ٱللهُ خَالِقُ

كَأَنَّكَ فِي ٱلْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقُ

أَلَا قَلَّمَا تَبْقَى عَلَى مَا بَدَا لَهَا وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ ٱلْقَنَا وَٱلسَّوَابِقُ

سَيُحْيِي بِكَ ٱلسُّمَّارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ وَيَحْدُو بِكَ ٱلسُّفَّارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ

فَمَا تَرْزُقُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلَا تَحْرِمُ ٱلْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ

وَلَا تَفْتُقُ ٱلْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقٌ وَلَا تَرْتُقُ ٱلْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ

لَكَ ٱلْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ ٱلْغِنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ ٱللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقُ

هِيَ ٱلْغَرَضُ ٱلْأَقْصَى وَرُؤْيَتُكَ ٱلْمُنَى وَمَنْزِلُكَ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ ٱلْخَلَائِقُ

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكاً وكان يلقب بالمجنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ

وَٱجْزِ ٱلْأَمِيرَ ٱلَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى ٱلنَّاسِ أَقْوَالُ

فَرُبَّمَا جَزَتِ ٱلْإِحْسَانَ مُولِيَهُ خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى ٱلْحَيِّ مِكْسَالُ

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ ٱلشَّكْلِ تَمْنَعُنِي ... ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ

وَمَا شَكَرْتُ لِأَنَّ ٱلْمَالَ فَرَّحَنِي ... سِيَّانِ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ

لٰكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا ... وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ ٱلْحَقِّ بُخَّالُ

فَكُنْتُ مَنْبِتَ رَوْضِ ٱلْحَزْنِ بَاكَرَهُ ... غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ ٱلْأَرْضِ هَطَّالُ

غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ ... أَنَّ ٱلْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ

لَا يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى ٱلسَّادَاتِ فَعَّالُ

لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ ... وَلَا كَسُوبٌ بِغَيْرِ ٱلسَّيْفِ سَأَّالُ

قَالَ ٱلزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ ... أَنَّ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱلْإِمْسَاكِ عَذَّالُ

تَدْرِي ٱلْقَنَاةُ إِذَا ٱهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ ... أَنَّ ٱلشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ

كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ ٱلْكَافِ مَنْقَصَةٌ ... كَٱلشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

أَلْقَائِدُ ٱلْأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَاثِنُهُ ... بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ

أَلْقَاتِلُ ٱلسَّيْفَ فِي جِسْمِ ٱلْقَتِيلِ بِهِ ... وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ

تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى ٱلْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ ... وَمَا لَهُ بِأَقَاصِي ٱلْبَرِّ أَهْمَالُ

لَهُ مِنَ ٱلْوَحْشِ مَا ٱخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ ... عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءُ وَذَيَّالُ

تُمْسِي ٱلضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ ... كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي ٱلطِّيبِ آصَالُ

لَوِ ٱشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا ... خَرَاذِلٌ مِنْهُ فِي ٱلشِّيزَى وَأَوْصَالُ

لَا يَعْرِفُ ٱلرُّزْءَ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ ... إِلَّا إِذَا ٱحْتَفَزَ ٱلضِّيفَانَ تَرْحَالُ

يُرْوِي صَدَى ٱلْأَرْضِ مِنْ فَضَلَاتِ مَا شَرِبُوا ... مَحْضُ ٱللِّقَاحِ وَصَافِي ٱللَّوْنِ سَلْسَالُ

يَقْرِي صَوَارِمَهُ ٱلسَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ ... كَأَنَّمَا ٱلسَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ

تَجْرِي ٱلنُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً ... مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ
لَا يَحْرِمُ ٱلْبُعْدُ أَهْلَ ٱلْبُعْدِ نَائِلَهُ ... وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ ٱلْأَطْفَالُ
أَمْضَى ٱلْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً ... وَٱلْبِيضُ هَادِيَةٌ وَٱلسُّمْرُ ضُلَّالُ
يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ ... بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَفِيهَا ٱلْمَاءُ وَٱلْآلُ
وَقَدْ يُلَقِّبُهُ ٱلْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ ... إِذَا ٱخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ ٱلْعَقْلِ عُقَّالُ
يَرْمِي بِهَا ٱلْجَيْشَ لَا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا ... مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ ٱنَّ ٱلْجَيْشَ أَجْبَالُ
إِذَا ٱلْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ
يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا ... مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَغْتَالُ
أَنَالَهُ ٱلشَّرَفَ ٱلْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ ... فَمَا ٱلَّذِي بِتَوَقِّي مَا أَتَى نَالُوا
إِذَا ٱلْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتَهُ ... مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ ٱلْكَعْبِ عَسَّالُ
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو ٱلشُّجْعَانِ قَاطِبَةً ... هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ ٱلْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ
تَمَلَّكَ ٱلْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ ... فِي ٱلْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالُ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ ... وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ ٱلْمَاذِيِّ سِرْبَالُ
وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالًا أَيُّهَا ٱلنَّالُ
لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِي بِرِّي وَتَكْرِمَتِي ... إِنَّ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱلْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ ... وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفَّيْكَ آمَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ ... إِنَّ ٱلثَّنَاءَ عَلَى ٱلتِّنْبَالِ تِنْبَالُ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ ... فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي ٱلْأَقْدَارِ يَخْتَالُ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا ... إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى ٱلْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

وَلا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا ... إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي ٱلرَّوْعِ بَذَّالُ
لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ ... ٱلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ ٱلْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِٱلرَّحْلِ شِمْلَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ ... مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذِكْرُ ٱلْفَتَى عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ

١٣٩ وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحدث

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ ٱلصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْعَظَائِمُ
يُكَلِّفُ سَيْفُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْجَيْشَ هَمَّهُ ... وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ ٱلْجُيُوشُ ٱلْخَضَارِمُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وَذٰلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ ٱلضَّرَاغِمُ
يُفَدِّي أَتَمُّ ٱلطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ ... نُسُورُ ٱلْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَٱلْقَشَاعِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَٱلْقَوَائِمُ
هَلِ ٱلْحَدَثُ ٱلْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أَيُّ ٱلسَّاقِيَيْنِ ٱلْغَمَائِمُ
سَقَتْهَا ٱلْغَمَامُ ٱلْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا ٱلْجَمَاجِمُ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَٱلْقَنَا تَقْرَعُ ٱلْقَنَا ... وَمَوْجُ ٱلْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ ٱلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ ٱلْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدْتَهَا ... عَلَى ٱلدِّينِ بِٱلْخَطِّيِّ وَٱلدَّهْرُ رَاغِمُ
تُفِيتُ ٱللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وَهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَكَيْفَ تُرَجِّي ٱلرُّومُ وَٱلرُّوسُ هَدْمَهَا ... وَذَا ٱلطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ

وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ الْبِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ ... وَفِي أُذُنِ الْجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ ... فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَّاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ

فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الْغِشَّ نَارُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ

تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا ... وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى ... إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ

بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ ... وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمُ

حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ

وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا ... مَفَاتِيحُهُ الْبِيضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الْأُحَيْدِبِ نَثْرَةً ... كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذُّرَى ... وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ

تَظُنُّ فِرَاخُ الْفُتْخِ أَنَّكَ زُرْتَهَا ... بِأُمَّاتِهَا وَهْيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ

إِذَا زَلِقَتْ مَشَّيْتَهَا بِبُطُونِهَا ... كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ ... قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ

أَيُنْكِرُ رِيحَ ٱللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ ... وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ ٱللُّيُوثِ ٱلْبَهَائِمُ

وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِٱبْنِهِ وَٱبْنِ صِهْرِهِ ... وَبِٱلصِّهْرِ حَمْلَاتُ ٱلْأَمِيرِ ٱلْغَوَاشِمُ

مَضَى يَشْكُرُ ٱلْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ ٱلظُّبَا ... بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَٱلْمَعَاصِمُ

وَيَفْهَمُ صَوْتَ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ فِيهِمِ ... عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ ٱلسُّيُوفِ أَعَاجِمُ

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ ... وَلٰكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ

لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلدُّرِّ ٱلَّذِي لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ

وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي ٱلْوَغَى ... فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ

عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرِجْلِهِ ... إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعَيْهِ ٱلْغَمَاغِمُ

أَلَا أَيُّهَا ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي لَسْتَ مُغْمَدًا ... وَلَا فِيكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ

هَنِيئًا لِضَرْبِ ٱلْهَامِ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْعُلَا ... وَرَاجِيكَ وَٱلْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمُ

وَلِمْ لَا يَقِي ٱلرَّحْمٰنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وَتَفْلِيقُهُ هَامَ ٱلْعِدَى بِكَ دَائِمُ



أَلْبَابُ ٱلْحَادِي عَشَرَ
فِي ٱلْمُرَاسَلَاتِ

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب ابي القاسم بن الجدّ عن امير المسلمين الى اهل سبتة

١٤٠ كتابنا ابقاكم الله واكرمكم بتقواه . ويسّركم لما يرضاهُ . واسبغ عليكم نعماهُ . وقد رأينا والله بفضلهِ يقرن جميع آرائنا بالتسديد . ولا يخلينا في كافة انحائنا من النظر الحميد . ان نولّي ابا زكريّاء يحيى بن أبي بكر محل ابننا . الناشيء في حجرنا . اعزّهُ الله وسدّدهُ فيما قلّدناه اياهُ من مدينتي فاس وسبتة وجميع اعمالها حرسهما الله على الرسم الذي تولّاهُ غيرهُ قبلهُ . فانفذنا ذلك لهُ لما توسّمناه من مخايل النجابة قبلهُ . ووصيناه بما نرجوان يحتذيهُ ويتمثّلهُ . ويجري قولهُ وعملهُ . ونحن من وراء اختبارهِ . ولفحص عن أخبارهِ . لانني بحول الله في امتحانهِ وتجريبهِ . والعناية بتخريجهِ وتدريبهِ . والله عزَّ وجلَّ يحقق مخيلتنا فيهِ . ويوفّقهُ من سداد القول والعمل الى ما يرضيهِ . فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا لهُ السمع والطاعة . والنصح والمشايعة جهد الاستطاعة . وعظّموا بحسب مكانهِ منا قدرهُ . وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيهُ وامرهُ . والله تعالى يمدُّهُ بتوفيقهِ وهدايتهِ ويعرّفكم يُمن ولايتهِ بعزّتهِ (لابن خلدون)

كتاب خالد الى ابي بكر بفتح اجنادين

١٤١ بسم الله الرحمان الرحيم اني احمد اليك الله الذي لا اله الَّا هو . ثم أزيدهُ حمدًا وشكرًا على سلامة المسلمين ودمار الاعداء واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم . وانَّا لقينا جموعهم باجنادين مع وَرْدان صاحب حمص وقد نشروا كتبهم ورفعوا اعلامهم وتقاسموا بدينهم ان لا يفرون ولا ينهزمون . فخرجنا اليهم وايقنَّا بالله متوكلين على الله فعلم ربنا ما اضمرناهُ في قلوبنا ورزقنا الصبر وأيَّدنا بالنصر . وكبت اعداء الله فقتلنا منهم في كل فجٍ وشعب ووادٍ . وجملة من احصينا من الروم ممَّن قتل خمسون الفًا وقتل من المسلمين في أوَّل يوم وثانيهِ اربع مئة وخمسة وسبعون رجلًا ختم الله لهم بالشهادة . ونحن راجعون الى دمشق فادع الله لنا بالنصر . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاتهُ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب الحريري الى المسترشد بالله لما ولي الخلافة بعد المستظهر

١٤٢ للدهر اعزَّ الله أنصار الديوان العزيز ودام نهُ مساعفة الأقدار . ومضاعفة الاقتدار . وايلاء صنائع المبرّ . والاستيلاء على جوامع المسارّ . خطوب متفاضلة القيَم . كتفاضل متشابه

من الغُمَم . وضروب متفاوتة الدَرَج . بحسب ما تفنيهِ من المُهَج . فاعظمها ايلامًا للقلوب . واضرامًا للكروب . واستجلابًا للواعج الغموم . وايجابًا للوازم الحزن على العموم . رزءٌ تساهم فيهِ الانام . واظلمت ليومهِ الأيام . وكان في معاهد الخلافة ناجمًا . وعلى سدّة الامامة المقدّسة هاجمًا . كالفجيعة بطود الدين الشامخ . ودوحة المجد الباذخ . وبحر الكرم الزاخر . وقِبلَة المآثر والمفاخر . وإهاً هو خطب كاد يشيب منهُ الاطفال . وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال . غير ان الله جلّت اسماؤُهُ . وتعاظم علاؤُهُ . نظر لأصناف عبيدهِ . ومنَّ على أهل توحيده . باستخلاف المسترشد بالله . ولولا هذه المنحة التي انتاشت الدين . وجبرت مصاب المسلمين . لفسدت الأرض . ولكن الله ذو الفضل على العالمين . نشر الله في الخافقَين اعلام دولتهِ . وحلّى تواريخ السيَر بمناقب سيرتهِ . وحقّق آمال المستشفعين والمستضعفين في اسعافهِ ونصرتهِ . قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين المقدورين . والمقامين المشهورين . ما يلتزمهُ المباهي باخلاص الطاعة . المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن صُمادح الى المعتمد يغريهِ بقتل ابن زيدون وزير ابيهِ

يا أيها الملك العليُّ الأعظمُ ... إقطع وريدَيْ كلّ باغٍ ينئمُ
واحسِم بسيفك داءَ كلّ منافقٍ ... يُبدي الجميلَ وضدَّ ذلك يكتُمُ
لا تحقِرنَّ من الكلام قليلَهُ ... إنَّ الكلام لهُ سيوفٌ تكلُمُ
فاحسِم دواعي كلّ شرٍّ دونهُ ... فالداءُ يَسري إن غدا لا يُحسَمُ
كم سقط زَندٍ قد نما حتى غدا ... بُركانَ نارٍ كلَّ شيءٍ يَحطمُ
وكذلك السيلُ الجُحاف فانّما ... أولاه طَلٌّ ثمَّ وبلٌ يسجمُ
واذكر صنيع أبيك أوّل مرّةٍ ... في كلّ متّهمٍ فانك تعلمُ
لم يبقِ منهم مَن توقّع شرّهُ ... فصفت لهُ الدنيا ولذَّ المطعمُ
فعلى مَ تنكل عن صنيعٍ مثلهِ ... ولأنت أمضى في الخطوب وأشهمُ
وجَنانك الثَبت الذي لا ينثني ... وحسامك العَضب الذي لا يكهمُ
والحالُ أوسع والعوالي جمّةٌ ... والجدُّ أَشمخُ والصريمة ضَيغمُ
لا تتركنْ للناس موضع تهمةٍ ... واحزم فمثلك في العظائم يحزمُ
قد قال شاعر كندةٍ فيما مضى ... بيتًا على مرّ الليالي يُعلمُ
لا يسلمُ الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ
فاجعلهُ قدوتك التي تعتادها ... في كلّ ما يبقي ورأيك أحكمُ
واسلم على الأيام انك زَينها ... وجمالها والدهر دونك مأتمُ
لا زلتَ بالنصر العزيز مهنّئًا ... والدين عن محمود سعيك يبسمُ
ووُقيتَ مكروهَ الحوادث واغتدت ... طير السعود بأيككم تترنّمُ

كتاب ألفنس بن سانشس الى المعتمد

(لمّا ملك اذفنش ابن شانجه اعمال طُلَيطلَة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها وخاطب المعتمد على الله ابا القسم بن عبّاد يطلب منهُ تسليم اعماله الى رسله وعمّاله وتشطط عليه في الطلب . واظهر لهُ السرور بالغلب . فما خاطبهُ به)

١٤٤ من الأنبيطور ذي الملّتين الملك المفضل اذفنش ابن شانجه الى المعتمد بالله سدّد الله آراءهُ وبصّرهُ مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد مُلكٍ شرّفتهُ القنا . ونبتت في ربعهِ المنى . باغتبار الرمح بعاملهِ . والسيف بساعد حاملهِ . وقد ابصرتم بطليطلة نزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمتم اخوانكم . وعطلتم بالدعة زمانكم . والحذرُ من ايقظ بالهُ . قبل الوقوع في الحبالة . ولولا عهدٌ سلفَ بيننا نحفظ زمامهُ . ونسعى بنور الوفاء امامهُ . لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائدهُ . ووصل رسول الغزو وواردهُ . لكن الأقدار . تُقطَع بالاعذار . ولا يعجل الا من خاف الفوت فيما يرومهُ . او خشيَ الغلبة على ما يسومهُ . وقد حمّلنا الرسالة اليك قمّس البرهانس وعندهُ من التسديد الذي تلقى بهِ امثالك . والعقل الذي تدبّر بهِ بلادك ورجالك . ما وجب استنابتهُ فيما يدقّ ويجلّ . فيما يصلح لا فيما يخلّ وانت عندما تأتيهِ من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسعى بيمينك وبين يديك (تاريخ العبادين)

جواب المعتمد بالله الى الملك ألفنس بن سانشس

١٤٥ من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله ابي عمرو بن عبّاد الى اذفنش ابن شانجه الذي لقّب نفسهُ بملك الملوك وسماها بذي الملّتين قطع الله بدعواهُ . سلام على من اتّبع الهدى . أمّا بعد فانهُ اوّل ما يبدأ بهِ من دعواهُ انهُ ذو الملّتين والمسلمون احق بهذا الاسم لان الذي تملكوهُ من امصار البلاد . وعظيم الاستعداد . وجبى المملكة لا تبلغهُ قدرتكم . ولا تعرفهُ ملتكم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن نظر السديد جميل مباديك . فركبتَ مركبَ عجز نسخهُ الكيس . ووطيتك كؤوس دعة قت في شبه بيس . ولم تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك . وانّا لنعجب من استعجالك . بري ما يحكم نحوه . ولا حسن تحاوره . واعجابك بصنع وافقتك فيهِ الاقدار . وغترت بنفسك سوء الاغترار . وتعلم ان في العدد والعديد . ونظر السديد ولدينا من كرة غرسن . وحيل الانسان . وحمة شجعان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدرّعوا الصبر . وكرهوا القبر . تسيل نفوسهم على حد التعدد . وينعمهم المنام في القفار . يديرون رحى المنون بحركات العزائم . ويشفون من خبط جنون خواتم عزائم . وقد اعدّوا لك ولقومك جلادًا رتّبهُ لا تعاق . وشفرحد دّ شحذه الاصفاق . وقد يأتي محبوب من مكروه . وندم من عجلة شروه . نبهت من غفلة طال زمنه . ويقظت من نومة تجدد ايمانه . ومتى كانت لاسلافك لاقدمين مع سلافنا الاكرمين يد صاعدة . او وقعة

متساعدة . الّا ذلٌّ تعلم مقدارهُ . وتحقّق مثارهُ . والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك ﺑﺎ الموت دونهُ . وبالله نستعين ولا نستبطئ في مسيرنا اليك والله ينصر دينهُ . والسلام على من علم الحق فاتّبعهُ . واجتنب الباطل وخُدعهُ

مكتوب المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين يستنجدهُ على الاذفنش

١٤٦ (من اشبيلية في غرّة جمادى الاولى سنة ٣٧٩) . أيّد الله امير المؤمنين ونصرهُ ونصر بهِ الدين فانّا نحن العرب في هذه الاندلس قد تلفت قبائلنا . وتفرّق جمعنا . وتغيّرت انسابنا . بقطع المادة من حَنيفيّتنا. فصرنا فيها شعوبًا لا قبائل واشتاتًا لا قرابة ولا عشائر. فقلّ ناصرنا وكثر شامتنا . وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش . واناخ علينا بكلكلهِ ووطئ بقدمهِ وأسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحدٍ منا طاقة على نصرة جارهِ ولا اخيهِ ولو شاءوا لفعلوا . الّا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك وقد ساءت الأحوال . وانقطعت الآمال . وانتم أيّد الله سلطانكم سيد حِميَر . ومليكها الاكبر . واميرها وزعيمها نزعتُ بهمتي اليكم . واستصرخت بالله وبكم . واستغثت بحرمكم . لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر وتحيوا شريعة الاسلام . وتذبّوا عن دين محمد . ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم . والاجر الجسيم . ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلي العظيم . والسلام الكريم . على حضرتكم السامية ورحمة الله وبركاتهُ (تاريخ غرناطة لابن الخطيب)

في الطلب والاشواق

١٤٧ لما استأسر الروم ضِرار كتب الى اختهِ والى معشر الاسلام

ألا ايها الشخصان بالله بلّغا	سلامي الى الطلال مكّة والحجرِ
فلاقيتما ما عشتما الف نعمة	بعزّ واقبال يدوم مع النصرِ
ولا ضاع عند الله ما تصنعانهِ	فقد خفّ عني ما وجدت من الضرّ
بصنعكما بي نلتُ خيرًا وراحةً	كذلك فعل الخير بين الورى يجري
ومالي وبيت الله موتي وانما	تركت عجوزًا في المهامهِ والقفرِ
ضعيفة حَيل ليس فيها جلادةٌ	على نائبات الحادثات التي تجري
وكنت لها ركنًا بُعيدَ رجالها	وأُكرمها جهدي وان مسّني فقري
واطعمها من صيد كفي ارانبًا	مع الظبي والوحش المقيمة في البرّ
واحمي حماها أن تُضامَ فلم ازل	لها ناصرًا في موقف الشرّ والضرّ
واني اردت الله لا شيء غيرهُ	وجاهدت في جيش الملاعين بالسمرِ
كذلك اختي جاهدت كل كافرٍ	وما برحت بالطعن في الكرّ والفرّ
تقول وقد جار الفراق ببَينهِ	الا يا أخي ما لي على البين من صبرِ

الا يا اخي هذا الفراق فمن لنا ... بخير رجوع قادم منك بالبشر
ألا بلغاها عن اخيها تحية ... وقولا غريب مات في قبضة القهر
جريح طريح بالسيوف مبضع ... على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
حمائم نجد بلغي قول شائق ... الى عسكر الاسلام والسادة الغر
وقولي ضرار في القيود مكبل ... بعيد عن الأوطان في بلد وعر
حمائم نجد اسمعي قول مغرد ... غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
وان سألوا عني الأحبة خبري ... بان دموعي كالسحاب وكالقطر
حمائم نجد ان اتيت خيامنا ... فقولي كذاك الدهر عسر على يسر
وقولي لهم ان الأسير بحرقة ... له عبرة بين الجوانح والصدر
له من عداد العمر عشر وسبعة ... وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفي خده خال محته مدامع ... على فقد اوطان وكسر بلا جبر
مضى سائرًا يبغي الجهاد تبرعًا ... فوافاه اولاد اللئام على غدر
ألا فادفناني بارك الله فيكما ... ألا واكتبا هذا غريب على قبري
ألا يا حمامات الحطيم وزمزم ... ألا أخبري أمي ودلي على قبري
عسى تسمح الايام منها بزورة ... لقبر غريب لا يزار من نكر

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكانس يستدعي سراج الدين الاسكندري ويداعبه

يا ذا الذي فكره مثل اسمه يقد ... فندت عنا وما من شأنك الفند
بم اعتذارك عن هذا الصدود لنا ... هذا وقد ضمنا بالجيرة البلد
عافاك ربك من داء القطيعة بل ... شفاك من داء أمر كله نكد
فيم التواني والخلان قد حفلت ... على المودة لا حقد ولا حسد
ان ذاع وصفك في تأديبهم طربوا ... أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرف بناديهم فما شرفوا ... أو لم تنفق لهم آدابهم كسدوا
اذا هجرت بني الآداب فابد لنا ... بم اعتذارك لا أهل ولا ولد
قد صرت توحشهم بعدًا وان قربوا ... وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا
ما هكذا تفعل الذنب بصاحبها ... فانظر الناس والإخوان تنتقد
وبعد فاحضر وذنب البعد مغتفر ... وان تطاول من هجرانك الأمد
بادر لنا فبنو الآداب كلهم ... تجمعوا من فجاج الأرض واحتشدوا
وأوعدوك فان لم تأت نحوهم ... وكلهم منجز في الحال ما يعد
وأنت أدرى بقوم ان بلوا سلقوا ... بألسن ما لقتلى حربها قود

لا زلتَ ترقى على زُهر النجوم عُلًا   ما هبّتِ الريحُ اقواماً وما رصدوا

في العتاب واللوم

كتاب ابي بكر بن القصيرة عن امير المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعدية

١٤٩ اماً بعد يا أُمّة لا تعقل رشدها . ولا تجري الى ما تقتضيهِ نِعَم الله عندها . ولا تقلع عن اذى تغشيهِ قرباً وبعدًا جهدها . فانكم لا ترعون لجارٍ ولا لغيرهِ حرمةً . ولا تراقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمّةً . قد اعماكم عن مصالحكم الأشَرَ . واضلّكم ضلالاً بعيداً البَطر . ونبذتم المعروف وراء ظهوركم واتيتم ما ينكر مقتدياً في ذلك صغيركم بكبيركم . وخاملكم بمشهوركم . ليس فيكم زاجرٌ . ولا منكم الّا غويّ فاجرٌ . وما نرى الّا ان الله عزَّ وجلَّ قد شاءَ مسخكم . وأراد نسخكم وفسخكم . فسلّط عليكم الشيطان يغرّكم ويُغريكم . ويزيّن لكم قبائح معاصيكم . وكانكم بهِ قد نكص على عقبيهِ عنكم . وقال : اني بريءٌ منكم . وتركَكم في صفقة خاسرة . لا تستقيلونها ان لم تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اعذارًا لكم . وانذارًا قبلكم . فتوبوا . وأنيبوا . واقلعوا . وانزعوا . واقتصّوا من انفسكم كل من وترتموهُ . وأنصِفوا جميع مَن ظلمتموهُ وغشمتموهُ . ولا تستطيلوا على احد بعدُ . ولا يكن الى اذاهُ صدورٌ ولا وِردٌ . والّا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلاً سائرًا . وحديثاً غابرًا . فاتقوا الله في انفسكم واهليكم . واياكم والاغترار فانهُ يورطكم فيما يُرديكم . ويسوقكم الى ما يُشمِت بكم اعاديكم . وكفى بهذا تبصرةً وتذكرةً . ليست لكم بعدها حجّةٌ ولا معذرة . ولا توفيق الّا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه ابي القاسم ابن الجدّ عن امير المسلمين وناصر الدين الى اهل أشبيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بتقواهُ . ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاهُ . وجنبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يسخطهُ ويَنعاهُ . من حاضرة مرّاكش حرسها الله لستٍ بقينَ من جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وقد بلغنا ما تأكّد بين اعيانكم من اسباب التباعد والتباين . ودواعي التحاسد والتضاغن . واتّصال التباغض والتدابر . وتمادي التقاطع والتهاجر . وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعنٌ بيّن . ومغمزٌ لا يرضاهُ مؤمن ديّن . فهلا سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدّوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفّق للصواب . ان نعذر اليكم بهذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئَ عليكم . فاقمعوا الانفس الامّارة بالسوء . وارغبوا في السكون والهدوّ . ونكّبوا عن طريق البغي الذميم المشنوّ . واحذروا دواعي الفتَن . وعواقب الإحَن . وما يجرّ داء الضمائر . وفساد السرائر . وعمَى البصائر . ووخيم المصاير . واشفقوا على

اديانكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم . واخلعوا السمع والطاعة نوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسة جمهوركم . اخينا الكريم علينا ابي اسحاق ابرهيم ابقاهُ الله . وادام عزَّهُ بتقواهُ . واعلموا ان يدهُ فيكم كيدنا . ومشهده كمشهدنا . فقِفُوا عندما يحضُّكم عليهِ . ويدعوكم اليهِ . ولا تختلفوا في امرٍ من الامور لديهِ . وانقادوا اسلس انقياد لحكمهِ وعزمهِ . ولا تقيموا على نَهج عناد بين حدّهِ ورسمهِ . والله تعالى يفيء بكم الى الحسنى . وييسركم الى ما فيهِ صلاح الدين والدنيا . بقدرتهِ (قلائد العقيان لابن خاقان)

في المديح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البسطامي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تسرّ بهِ الخواطر . واحيا بهِ بلدة العلوم احياء الروض بالسحب المواطر . واعاد شمسها المنيرة الى افقها . واحلَّها بالمطالع الذي هو من حقها . فعاد الى وظيفتها عود الحليّ الى العاطل . واظهرها بهِ ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمسهُ . ظاهرة في يومهِ بحسن ما عودها في امسهِ . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع وبلها . وحنوهُ على اهلها حنوّ المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأَمن بها سارية . وسحاب اليُمن من فوقها جارية . والارزاق تنهلُّ من اقلامهِ كما ينهلُّ المطر من مُزنهِ . وانواع الخيرات تُجنى من كرمهِ كما يُجنى الثمر من غصنهِ . لا زالت اقلامهُ محكمةً في اراضي العلماء . نافذاً امرها في اقاليم الفضلاء

١٥٢ كتب ذو الوزارتين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف خيه يهنيه بمولود من قصيدةٍ

ورد الكتابُ بهِ فرحتُ كأنني	نشوانُ راح في ثياب تبختر
لما فضضتُ ختامهُ فتبلَّجت	بيضُ الاماني في سواد الاسطر
قبَّلتُ من فرحٍ بهِ خدّ الثرى	شكرًا ولا حظَّ لمن لم يشكرِ
يا موردَ الخبر الشهي وحاديَ ال	أمل القصيّ وهادي سبل السري
زدني من الخبر الذي اوردتهُ	يا برد ذلك على فؤاد المخبرِ
صفحًا وعفوًا للزمان فانهُ	ضحكت اسرَّة وجههِ المتنسّري
طلع البشيرُ بنجم سعدٍ لاح من	أُفقِ نُعمى وتنبت ليث مخدرِ
لله درُّك ايُّ فرع سيادةٍ	اعطيتهُ وقضيب دوحة مفخرِ
طابت أُرومتهُ واينع فرعهُ	وعرعَ يعرف فيهِ طيب العنصرِ
انت الجدير بكل فضلٍ نلتهُ	وحويتهُ وبكل مكرمةٍ حري
تمنا رحيمًا انها قد انجبت	برحيم المحمود اسنى مذخرِ
ندمت عيونُ الدهر عن جَنَباتهِ	وحمت منهلَهُ متونُ الضُّمَّرِ

وصفا لهُ ولاخوةٍ يتلونهُ ماء الحياة لديك غير مكدَّر
فلأنت بدر السعد وهو هلالهُ ولانت سيف المجد وهو السمهري
لا زلت تبقى للمحامد جامعاً مع احمدٍ في ظلّ عيشٍ اخضرِ
والسعد ينشر فوق راسك رايةً تبقى مع العليا بقاء الادهرِ

١٥٣ قال صفي الدين الحلّي يشكر انعام السلطان الملك المؤيَّد عماد الدين اسماعيل وقد حمل اليهِ تحفاً وكسوات البيت وآلاتهِ ومهماتهِ جميعها

جزاكَ الله من حُسناك خيرًا وكانَ لك المهيمنُ خيرَ راعِ
فقد قصَّرتَ بالاحسان لفظي كما طوَّلتَ بالإنعام باعي
فأخرني الحياء وليس يدري جميع الناس ما سببُ امتناعي
فأشكرُ حسن صنعك في اتّصالٍ وخطوي نحو ربعك في انقطاعِ
وقافيةٌ شبيه الشمس حسناً تُردَّد بين كفي واليراعِ
لها فضلٌ على غُرَر القوافي كما فضل البقاع على البقاعِ
غدت تثني على علياك لمَّا ضمنت لرجها نجح المساعي
فدمتَ ولا برحتَ مدى الليالي سعيدَ الجدّ ذا امرٍ مُطاعِ

١٥٤ كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرَّفت قرب الدار ممَّن أُحبهُ فكنت اجدّ السير لولا ضرورهْ
لاتلوَ من آيِ المحامد سورةً وأُبصر من شخص المحاسن صورهْ

كنت ابقاك الله تعالى لاغتباطي بولائك . وسروري بلقائك . اودُّ أنْ اطوي اليك هذه المرحلة . واجدّد العهد بلقياك المؤمَّلة . فمنع مانع . وما ندري في الآتي ما الله صانع . وعلى كل حال فشأني قد وضح منهُ سبيلٌ مسلوك . وعلمهُ مالكٌ ومملوك . واعتقادي اكثر مما تسعهُ العبارة . والالفاظ المستعارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة . المتَّصفة بالعفاف والطهارة . والسلام (نفح الطيب للمقري)

في التعزية

كتاب ابي اسحاق الصابي الى محمَّد بن العبَّاس يعزيهِ عن طفلٍ

١٥٥ الدنيا اطال الله بقاء الرئيس أقدارٌ تَردُ في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا يُردُّ منها شيء عن مداهُ . ولا يصدّ عن مطلبهِ ومنحاهُ . فهي كالسهام التي تثبت في الأغراض . ولا ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يُغمِض عن الزيادة ولم يقنط عند المصيبة . ولم يجزَع عند النقيصة . وأَمِن أن يستخفَّ احد الطرفين حكمَهُ . ويستزل احد

الأمرين حزمة. ولم يدع ان يوطّن نفسهُ على النازلة قبل نزولها. ويأخذ الاهبة للحالة قبل حلولها. وان يجاور الخير بالشكر. ويساور المحنة بالصبر. فيتخيّر فائدة الأولى عاجلاً. ويستمري فائدة الاخرى آجلاً. وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدرًا. الحديث سنًّا ما أرمض وأومض. وأقلق وأمضّ. ومسّني من التألّم لهُ ما يحقّ على مثلي من توالت ايدي الرئيس اليه. ووجبت مشاركتهُ في الملمّ عليهِ. فانّا لله وانّا اليهِ راجعون. وعند الله نحتسبهُ غصنًا ذوى. وشهابًا خبا. وفرعًا دلَّ على اصلهِ. وخطيًّا انبتهُ وشيجهُ. وإيّاه اسأل ان يجعلهُ للرئيس فرَطًا صالحًا وذُخرًا عتيدًا. وان ينفعهُ يوم الدين حيث لا ينفع الّا مثله بين البنين بجوده ومجده. ولئن كان المصاب بهِ عظيمًا. والحادث فيهِ جسيمًا. لقد احسن الله اليهِ. والى الرئيس فيهِ. أمّا اليهِ. فان الله نزّههُ باحترامهِ عن اقتراف الآثام. وصانهُ الاختصارُ. عن ملابسة الاوزار. فورد دنياهُ رشيدًا. وصدر عنها سعيدًا. نقيّ الصحيفة من سواد الذنوب. بريء الساحة من دَرَن العيوب. لم تدنّسهُ الجرائر. ولم تعلق بهِ الصغائر والكبائر. قد رفع الله عنهُ دقيق الحساب. واسهم لهُ الثواب مع أهل الصواب. وألحقهُ بالصديقين الفاضلين في المعاد. وبوّأه حيث فضّلهم من غير سعي واجتهاد. وأمّا الرئيس فان الله لمّا اختار ذلك قبضهُ قبل رؤيتهِ وقبل معاينتهِ على الحالة التي يكون معها رقّة. التي تتضاعف عندها الحرقة. وحماهُ من فتنة المرافقة. ليرفعهُ عن جزع المفارقة. وكان هو المبقّى في دنياهُ. وهو الواحد الماضي الذخيرة لأخراهُ. وقد قيل ان تسلم الجلة فالسخل هدرٌ. وعزيزٌ عليَّ ان اقول المهوّن لامر من بعدهِ ولا أُوفي التوجع عليهِ. واجبُ فقدهُ فهو لهُ سلامةٌ ومنهُ بضعةٌ. ولكن ذلك طريق التسلية. وسبيل التعزية. والمنهج المسلوك في مخاطبة مثلهِ ممّن يقبل منفعة الذكرى وان اغناهُ الاستبصار. ولا يأبي ورود الموعظة وان كفاهُ الاعتبار. والله تعالى يقي الرئيس المصائب. ويعيذهُ من النوائب. ويرعاه بعينهِ التي لا تنام. ويجعلهُ في حماهُ الذي لا يرام. ويُبقيهِ موفورًا غير منتقص. ويهدمنا الى السوء امامهُ. والى الحذور قدّامهُ. ويبدأُ بي من بينهم في هذه الدعوة. إذ كنت اراها من أسعد احوالي. وأعدّها من أبلغ امانيّ وآمالي (سقيروانى)

لابي فضل الميكالي تعزية الى أبي عمرو البحتري في أخٍ

١٥٦ لقد عاش اخوك نبيهَ الذكر. جليل القدر. عبق نشره ونشر. يتجمّل بهِ أهل بلده. ويتباهى بمكانهِ ذوو مودّتهِ. ويفتخر الأثر وحاموه بتراخي مدته ومدّته. حتى اذ تسنم ذروة الفضائل والمناقب. وظهرت محاسنهُ كالنجوم شواقب. اختطفتهُ يد المقدار. ومحت ترد بين الآثار. فالفضل خاشع الطرف لفقدهِ. والكرم خالي الربع من بعدهِ. والحديث يندب حافظهُ ودارسهُ. وحسن العهد يبكي كافلهُ وحارسهُ

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللوشي رسالة كتب بها الى امير المسلمين يعزيه في الامير مزدلي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدلهُ . السابغ فضلهُ . العظيم سلطانهُ . العلي مكانهُ . السني قدرهُ وشانهُ . في سعد تُطرف عنهُ اعين النوائب . وجدّ تُصرَف دونهُ أوجه المصائب . كل رُزء ادام الله تأييدهُ وان عظم وجلّ . حتى استولى على النفوس منهُ الوجل . اذا عدا بابهُ . وتخطّى جنابهُ . فقد اخطأ بحمد الله المقتل . وصدّ عن سواء الغرض وعدل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالبةً لا تُصاوَل . واحكامهُ نافذة لا تُزاوَل . فالصبر لواقعها اولى . وكتبتهُ ادام الله تأييدهُ والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بماء عبرتها شرِقة مغرورقة . لمّا نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤُهُ المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزدلي قدّس الله روحهُ . وسقى ضريحهُ . فيالهُ من رُزء قصم الظهر . ووسم النجوم الزُهر . واذكى الاحزان . وابكى الاجفان . واقصى المهاد بمكانتهِ من الدولة المنيفة . ومنزلتهِ من الامرة الرفيعة الشريفة . وعند الله نحتسبهُ ذخيرة عظمى . ونسألهُ المغفرة لهُ والرحمى . فانهُ كان نوّر الله وجههُ متوفر الهمة على الجهاد . من أهل الجد في ذلك والاجتهاد . وحسبهُ انهُ لم يقضِ نحبهُ إلّا وهو متجهّز في عساكرهِ فادركهُ الموت مهاجرًا . ومع الله تاجرًا . وارجو ان يكون تعالى قد قرن لهُ فاتحة السعادة . بخاتمة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زندًا من ان تضعضعهُ الخطوب وان اهمّت . وتوجعهُ الحوادث اذا ادلهمّت . والله يحسن عزاءهُ على فجعهِ . ولا يدني حادثًا بعدهُ من ربعهِ . بمنهِ عزّ وجلّ

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزيًا القاضي ابا الحسن بن زنباع في قريب مات لهُ

يشاطرك الصبابةَ والسهادا	ويمحَضك المحبةَ والوَدادا
صديقٌ لو كشفتَ الغيبَ عنهُ	وجدتَ هواك قد ملأ الفؤادا
يعزّ عليهِ رُزؤُك بتَّ عنهُ	شقيق النفس تلهمها سدادا
أنشفق للعباد ونحن منهم	من الرب الذي خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواءٍ	ولا بدّ لنا ممّا ارادا
لئن قدّمت عِلقًا مستفادًا	لقد اكرمت حظًّا مستفادا
ومثلك لا يضعضعهُ مصابٌ	ولا يعطي لنائبةٍ قيادا
وما زلتَ الرشيد نُهًى وحاشى	لمثلك أن نعلمهُ الرشادا

كتب بديع الزمان الهمذاني الى أبي عامر عدنان الضبّي يعزيه ببعض اقاربه

اذا ما الدهرُ جرّ على اناس   حوادثهُ اناخ بآخرينـا

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينـا

١٥٩   احسنُ ما في الدهر عمومهُ بالنوائب . وخصوصهُ بالرغائب . فهو يدعو الجَفَلى اذا ساء . ويختصُّ بالنعمة اذا شاء . فلينظر الشامت فان كان أفلَت . فلهُ ان يشمت . وينظر الانسان في الدهر وصروفهِ . والموت وصنوفهِ . من فاتحة امرهِ . الى خاتمة عمرهِ . هل يجد اثرًا في نفسهِ ام لتدبيرهِ . عونًا على تصويرهِ . ام لعملهِ . تقديمًا لأملهِ . ام لحيلهِ . تأخيرًا لأجلهِ . كلّا بل هو العبد لم يكن شيئًا مذكورًا . خُلق مقهورًا . ورُزق مقدورًا . فهو يحيا جبرًا . ويهلك صبرًا . وليتأمّل المرء كيف كان قبلًا . فان كان العدم اصلًا . والوجود فضلًا . فليعلم الموت عدلًا . والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضرَّ بما نفع . وان احب ان لا يحزن فلينظر يمنةً . هل يرى الّا محنةً . ثم ليعطف يَسرةً . هل يرى الّا حسرةً . ومثل الشيخ الرئيس من تفطّن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعدَّ لنعمتها صدرًا لا يملؤهُ فرحًا . ولبؤسها قلبًا لا يطيرهُ جزعًا . وصحب الدهر برأي من يعلم ان للنعمة حدًّا . وللعارية ردًّا . ولقد نُعي اليَّ ابو قبيصة قدّس الله روحهُ . وبرّد ضريحهُ . فعرضت عليَّ آمالي قعودًا . وأمانيَّ سودًا . وبكيت والسخي بما يملك . وضحكت وشرّ الشدائد ما يضحك . وعضضت الاصبع حتى افنيتهُ . وذممت الموت حتى تمنّيتهُ . والموت خطبٌ قد عظُم حتى هان . وأمرٌ قد خشُن حتى لان . ونكرٌ قد عمَّ حتى عاد عُرفًا . والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت اخفّ خطوبها . وجنت حتى صار اصغر ذنوبها . واضمرت حتى صار ايسر غيوبها . واجهمت حتى صار اظهر عيوبها . ولعل هذا السهم آخر ما في كنانتها . وازكى ما في خزانتها . ونحن معاشرَ التبع نتعلّم الأدب من اخلاقهِ . والجميل من افعالهِ . فلا نحثّهُ على الجميل وهو الصبر . ولا نرغّبهُ في الجزيل وهو الاجر . فليرَ فيهما رأيهُ . ان شاء الله تعالى   (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى رئيس طوس يعزيه عن شقيقهِ

١٦٠   كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركنًا مهدودًا . وحدًا ملحودًا . وأخًا مفقودًا . وحوضًا من المنيّة موردًا . ويعلم ان ايامهُ مكتوبةٌ . وأنفاسهُ محسوبةٌ . وان شِبَاك المنايا لهُ منصوبةٌ . أُفٍّ لهذه الدنيا ما اكدر صافيها . وأخيب راجيها . وأغدر بها وبيها وانغص لذّاتها وملاهيها . تفرّق بين الاحياء والاحباب بالفوات . وبين الاحياء والاموات بالرفات . ورد عليّ خبر وفاة فلان . فدارت بي الارض حيرة . وضمت في عيني الدنيا حسرة . وملأ اوّنهُ وانوَهل قلبي وساوس وفكرةً . وتذكّرت ما كان يجمعني واياه من سكري الشباب والشراب . فعلمت انهُ شرب بكاس انا شاربٌ من شرابها . ورُمي بسهم سوف أُرمى بها . فبكيت

عليهِ بكاءً لي نصفهُ . وحزنت عليهِ حزنًا لنفسي شطرهُ . وسألت الله تعالى فانهُ اكرم مسئول .
واعظم مأمول . أن يفيض عليهِ من رحمتهِ . ما يتمّم بهِ سهمهُ من نعمتهِ . وأن يتغمّد كل
زلّة ارتكبها برحمتهِ . ويضاعف لهُ كل حسنة اكتسبها بمنّتهِ . وان يذكر لهُ تلك الاخلاق
الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكّرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده .
والغمّة من بعده . والتحسر على قربهِ ببعدهِ . فخلص الى قلبي وجع ثانٍ انساني الماضي . وثالث
انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجعين .
والمصاب اثنين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : انّا لله وانّا اليهِ راجعون اللهمّ لا شكاية
لقضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كفران لنعمتك . ولا مناصبة لقدرتك . اللهمّ ارحم الماضي
رحمةً تحبّب اليهِ مماته . وابقِ الحي بقاء يهنيهِ حياتهُ . واطبع على قلبهِ حتى لا يطيع داعية الجزع .
ولا يضع عنانهُ بيد الهلَع . ولا يثلم جانب الاجر والذخر بالاثم والوزر . ولا يجد عدوّه الشيطان
سبيلًا اليهِ . ولا سلطانًا عليهِ . اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار . لا جريًا على مذهبي في
الاقتصار والاختصار . ولكني لم اجد من لساني بسطةً . ولا في قريحتي فضلةً . ويحقّ لهذه الفادحة
الحادثة ان تدع اللسان محصورًا . والبيان مقصورًا . او ان تحدث في العقل خللًا . وفي البيان
شللًا . وليعرفني سيدي خير ما هداهُ الله اليهِ من جميل العزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون
سكوني الى ما اعرفهُ من سلوتهِ . اضعاف قلق كان بما ظننتهُ من حُرقتهِ . وان كنت اعلم انهُ لا
يخلي ساحة الحلم والعلم . ولا يخلّ بالواجب من التمسك بالحزم . ولا يحلّ عقدة صبره . ولا
تتداعى اركان صدره ولا يعمى الرشدَ في جميع امره . وهذه شريطة الكمال . وسجيّة الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أمّا بعد أيّد الله القاضي فانهُ لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسهِ . ولم ينصر اصدقاءه
من خذل حوْباءه . وانما يحب المرء اخاهُ بما فضل عن محبتهِ لروحهِ التي لهُ خيرها . وعليهِ
ضيرها . وكانت محنة القاضي محنةً شملت الانام . وخصّت الكرام . ووجب على كل من اشتمّ
روائح العقل . وميّز بين النقصان والفضل . ان ينفطر لها ألمًا . وان يبكي عندها دمًا . وخلص
اليّ من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفًا طالما رفعتهُ .
وقبضت بنانًا طالما بسطتهُ . وحتى عُزّيت كما يعزّى الثكلان . وسُلّيت كما يسلّى اللهفان . وانا بعد
ذلك استصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعة . واستقلّ سعي عيني وهي سخينة دمعة . وكان يجب
على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصابرهُ نهارًا واساهرهُ
ليلًا وتكون المحنة بيني وبينهُ احملها عنهُ ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر
الى الذنب الخفي . ويتغابى عن العذر الجلي . ولهُ اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة .
وأخرى يصمّ بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينهُ وبين العفو نسب . ولا لهُ الى التثبّت

طريق ولا مذهب . ولو تعرّضت لسخطه . بعد ما عرفتهُ من شططه . لتحمّلت دونهُ الوِزْر في ظلمي . ولكنت مقدّمتهُ الى ذمّي . ومن قعد تحت الريبة ركبتهُ . ومن تعرّض للظِنَّة نالتهُ

ومن دعا الناس الى ذمّهِ ... رموهُ بالحقّ وبالباطلِ

واقلّ ما كان ينبعث من حضوري ان يثِب هذا الجواد وثبةً يصون القاضي عنها . ويبتذلني لها . فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكرّرت عليهِ كرّتين . يرى بولي من اوليائهِ . داء لا يقدر على دوائهِ . ويرى وقوداً لا يصل الى اطفائهِ . ويتبيّن في حالةٍ متّصلة بحالهِ ثلمة لا يمكن سدُّها . ومحنة لا يستوي لها ردُّها . فلمّا مثلت بين تخلّفي آمناً . وحضوري خائفاً . عدلت بين طرَفي الرؤية . ووزنت بين مقــدرَي المحنة . فرأيت ان اميل مع السلامة . و قنع من العمل بالنيّة . واغتفر عُهدة التفصيل لصحة الجملــة . فغبت وكلي غير جسمي شاهد . وغبرت وما انا الّا مشاهد . وبعدت وقلبي سهيم واغضيت على عينٍ كلها قذى . وانطويت على صدرٍ كلهُ شجاً . وانصرفت بقلبٍ ساقط راضٍ واغمضت بجفنٍ ضاحك باكٍ وقلت :

فانّ تسجنوا القسريّ لا تسجنوا اسمهُ ... ولا تسجنوا معروفهُ في القبائــلِ

ولقد سجت في ذمّ الظالم حللاً لا يبلّها الماء . ولا يجفّفها الهواء . ولا تتغطّى عليها الظلماء . والمغبون مَن احتقب الاثم والغُرم من غرم العرض والرابح مَن محنتهُ فانية . ومثوبتهُ باقية . ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم كان يجنى . جعل الله تعالى هذه الحادثة ترء عقماء ليس لها مدد . ولا ليومها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر . وخاتمة نقمتهِ لريب الدهر . ولا حرمهُ فيما نزل بهِ مثوبة الصابرين . ولا اخلاهُ فيما بعدهُ من الشاكرين . برحمتهِ

١٦٢ قال صفي الدين الحلّي يعزّي الملك الافضل صاحب حماة بوالدهِ الملك المؤيد

خفّض همومك فالحيــاةُ غرورُ ... ورحى المنون على الأنام تدورُ

والمرء في دار الفناء مكلّفُ ... لا قادر فيها ولا معذورُ

والناس في الدنيا كظلٍّ زائلٍ ... كلٌّ الى حكم الفناء يصيرُ

فالنكس والملك المتوّج واحدٌ ... لا آمرٌ يبقى ولا مأمورُ

عجباً لمن ترك التذكّر وانثنى ... في الامن وهو بعيشهِ مغرورُ

في فقدنا الملك المؤيَّد شاهدٌ ... ألّا يدومَ مع الزمان سرورُ

ملكٌ تيمّنت الملوك برأيهِ ... فكأنّهُ لصلاحهم إكسيرُ

من آل ايوب الذين بجودهم ... بحرٌ بامواج الندى مسجورُ

اضحت مدائحهُ الحسان مراثياً ... تنسى منها رنّةٌ وزفيرُ

وبكت له اهل الثغور وطالما ... ضحكت لدست الملك منهُ ثغورُ

أَمسى عمادُ الدين بعد علومهِ ... ولطبّهِ عمّا عراهُ قصورُ
واذا القضاء جرى بأمرٍ نافذٍ ... غلِطَ الطبيب واخطأ التدبيرُ
ان لمتُ صرف الدهر فيهِ اجابني ... أبت النُهى ان يُعتَب المقدورُ
او قلت اين ترى المؤيد قال لي ... اين المظفَّر قبلُ والمنصورُ
ام أين كسرى ازدشيرُ وقيصرٌ ... والهرمزان وقبلهم سابورُ
اين ابن داودٍ سليمان الذي ... كانت بجحفلهِ الجبالُ تمورُ
والريح تجري حيث شاء بامره ... منقادةٌ وبهِ البساط يسيرُ
فتكت بهم ايدي المنون ولم تزل ... خيل المنون على الانام تغيرُ
لو كان يخلد بالفضائل ماجدٌ ... ما ضمَّت الرسل الكرام قبورُ
كلٌّ يصير الى البلى فاجبتهُ ... اني لأعلم واللبيب خبيرُ

١٦٣ كتب الطغرائي الى معين الملك فضل الله في نكبتهِ

فصبرًا معين الملك ان عنّ حادثٌ ... فعاقبة الصبر الجميل جميلُ
ولا تيأَسنْ من صنع ربك انهُ ... ضمين بان الله سوف يديلُ
فان الليالي اذ يزول نعيمُها ... تبشّر أن النائباتِ تزولُ
أَلم تَرَ ان الليل بعد ظلامهِ ... عليهِ لإِسفار الصباح دليلُ
أَلم ترَ ان الشمس بعد كسوفها ... لها صفحةٌ تغشى العيون صقيلُ
وان الهلال النضو يقمر بعد ما ... بدا وهو شخت الجانبين ضئيلُ
فقد يعطِف الدهرُ الابيُّ عنانهُ ... فيشفى عليلٌ او يبلّ غليلُ
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما ... تساقط ريشٌ واستطارَ نسيلُ
ويستأنف الغصنُ السليبُ نضاره ... فيورق ما لم يَعتَورْهُ ذُبولُ
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللحظّ من بعد الذهاب قفولُ
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها ... عليك واحداث الزمان نكولُ
ولا غروَ ان اخنت عليك فانما ... يصادم بالخطب الجليل جليلُ
وايُّ قناةٍ لم ترنّح كعوبها ... وايُّ حُسامٍ لم تصبهُ فلولُ
اسأتَ الى الايام حتى وترتَها ... فعندك أضغانٌ لها وتبولُ
وصارمتها فيما ارادت صروفها ... ولولاك كانت تنتحي وتصولُ
وما انت الّا السيف يسكن غمدهُ ... ليشقى بهِ يوم النزال قتيلُ
اما لك بالصدّيق يوسف اسوةٌ ... فتحملَ وَطْء الدهر وهو ثقيلُ
وما غض منك الحبس والذِكرُ سائل ... طليقٌ لهُ في الخافقين زميلُ

فلا تذمننَّ للخطب آدكَ ثقلهُ فثلك للأمر العظيم حمولُ
فلا تجزعنَّ للكبل مسَّك وقعهُ فانَّ خلاخيل الرجال كبولُ

في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيهِ بابي نصر

١٦٤ انا في مفاتحة الامير بين ثقة تعد. ويدٍ ترتعد. ولِمَ لا يكون ذلك البحر وان لم أرَهُ. فقد سمعت خبرهُ. ومَن رأى من السيف أثرهُ. فقد رأى اكثرهُ. واذا لم ألقَهُ. فهل أجهل خلقهُ. وما وراء ذلك من تالد اصلٍ ونسبٍ. وطارف فضلٍ وأدبٍ. وبعد همَّةٍ وصيتٍ. فعلومٌ تشهد بذلك الدفاتر. والخبر المتواتر. وتنطق بهِ الأشعار. كما تختلف عليهِ الآثار. ولعين اقلّ الحواسّ ادراكًا. والآذان اكثرها استمساكًا. ان شيخنا أبا نصر بن دوستام سألني طول هذه المدَّة. مكاتبة تلك السدَّة. مستشفعًا بكتابي الى الخُلُق العظيم. والعِلق الكريم. والفضل الجسيم. وكل شيء على الميم في باب التفخيم. وبي ان أُعرَف شغلٌ شاغل. وحتَّى أقبل وأُداخل. دخولًا معلومًا. لا يقتضي لومًا. فلا تظنَّ الَّا الجميل وعرِّفهُ ان المرء وجوده. ثمَّ جودهُ. وشفيعٌ لا يعرَف غريبٌ ولكنهُ من غريب الحبيث. لا من غريب الحديث. فبي الآن أفعل وقد فعلتُ على السخط من القرْط. فان قبلتَ الشفاعة فالمجد يأبي الآن يعمل عمهُ. وان رُدَّت فلبست كلمة السوء منهُ. والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخهِ ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعًا

١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محطَّ الآمال وقبلة الوجوه. وبلَّغ سيادتكم ما تؤمِّلهُ من فضل الله تعالى وترجوه. وكلأ بعين حفظهِ ذاتكم الفاخرة. وجعل عزَّ الدنيا متَّصلًا لكم بعزّ الآخرة. بعد تقبيل يدكم التي يدها لا تزال تُشكر. وحسنتها عند الله تعالى تُذكر. أُنهي الى مقامكم ان الشيخ ابا فلان مع كونهِ مستحق التجلَّة. بهجرة الى ابوابكم الكريمة قدمت. ووسائل من اصالة وحشمة كرمت. وفضل ووقار وتنويه بالولاية ان كانت ذات احتقار وسن تقضي العضل برهُ. وادب تكرّ الاختبار عليهِ وسرهُ. وهو بمعرفة سعكم لا يرضي وسببة مرعيَّة. وفي الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيَّة. وتوجه الى بابكم وتمسك بسببكم. والمؤمَّل من سيدي سترهُ بجناح رعيهِ في حال الكبرة. ولحظهُ بطرف المبرَّة. اما في ستعمال يبيق بذوي الاحتشام. او سكون تحت رعي واهتمام. واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام. وهو احق المعرضين بالتزام. واحالة سيدي في حفظهِ رسم منه. على الله تعالى الذي يجزي المحسنين بفضله. ومنه نسأل ان يديم ايام المجلس العليّ محروسًا من النوائب. مبلَّغ الآمال والمآرب. والمملوك قد قرَّر شأنهُ في اسعف المقصد المأمومة من الشفاعة اليكم. وتحسب في هذه الابواب عليكم. وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع. واليهِ الأمر اجمع. والسلام (نفح الطيب للمقري)

ألبَابُ ٱلثَّانِي عَشَرَ
فِي ٱلتَّرَاجِمِ

شعراء الجاهليَّة

أَعْشَى قَيْسٍ (٦٢٩ م)

١٦٦ هو ميمون بن قيس بن جندل ويكنى أبا بصير وهو احد الاعلام من شعراء الجاهليَّة وفحولهم . وتقدَّم على سائرهم وليس ذلك بمجمَع عليهِ لا فيهِ ولا في غيرهِ . وكان قوم يقدّمون الأعشى على سائر الشعراء فيحتجون بكثرة تصرفهِ في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيرهِ . ويقال انهُ أوّل من سأل بشعرهِ وانتجع بهِ اقاصي البلاد . وكان يغنّي في شعرهِ فكانت العرب تسمّيهِ صنَّاجة العرب . ومن اخبارهِ انهُ أتى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزتهُ . فقال الأسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نعطيك عَرَضًا . فاعطاهُ خمسمائة مثقال دهنًا وبخمسمائة حللًا وعنبرًا . فلما مرَّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معهُ فأتى علقمة بن عُلَاثة . فقال لهُ : أَجِرني . فقال : قد اجرتك . قال : من الجنّ والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : لا . فأتى عامر بن الطفيل . فقال : اجرني . قال : قد اجرتك . قال : من الجنّ والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : نعم . قال : وكيف تُجيرني من الموت . قال: ان متّ وانت في جواري بعثت الى اهلك الدية . فقال : الان علمت انك قد اجرتني من الموت . فمدح عامرًا وهجا علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد كنت اعطيتهُ اياهُ . ويُخبَر عن الأعشى انهُ لمَّا ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدةٍ . فبلغ خبرهُ قريشًا فرصدوهُ على طريقهِ وقالوا : هذا صنَّاجة العرب ما مدح احدًا قط الَّا رفع في قدرهِ . فلما ورد عليهم قالوا لهُ : أين اردتَ يا ابا بصير . قال : اردت صاحبكم هذا لاسلم . قالوا : انهُ ينهاك عن خلال ويحرمها عليك . وكلها بك رفق ولك موافق . قال : وما هنَّ . فقال ابو سفيان بن حرب : القمار . قال : لعلّي ان لقيتهُ أن أُصيب منهُ عوضًا من القمار . ثم ماذا . قالوا : الربا . قال : ما دنتُ ولا ادَّنتُ . ثم ماذا . قالوا : الخمر . قال : اوّه ارجع الى صُبابة قد بقيت لي في المِهْراس فاشربها . فقال لهُ ابو سفيان : هل لك في خيرٍ مما هممت بهِ . قال : وما هو . قال : نحن وهو الآن في هُدْنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليهِ امرنا فان ظهرنا عليهِ كنت قد اخذت خلفًا وان ظهر علينا اتيتهُ . فقال : ما اكره ذلك . فقال ابو سفيان : يا معشر قريش هذا الأعشى والله لئن اتى محمدًا واتبعهُ ليضرمنَّ عليكم نيران العرب

بشعرهِ . فاجمعوا لهُ مائةً من الابل . ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلدهِ . فلما كان بقاع منفوحة رمى بهِ بعيرهُ فقتلهُ (الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني)

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأصمعي : هو أَوس بن حَجَر بن مالك شاعر تميم من شعراء الجاهليَّة وفحولها . يجيد في شعرهِ ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان انقطع الى فضالة بن كلدة لمَّا جاد عليهِ من النعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليجة . قال فيهِ اوس بن حجر يرثيهِ :

يا عينُ لا بد من سكبٍ وتَهمالِ … على فضالة جلّ الرزء والعالي
أَبا دليجةَ من توصي بارملةٍ … ام مَن لأشعث ذي طِمرَين مِمحالِ
أَبا دليجةَ من يكفي العشيرة اذ … امسوا من الأمر في لبسٍ وبلبالِ
لا زال مسكٌ وريحانٌ لهُ ارجٌ … على صداك بصافي اللون سلسالِ

ومن فاضل مراثيهِ اياهُ ونادرها قولهُ :

ايتها النفس أَجملي جزعا … ان الذي تكرهين قد وقعا
ان الذي جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جُمَعا
المخلِفُ المتلِفُ المرزَّأ لم … يُمتَع بضعفٍ ولم يمت طَبَعا
اودى وهل تنفع الإشاحةُ من … شيء لمن قد يحاول النزعا

وعُمّر أَوس بن حجر طويلاً وكانت وفاتهُ في أوَّل ظهور الاسلام

تَأَبَّطَ شَرًّا (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفين الفهمي احد محاضير العرب ومغاويرهم المعدودين وقد غلب عليهِ هذا اللقب لما خبرهُ الأصمعي قال : سارَ تأبَّط شرًّا في ليلة ذات ظُلمة وبرق ورعد فاخذ عليهِ الطريق اسد وقيل غول فلم يزل يراوغهُ وهو يطلبهُ ويلتمس غرَّةً منهُ فلا يقدر عليهِ حتى ظفر بهِ وقتلهُ . فلما اصبح حملهُ تحت ابطهِ وجاءَ بهِ الى اصحابهِ فقالوا لهُ : لقد تأبَّطتَ شرًّا فقال :

ألا مَن مبلغٌ فتيانَ فَهمٍ … بما لاقيت عند رحى بطانِ
واني قد لقيت الغولَ تهوي … بسَهبٍ كالصحيفة صحصحانِ
فقلتُ لها كلانا نضو أَينٍ … اخو سفرٍ فخلّي لي مكاني
فشدَّت شدَّة نحوي فاهوى … لها كفّي بمصقولٍ يمانِ
فأَضربها بلا دهشٍ فخرّت … صريعاً لليدين وللجرانِ
فقالت عُد فقلت لها رُوَيداً … مكانَكِ انني ثبت الجنانِ
فلم انفكَّ متكئاً عليها … لأَنظر مصبحاً ماذا أتاني

اذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ... كرأس الهرّ مشقوق اللسانِ
وساقا مُخدَجٍ وشَوَاة كلبٍ ... وثوبٌ من عباءٍ او شنانِ

ومن اخبارهِ انهُ كان يشتار عسلاً في غار من بلاد هذيل يأتيهِ كل عام . وان هذيلاً ذكرتهُ فرصدوهُ لإبّان ذلك حتى اذا جاء هو واصحابهُ تدلى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم . فانفروهم وسبقوهم ووقفوا على الغار . فحركوا الحبل فاطلع تأبط شرًّا راسهُ . فقالوا : اصعد . فقال : لا اراكم . قالوا : بلى قد رأيتنا . فقال : فعلامَ اصعدُ أعلى الطلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك . قال : فاراكم قاتليَّ وآكلي جنادي . لا والله لا افعل . قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً اعدَّهُ للهرب . قال : فجعل يسيل العسل من الغار ويهريقهُ ثم عمد الى الزقّ فشدَّهُ على صدرهِ ثم لصق بالعسل . فلم يبرح يتزلّق عليهِ حتى خرج سليماً . وفاتهم موضعهُ الذي وقع فيهِ وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تأبط شرًّا في ذلك :

اقول للحيانٍ وقد صفرت لهم ... وطابي ويومي ضيّقُ الجحر معورُ
لكم خصلـةٌ اماً فداءٌ ومنـةٌ ... واماً دماً والقتلُ بالحرّ اجدرُ
وأُخرى أُصادي النفس عنها وإنها ... لموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا ... بهِ جؤجوءٌ صلبٌ ومتنٌ مخصَّرُ
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا ... بهِ كدحة خزيان والموت ينظرُ
فأبتُ الى فهمٍ وما كنت آئباً ... وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرء لم يحتلْ وقد جدَّ جدُّهُ ... اضاع وقاسى امرهُ وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً ... بهِ الامر الّا وهو للحزم مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما كان حُوَّلاً ... اذا سُدَّ منـهُ منخرٌ جاش منخرُ
فانك لو قايست بالصبّ حيلتي ... بلحيان لم يقصر بي الدهر مقصرُ

وكان تأبط شرًّا اعدى ذي رِجلين وذي ساقين وذي عينين . وكان اذا جاع لم تقم لهُ قائمة فكان ينظر الى الظبـاء فينتقي على نظرهِ اسمنها . ثم يجري خلفهُ فلا يفوتهُ حتى يأخذهُ فيذبحهُ بسيفهِ فيشويهِ ثم ياكلهُ . وقيل ان تأبط شرًّا لقي ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال لهُ ابو وهب كان جباناً اهوج وعليهِ حلّة جيدة . فقال ابو وهب لتأبط شرًّا : بمَ تغلب الرجال يا ثابت وانت كما أرى دميمٌ ضئيلٌ . قال : باسمي . انما اقول ساعة ما القى الرجل : انا تأبط شرًّا فينخلع قلبهُ حتى انال منهُ ما اردت . فقال لهُ الثقفي : فهل لك ان تبيعني اسمك . قال : نعم . قال : فبمَ تبتاعهُ . قال : بهذه الحلّة وبكنيتي . قال لهُ افعل ففعل . وقال لهُ تأبط شرًّا : لك اسمي ولي كنيتك . واخذ حلّتهُ واعطاهُ طمريهِ ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقفي:

ألا هل اتى الحسناءَ انَّ حليلها ... تأبط شرًّا واكتنيت ابا وهبِ

فهبهُ تسمّى اسمي وسمّيتُ باسمهِ ... فاين له صبري على مُعظَم الخَطبِ

واين لهُ بأسٌ كبأسي وسَورتي ... واين له في كلّ فادحةٍ قلبي

وقُتل تأبّط شرًّا في بلاد هُذَيل. ورُمي بهِ في غارٍ يقال لهُ رَخمان (الأغاني)

حارِث بن حِلِّزَة (٥٦٠ م)

١٦٩ هو ابن مكروه بن يزيد اليشكري البكري صاحب المعلّقة. وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جبّارًا عظيم الشان والمُلك لمّا جمع بكرًا وتغلب ابني وائل واصلح بينهم اخذ من الحيين رهنًا من كل حيّ مائة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض. فكان اولئك الرهن يكونون معهُ في مسيرهِ ويغزون معهُ. فأصابتهم سَموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيّين وسلم البكريون. فقالت تغلب لبكر: اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم. فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو: ارى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلع اصمّ من بني يشكر. فجاءت بكر بالحارث بن حلزة وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة: يا أصمّ جاءتك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك. فقال الحارث: وعلى من اظلّت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك. وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدتهُ هذه ارتجالًا. توكّأ على قوسهِ وانشدها وانتظم كفّهُ وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلبي: انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان بهِ وضح. فقيل لعمرو بن هند ان بهِ وضحًا. فأمر ان يُجعل بينهُ وبينهُ ستر. فلما تكلّم اعجب بمنطقهِ فلم يزل عمرو يقول: ادنوهُ ادنوهُ حتى امر بطرح الستار واقعدهُ معهُ قريبًا منهُ لاعجابهِ بهِ. وعُمِّر الحارث طويلًا وابنهُ ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)

دُرَيد بن الصِّمَّة (٦٣٠ م)

١٧٠ هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل. وكان اطول الفرسان الشعراء غزوًا وابعدهم اثرًا واكثرهم ظفرًا. وأيمنهم نقيبةً عند العرب يقال انهُ غزا مائة غزاة ما اخفق في واحدةٍ منها. فادرك الاسلام فلم يسلم. وخرج مع قومهِ يوم حنين مظاهرًا للمشركين ولا فضل فيهِ للحرب وانما اخرجوهُ تيمّنًا بهِ وليقتبسوا من رأيهِ فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورتهِ. وقُتل دُرَيد في ذلك اليوم على شركهِ. ولهُ في اخيه عبد الله مراثٍ جاد فيها ما اراد. واخبر ابو عُبَيدة قال: هجا دُرَيد بن الصِّمَّة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال:

هل بالحوادث والايام من عجبٍ ... ام بابن جدعان عبد الله من كَلَبِ

قال: فلقيهُ عبد الله بن جدعان بعكاظ فحيّاهُ وقال لهُ: هل تعرفني يا دريد. قال: لا.

قال : فلِمَ هجوتني . قال : مَن انت . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتُك لانك كنت امرءًا كريمًا فاحببتُ ان اضع شعري موضعهُ . فقال لهُ عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ وكساهُ وحملهُ على ناقة برحلها . فقال دُرَيد يمدحهُ :

اليك ابنَ جُدْعانَ أَعملتُها مخفّفةً للسُرَى والنَصَبْ
فلا خفض حتى تلاقي امرءًا جوادَ الرِضا وحليم الغضبْ
وجَلْدًا اذا الحرب مرّت بهِ يعين عليها بجزلِ الحطبْ
رحلتُ البلاد فما إن أرى شبيه ابن جُدعان وسطَ العربْ
سوى ملك شامخٍ مُلكهُ لهُ البحرُ يجري وعينُ الذهبْ

وكانت وفاتهُ في وقعة حُنَين ادركهُ ربيعة بن رفيع السلمي فاخذ بخطام جمله وهو يظن انها امرأة وذلك انهُ كان شِعار لهُ فاناخ بهِ . فاذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفهُ الغلام . فقال لهُ دُرَيد : ماذا تريد . قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن رفيع السلمي . فانشأ دُرَيد يقول :

ويحَ ابن أكمة ماذا يريد من المرعَش الذاهب الأدردِ
فاقسم لو أنَّ بي قوّةً لولَّت فرائصهُ ترعدِ
ويا لهفَ نفسيَ ان لا تكون معي قوّة الشاخ الأمردِ

ثم ضربهُ السلمي بسيفهِ فلم يغنِ شيئًا . فقال لهُ : بئس ما سلحتك أمك . خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعًا (لابي زكريا النووي)

زُهَيرُ بْنُ سَلْمَى (٦٣١ م) وَٱبْنُهُ كَعْبُ بْنُ زُهَيرٍ (٦٥٣ م)

١٧١ زُهَيرٌ هو رَبيعة بن رياح المُزَني . وكان سيّدًا كثير المال في الجاهليّة حليمًا معروفًا بالورع . وهو احد الثلاثة المقدَّمين على سائر الشعراء . وهم امرؤ القيس وزُهير والنابغة الذبياني . وكان ابو بكر يسمّيهِ شاعر الشعراء لانهُ كان لا يعاظل في الكلام . وكان يتجنَّب وحشيّ الشعر ولم يمدح أحدًا الّا بما فيهِ ويبعد عن سخف الكلام . ويجمع كثير المعاني في قليل من الألفاظ . وكان يطنب في مديح هَرِم بن سِنان المُرّي من آل أبي حارثة احد غطارفة العرب . ولهُ فيهِ غُرَر القصائد . وكان هرم قد آلى ان لا يمدحهُ زُهير إلّا اعطاهُ ولا يسألهُ إلّا اعطاهُ . ولا يسلّم عليهِ إلّا اعطاهُ عبدًا او وليدةً او فرسًا . فاستحيا زُهير مما كان يقبلهُ منهُ . فكان اذا رآهُ في ملإٍ قال : عِمُوا صباحًا غير هرم وخيرَكم استثنيتُ . حدَّث الجوهري عن عُمَر قال : قال عمر لابن زُهير : ما فعلت الحُلَل التي كساها هرمٌ اباك . قال : ابلاها الدهر . قال : لكن الحُلَل التي كساها ابوك هرمًا لم يُبلِها الدهر

واماَّ ابنهُ كعب فهو من المخضرمين ومن فحول الشعراء وكان لهُ أخ اسمهُ بُجَير سمع من محمَّد فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

أَلا أَبلغا عني بُجَيرًا رسالةً على أي شيءٍ ويب غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم تلفِ أمَّا ولا أَبًا عليهِ ولم تُدرك عليهِ اخًا لكا
سقاك ابو بكرٍ بكاس رويَّةٍ فانهلك المأمون منها وعلَّكا

فبلغت ابياتهُ محمدًا فغضب عليهِ واهدر دمهُ . وقال : من لقي منكم كعب بن زُهَير فليقتلهُ . فكتب اليهِ اخوهُ بُجَيرهُ وقال لهُ : انجُ وما أراك بمُفلت . وكتب اليهِ بعد ذلك يأمرهُ ان يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدتهُ (بانت سعاد) يعتذر فيها الى محمد فأمَّنهُ (الاغاني)

أَلشَّنْفَرَى (٥١٠ م)

١٧٢ هو ثابت بن أَوس الأَزدي الشاعر من أهل اليمن . والشنفرى هو لعظيم الشفتين . وهو شاعر من الازد من العدَّائين . وكان في العرب من العدَّائين مَن لا يلحقهُ الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمرو بن برَّاق وأسير بن جابر وتأَبَّط شرًّا . وكان الشنفرى حلف ليقتلنَّ من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان اذا وجد رجلًا منهم يقول لهُ الشنفرى : اطرفك . ثمَّ يرميهِ فيصيب عينهُ . فاحتالوا عليهِ فامسكوهُ وكان الذي امسكهُ أسير ابن جابر أحد العدَّائين رصدهُ حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف لهُ فيهِ فامسكهُ . فلمَّا قتلوه مرَّ رجل منهم بجمجمتهِ فضربها برجلهِ فدخلت شظيَّة من الجمجمة فمات منها . فتمَّت قتلى مائة . ولهُ الشعر الحسن في الفخر والحماسة منهُ لاميَّتهُ المعروفة بلاميَّة العرب (الميداني)

عُرْوَةُ بْنُ ٱلْوَرْدِ (٥٩٦ م)

١٧٣ هو ابو نجد عروة بن الورد بن زيد عبسي شاعر من شعراء الجاهليَّة وفارس من فرسانها المقدَّمين الأَجواد . وكان يلقَّب عروة الصعاليك لجمعهِ ايَّاهم وقيامهِ بأمرهم إذ أخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش ولا مغزًى وكان يعرض حاتمًا في جوده . فكان غضَّ الطرف قليل الفحش كثير العطاء حامي حقيقتهِ . ومن شعرهِ قولهُ :

إذا المرء لم يطلب معاشًا لنفسهِ شكا الفقر أو لام الصديقَ فأكثرا
وصار على الأَدنَين كلًّا وأوشكت صلاتُ ذوي القربى لهُ ان تنكَّرا
وما طالبُ الحاجات من كل وجهةٍ من الناس الَّا من أجدَّ وشمَّرا
فسِر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعذرا

وقُتل عروة في بعض غزواتهِ . قتلهُ رجل من طُهَيَّة (من ديوانهِ)

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ (٥٧٠ م)

١٧٤ هو ابن مالك بن عتاب التغلبيّ صاحب المعلّقة المعروفة . ولهُ في شعرهِ غرائب يغوص في بحر الكلام على دُرّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيبًا بسوق عُكاظ في مواسم مكّة . وبنو تغلب تعظّمها جدًّا يَروونها صغارها وكبارها . ولمّا حَضَرتهُ الوفاة وقد أتت عليهِ خمسون ومائة سنة جمع بنيهِ فقال : يا بَنيّ قد بلغتُ من العمر ما لم يبلغهُ أحد من آبائي . ولا بدّ ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت . واني والله ما عيّرت أحدًا بشيء الّا عُيّرت بمثلهِ . ان كان حقًّا فحقًّا وان كان باطلًا فباطلًا . فكفّوا عن الشتم فانهُ أسلم لكم . وأحسِنوا جِوارَكم يُحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضيم الغريب . واذا حُدّثتم فَعُوا . واذا حدّثتم فأوجزوا . فان مع الاكثار تكون الأهذار . وأشجع القوم العطوف بعد الكرّ كما ان أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رويّة لهُ عند الغضب ولا مَن اذا عوتب لم يعتِب . ومن الناس مَن لا يُرجى خيرهُ ولا يخاف شرّهُ . فبَكْؤهُ خير من درّهِ . وعقوقهُ خير من برّهِ

عَنْتَرَةُ ٱلْعَبْسِيُّ (٦١٥ م)

١٧٥ هو عنترة بن شدّاد العبسيّ . وكانت أُمّهُ أَمةً حبشيّةً يقال لها زَبِيبة . وكان سبب ادّعاء أبي عنترة إيّاهُ ان بعض احياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا فتبعهم العبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذٍ فيهم فقال لهُ أبوهُ كُرَّ يا عنترة . فقال عنترة : العبد لا يحسن الكرّ . انما يحسن الحَلبَ والصَرَّ . فقال : كُرَّ وأنت حرٌّ فكرَّ . وقاتل يومئذٍ قتالًا حسنًا فادعاهُ ابوهُ بعد ذلك وألحق بهِ نسبهُ

وعنترة أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنترة وخفاف بن نُدْبة والسُلَيك بن سُلَكة . قال أبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زُهَير فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنترة . ولحقهم كَبكَبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس فلم يصب مدبر . وكان قيس بن زُهَير سيّدهم فساءهُ ما صنع عنترة يومئذٍ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس الّا ابن السوداء . وكان قيس اكولًا فبلغ عنترة ما قال . فقال يعرّض بهِ قصيدتهُ التي يقول فيها :

بكَرَت تخوّفني الحُتوفَ كأنّني ... اصبحتُ عن عرض الحتوف بمَعزِلِ
فاجبتها إن المنيّة منهلٌ ... لا بُدَّ ان أُسقى بكأس المنهلِ
فاقني حياءكِ لا أبا لكِ واعلمي ... أنّي امرؤٌ سأموتُ إن لم أُقتَلِ
إنّ المنيّة لو تُمثَّل مُثّلَت ... مثلي اذا نزلوا بضنكِ المنزلِ
إنّي امرؤٌ من خير عبسٍ منصِبًا ... شَطري واحمي سائري بالمُنصُلِ

وإذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ... أُلفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ

والخيل تعلمُ والفوارس أنني ... فرّقتُ جمعهمُ بضربةِ فيصلِ

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا ... أشدد وإن يُلفوا بضنكٍ أنزِلِ

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلّهُ ... حتى أنالَ بهِ كريمَ المأكلِ

وقيل لعنترة أنت أشجع العرب قال: لا. قال: فبماذا شاع لك هذا في الناس. قال: كنت أُقدم إذا رأيت الإقدام عزماً. وأُحجم إذا رأيت الإحجام حزماً. ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منهُ مخرجاً. وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربهُ الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليهِ فأقتلهُ. وحدّث عن عمر بن الخطاب أنهُ قال لحُطَيئة: كيف كنتم في حربكم قال: كنا ألف فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك. قال: كان قيس بن زهير فينا (وكان حازماً) فكنا لا نعصيهِ. وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيرهُ ولا نخالفهُ. وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتمّ بشعرهِ فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقتَ. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن معدي كرب يقول: ما أُبالي مَن لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حرّاها وهجيناها يعني بالحرّين عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث بن شهاب وبالعبدين عنترة والسُلَيك بن السُلَكة. وكان عنترة أحسن العرب شيمةً وأعلاهم همّةً وأعزّهم نفساً. وكان مع شدّة بطشهِ حليماً ليّن العريكة سهل الأخلاق. وكان شديد النخوة كريماً مضيافاً عفيف الخاطرة رقيق الشعر. ولهُ فيهِ لطائف كثيرة يعرض فيها عن تدفق الأغراض وخشونة المعاني. وعُمّر عنترة تسعين سنة

ألنَّابغةُ الذُّبيانيُّ (٦٠٤ م) والنَّابغةُ الجَعْديُّ (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن معاوية ويكنى بأبي أُمامة. وهو أحد الأشراف الذين غضَّ الشعر منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء وإنما لُقّب النابغة لطول باعهِ في الشعر. وكان يُضرَب للنابغة قبّةٌ من أدم بسوق عُكاظ فتأتيهِ الشعراء فتعرض عليهِ أشعارها. وكان النابغة كبيراً عند النعمان خاصّاً بهِ. وكان من ندمائهِ وأهل أُنسهِ. ثم تغيّر عليهِ وتوعّدهُ وتهدّدهُ. فهرب منهُ فأتى قومهُ ثم شخص إلى ملوك غسّان فامتدحهم. ثم كتب إلى النعمان يعتذر إليهِ بقصيدتهِ اليتيمة التي مطلعها يا دارميّة. فأمّنهُ النعمان واستنشدهُ من شعرهِ فكان أول ما أنشدهُ قصيدتهُ التي يقول فيها:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

لأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

ثم أسنّ النابغة وكبر وتوفي في السنة التي قُتل فيها النعمان بن المنذر

أما النابغة الجعدي فهو أبو ليلى حسّان بن قيس وكان أسنّ من النابغة الذبياني. وكان

شاعرًا مفلقًا طويل البقاء في الجاهليَّة والاسلام. نادمَ المنذر ومدحهُ وكان على دين الحنيفيَّة يقر بالتوحيد ويصوم ويستغفر ويتوقّع اشياء لعواقبها ومن قولهِ:

الحمـد لله لا شريك لهُ   من لم يقُلهـا فنفسهُ ظلما

الحافظ الرافع السماء على ال   أرض ولم يبنِ تحتها دُعُما

وكانت وفاتهُ بأصبهان ولهُ من العمر ما ينيف على المائة   (شعراء الجاهليَّة لابي عُبَيدة)

الشعراء المخضرَمون

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٦٧٥ م)(٥٤ هـ)

١٧٧ هو أبو عبد الرحمان حسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري من المخضرَمين. عاش ستّين سنة في الجاهليَّة وستين سنة في الاسلام وتوُفّي بالمدينة. وقد أجمعت العرب على ان حسَّان أشعر أهل المَدَر. ولمَّا كان أهل مكَّة يعيّرون الاسلام ويهجون صاحبهُ أذن محمَّد لحسَّان أن يحمي أعراض المسلمين فقال: اهجُهم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس. ومن قولهِ في الفخر:

نحنُ الملوك فلا حيٌّ يقاربنـا   منَّا الملوك وفينا يُوخَذ الرُّبُعُ

تلكَ المكارم حُزناها مقارعةً   اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلّهم   عند النهاب وفضلُ العزّ يُتَّبَعُ

ونحرُ الكومَ عَبطًا في منازلنـا   للنازلين اذا ما استطعموا شَبعوا

ونحن نُطعم عند المَحل ما أكلوا   من العَبيط اذا لم يَظهرِ القَزَعُ

وننصر الناسَ تأتينا سَراتُهمُ   من كل أوبٍ فتمضي ثمَّ تتَّبعُ

وقد تُستحسَن لهُ قصائد في وقعة بدرٍ يفخر بها. وفي آخر حياتهِ كُفَّ بصرهُ

أَلْحُطَيْئَة

١٧٨ أَلحُطَيئة لقبٌ لُقّب بهِ لقصَرهِ واسمهُ أبو مليكة جَرْوَل بن أوس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم. متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر. وكان ذا شرّ وسفَه ينتمي الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين. وهو مخضرَم أدرك الجاهليَّة والاسلام. وكان الحُطيئة مطبوعًا على الهجاء دنيء النفس قبيح المنظر رثَّ الهيئة فاسد الدين. وكان بذيًا هجَّاءً. فالتمس ذات يوم إنسانًا يهجوهُ فلم يجدهُ وضاق عليهِ ذلك فانشأ يقول:

أَبتْ شَفَتايَ اليومَ إلَّا تكلُّمًا   بشرٍّ فما أدري لِمَن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهوِر هذا البيت في أشداقهِ ولا يَرى انسانًا اذ اطَّلع في ركيّ فرأى وجههُ فقال:

أرى ليَ وجهًا شوَّه الله خَلقَهُ   فقُبّح من وجهٍ وقُبّح حاملُهْ

قال ابن أبي بكرة لقيتُ الحُطيئة بذات عِرق فقلتُ لهُ: يا أبا مُلَيكة مَن أشعر الناس

فاخرج لسانهُ كأنهُ حيَّة ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مرَّ ابن الحمامة بالحُطيئة وهو جالس بفناء بيتهِ فقال : السلام عليكم . فقال : قلتَ ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بغير زادٍ . فقال : ما ضمنت لأهلك قِراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظلَّ بيتك فاتفيأ بهِ . قال : دونك الجبل يفيءُ عليك . قال : انا ابن الحمامة . قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت . ومن شعرهِ في المديح :

أُولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان انعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر ردُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا

وكان الحُطيئة يهجو الزِّبرقان بن بَدْر فاستعدى عليهِ الزِبرقان عُمَر بن الخطَّاب فرفعهُ عمر اليهِ ثم أمر بهِ فجُعِل في بئر فانشده :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجَرُ

أَلقيتَ كاسبهُم في قعر مظلمةٍ ... فاغفر عليك سلامُ الله يا عُمَرُ

انت الإمام الذي من بعد صاحبهِ ... أَلقى اليك مقاليدَ النُهى البشَرُ

لم يؤثروك بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثَرُ

فامنن على صِبيةٍ بالرمل مسكنهم ... بين الأباطح تغشاهم بها القِرَرُ

فاخرجهُ وقال لهُ : اياك وهجاء الناس فقام بالبادية الى وفاتهِ في خلافة عمر وكان قد بلغ من العمر نيفاً ومائة سنة (الأغاني للاصبهاني)

الخَنْسَاءُ (٦٤٦ م) (٢٤ هـ)

١٧٩ هي تُماضِر بنت عمرو بن الشريد من سرة قبائل سُلَيم من أهل نجدة من شواعر العرب . وأجمع علماء الشعر انهُ لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها . وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسيّ ينشدونهُ فيُفضّل مَن يرى تفضيلهُ . فانشدتهُ في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها : لولا ان هذا الأعمى انشدني قبلكِ (يعني الأعشى) لفضّلتُكِ على شعراء هذا الموسم . واكثر شعرها في مراثي اخويها معوية وصخر . وكان صخر قُتل يوم كلاب من أيام العرب . فلما مات دُفِن في أرض بني سُلَيم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسيَّة مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم : من اوَّل سبيل يا بَنيَّ انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا الهَ الَّا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو مرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيَّرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتَّقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها . وجلَّلت نارًا على أوراقها . فتيمَّموا وطيسها . وجالدوا رسيسها . تظفروا بالغنم والكرامة . في

دار الخلد و المقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدَّموا واحدًا بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصيَّة العجوز لهم حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم مستقرّ الرحمة . وكان عُمَر بن الخطَّاب يعطيها أرزاق بنيها الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قُبض . ومن قولها في أخيها صخر :

ألا يا صخر ان ابكيتَ عيني ... فقد أضحكتني زمنًا طويلا
بكيتُك في نساء مُعوِلاتٍ ... وكنتُ أحقَّ مَن أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حيٌّ ... فمن ذا يدفع الخَطبَ الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيلٍ ... رأيت بكاءك الحسنَ الجميلا

ولها فيه : إذهَبْ فلا يُبعدَنْكَ الله من رجلٍ ... درّاك ضيمٍ وطلّابٍ بأوتارِ
فسوف أبكيك ما ناحت مطوَّقة ... وما أضاءت نجومُ الليل للساري

وقالت ايضاً :

وما بلغت كفُّ امرئٍ متناوِلًا ... من المجد الّا والذي نلتَ أطولُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحَةً ... وان أطنبوا الّا الذي فيك أفضلُ

وقيل ان الخنساء أدركت الاسلام وأسلمت (للشريشي)

عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ (٦٤٣ م) (٢١ هـ)

١٨٠ هو أبو ثور بن عبد الله الزبيديّ الصحابيّ من سادات أهل اليمن وفصحائهم يقول الشعر الحسَن . وكان بعيد الغارة وشهد يوم القادسيَّة وله فيها بلاء حسن . وكان هو آخر قوم . وكانت فرسهُ ضعيفة فطلب غيرها . فأُتي بفرس فأخذ بعكوة ذنَبهِ وأخلد بهِ الى الأرض فأقعى الفرس فردَّهُ . وأُتي بآخر ففعل بهِ مثل ذلك فتحلحل ولم يقع . فقال : هذا على كل حالٍ أقوى من تلك . وقال لأصحابهِ : اني حاملٌ وعابر الجسر فان اسرعتم بمقدار جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتل بهِ تلقاءَ وجهي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت وجرِّدت . وان ابطأتم وجدتموني قتيلًا بينهم وقد قُتِلت وجُرّدت ثمّ انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم : يا بني زبيد تَدَعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوهُ حيًّا . فحملوا فانتهوا اليهِ وقد صُرِع عن فرسهِ وقد أخذ برجل فرس رَجُل من العجم فأمسكها وان الفارس ليضرب الفرس فما تقدر ان تحرَّك من يدهِ . فلما غشيناهُ رمى الأعجميّ بنفسهِ وخلّى فرسهُ فركبهُ عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني . قالوا : أين فرسك . قال : رُمي بنشّابة فشبّ فصرعني . ثم شدَّ على رُسْتم وهو الذي كان قدَّمهُ ملك الفرس وكان رُسْتم على فيلٍ . فجذم عرقوبيهِ فسقط فمات رستم من ذلك فانهزم الفرس . ولهُ في الحروب أخبار مأثورة يضرب الأعداء بسيفهِ الصمصامة . قيل ان عُمَر بن الخطّاب استوهبهُ الصمصامة فوهبهُ عمرو لهُ . فقيل

لعمرو : انهُ غيرهُ فذكر له ذلك فغضب وقال : هاته فضرب عنق بعير ضربة واحدة فأبانها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقيل له : انك تجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقعة اليرموك وكان يستشيره القوّاد في حروبهم

لَبِيدٌ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامري أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المعمّرين . وأدرك لبيد الاسلام وحسن إسلامهُ ونزل الكوفة أيام عُمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمره مئة وخمساً واربعين سنة . وكان لبيد جواداً من فصحاء شعراء العرب واقلهم لغواً في شعره يقضي منهُ العجب لجودة اختياره وصحة إنشاده . وقيل انه هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعهِ : أَلحمدُ لله اذ لم يأتني أجلي حتى لبستُ من الإسلام سربالا

ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان عُمر بن الخطاب استنشده أيام خلافته من شعره فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان شعر . فسُرَّ عُمر بجوابهِ وأجزل عليهِ العطاء . وله المعلقة المقدمة المشهورة (لابي عُبيدة)

الشعراء المسلمون

إِبْنُ خَفَاجَةَ (٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ || ١٠٦٠ ـ ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو اسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ولد بجزيرة شقر من أعمال بلنسية من بلاد الاندلس وكان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على اهل الأدب . ولهُ ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان وابن خفاجة هذا هو مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها . العارف بترصيعها وتنسيق نظم عقودها . راقم بُرودها . المجيد لإرهافها . العالم بجلائها وزفافها . تصرّف في فنونها كيف شاء . و بلغ دلوهُ من الاجادة الرشاء . فتمتع بالقول ورقّقه ومدَّ في ميدان الاعجاز شأوه . فجاء نظمه ارقّ من النسيم العليل . وآنق من الروض البليل . يكاد يمتزج بالروح وترتاح له النفس كالغصن المروّح ان وصف فلا ابهج من غرضه بفرد عصره . وتجرد بحلي دهره . وان مدح فلا الأعشى المحلّق . ولا حسان لأهل جلّق . وان تصرّف في فنون الوصف فبها فيه كفارس خصف . وكان في شبيبته مخلوع الرسن . في ميدان مجونه . كثير الوسن بين صفا لاته وجفونه . لا يبالي بمن تباس . ولا يرى الا قوّاس . الا انه قد نسك نسك ابن أذينة وغضّ عن الرسائل نظره في عقب عمره . وقد تمت به قفاع سوءه . وتصرف به الاهواء (قلائد العقيان لابن خاقان)

إِبْنُ دُرَيْدٍ (٢٢٣ ــ ٣٢١ هـ) (٨٣٩ ــ ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أبو بكر محمد بن دُرَيد الأزديّ ولد بالبصرة ونشأ بعمان . وطلب علم النحو وكان من أكابر علماء العربيّة مقدَّمًا في اللغة وانساب العرب واشعارهم . وكان شاعرًا كثير الشعر . فمن ذلك مقصورتهُ المشهورة فكان يقال ان أبا بكر بن دُرَيد أعلم الشعراء وأشعر العلماء . ولهُ في الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتَّاب الى غير ذلك . وذكر انهُ مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفِنا في مقبرة الخيزُران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيد والجبائي . ورثاهُ جحظة فقال :

فقدتُ بابن دُرَيدٍ كلَّ منفَعةٍ لمَّا غدا ثالث الاحجار والترَبِ
قد كنتُ ابكي لفقد الجود آونةً فصرت ابكي لفقد الجود والأدبِ (للانباري)

إِبْنُ ٱلرُّومِيّ (٢٢١ ــ ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ ــ ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيهُ الى آخرهِ ولا يُبقي فيهِ بقيَّةً . ولهُ القصائد المطوَّلة والمقاطيع البديعة . ولهُ في الهجاء والمديح كلّ شيءٍ ظريف . فمن ذلك قولهُ وما سبقهُ أحد الى هذا المعنى :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دَجَوْنَ نجومُ
منها معالمُ للهدى ومصابحٌ تجلو الدجى والأخرياتُ رُجومُ

ومات ابن الرومي ببغداد وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض أسفارهِ :

بلدٌ صحبتُ بهِ الشبيبةَ والصبا ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
فاذا تمثَّل في الضمير رأيتهُ وعليهِ أغصان الشَّبابِ تميدُ

إِبْنُ زَيْدُونَ (٣٥٤ ــ ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ ــ ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزوميّ الأندلسيّ القرطبيّ الشاعر المشهور كان غاية منثورٍ ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حرّ الأيَّام حرًّا . وفاق الأنام طرًّا . وصرَّف السلطان نفعًا وضرًّا . ووسَّع البيان نظمًا ونثرًا . الى أدبٍ ليس للبحر تدفُّقهُ . ولا للبدر تألُّقهُ . وشعرٍ ليس للسحر بيانهُ . ولا للنجوم اقترانهُ . وحظٍّ من النثر غريب المعاني . شعريّ الألفاظ والمعاني . وكان من ابناء وجوه الفقهاء بقُرطُبة . وبرع ادبهُ وجاد شعرهُ . وعلا شأنهُ وانطلق لسانهُ . ثم انتقل عن قرطبة الى المعتضِد عبَّاد صاحب إشبيلية فجعلهُ من خواصّهِ يجالسهُ في خلواتهِ . ويركن الى إشاراتهِ . وكان معهُ في

صورة وزير ولهُ شيء كثير من الرسائل و نظم فمن ذلك قولهُ :

يا بائعاً حظهُ مني ولو بذلت لي الحياةُ بحظي منهُ لم أبع
يكفيك أنَّك إن حمَّلت قلبي ما لا يستطيع قلوب الناس يستطع
تهْ أحتملْ وأستطلْ أصبر وعزَّ أهن وولِّ أقبل وقل أسمعْ ومرْ أطع

ولهُ القصائد الطنَّانة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائدهِ قصيدتهُ النونيَّة التي منها :

تكادُ حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسِّينا
حالت لبعدكمُ أيَّامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
بالأمس كنَّا وما يُخشى تفرُّقنا واليوم نحن وما يُرجى تلاقينا

وهي طويلة وكل أبياتها نُخَب . وكانت وفاتهُ باشبيلية (الذخيرة لابن بسَّام)

إبنُ مَطْرُوحٍ (٥٩٢ ـ ٦٥٩ هـ) (١١٩٧ ـ ١٢٥٢ م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقَّب جمال الدين من أهل صعيد مصر . ونشأ هناك وأقام بقوص مدَّةً وتنقَّلت بهِ الاحوال في الخِدَم والولايات . ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقَّب نجم الدين الأيوبي . وكان اذ ذاك نائباً عن ابيهِ الملك الكامل بالديار المصرية فرتَّبهُ السلطان ناظراً في الخزانة . ولم يزل يقرب منهُ ويحظى عندهُ الى ان ملك الملك الصالح دمشق . فرتَّبهُ بدمشق نائباً في صورة وزير لها . فحسنت حالتهُ . وارتفعت منزلتهُ . ثم تغيَّر عليهِ الملك الصالح وتنكَّر لهُ وعزلهُ عن ولايتهِ لأمور نقمها عليهِ . فبقي ابن مطروح مواظباً على الخدمة مع الاعراض عنهُ الى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وقام بها في دارهِ الى وفاتهِ . وكانت أدواتهُ جميلةً وخِلالهُ حميدةً . جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضيَّة . ويستجاد لهُ قولهُ في بعض أسفارهِ وقد نزل في طريقهِ بمسجد وهو مريض :

يا ربِّ ان عجز الطبيبُ فداوني بلطيف صُنعك واشفِني يا شافي
أنا من ضيوفك قد حُسِبتُ وإنَّ من شِيَم الكرام البرَّ بالأضياف

وكان بينهُ وبين أدباء عصره مذاكرات أدبيَّة لطيفة ومكاتبات في غيبة . واجتمع في مصر ببهاء الدين زُهَير الشاعر ولابن مطروح ديوان شعر جيد وهو شائع (لابن خلِّكان)

إبنُ النَّبيهِ (٥٥٩ ـ ٦١٩ هـ) (١١٦٥ ـ ١٢٢٣ م)

١٨٧ هو أبو الحسن علي الشاعر البارع كمال الدين بن النبيه المصري . بدر فصاحتهِ تحلَّى بصفة الكمال . وشمس بلاغتهِ لا يعتري سناها زوال . كلامهُ تعشقهُ الطباع . وتلتذُّ بهِ الأسماع . ولهُ شعر اعذب من ماء الزلال وأغرب من السحر الحلال . ونثر ألطف من كاسات الشَّمول وأرقّ من نسمات [illegible] و نثر عندهُ جنَّات عن يمين وشمال مدح في

أيوب واتّصل بالملك الأشرف موسى وكتب لهُ الانشاء . فحبّر حلل البراعة ووشّى . واطرب المسامع وأنشا . ومدحهُ بقصائد نظم بها في جيد الدهر اللآلي . وخلّد ذكرهُ في صحائف الأيام والليالي . ولهُ الديوان المشهور انتخبهُ من نتائج فكرهِ . ونفثاتِ سحرهِ . لانهُ كان ينتقي الدرّة الفريدة واختها . ويتحرّى النادرة الشاردة ليثبتها . وسكن ابن النبيه نصيبين الشرق وتوفي بها

أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ (١٩٠ ـ ٢٣١ هـ) (٨٠٧ ـ ٨٤٦ م)

١٨٨ قال الصولي : كان أبوهُ نصرانياً . وكان واحد عصرهِ في ديباجة لفظهِ وبضاعة شعرهِ وحسن اسلوبهِ . ولهُ كتاب الحماسة التي دلّت على غزارة فضلهِ . واتقان معرفتهِ بحسن اختيارهِ . ولهُ مجموع آخر سمّاهُ (فحول الشعراء) جمع فيهِ بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهليّة والمخضرمين والاسلاميين . وكان لهُ من المحفوظات ما لا يلحقهُ فيهِ غيرهُ . قيل انهُ كان يحفظ أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب البصرة . وقال العلماء : خرج من قبيلة طيّ ثلاثة كل واحد مجيدٌ في بابهِ حاتم الطائي في جودهِ . وداود بن نصير الطائي في زهدهِ . وأبو تمّام حبيب بن أوس الطائي في شعرهِ . وأخبارهُ كثيرة ورأيت الناس يطبقون على انهُ مدح الخليفة بقصيدتهِ السينيّة فلمّا انتهى فيها الى قولهِ :

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم أحنفَ في ذكاء إياسِ

قال الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فاطرق ساعةً ثم رفع راسهُ وأنشد يقول :

لا تنكروا ضربي لهُ مَن دونهُ مثلاً شروداً في الندى والباسِ

فاللّه قد ضرب الاقلّ لنورهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أيّ شيء طلبهُ فاعطهِ . وذكر الصولي ان أبا تمّام لمّا مدح محمد بن عبد الملك الزيّات الوزير بقصيدتهِ التي منها قولهُ :

ديمةٌ سمحةُ القيادِ سكوبُ مستغيث بها الثرى المكروبُ

لو سعَت بقعةٌ لاعظام أُخرى لَسعَى نحوها المكانُ الجديبُ

قال لهُ ابن الزيّات : يا أبا تمّام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدخر لك شيء من جزيل المكافاة الّا ويقصر عن شعرك في الموازاة . ورثاهُ الحسن بن وهب بقولهِ :

فُجع القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضتهِ حبيب الطائي

ماتا معاً فتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبل في الأحياء

أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ (١٣٠ ـ ٢١١ هـ) (٧٤٨ ـ ٨٢٧ م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم العنَزي المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور مولدهُ

عين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة . ونشأ بكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار فقيل له الجرّار . قال أشجع السلمي الشاعر المشهور . اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه . فدخلنا فامرنا بالجلوس فاتّفق ان جلس بجنبي بشّار بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشّار حسًّا فقال لي : مَن هذا . فقلتُ : أبو العتاهية . فقال : أتراه يُنشد في هذا المحفل . فقلت : احسبهُ سيفعل . قال فامرهُ المهدي فانشد :

أتتهُ الخلافة منقادةً   اليهِ تجرِّر اذيالها
فلم تكُ تصلح الّا لهُ   ولم يكُ يصلح الّا لها
ولو رامها احد غيره   لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعهُ بنات القلوب   لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشّار : انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشهِ . قال أشجع : فوالله ما انصرف احد عند ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية . وله في الزهد أشعار كثيرة وهو من مقدّمي المولَّدين في طبقات بشّار وأبي نُوَاس وتلك الطبقة . وشعره كثير . وتوفي ببغداد ولمّا حضرته الوفاة قال : اشتهي ان يجيء مخارق المغنّي ويغنّي عند رأسي . وبيتان لهُ من جملة أبيات

إذا ما انقضت مني من الدهر مُدَّتي   فإنَّ عزاء الباكياتِ قليل
سيُعرَض عن ذِكري وتُنسى مودَّتي   ويحدُث بعدي للخليل خليل

وأوصى ان يكتب على قبره :

إنّ عيشًا يكون آخرهُ الموت لعيشٌ معجّلُ التنغيصِ (لابن خلّكان)

أبو فِراسٍ الحَمْدانيّ (٣٢٠ــ٣٥٧هـ)(٩٣٣ــ٩٦٩م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهره وشمس عصره أدبًا . وفضلًا وكرمًا ومجدًا . وبلاغةً وبراعةً . وفروسيّةً وشجاعةً . وشعرهُ مشهور بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة . والفخامة والحلاوة ومعهُ رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبلهُ الّا في شعر عبد الله بن المعتزّ . وأبو فراس يعدّ اشعر منهُ عند أهل الصنعة ونقدَة الكلام . وكان الصاحب بن عبّاد يقول : بُدِئ الشعر بملك وختم بملك . يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد لهُ بالتقدّم والتبريز ويتحامى جانبهُ . فلا ينبري لمباراته . ولا يجترئ على مجاراته . وانما لم يمدحه ومدح من دونهُ من آل حمدان تهيّبًا لهُ واجلالًا . لا اغفالًا واخلالًا . وكان سيف الدولة يعجب جدًّا بمحاسن أبي فراس ويميّزه بالاكرام على سائر قومهِ . ويستصحبهُ في غزواتهِ ويستخلفهُ في اعمالهِ . وأسر أبو فراس مرّتين فالمرّة الاولى بمغارة الكحل في سنة ثمانٍ واربعين وثلاثمائة وما تعدّوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها . وفيها انهُ ركب فرسهُ وركضهُ برجله فهوى به من اعلى الحصن

الى الفرات . والمرّة الثانية أسرهُ الروم على منبج في شوّال سنة احدى وخمسين وحملوهُ الى قسطنطينيَّة . وأقام في الاسر اربع سنين ولهُ في الاسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانهِ . وكانت مدينة منبج اقطاعاً لهُ ومن شعرهِ :

قد كنتَ عدّتيَ التي اسطو بها ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرُميتُ منك بضدّ ما أمَّلتهُ والمرء يشرَق بالزلال الباردِ
فصبرتُ كالولد التقيّ لبرهِ أغضى على ألمٍ لضرب الوالدِ

ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينهُ وبين موالي اسرتهُ في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . ورأيت في ديوانهِ انهُ لمّا حضرتهُ الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنتهُ :

ابنيَّتي لا تجزعي كل الأنام الى ذهابِ
نوحي عليَّ بحسرةٍ من خلف سترِكِ والحجابِ
قولي اذا كلَّمتني فعيِيت عن ردّ الجوابِ
زين الشباب أبو فرا سٍ لم يُمتَّع بالشبابِ

هذا يدلّ على انهُ لم يُقتل أو يكون قد جُرح وتأخّر موتهُ ثم مات من الجراحة (اليتيمة للثعالبي)

أَبُو نُوَاس (١٤٥ ــ ١٩٨ هـ) (٧٦٣ ــ ٨١٤ م)

١٩١ هو أبو عليّ الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلاهُ والبة بن الحباب . ورأى فيهِ مخايل النجابة فصار أبو نواس معهُ . ورُوي ان الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبهِ فقال : أغناني أدبي عن نسبي . فامسك عنهُ . قال اسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط اوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منهُ مع قلّة كتبهِ . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعرهُ عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعرهِ جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانهُ مختلفاً ومع شهرة ديوانهِ لا حاجة الى ذكر شيء منهُ . ورأيتُ في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفَتْ الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي النُّوَاس :

ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريقِ
اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت لهُ عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

وكان محمد الأمين قد سخط على أبي نُوَاس لقضيَّة جرت لهُ معهُ فتهدَّدهُ بالقتل وحبسهُ . فكتب اليهِ من السجن :

بك أستجيرُ من الرَّدى متعوّذًا من سطو باسِكْ
وحياة رأسك لا اعو دُ لمثلها وحياة راسكْ
مَن ذا يكون أبا نوا سك إن قتلت أبا نواسكْ

ولهُ معهُ وقائع كثيرة . وكانت وفاتهُ ببغداد . وانما قيل لهُ ابو نُواس لذؤابتين كانتا لهُ تنوسان على عاتقيهِ . وصفهُ ابو عبد الله الجمّاز قال : كان ابو نواس اظرف الناس منطقاً وأغزرهم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً واكثرهم حياء . وكان ابيض اللون جميل الوجه مليح النغمة والإشارة . ملتفّ الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم الأنف . حسَن العينين والمضحك . حلو الصورة لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان جيّد البيان . عذب الالفاظ حلو الشمائل كثير النوادر . وأعلم الناس كيف تكلّمت العرب . راويةً للاشعار علّامة بالأخبار كأن كلامهُ شعرٌ موزون (لابن خلّكان والقيرواني)

أَلأَبِيوَرْدِيُّ (٤٩٨ ــ ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ ــ ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفَّر محمد بن أبي العبَّاس الأبيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء المشاهير راويةً نسَّابةً شاعراً ظريفاً . قسم ديوان شعرهِ الى أقسام منها العراقيَّات ومنها النجديَّات وغير ذلك . وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب . نقل عنهُ احفظ الأثبات الثقات . وكان فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرِّفاً في فنون جمَّة من العلوم . عارفاً بتاريخ العرب فصيح الكلام حاذقاً في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهرهِ وحيد عصرهِ . وكان فيهِ تيه وكبر وعزَّة نفس . ومن محاسن شعرهِ قولهُ :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت ... لنا رغبةً أو رهبةً عظماؤها

فلمَّا انتهت أيامنا علقت بنا ... شدائد أيَّام قليل رخاؤها

وكان الينا في السرور ابتسامها ... فصار علينا في الهموم بكاؤها

وصرنا نلاقي النائبات بأوجهٍ ... رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها

اذا ما هممنا ان نبوح بما جنت ... علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

ولهُ تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابيورد وكتاب المختلف والمؤتلف . وصنف كل فنّ وما اختلف وائتلف في انساب العرب . ولهُ في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها . وكان حسن السيرة جميل الأثر لهُ معاملة صحيحة . وكانت وفاتهُ باصبهان مسموماً (لابن خلّكان)

أَلبُحْتُرِيُّ (٢٠٦ ــ ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ ــ ٨٩٨ م)

١٩٣ هو ابو عبادة الوليد بن عبيد البحتري شاعر مقدَّم لا يُعدَل بهِ احد يفضل على حبيب . والناس في تفضيلها على اختلاف . وُلد بمنبج ونشأ وتخرَّج بها . ثمَّ خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أوَّلهم المتوكل وأقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد الى الشام . وكان حسن المذهب نقيّ الكلام خُتم بهِ الشعراء المحدثون . ولهُ تصرُّف في ضروب الشعر سوى الهجاء فإنّ بضاعتهُ فيهِ نزرة . وحدَّث البحتري عن نفسهِ قال : وكان اوَّل امري في الشعر اني دخلت على أبي

سعيد محمد بن يوسف المعري فانشدتهُ قصيدة أوّلها : (أأفاق صبٌّ من هوًى فأُفيقا) . فسُرَّ أبو يوسف بها وقال : أحسنتَ والله يا فتى واجدتَ . وفي مجلسهِ رجل رفيع نبيل قريب المجلس منهُ فوق كل من حضر . فاقبل عليَّ وقال : أما تستحي مني . هذا شعري تنتحلهُ وتنشده بحضرتي . فقال لهُ أبو سعيد : أحقًّا ما تقول . قال : نَعَم . وانما علقهُ مني وسبق بهِ اليك وزاد فيهِ . ثم اندفع فانشد اكثر القصيدة حتّى تشككني علم الله في نفسي وبقيت متحيرًا . فقال لي أبو سعيد : يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا . فجعلت احلف بكل محرجة من الايمان ان الشعر لي ما سمعتهُ منهُ ولا انتحلتهُ فلم ينفع ذلك شيئًا . وأطرق أبو سعيد وقطع بي حتى تمنَّيت ان يساخ بي في الارض . فقمت منكسف البال اجرُّ رجلي فما بلغت باب الدار حتّى ردَّني الغلام . فاقبل عليَّ الرجل وقال : الشعر لك يا بُنيَّ . والله ما قلتهُ قط ولا سمعتهُ الّا منك . ولكنني كنت ظننت انك تهاونت بموضعي فاقدمت على الانشاد بحضرتي تريد مضاهاتي حتى عرَّفني الامير نسبك . ولوَددتُ ان لاتلد طائيــةٌ الّا مثالك . ودعاني وضمَّني اليهِ وعانقني وأبو سعيد يضحك . فلزمتهُ بعد ذلك واخذت عنهُ واحتذيت فنَّهُ

وعن أبي الغوث عن ابيهِ البحتري قال: قال لي أبو تمَّام : بلغني ان بني حميد اعطوك مالًا جليلًا فيمَ مدحتهم فأنشدْني شيئًا منهُ . فانشدتهُ فقال لي : كم اعطوك . فقلت : كذا . فقال لي : ظلموك . ما وفوك حقك والله لَبَيتٌ منها خير مماَّ اخذت . ثم اطرق قليلًا ثم قال : لعَمري لقد مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت اسواق الأدب . انت والله يا بنيَّ امير الشعراء غدًا بعدي . فقمتُ فقبَّلتُ رأسهُ ويديهِ ورجليهِ وقلتُ : والله لهذا القول اسرُّ لي مما وصل اليَّ منهم. قيل البحتري أَيُّكما أشعر انت اوأبو تمَّام قال : جيّدهُ خيرٌ من جيدي ورديئي خير من رديئهِ. وصدق فان أبا تمَّام لا يتعلَّق بهِ احد في جيّدهِ . وربما اختلَّ لفظهُ لا معناهُ . والبحتري لا يختل لفظهُ. وقيل لهُ : قد مثرت باحتذائك ابا تمَّام في شعرك . فقال : أَيُعاب عليَّ ان اتبع أبا تمَّام ما عملت بيتًا قطُّ حتى أُخطر شعرهُ ببالي . وذكروا معنى تعاورهُ البحتري وأبو تمَّام فقال المبرّد لبحتري: انت في هذا أشعر من أبي تمَّام . فقال : لا والله ذلك الرئيس الأستاذ . والله ما اكلت الخبز الّا بهِ . قال المبرّد : شعر البحتري احسن استواءً من شعر ابي تمَّام . لان البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعنِ طاعنٍ . وأبو تمَّام يقول البيت النادر والبادر . (وهذا المعنى كان اعجب الى الاصمعي) . وما أُشبههُ الّا بغائص يخرج الدرَّة ثم قال : لأبي تمَّام والبحتري من المحاسن ما لو قيس باكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيهِ مثلهُ وذكر المبرّد شعرًا لهُ وقدَّمهُ على نظرائهِ :

واذا ذكرتُ محاسن ابنَي صاعدٍ ... أَدَّت اليك مخايلــ ابنَي مخلدِ

كالفرقدين اذا تأمَّل ناظرٌ ... لم يعلُ موضعُ فَرقَدٍ عن فرقدِ

وبعدها : أَغنت يداهُ يدي وشرَّد جُودهُ ... بخلي فافقرني بما أغنـاني

ولهُ ايضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الأسد وقتله :

حملتَ عليهِ السيف لا عطفُكَ انثنى ... ولا يدُكَ ارتدَّتْ ولا حدُّهُ نبا
فاحجم لمَّا لم يجد فيك مطمعاً ... وصمَّم لمَّا لم يجد عنك مهربا

ولهُ فيهِ : وما منع الفتح بن خاقان نيلهُ ... ولكنها الايام تعطي وتحرمُ
سحابٌ خطاني جودهُ وهو مسبلٌ ... وبحرٌ عداني فيضهُ وهو مفعمُ
أأشكو نداهُ بعد ان وسع الورى ... ومَن ذا يذمُّ الغيثَ الّا مذمَّمُ

والبحتري مكثر جدًّا وديوان شعرهِ نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص لأن شعرهُ لا ينضبط لكثرتهِ . قال البحتري : كنت أذمّ الشعر في حداثتي وكنت ارجع فيهِ الى الطبع ولم اكن اقف على تسهيل مأخذهِ ووجوه اقتضابهِ حتى قصدتُ أبا تمّام وانقطعت فيهِ اليهِ واتكلت في تعريفهِ عليهِ . فكان أوّل ما قال لي : أبا عبادة تخيّر الاوقات وانت قليل الهموم صفرٌ من الغموم . ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم . فان اردتَ النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً . واذا اخذت في مدح سيّد فشهر مناقبهُ وظهر مناسبهُ . وأبِن معالمَهُ . وإيَّاك ان تشين شعرك بالألفاظ الهجينة . وكن كأنك خيّاط تقطع الثياب على مقادير الأجسام . واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرًا الّا وانت فارغ القلب : واجعل شهوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمهِ . فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصدهُ وما تركوهُ فاجتنبهُ ترشد ان شاء الله تعالى . فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحتري انهُ كان بحلب شخص يقال لهُ طاهر بن محمد الهاشمي مات ابوهُ وخلّف لهُ مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوّار في سبيل الله . فقصدهُ البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل لهُ انهُ قد قعد في بيتهِ لديون ركبتهُ . فاغتمّ البحتري لذلك غمًّا شديدًا وبعث المدحة اليهِ مع بعض مواليهِ . فلما وصلتهُ ووقف عليها بكى ودعا بغلام لهُ وقال لهُ : بع داري . فقال لهُ : تبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال : لا بدَّ من بيعها . فباعها بثلاثمائة دينار فاخذ صرَّة وربط فيها مائة دينار ونفذها الى البحتري . وكتب اليهِ معها رقعة فيها هذه الابيات :

لو يكون الحباءُ حسب الذي أنـ ... ـت لدينا بهِ محلٌّ وأهلُ
لحثيتُ اللجينَ والدرَّ واليا ... قوت حثوًا وكان ذاك يقلُّ
والأديب الأريب يسمح بالعذ ... ر اذا قصَّر الصديق المقلُّ

فلما وصلت الرقعة الى البحتري ردَّ الدنانير وكتب اليهِ :

بأبي انت والله للبرّ أهلُ ... والمساعي بعدٌ وسعيك قبلُ
والنوال القليل يكثر ان شا ... ء مرجّيك والكثير يقلُّ

غير اني رددت برّك اذ كا ن ربًا منك والربا لا يحلُّ
واذا ما جزيتَ شعرًا بشعرٍ قُضِي الحقُّ والدنانير فضلُ

فلما عادت الدنانير اليهِ حلَّ الصرَّة وضم اليها خمسين دينارًا أُخرى وحلف انهُ لايردّها عليهِ وسيَّرها فلما وصلت البحتري انشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمــةٌ ومن يشكر المعروف فالله زائدهْ
لكل زمانٍ واحد يُقتــدَى بهِ وهذا زمانٌ انت لا شكَّ واحدُهْ (الأغاني)

أَلبُستِيُّ (٣٣٩ــ ٤٠٠ هـ)(٩٥١ ــ ١٠١٢ م)

١٩٤ هو ابو الفتح عليّ بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس . البديع التأسيس . وكان في عنفوان امرهِ كاتبًا لبايتوز صاحب بُستَ . فلما افتتحها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتنحّى عن الخدمة فدُلَّ عليهِ فاستحضرهُ وفوَّض اليهِ مهمَّات ديوانهِ مع كون بايتوز في قيد الحياة . فأشفق من سعي حسَّادهِ فطلب ان يعتزل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقرَّ الأمر فأُجيب الى طلبهِ وأُشار عليهِ بناحية الرُّخَّج . فبقي فيها حتى استدعاهُ السلطان المعظَّم يمين الدولة محمد بن سبكتكين وقد كتب لهُ عدَّة فتوح . فبقي عندهُ الى ان زحزحهُ القضاءُ عن خدمتهِ ونبذهُ الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربّهِ . ولهُ نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بَهاءُ ٱلدّينِ زُهَيرٌ (٥٨١ ــ ٦٥٦ هـ)(١١٨٦ ــ ١٢٥٩ م)

١٩٥ أبو الفضل زهير الملقَّب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصرهِ وأحسنهم نظمًا ونثرًا وخطًّا ومن اكبرهم مروءَة . كان قد اتصل بخدمة السلطــان الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بالديار المصريَّة . وتوجَّه في خدمتهِ الى البــلاد الشرقيَّة . واقام بها الى ان ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل اليهــا في خدمتهِ . وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح . وخرجت عنهُ دمشق وخانهُ عسكرهُ وهو على نابلس وتفرَّق عنهُ . وقبَض عليهِ ابنُ عمّهِ الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقلهُ بقلعة الكرك . فاقام بهــاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظــة لصاحبهِ ولم يتَّصل بغيرهِ . ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصريَّة . وقدم اليها بهاء الدين سنة سبع وثلاثين وستمائة فاجتمعت بهِ ورأيت فوق ما سمعت عنهُ من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا . وكان متمكنًا من صاحبهِ كبير القدر عنده لا يطلع على سرّهِ الخفي غيرهُ . ومع هذا كلّهِ فانهُ كان لا يتوسَّط عندهُ الَّا بالخير . ونفع خلقًا كثيرًا بحسن وساطتهِ وجميل سفارتهِ وانشدني كثيرًا من شعرهِ . وديوانهُ كثير الوجود بايدي الناس . ولهُ شعر جيّد . فمن ذلك ما قالهُ وقد غرقت بهِ سفينة فسلم

بنفسهِ منها وذهب ما كان معهُ :

لا تعتب الدهر في خطبٍ رماك بهِ ... ان استردَّ فقدماً طالما وهبا
حاسب زمانك في حالي تصرفهِ ... تجدهُ اعطاك اضعاف الذي سلبا
والله قد جعل الأيَّام دائرة ... فلا ترى راحة تبقى ولا تعبا
ورأس مالك وهي الروح قد سلمتْ ... لا تأسفنَّ لشيءٍ بعدها ذهبا
ما كنتَ أوَّل مفدوحٍ بحادثةٍ ... كذا مضى الدهر لا بدعًا ولا عجبا
وربَّ مالٍ نما من بعد مرزئةٍ ... أما ترى الشمع بعد القطف ملتهبا

وكانت وفاتهُ بالقاهرة بالوباء (لابن خلكان)

جَرِيرٌ (٤٢ ـ ١١٠هـ)(٦٦٣ ـ ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطيَّة التميمي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام. وكان بينهُ وبين الفرزدق مهاجاةٌ ونقائض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في ايّهم المتقدّم. واحتجّ من قدَّم جرير بانهُ كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظًا واقلّهم تكلفًا وكان ديّنًا عفيفًا. وسُئِل اعرابي ايُّهم عندكم أشعر الشعراء. قال: بيوت الشعر فخر ومديح وهجاء وفي كلّها غلب جرير. فقال في الفخر:

اذا غضبت عليك بنو تميمٍ ... حسبت الناس كلّهمُ غضابا

وقال في مديح ابن مروان:

ألستم خير مَن ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راحِ

وقال في هجاء الراعي الشاعر:

فغضَّ الطرف انك من نميرٍ ... فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

وذكر الأصمعي قال: كان ينهش جريرًا ثلاثةٌ وأربعون شاعرًا فينبذهم وراء ظهرهِ ويرمي بهم واحدًا واحدًا وثبت لهُ الفرزدق والأخطل. ومن مدح جرير الخلفاء قولهِ في مدح عُمَر:

انَّا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطرِ
نال الخلافة اذ كانت لهُ قدرًا ... كما أتى ربَّهُ موسى على قدرِ
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلتْ ... ام تكتفي بالذي نُبِّئتَ من خبري
ما زلت بعدك في دارٍ تعرّقني ... قد طال بعدك إصعادي ومنحدَري
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا ... ولا يجود لنا بادٍ على حضرِ
كم بالمواسم من شعثاء أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصرِ
يدعوك دعوة ملهوفٍ كأنَّ بهِ ... خَبْلًا من الجنّ او مسًّا من البشرِ
ممن يعدّك تكفي فقدَ والدهِ ... كالفرخ في العشّ لم ينهض ولم يطرِ

صَفيُّ الدِّينِ الحِلّيُّ (٦٨٥ ــ ٧٤٠ هـ) (١٢٨٧ ــ ١٣٤٠ م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلي الملقَّب بصفيّ الدين مناهل ألفاظهِ العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيهِ المفرحة بنشرها الألباب شافية لمن كرع من نهرها الرائق المديد واخبر عن نفسهِ قال : كنت قبل ان اشبَّ عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . لهجاً بالشعر نظماً وحفظاً . متقنا علومَهُ معنًى ولفظاً . فاعدّهُ من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب ومِحَن اوجبتْ بُعدي عن عريني. وهجر اهلي وقريني. بعد ان تكمل لي من الأشعار . ما سبقني الى الأمصار . فحططت رحالي بفناء ملوك آل أرتق اصحاب ماردين . فثبّتوا بالاحسان قدمي . وصانوا عن بني الزمان وجهي ودمي . فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها وبهِ يُختَم . ووسمتهُ بدرر النحور . في مدائح الملك المنصور. ثم قذف بي خوف بلادي الى الديار المصريَّة . واهلت للمثول في الحضرة الشريفة الملكيَّة الناصريَّة . فشملني من الانعام ما الزمتني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأيت كفرانها كالعقوق . فجمعت لهُ من جدّ شعرهِ وهزلهِ . ورقيق لفظهِ وجزلهِ . فبوَّبتهُ ابين التبويب . ورتّبتهُ احسن الترتيب . فوقع عنده بموقع الاستحسان . واكرم مثواي وأجزل عليَّ الاحسان . (اه) ولصفي الدين الحلّي مؤلفات منها كتاب في علم الري وكتاب في اغلاط العرب. وكانت وفاتهُ في بغداد (من ديوانهِ)

الخَوارَزميُّ (٣١٦ ــ ٣٨٣ هـ) (٩٢٩ ــ ٩٩٢ م)

١٩٨ . هو ابو بكر محمد بن العبَّاس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال لهُ الطَبَرْخَزّي ايضاً ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدّة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليهِ في عصرهِ . ويُحكى انهُ قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بارَّجان فلما وصل الى بابهِ قال لاحد حجَّابهِ : قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب واعلمهُ فقال الصاحب : قل لهُ : قد ألزمتُ نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الَّا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليهِ الحاجب واعلمهُ بذلك . فقال لهُ ابو بكر : ارجع اليهِ وقل لهُ : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحاجب فاعاد عليهِ ما قال . فقال الصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن لهُ في الدخول . فدخل عليهِ فعرفهُ وانبسط لهُ . وابو بكر المذكور لهُ ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظمهِ قولهِ :

رأيتك ان ايسرتَ خيَّمتَ عندنا ... مقيماً وان اعسرتَ زرتَ لماما
فما انت الَّا البدرُ ان قلَّ ضوءُهُ ... اغبَّ وان زاد الضياء اقاما

وكان ابو بكر قليل الوفاء فهجاه ابو سعيد احمد بن شهيب الخوارزمي :

ابو بكر لهُ أدبٌ وفضلٌ — ولكن لا يدوم على البقاء
مودّتهُ اذا دامت لخلٍّ — فمن وقت الصباح الى المساء

وملحهُ ونوادرهُ كثيرة . ولمّا رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها (لابن خلّكان)

أَلطُّغْرَائيُّ (٤٥٥ ــ ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ ــ ١١٢٠ م)

١٩٩ هو مؤيّد الدين الاصبهاني المنشيء المعروف بالطغرائي كان عزيز الفضل لطيف الطبع . فاق أهل عصرهِ بصنعة النظم والنثر . ولهُ ديوان شعر جيّد . ومن محاسن شعرهِ قصيدتهُ المعروفة بلاميّة العجم . وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حالهُ ويشكو زمانهُ . وكان الطغرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدّةً وذكر العماد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقيّة ان الطغرائي المذكور كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانهُ لمّا جرى بينهُ وبين اخيهِ السلطان محمود المصاف المقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فاوّل من أخذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر بهِ وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السميرمي فقال : مَن يكن ملحدًا يُقتَل .وقد كانوا خافوا منهُ فاعتمدوا قتلهُ بهذه الحجّة وقُتِل في سوق ببغداد عند المدرسة النظاميّة . وقيل قتلهُ عبد اسود كان للطغرائي المذكور لانهُ قتل استاذهُ (لابن خلّكان)

أَلفَارِضيُّ (٥٧٦ ــ ٦٣٢ هـ) (١١٨١ ــ ١٢٣٥ م)

٢٠٠ هو عُمَر بن أَبي الحسن الحموي الأَصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف . لهُ ديوان شعر لطيف . واسلوبهُ فيهِ رائق ظريف . ينحو منحى طريقة الفقراء . ولهُ قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم . ومن أحسن قولهِ من جملة قصيدةٍ طويلة :

أَهلًا بما لم أَكن أَهلًا بموقعهِ — قول المبشّر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد — ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيك من عوج

وأَحسن ما قال في صفة الباري قولهُ :

وعلى تفنّن واصفيهِ بحسنهِ — يفنى الزمن وفيهِ ما لم يوصفِ

ولهُ دوبيت مواليا والغز . وسمعت انهُ كان رجلًا صالحًا كثير الخير على قدم التجرد جاور بمكّة زمانًا وكان حسن الصحبة محمود العشرة . وكانت ولادتهُ بالقاهرة وتوفي بها ودُفِن من الغد بسفح المقطّم (لابن خلّكان)

أَلْفَرَزْدَقُ (٣٨ ــ ١٢٠ هـ) (٦٥٩ ــ ٧٢٩ م)

٢٠١ اسمهُ همَّام بن غالب بن صعصعة دارميٌّ من أشراف تميم . والفرزدق لُقّب بهِ لجهومة وجههِ وغلظهِ . والفرزدق قطع العجين . وكان الفرزدق رديَّ الطباع قبيح المنظر . سيِّئ المخبر . قاذفًا للمحصنات خبيث الهجو . وكان مهيبًا تخافهُ الشعراء . وقد يجنح البعض في تقديمهِ على انهُ يميل الى جزالة الشعر وفخامتهِ وشدَّة اسرهِ . والفرزدق اكثر الشعراء مقلّدًا والمقلّد المغنّى المشهور الذي يُضرَب بهِ المثل فمن ذلك قولهُ :

وكنّا اذا الجبَّار صعّر خدَّهُ ضربناهُ حتى تستقيمَ الاخادعُ

وقولهُ : وكنت كذئب السوء لمَّا رأى دمًا بصاحبهِ يومًا احال على الدمِ

وقولهُ : ترى كل مظلومٍ الينا فرارهُ ويهرب منا جهدهُ كلُّ ظالمِ

وقولهُ : ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا وان نحن اومأنا الى الناس وقفوا

ولهُ القصائد الغرَّاء في الرثاء والفخر والهجو والمديح فمن ذلك قصيدتهُ الميميَّة في زين العابدين . وقولهُ في بني المهلَّب :

فلأمدحنَّ بني المهلَّب مدحةً غرّاء قاهرة على الأشعارِ

مثل النجوم امامها قمراؤها تجلو العمى وتضيء ليل الساري

ورثوا الطعان عن المهلَّب والقرى وخلائقًا كتدفُّق الأنهار

كان المهلَّب للعراق وقايةً وحيا الربيع ومعقل الفُرَّارِ

واذا الرجال رأَوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصارِ

ومات الفرزدق بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجرير (للشريشي)

أَللَّخْمِيُّ (٥١٩ ــ ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ ــ ١٢٠٠ م)

٢٠٢ هو ابو عليّ عبد الرحيم بن احمد اللخمي العسقلاني المصريّ الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقَّب مجير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وتمكَّن منهُ غاية التمكُّن . وبرز في صناعة الانشاء وفاق المتقدّمين ولهُ فيهِ غرائب مع الاكثار . ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلّدة وهو مجيد في اكثرها . وهو رب القلم والبيان . واللسن واللسان . والقريحة الوقَّادة . والبصيرة النقَّادة . والبديهة المعجزة . والبديعة المطرَّزة . والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمن لو عاش في زمانهِ لتعلّق بغبارهِ . او جرى في مضمارهِ . يخترع الأفكار . ويفترع الأبكار . ويطلع الأنوار . ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائهِ . رابط السلك بلالائهِ . ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

دُون لكان لاهل الصناعة . خير بضاعة . اين قسٌّ عند فصاحتهِ . واين قيس في مقام حصافتهِ . ومَن حاتمٌ وعمرو في سماحتهِ وحماستهِ . وملحهُ ونوادرهُ كثيرة ولهُ في النظم ايضاً اشياء حسنة . منها قولهُ : واذا السعادة لاحظتْك عيونُها ... نَمْ فالمخاوف كلهنَّ أمانُ

واصطَدْ بها العنقاء فهي حبائلٌ ... واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وكانت وفاتهُ بالقاهرة (الخريدة للعماد الاصبهاني)

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرّيّ (٣٦٣ــ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ــ١٠٥٨ م)

٢٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المعرّي التنوخي كان علامة عصرهِ . ولهُ التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة . ولهُ من النظم لزوم ما لا يلزم . ولهُ سقط الزند وهو متن التنوير وكتاب الايك والغصون . وكان متضلعاً من فنون الأدب . وأخذ عنهُ أبو القاسم التنوخي والخطيب أبو زكريا يحيى التبريزي شارح الحماسة وغيرهما ثم عمي بالجدري . ومن تصانيفهِ كتاب اللامع العزيزي وهو شرح شعر المتنبي ولما قرئَ عليهِ الكتاب المذكور أخذ الجماعة في وصفهِ واطرائهِ . فقال أبو العلاء : كانما نظر المتنبي اليَّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي ... واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واختصر ديوان أبي تمّام حبيب وشرحهُ وديوان البحتري وديوان المتنبي وتكلم على غريب اشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أُخذ عليهم . وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم . والتوجيه للخطا في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرتين . ولمّا رجع منها في المرّة الثانية لزم منزلهُ وشرع في التصنيف . وكان يملي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنهُ ناس وسار اليهِ الطلبة من الآفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمّى نفسهُ رهين المحبسين للزومهِ منزلهُ ولذهاب عينيهِ . ومكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهُّداً . وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة . ولمّا توفي قرئ على قبرهِ سبعون مرثية منها قول أبي الفتح حصينة المعرّي :

العلم بعد أبي العلاء مضيَّعُ ... والارض خاوية الجوانب بلقعُ

أودى وقد ملأ البلاد غرائباً ... تسري كما تسري النجوم الطُلَّعُ

ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى ... ان الثرى فيهِ الكواكب تودعُ

جبلٌ ظننت وقد تزعزع ركنهُ ... ان الجبال الراسيات تزعزعُ

وعجبت ان تسع المعرّة قبرهُ ... ويضيق بطن الارض عنهُ الأوسعُ

لو فاضت المهجات يوم وفاتهِ ... ما استُكثرت فيهِ فكيف الأدمعُ

عينٌ تسهَّد للعفاف وللتقى ... ابدًا وقلبٌ للمهيمن يخشعُ

شِيَمٌ تجمّلهُ فهنَّ لمجده ... تاجٌ ولكن بالثناء يرصَّعُ

جادت ثراك أبا العلاء غمامة ... كندى يديك ومزنة لا تقلعُ

ما ضيَّع الباكي عليك دموعهُ ... ان الدموع على سواك تُضيعُ
قصدتك طلّاب العلوم ولا أرى ... للعلم باباً بعد بابك يُقرعُ
مات النهى وتعطَّلت أسبابهُ ... وقضى التأدُّبُ والمكارم أجمعُ

أبو الطيب المتنبّي (٣٠٣ـ٣٥٤) (٩١٦ـ٩٦٦)

٢٠٤ هو ابو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباهُ واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها . وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحواشيها . ولا يُسأل عن شيء الّا واستشهد فيهِ بكلام العرب من النظم والنثر . واماً شعرهُ فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منهُ لشهرتهِ لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي لهُ بيتين لا يوجدان في ديوانهِ وهما :

أَبعَينِ مفتقرٍ اليك نظرتني ... فاهنتَني وقذفتَني من حالقِ
لستَ الملومَ انا الملوم لانني ... انزلتُ آمالي بغير الخالقِ

ولمَّا كان بمصر مرض وكان لهُ صديق يغشاهُ في علَّتهِ فلما أَبل انقطع عنهُ . فكتب اليهِ : وصلتَني وصلك الله معتلاً . وقطعتني مبلاً . فان رأيت ان لا تحبّب العلَّة اليَّ . ولا تكدّر الصحة عليَّ . فعلت ان شاء الله تعالى . والناس في شعرهِ على طبقات . فمنهم مَن يرجحهُ على أبي تمّام ومن بعدهُ ومنهم من يرجح ابا تمّام عليهِ ولهُ التشابيه البديعة كقولهِ :

في جحفلٍ ستر العيون غبارهُ ... فكأنما يبصرنَ بالآذانِ

واعتنى العلماء بديوانهِ فشرحوهُ اكثر من اربعين شرحًا ما بين مطولات ومختصرات ولم يُفعل هذا بديوان غيرهِ . ولا شكَّ انهُ كان رجلاً مسعودًا ورُزِق في شعرهِ السعادة التامَّة . وانما قيل لهُ المتنبي لانهُ ادَّعى النبوءة في بادية السماوة وتبعهُ خلق كثير من بني كلب وغيرهم . فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فاسرهُ وتفرَّق اصحابهُ وحبسهُ طويلاً . ثم استتابهُ وأطلقهُ . وقيل غير ذلك وهذا اصحّ . وقيل انهُ قال : انا اوَّل من تنبَّأ بالشعر . ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧ . وكان لسيف الدولة مجلس يحضرهُ العلماء كل ليلة فيتكلَّمون بحضرتهِ . فوقع بين المتنبي و(بين) ابن خالويه النحوي كلام . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجههُ بمفتاح كان معهُ فشجَّهُ وخرج ودمهُ يسيل على ثيابهِ . فغضب وخرج الى مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافورًا ولما لم يرضِهِ هجاهُ وفارقهُ سنة ٣٥٠ فوجَّه كافور خلفهُ رواحل الى جهاتٍ شتَّى فلم يلحق بهِ . وقصد المتنبي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل جائزتهُ . ولمَّا رجع من عندهِ قاصدًا بغداد ثم الكوفة في شعبان لثمانٍ خلونَ منهُ عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي بعدَّة من اصحابهِ . وكان مع المتنبي ايضاً جماعة من اصحابهِ فقاتلوهم . فقتل المتنبي وابنهُ وغلامهُ مفلح بالقرب من النعمانيَّة (اليتيمة للثعالبي وغير ذلك)

أَلْبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ

فِي ٱلتَّارِيخِ (*)

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلّبوا عليه وبداية امرهم في ذلك ومصايره

الزحفة الاولى (١٠٩١ — ١٠٩٩ م)

٢٠٥ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستفحل امرهم بعد الروم . وكان مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعمائة (١٠٨٧ م) فتجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون بقدوين والقمص (ريموند) وغفريد وبويموند . فجعلوا طريقهم في البحر على القسطنطينيّة فمنعهم ملك الروم (أَلكسيس) من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم ان يسلموا له انطاكية كون المسلمين كانوا اخذوها من ماليكهم فقبلوا شرطه وسهّل لهم العبور في خليجه فجازوا في عدد والعدّة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان صاحب قونية فجمع للقائهم فهزموه . ثم ساروا الى انطاكية وبها باغيسيان من امراء السلجوقيّة فاخذوها عَنوة ووضعوا السيف في المسلمين الذين بها ونهبوا اموالهم . وقُتِل باغيسيان وحمل رأسهُ اليهم وردّوا امر المدينة الى بويموند (١٠٩٩ م) . فلما سمع كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العسكر وسار الى الشام في كثير من الامراء والقوّاد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتدّ عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كربوقا . ثمّ ان كربوقا اساء السيرة فيمن اجتمع معهُ من الملوك والامراء فخبُثت نيّاتهم عليه . وكان مع الفرنج راهبٌ مطاع فيهم فقال لهم : ان زُجّ الحربة التي طُعن بها المسيح مدفونة بكنيسة فتبين فان وجدتموه فانكم تظفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع فحفروا عليها في جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : ستظفرون بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلما تكاملوا ولم يبقَ بانطاكية احد منهم ضربوا مصافّاً عظيماً فولى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفاً وغنموا ما في عسكر من الاقوات والأموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوّتهم . وساروا الى معرّة النعمان فملكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها ومصية فملكها . ثمّ دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة فسار الفرنج الى بيت المقدس وكان بيت المقدس قد

(*) قد سبق الوعد بان نجعل خاتمة تاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء خبر الدُوَل الاسلاميّة وحروب الصليبيّين وكتفينا بلمعةٍ من تاريخ التتر وسلاطين الدولة العثمانية

ملكهُ السلجوقيَّة . ثم طمع فيهِ أهل مصر فاستولوا عليهِ فصار امر القدس في يد خليفة مصر. فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصدهُ الفرنج وحاصروهُ اربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب الناسَ السيفُ فاحصي القتلى فكانوا سبعين الفاً او يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليهِ الاحصاء وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضي ابي سعيد الهَرَوي فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفَّر الابيوردي :

مزجنا دماء بالدموع السواجمِ ... فلم يبقَ منَّا عُرضةٌ للراجمِ
وشرُّ سلاح المرء دمعٌ يفيضهُ ... اذا الحرب شُبّت نارها بالصوارمِ
وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفواتٍ ايقظت كلَّ نائمِ
واخواننا بالشام أضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي او بطون القشاعمِ
يسومهم الرومُ الهوانَ وأنتمُ ... تجرّون ذيل الخفض فعل المسالمِ
أترضى صناديدُ الأعارب بالأذى ... وتُغضي على ذلٍّ كماةُ الاعاجمِ
فليتهمُ إذ لم يذودوا حميَّةً ... عن الدين ضنّوا غيرةً بالمحارمِ

مُلك غدفريد (١٠٩٩ م) وبقدوين الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتمكَّن الفرنج من البلاد وولّوا على بيت المقدس غُفريد من ملوكهم . ولمَّا بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوهُ بعسقلان على غير أهبة فهزموهُ واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونازل الفرنج عسقلان حتَّى مانع اهلها الفرنج بعشرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتموا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقلّد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا . وكانت وفاة غفريد سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمر بعدهُ اخوهُ بقدوين صاحب الرُّها . وسار في ملكهِ الفرنج الى سروج وقيسارية فملكوها عَنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالأمان . وفي سنة ٤٩٥ هـ سار صنجيل (ريموند) الى طرابلس وشدَّ حصارها واعانهُ اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثمَّ صالحوهُ على مالٍ وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوةً . ثمَّ رحل الى حمص ونازلها وملك أعمالها . ثم استفحل امر الفرنج بالشام وندب بقدوين جمعاً كثيرًا ممن سار الى زيارة القدس للغزو فاغاروا على عكَّا وقيساريَّة واكتسحوا نواحيها . وفي سنة ٤٩٧ هـ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل خلقاً كثيرًا من التجَّار والحجَّاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها برًّا وبحرًا حتى يئسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سيَّر الأفضل صاحب مصر عسكرًا ضخماً الى قهر الفرنج فملكوا الرملة واستنجدهم صاحب عسقلان وطغركين اتابك صاحب دمشق فقصدهم بقدوين فاقتتلوا وكثرت

بينهم القتلى واستُشهد صاحب عسقلان وتحاجزوا وعاد كلٌّ الى بلده . ثم سار الفرنج الى حصن افامية فحاصروه حتى جهد اهلها الجوع وملكوا البلد والقلعة . وقتلوا القاضي المتغلب عليها . وفي سنة ٤٩٩ هـ سار صنجيل ثالثةً الى طرابلس وأقام عليها وبنى بالقرب منها حصناً وبنى تحته رَبَضاً وهو المعروف بحصن صنجيل فسار صاحب طرابلس اليهِ واحرق الرَّبَض ووقف صنجيل على بعض سقوفهِ المحرقة فانخسف بهِ فهلك وحُمل الى القدس ودُفن فيهِ . وفي سنة ٥٠٢ هـ سار طغركين اتابك من دمشق الى طبرية فزحف اليهِ ابن اخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتلهُ طغركين بعد ان فادى نفسهُ بثلاثين الف دينار وخمسمائة اسير فلم يقبل منهُ الَّا الاسلام او القتل . ولمَّا كانت سنة ٥٠٣ هـ وصل القمص (ريموند) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصروا طرابلس مع بقدوين ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتدَّ بهم الحصار وعدموا القوت لتأخُّر الاسطول المصري بالميرة فملكوها عنوةً واثخنوا فيها . ثم استولى الفرنج على بيروت عنوةً واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحج والغزو ونازلوا صيدا برًّا وبحرًا واسطول مصر يعجز عن انجادهم . ثم زحفوا الى صور في ابراج الخشب المصفَّحة فضعفت نفوسهم ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الفرنج وعاد بقدوين الى القدس . ثم دخلت سنة ٥٠٤ هـ فقصد بقدوين الديار المصريَّة فانتهى الى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعاً الى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصولهِ الى العريش . فرحل اصحابهُ بجثتهِ فدفنوها بكنيسة القيامة (لابي الفداء ومجير الدين الحنبلي)

ملك بقدوين الثاني (١١١٨ م) زنكي وفتوحاتهُ

٢٠٧ ووصَّى بقدوين ببلادهِ القمص صاحب الرُّها وهو بقدوين الثاني الذي كان اسرهُ جكرمش وأطلقهُ جاولي وكان حاضرًا في القدس لزيارة الحجّ . فسلَّم الرُّها لجوسلين وكان شجاعًا من فحولهم أغار مرارًا على جموع العرب والتركمان وغنم مواشيهم . وفي عهد بقدوين الثاني سار ابو الغازي صاحب ماردين الى غزو الفرنج واجتمع بطغركين صاحب دمشق فستولوا على رميلة من اعمال دمشق وغيرها من بلاد الفرنج قبل فوز في تحصينها وعزموا على تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقُتل صاحب انطاكية فستنجد الفرنج ببقدوين فحشد بعساكر وزحف الى مقاتلة المسلمين فنجزهم ابو الغازي وصدق حملة عليهم فقتلوهُ شرَّ قتلة وهزموهُ . ثم رجع طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين فوافتهُ بها المنيَّة . ثم قام بعده بَلَك ابن أخيهِ فعاودوا الحرب ففتك بَلَك في الفرنج فتكةً شنعاء فأسر جوسلين صاحب الرُّها وحبسهُ في خَرْت برت فسار بقدوين اليهِ في جموعهِ فهزمهم بَلَك وأسر الملك وجماعة من زعمائهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بَلَك الى حرَّان وملكها ومدَّ غاب من

خرت برت تحيَّل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند . وسار بقدوين الى بلدهِ وملك الاخرون القلعة فعاد بَلَك اليهم وحاصرها وارتجعها من ايديهم ورتّب فيها الحامية . وفي سنة ٥١٨ ﻫ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصارٍ طويل وكانت للخلفاء العلويين اصحاب مصر . وكان ملكها بالأمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حملهِ من اموالهم . وفي عهد بقدوين ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن أقسنقر وكان أوّل امرهِ ان السلطان محمود السلجوقي ولّاهُ على الموصل والجزيرة وديار بكر ثم استقلّ في ملكهِ واستولى على الشام وأورث بنيهِ ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرَّعت منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاق الأمر على أهلها . فلمَّا قرب زنكي من حلب اجفل عنهُ الفرنج ورحلوا عنها فسلّم أهل حلب المدينة والقلعة اليهِ . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ ﻫ وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليهِ . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط طغركين في المُعترَك . فظنَّ اصحابهُ انهُ قُتِل فانهزم طغركين والخيَّالة والفرنج في اتّباعهم وقد اثخنوا في رجّالة التركمان . فلمَّا اتبعوا المنهزمين خالف الرجّالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيهِ ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم وأثقالهم منهوبة فانهزموا ايضاً . فمات بعد زمان ملكهم بقدوين (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلك (١١٣١ م) بقدوين الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاتهُ

٢٠٨ وصار الأمر الى فُلك من زعمائهم وفي عهدهِ سيَّر زنكي عسكرًا كثيفاً لفتح دمشق فبعث معين الدولة أُنُر صاحبها الى ملك الفرنج ليستنجدهُ على مدافعتهِ على ان يحاصر قاناس فإذا فتحها اعطاهم إيَّاها . فاجابوا الى ذلك حذرًا من استطالة زنكي على دمشق فمحص الله عسكر زنكي فانهزموا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاناس فملكها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدهم وكانت لزنكي . فاستلحموا بها الحامية واستبدَّ بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فُلك لبقدوين الثالث (١١٤٥) . وفي ايامهِ مات صاحب الرها فسار عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً ونقب سورها ونصبوا عليها السلالم وتسلّوها وفتحوا البلد عنوةً وأثخنوا في القتل والسبي والنهب . ثم نادوا بالأمان فتراجع النصارى الى البلد فاقرّوهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدَّة حتى اصلح اسوارها وخنادقها فحسنت عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم تسلَّم مدينة سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقيّ الفرات الّا البيرة لامتناعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٤١ ﻫ قتلهُ جماعة من مماليكهِ . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطهُ الشيب وكان قد زاد عمرهُ على ستين سنة . وكان شديد الهيبة على عسكرهِ . وكان لهُ الموصل وما معهُ من البلاد وملك الشام خلا دِمَشق . وكان شجاعاً فاتكاً وكانت الاعداء محيطة

بمملكتهِ من كل جهة وهو ينتصف منها ويستولي على بلادهم . ودُفِن في الرقَّة فولي امر الموصل بعدهُ اخوهُ قطب الدين مَوْدود . وكان اخوهُ الاكبر نور الدين محمود بالشام ولهُ حلب وحماة . فسار الى سَنجار وملكها ولم يحاققهُ اخوهُ قطب الدين ثم اصطلحا وأعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلّم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام لهُ وديار الجزيرة لاخيهِ . فلمّا قُتِل الاتابك زنكي طمع جوسلين ان يستردّ الرها وكان مقيماً في ولايتهِ في تل باشر فراسل أهل الرها وعامّتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد لهُ فاجابوهُ وأوعدوهُ ليوم عيَّنوهُ فسار في عسكرهِ وملك البلد . فزحف اليهم نور الدين واقتحم البلد واستباح اهلهُ

زحفة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٣٠٩ ولمَّا استولى المسلمون على الرها أخذ ظلّ الفرنج بالتقلص في المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانيَّة من الروم والفرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على انطاكية وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس . فتألبت امم الفرنج من كل ناحية وسيَّروا مَدَداً لهم على المسلمين لِمَا يرونهُ من تفرُّد هولاء بالشام بين عدوّهم . فسار في سنة ٥٤٣ ﻫ ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كونراد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام لا يشكُّون في الغلَب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عددهم وأموالهم . فتجمَّعوا بالقسطنطينيَّة وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينيَّة فلمَّا وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين مستلين امرهم فجدُّوا بالسير الى دمشق فحاصروها . فقام معين الدولة آنزفي مدافعتهم المقام المحمود . ثم قاتلهم الفرنج فدنوا من البلد بعد الشدَّة والمصابرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوهُ الى نصرة المسلمين . فجمع عسكرهُ وسار الى الشام واستدعى أخاهُ نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى ضعفاء الفرنج من سكان الشام والواردين مع الألمان يتهددهم بتسليم البلاد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طُعمة . فاجتمعوا الى ملك الألمان وخوَّفوهُ من صاحب الموصل وفتنوا لهُ في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلادهِ على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ ﻫ جمع نور الدين محمود عسكرهُ وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي فسار في عسكرهِ نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسِر جمع كثير . وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذهُ جوسلين ومعهُ سلاح نور الدين فسيَّرهُ الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال لهُ : هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعدهُ ما هو اعظم منهُ . فلمَّا علم نور الدين الحال عظم عليهِ واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثارهُ .

وأحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجوسلين وسلموهُ اليهِ . لانهُ لم يعجزهُ عنهُ في القتال . فجعل التركمان عليهِ العيون فخرج متصيدًا فظفر بهِ طائفة منهم وحملوهُ الى نور الدين اسيرًا . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من أعمالهِ . وفي سنة ٥٤٨ ﻫ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العَلَويَّة خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجزْيَة . وكان صاحبها مجير الدين أُتز واهي القوى مُستضعَف القوَّة فخشي نور الدين عليها من الفرنج . فكاتب أهل دمشق واستمالهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة . فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان تُوفي واماً نور الدين فزحف الى بعلبكَّ واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فرحل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كبسهُ الفرنج وهو نازل في البُقَيعة تحت حصن الاكراد فلم يشعر نور الدين وعسكرهُ الَّا وقد اظلَّت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسهُ وفي رجلهِ السبخة فنزل انسان كردي فقطعها فنجا نور الدين وقُتل الكردي فاحسن نور الدين الى مخلّصيهِ ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى بُحَيرة حمص ولحق بهِ المنهزمون فتوافت اليهِ الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصافّ جرى بين الفريقين وانتصر فيهِ نور الدين ودار رحى الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة بانياس لقلَّة حاميتها فحاصرها وضيَّق عليها ففتحها وشحن قلعتها بالمُقاتِلة والسلاح . وفي سنة ٥٤٤ ﻫ (١١٥٩ م) توفي بقدوين صاحب القدس في مدينة انطاكية (لابن الاثير)

ملك أموري (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٣١٠ فقام بعدهُ بالأمر اماليك اخوهُ . وفي سنة ٥٥٦ ﻫ تولَّى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويّين بالديار المصريَّة . وكانت دولة العلويّين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استبداد وزرائها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازعهُ في الوزارة الى الشام ملتجئًا الى نور الدين ومستجيرًا بهم . وطلب منهُ ارسال العساكر معهُ الى مصر ليعود الى منصبهِ ويكون لهُ ثُلث دخل البلاد . فتقدَّم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدَّم عليها اسد الدين شيركوه فتجهَّز وساروا جميعًا وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع على شاور وأُعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر بهِ شاور وعاد عمَّا كان وعدهُ نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوتهِ ونصرتهِ فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهرًا يتحصن بهِ . فحصرهُ بها العساكر المصريَّة والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منهُ غرضًا . فراسلهُ الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

أعاده نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ هـ فأغار اسد الدين عليها ودوّخ بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيهِ مكانهُ . وفي ولايتهِ مات العاضد ومحا الله دعوة العلويّين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان بها عاملاً لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعهُ فسار اليهِ صلاح الدين . ثم كرَّ راجعاً الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر لهُ بانهُ بلغهُ عن بعض سفلة العلويّين بمصر انهم معتزمون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين عذرهُ في ذلك واعتزم على عزلهِ عن مصر . فاستشار صلاح الدين اباهُ نجم الدين وكان خيّرًا عاقلاً حسن السيرة ذا حزمٍ ورأيٍ فاشار عليهِ بملاطفة نور الدين ومراعاتهِ ففعل واظهر الطاعة . وكان نور الدين يستفحل ملكهُ مع الايّام فدخل بلاد الفرنج وعبث بها فخافوا عن نقاتهِ في كثيرٍ بلادهم وخرَّب ما مرَّ بهِ من القلاع . ثم شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فاتاهُ امر الله الذي لا مردَّ لهُ سنة ٥٥٩ هـ . وكان نور الدين اسمر طويل القامة ليس لهُ لحية الَّا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتّسع ملكهُ جدًّا وخطب لهُ في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولدهُ سنة ٥١١ هـ وطبَّق ذكرهُ الارض بحسن سيرتهِ وعدلهِ . وكان في الزهد والعبادة على قدمٍ عظيمٍ وكان يصلّي كثيرًا من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربّهِ ما احسن المحراب في المحرابِ

وهو الذي حصَّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها لمَّا تهدَّمت بالزلازل . ولمَّا توفّي اجتمع الامراء والمقدَّمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنهُ الملك الصالح اسمعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعهُ الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخُطب لهُ هناك وضرب السكَّة باسمهِ ثم استفحل ملكهُ وعظمت دولة بني أيوب من بعدهِ الى ان انقرضوا . ولمَّا مات نور الدين سار ابن اخيهِ سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيريَّة . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتهدَّدوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مالٍ يبعثونهُ اليهم فتقرَّرت الهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين فنكرهُ واستعظمهُ وكتب الى الصالح يقبّح مرتكب أهل دمشق ويعدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ هـ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروضتين)

بقدوين الرابع (١١٧٥ م) فتوحات صلاح الدين

٢١١ فعقبهُ في الملك ابنهُ بقدوين الرابع وكان مجذوماً . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استفحل وكون ولد نور الدين طفلاً لا ينهض بعبء الملك كاتبوا صلاح الدين فسار اليهم . فخرج إليهِ أهل الدولة بتقدّمهم وسلّموا اليهِ المدينة فاستخلف عليها اخاه سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصرًا لها وبها الملك الصالح بن نور الدين فجمع أهل حلب وقاتلوا

صلاح الدين وصدُّوهُ عن حلب . وأرسل كمشتكين الى سنان مقدّم الاسماعيليَّة اموالًا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقاة سيف الدين فصدق عليه الحملة . فانهزم سيف الدين وغنم سواده ومخلفهُ واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذٍ الخطبة للملك الصالح وازال اسمهُ عن السكَّة واستبدَّ بالسلطنة . ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيليّة فنهب بلدهم وخرَّبهُ وأحرقهُ . ثم اتمَّ مسيرهُ الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطَّم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعيَّة . ولمَّا دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكتسح اعمالها ولم يرَ للفرنج خبرًا فانساح في البلاد وانقلب الى الرملة . فما راعهُ الَّا الفرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فتمَّت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطانَ فمضى منهزمًا الى مصر على البرّيَّة في فلٍّ قليل ولحقهم الجهد والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرَّقون في الاغارات اسرى . فكان وَهنًا عظيمًا جبرهُ الله بوقعة حطّين (١١٦٩ م) . فطمع الفرنج بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمتهِ فهجموا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانعهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة ولهُ من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح الشباب تامَّ القامة ابيض اللون عاقلًا عادلًا عفيفًا من أموال الرعيَّة مع شحٍّ كان فيهِ . ثم توفي بعدهُ الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيهِ . ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرقَّة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منجنيقًا . ثم علِم انَّ حصارها يطول فاقلع عنها واحتلَّ مدينة حلب واقطعها اخاهُ الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق مخنقها فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبي ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانيًا الى حصار الموصل فلم ينل منها بغيتهُ واستقرَّ الصلح بينهُ وبين صاحب الموصل بان يسلّم صاحب الموصل الى السلطان شهرزور وأعمالها وان يخطب لهُ ويضرب اسمهُ على الدراهم. فانحرف عن الموصل وأقام بحرَّان مريضًا واشتد بهِ المرض حتى أيسوا منهُ ثم انهُ عوفي وعاد الى دمشق (لابي الفداء وابن خلدون)

بقدوين الخامس (١١٨٥ م)

٢١٢ وكان بقدوين الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥ م) وأوصى بالمُلك لابن اخيهِ صغيرًا فكفلهُ أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير المُلك وكان من أعظم الفرنج

مكرًا وأشدّهم ضررًا وطمع ان تكون كفالتهُ ذريعةً الى الملك . ثم مات الصغير (بقدوين الخامس) فتزوّجت الملكة ابن عمّ (غي دي لوسينيان) من الفرنج القادمين من المغرب وتوّجتهُ . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والداوية والبارونة واشهدتهم خروجها لهُ عن الملك . فأنف أرناط وغضب وجاهر بالشقاق لهم . وراسل صلاح الدين فسار بفرقة من عسكره الى الكرك فحاصرها . وأمر ابنهُ الأفضل بارسال بعث الى عكا ليكتسح نواحيها . فصبحوا صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا لهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقتل مقدمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوةً بالسيف . وكانت طبرية للقومص (أرناط وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته . فارسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك ينهونهُ عن موافقة السلطان ويوبخونهُ فسار معهم وجتمع الفرنج لملتقى السلطان

ذكر وقعة حطين (١١٨٩ م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبرية ليدفعوا عنها . فاخبرت طلائع الاسلاميَّة الامراء بحركة الفرنج فتلقى العسكران على سطح جبل طبرية قرب قرية يقال لها حطين فلمَّا حان القتال خرج القومص محرّضًا الناس يقول لهم : لا قعود بعد اليوم . ولا بدّ من رقم القوم . واذا أُخذت طبرية أخذت البلاد . وذهبت الطارف والتلاد . فلم يبقَ صبرٌ . ولا بعد هذا الكسر جبرٌ . فنسيه لهُ ونصيب معه والمعمودية عمدته . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا . فراحنا . وصفاحنا . صفاحنا . وفي اولئك الاولاء ومعهم اودّ تنشب مداوية الادواء . وطوارقنا لطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستبار بتار . ونقرن حرب من مقارنته بوار . وقد عمّ بحرد الساحل . وشدّد به المعقد والمعاقل . وهذه الارض تسعين نيّفًا وتسعين سنةً . وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا بينا ويسالمونا . ويدنوا فيصانعونا ويقاطعونا . وطالما ذصغونا وما صافونا . وهادونا وعادونا . وفي جمعنا تفريقهم . وفي فيئنا تعويقهم . ثم ماجت خضارمهم . وشاجت ضراغمهم . وطرت قشاعمهم . وثارت غماغمهم . وسدت الآفاق غمائمهم . وهم كالجبال السائرة . وكالبحار الزاخرة . مواجهه منتخبة و فواجه مزدحمة . وفجاجها محتدمة واعلاجها مصطفة . وقد جوي الجو . وضوي الضوء . وذوى الدو . وحوافر الخوافق للارض حوافر . والفوارس حوابس في البيض سوافر . فرتّب السلطان في مقدمته اطلابه . وقصر على مقاتلتهم آرابه . وحجز بينهم وبين الماء وبيوم قيظ . وبقوم غيظ . فنفر النفير وتصادم العسكران وتحمّم القتال فيقين غوم . لويل وثبور وحسّت نفوسهم انهم في غد زوّار القبور . كلّما خرجوا جُرحوا . وبرّح بهم مرّ حرب فبرحوا . وحملوا وهم ظماء . ومالهم سوى ما بأيديهم من ماء الفرند ماء . فشوتهم نار السهام وشوّهتهم . وصممت فيهم

قلوب القسيّ القاسية وأصمتهم . واعجروا وارعجوا . واحرجوا وأخرجوا . وكلّما حملوا رُدّوا وأُردُّوا . وكلّما ساروا وشدّوا أُسروا فاضطرموا واضطربوا . والتهفوا والتهبوا . فأَوَوا الى جبل حطّين يعصمهم من طوفان الدمار . فاحاطت بحطّين بوارق البوار . فرشقتهم الحنايا . وقشرتهم المنايا . وصاروا للردى درايا . ومن بقي منهم فجرّدوا العزيمة . واحتالوا في الهزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدّم الفداويّة . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوقعة . ثم استحضر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا انتصر لمحمد ثم عرَض عليهِ الاسلام فلم يفعل . ثم سلّ النمجاء وضربهُ بها . وقتل أسرى الفداويّة والاسبتاريّة اجمعين ثم استحضر الملك وأمّنهُ وطيّب قلبهُ (الفتح القدسي لعماد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩م)

٢١٤ ولمّا فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكّا فنازلها واعتصم الفرنج الذين بها بالأسوار واشاروا بالاستئمان فأمّنهم . ثم ملك قيساريّة وحيفا ويافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم شمّر عن ساق الجدّ والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزولهُ عليهِ في رجب سنة ٥٨٣ هـ فنزل بالجانب الغربي . وكان مشحونًا بالمقاتلة والخيّالة والرجّالة . ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليهِ المناجيق وضايقهُ بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ النقب في السور ممّا يلي وادي جهنّم . فلمّا رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد القى في قلوبهم ممّا جرت على ابطالهم ورجالهم في السبي والقتل والأسر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علموا انهم الى ما صاروا اليهِ صائرون . وبالسيف الذي قُتِل بهِ اخوانهم مقتولون . واستكانوا واخلدوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا افعل بكم الّا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموهُ سنة ٤٨١ هـ من القتل والسبي. فقال لهُ باليان : ايها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بدَّ منهُ لنقتلنَّ اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغنمون منّا دينارًا ولا درهمًا . ولا تسبون وتأسرون رجلًا أو امرأةً .فاذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى ثم نقتل مَن عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابّة ولا حيوانًا الّا قتلناهُ . ثم خرجنا كلّنا وحينئذٍ لا يُقتَل الرجل منّا حتى يَقتُل أمثالهُ ونموت اعزّاء ونظفر كرماء . فاستشار صلاح الدين اصحابهُ فاجمعوا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يُدرى عاقبة الأمر فيهِ عن اي شيء تنجلي . فاجاب صلاح الدين حينئذٍ الى بذل الأمان للفرنج واستقرّ ان يزنَ الرجل عشرة دنانير يستوي فيهِ الغني والفقير وتزن المرأة خمسة دنانير ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين . فمن أدّى ذلك الى أربعين يومًا فقد نجا والّا صار مملوكًا . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين الف دينارٍ فأُجيب الى ذلك . وسلّمت المدينة يوم الجمعة السابع

والعشرين من رجب فخلّف اخاهُ الملك العادل بالقدس يقرّر قواعدها . وتحرّر عزمهُ على قصد صور لمحاصرتها فامتنعت عنهُ . فعدل الى فتح قلعة جَبلة ودخل اللاذقيَّة واستولى على قلعة صهيون . ثمَّ سار الى مدينة صور وقد خرج اليها المركيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة . فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كلُّ جمعٍ لهم وقتٌ معلوم يقاتلون فيهِ بحيث يتَّصل القتال على أهل البلد . على ان الموضع الذي يقاتلون فيهِ قريب المسافة تكفيهِ الجماعة اليسيرة من أهل البلد تحفظهُ . وعليهِ الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها . لان المدينة كالكف في البحر والساعد متَّصل بالبرّ والبحر في جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فلذلك لم يتمكَّن منها صلاح الدين ورحل عنها (لابي الفرج الملطي)

زحفة الفرنج الثالثة الى المشرق (١١٩٠م)

٢١٥ فلمَّا تمَّ الخطب على الفرنج بفتح القدس بعثوا الرهبان والاقسَّة الى بلادهم بخبر بيت المقدس واستنصار النصرانيَّة لها . فقدم ملك افرنسيس (فيليب) وملك انكلترَّة (ريكارد) وملك الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد . فسار فيليب وملك الانكليز بحرًا وقصد ملك الألمان قسطنطينيَّة فعجز ملك الروم (ايساكيوس انكلوس) عن منعهِ وكان عاهد صلاح الدين بذلك . فكتب الى السلطان يعلمهُ : من ايساكيوس انكلوس ضابط الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبَّة والمودَّة : قد وصل خط نسبتك الذي نفذت الى مملكتي فما اظنّ ان نسبتك تسمع اخبارًا رديَّة وانهُ قد سار في بلادي الألمان . ولا غروَ فان الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر اغراضهم . ولو تشتهي ان تسمع الحقّ فانهم قد تأذُّوا وتعبوا كثيرًا وقد خسروا كثيرًا من المال والدواب والرجال ومات منهم وقُتلوا . وبالشدَّة قد تخلَّصوا من ايدي اجناد بلادي وقد ضعفوا . وبحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافًا بعد شدَّة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرُّون نسبتك تمَّ) . ثم عبر ملك الألمان خليج القسطنطينيَّة ومرُّوا بمملكة قلج ارسلان وتبعهم التركمان يخطفون منهم ويتخطَّفون منهم وكان الفصل شتاء فمات كثيرهم من البرد والجوع . ولما وصلوا الى بلاد طرسوس قاموا على نهر (السيدنوس) ليعبروهُ فعنَّ لملكهم ان يسبح فيهِ فمات غرقًا . فملك بعدهُ ابنهُ وتقدَّموا سائرين الى الشام فبلغوا طرابلس وقد افناهم الموت ولم يبقَ منهم الَّا ستة آلاف رجل . ومات ابن ملك الألمان في عكَّا وحزن الفرنج عليهِ حزنًا عظيمًا . ثم وصل ملك افرنسيس بحرًا . وكان عظيمًا عندهم مقدَّمًا محترمًا من كبار ملوكهم تنقاد اليهِ العساكر باسرها بحيث اذا حضر حكم على الجميع . وقدم في ست بطس مشحونة وميرتهُ وما يحتاج اليهِ من الخيل وخواصّ اجنادهِ . ثم وصل بعدهُ ملك الانكطار وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمَّة لهُ وقعات عظيمة ولهُ جسارة على الحرب وهو دون افرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنهُ اكثر مالًا منهُ واشهر في

بالحرب والشجاعة . وكان من خبره انهُ وصل الى جزيرة قبرس ولم يرَ ان يتجاوزها الّا وان تكون لهُ وفي حكمهِ . فاستولى عليها ثم زحف الى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحفة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٢١٦ فاتّفق الفرنج جميعاً على الرحيل الى عكّا وحاصرتها فنزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق . فنزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الأطراف يستنفر الناس . فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونهُ اشهراً . فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكّا حتى جهد المسلمين بعكّا الحصارُ وضعفت نفوس أهل البلد ووهنوا . فبعثوا الى الفرنج في تسليمها على ان تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي الف دينار ويطلق لهم خمسمائة اسير ويعيد لهم الصليب الصلبوت فاجابوا الى ذلك . فدخل الفرنج عكّا واستراحوا ممّا كانوا فيهِ . ثم تخلّف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم . فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى . فلمّا رأى صلاح الدين ذلك رحل الى ناحية عسقلان واخربها . ثم همَّ بترميم ما ثُلم من أسوار القدس وسدَّ فروجهُ وأمر بحفر خندق خارج الفصيل . فنُقلت الحجارة للبيان وكان صلاح الدين يركب الى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبهِ فيقتدي بهِ العسكر . ثم سار ملك الانكطار في ساقة الفرنج فحملهم وانهزموا الى يافا . فاقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا الى ارسوف فسبقهم المسلمون اليها فحملوا على المسلمين وهزموهم . ثم ساروا الى داروم ثم الى القدس فانتهوا الى بيت قوجة على فرسخين من القدس . فاستعدَّ صلاح الدين للحصار فوفد عليهِ رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم . وكان سبب ذلك ان ملك الانكطار قد طال مغيبهُ عن بلادهِ وطال عليهِ البيكار . فكاتب الملك العادل يسألهُ الدخول على السلطان فاجاب السلطان الى ذلك واتّفق عليهِ رأي الامراء لِمَا حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات . فتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكطار بل أخذوا يدهُ وعاهدوهُ . واعتذر بان الملوك لايحلفون وقنع السلطان بذلك . وكانت الهدنة على ان يستقرّ بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكّا مع اعمالها وان تكون عسقلان خراباً وأُذن للفرنج في زيارة القدس . وكان يوماً مشهوداً غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لايعلمهُ الّا الله . وارتحل ملك انكلطرّة في البحر عائداً الى بلدهِ . وأقام الكند هنري صاحب صور بعد المركيس ملكاً على الفرنج بسواحل الشام وتزوّج الملكة التي كانت تملكهم قبلهُ . وكرَّ صلاح الدين راجعاً الى دمشق وكانت وفاتهُ فيها سنة ٥٨٩ ه وعمرهُ سبع وخمسون سنة . وكان صلاح الدين حليماً كريماً حسن الاخلاق متواضعاً صبوراً كثير التغافل عن ذنوب اصحابهِ .

وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدلٍ وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاته لم يُصب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمهُ الّا الله . فيتمنّى الناس ان يكونوا فداءه من يعزّ عليهم . واستقرّ بعده الملك لابنهِ العزيز عثمان في مصر ولولدهِ الملك الأفضل بدمشق . ولمّا توفي صلاح الدين وملك اولادهُ بعدهُ جدّد العزيز الهدنة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوهُ معهُ . وكان أمير بيروت يبعث الشواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفّهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فامدّوهم بالعساكر واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا وتتهم النجدة من مصر والجزيرة . فملكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوةً واستباحوها . فجاء الفرنج من عكّا لصريخ اخوانهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعتزموا ونازلوا تبنين سنة ٥٩٤ ه فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسهِ واجتمع بعمّهِ على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين . ثم اختاروا لهم ملكًا صاحب قبرس اموري الثاني خليفة غيدو فجاءهم وزوّجوهُ بملكتهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانعقد بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وسار الفرنج الى بلادهم (لابن خلدون)

زحفة الفرنج الخامسة واستيلاؤهم على القسطنطينية (١١٩٨—١٢٠٤ م)

٢١٧ كان هولاء الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل . وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرّات فملكوا مدينة القسطنطينية من الروم . وكيفيّة الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصهروا الى ملوك الفرنج وتزوّجوا منهم بنتًا لملك الروم فولدت ابنًا . ثم وثب على الملك اخوهُ فانتزع الملك من يدهِ وحبسهُ . فلحق الولد بملك الفرنج مستصرخًا بهِ فوصل اليهم وقد تجهّز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيهِ وكان شيخًا اعمى لا يركب ولا يمشي الّا بقائد ومقدّم الفرنسيس ويسمّى المركيس والثالث يسمى كند فلندر وهو اكثرهم عددًا . فجعل الملك ابن اخته معهم واوصاهم بمظاهرتهِ على ملك القسطنطينية ووصلوا اليها فخرج عمّ الصبي وقاتلهم . واضرم شيعة الصبي نارًا في احد جوانب البلد فاضطرب عسكره فرجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة ودخلوا الفرنج وخرج عمّه هاربًا . ونصب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اباه من السجن واستبدّوا بالحكم . فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظاهره محاصرين لهم فاقتحموها واحتشوا في النهب ونجا كثيرٌ من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة اياصوفيا فما تغني عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على الكند فلندر فملكها على ان يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقية وفيلادلف ولم تدم لهُ فانها تغلّب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمهُ لشكري . ولم تزل القسطنطينيّة بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج

ولمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وارسوا بعكّا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين . ثم ساروا في نواحي الاردنّ فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر. وسار فنزل بالطور قريباً من عكّا لمدافعتهم وهم قبالتهُ وساروا الى كفركنّا فاستباحوهُ . ثم تراسلوا في المهادنة على ان ينزل لهم العادل عن كثير من مناصب الرملة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولمّا استقرّت الهدنة اعطى العساكر دستورًا وسار الى مصر وأقام في دار الوزارة . فقصد الفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين فهزموهُ . وفي سنة ٦٠٣ هـ أكثر الفرنج الغارات بالشام بحدثان ما ملكوا القسطنطينيّة فعجز المسلمون عن دفاعهم . وأغار اهل قبرس في البحر على اسطول مصر فظفروا منهُ بعدَّة قطع وأسروا مَن وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكّا يحتجّ عليهِ بالصلح فاعتذر بان أهل قبرس في طاعة افرنج القسطنطينيّة وانهُ لا حكم لهُ عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكّا حتى صالحهُ صاحبها على اطلاق اسرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحفة الفرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦م) الزحفة السابعة (١٢٢٨م)

٢١٨ كان صاحب رومية اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الشماليّة من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعتهِ . فبلغهُ اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهّز اليهم العساكر فامتثلوا امرهُ من ايالتهِ . وتقدَّم الى ملوك الفرنج ان يسيروا بانفسهم وتوافت الامداد الى عكّا سنة ٦١٤ هـ . فسار الملك العادل من مصر الى نابلس فبرز الفرنج ليصدّوه وكان في خِفّ من العساكر فحام عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا بانياس ورجعوا الى عكّا وامتلأت ايديهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو الذي اختطّهُ الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخربها لئلا يملكها الفرنج وخرّب اسوار القدس حذرًا عليهِ منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها . وكان على النيل برج حصين تمرّ منهُ الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر الملح ان تصعد في النيل الى مصر. فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورًا بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنهِ الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل. وألحّ الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

اشهر حتى ملكوهُ . فعبروا الى البر المتَّصل بدمياط واشتدَّ في قتالها وهي في قلَّة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتــةً . ولمَّا جهدهم الحصار وتعذَّر عليهم القوت استأمنوا الى الفرنج فملكوها سنة ٦١٦ ﻫ وقاموا في عمارتها وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط . وكان الكامل قد خلف اباهُ السلطان العادل بالملك في مصر وكان العادل قد توفي في سنة ٦١٥ ﻫ وكان لهُ من العمر خمسٌ وسبعون سنة . وكان العادل حازماً متيقظاً غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة أتتهُ السعادة واتسع ملكهُ . وفي سنــة ٦١٨ ﻫ كان اجتماع الملك المعظَّم والملك الأشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم . فاحاطوا بهم وضيَّقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بايديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بايدي المسلمين من أسراهم وقرر الصلح الدكاد نائب البابا وملك عكَّا وملوك فرنجة ومقدَّمو الفداوية والاسبتارية . وتسلَّم الكامل دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب وكانت مدَّة مقام الفرنج بها سنة كاملة واحد عشر شهر

وفي سنة ٦٢١ ﻫ قدم امبراطور الألمان الى عكَّا مع جموعه والامبراطور معناه ملك الامراء. وانما اسم الامبراطور المذكور فَرَديك (فريديريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محبّ للحكمة والمنطق والطب مائلاً الى المسلمين . وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين يستدعيه الى قصد الشام بسبب اخيه المعظَّم . فوصل الامبراطور وقد مات المعظَّم فنشب به الملك الكامل . ولمَّا وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب . فعمَّر الفرنج سورها واخلوا فيها ثم ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور . ولمَّا طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدًّا من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمرّ اسوارها خراباً ولا يعمرها الفرنج . ولا يتعرَّضوا الى قبَّة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرستيق الى والي المسلمين . ويكون لهم من القرى ما هو على طريق من عكَّا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليهِ . وتسلَّم الامبراطور القدس ورجع الى عكَّا وركب البحر الى بلدهِ . وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة ٦٣٥ ﻫ . فاستولى على مصر ابنهُ العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عمَّروا قلعتها فحاصرها وفتحها وضرب القلعة وخرَّب برج داود . الذي كان

زحفة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ — ١٢٥٣ م)

٢١٩ كان ملك فرنسة الهولويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمونهُ ريد افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله ملوكهم . فخرج قاصداً الديار المصريَّة فجمع عساكرهُ فارساً وراجلها وركب البحر بأموال جزيلة وأهبة جمية فجاء الى

قبرس وشتّى بها . ثم عبر سنة ٦٤٧ ه الى دمياط وبها بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل بها حاميةً . فلما رأوا ما لا قبل لهم بهِ اجفلوا عنها . فملكها ريدّ افرنس بغير تعب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكرهُ نازلة بحمص فكرَّ راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابهُ بالطريق وعك . فامر بصلب الامراء المنهزمين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميرًا فاشتدَّ عليهِ فتوفي . وكان ملكه في الديار المصرية تسع سنين وكان مهيبًا عالي الهمة عفيفًا طاهر اللسان والذيل وكان جمع من المماليك الترك ما لم يجمع لغيره . وكتم أهل الدولة موتهُ حذرًا من الفرنج وقامت زوجتهُ شجرة الدرّ بالأمر وكانت تركيّة داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوّت جاشهم واستحلفتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظّم تورانشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشرهَ الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدّم العسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلًا طائلًا لانهم حصلوا مضايق أزقّتها . وكانت العامة يقاتلونهُ بالحجارة والآجر والتراب وخيولهم الضخمة لم تتمكّن من الجولان بين الدروب . ثم عبى ريد افرنس جيوشهُ وسار بهم طالبًا ارض مصر فعبر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسمّى اشمون فتوجّهوا نحوهم والتقى العسكران واقتتل الفريقان قتالًا شديدًا وانجلت الحروب عن كسرة الفرنج برًّا وبحرًا . فضعفت حالهم لذلك فارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفنيت أزوادهم وانقطع عنهم المَدَد من دمياط فلم يبقَ لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجّهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الّا القليل وقُتِل منهم اكثر من ثلاثين الفًا . واعتقل الملك ريد افرنس ومعهُ جماعة من خواصّهِ واكابرهِ . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظّم قتلهُ المماليك لشهرين من ملكهِ وقدّموا عليهم اميرًا منهم يُلقّب بعز الدين التركماني . ونهضوا الى ريد افرنس وجدّدوا معهُ اليمين وافتدى منهم بالف الف دينار وتسليم دمياط فاطلقوهُ . فاقلع مع اصحابهِ الى عكّا سنة ٦٤٨ ه واتمّ عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لما حصل للمسلمين عليها من الشدّة مرّة بعد أُخرى . ثم استقرّ الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارتهِ مدّة وعُزِل لخمس سنين من ولايتهِ وانقرض بهِ مُلك بني أيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبدُّوا بالملك . وكان اوّل ملكهم المعز ايبك التركماني ثم خلفهُ ابنهُ المنصور خلعهُ قطز المعزي فاستبدّ بالملك وارتجع الشام من التتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ ه . ثم قتل المظفّر قطز واستقلّ الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ ه ثم جهّز العساكر فسار الى مقاتلة التتر فاجفلوا وولّوا هاربين . وقصد قيسارية وهي للفرنج فاقتحم عليها وفتحها وشنَّ على اعمالها الغارة . وسرّح عسكرًا الى حيفا وأرسوف وملكهما

عنوةً ثم كرَّ راجعاً الى طرابلس وبها بوبيموند الفرنجي فلم يدرك منها وطرهُ . فسار الى صفد وفتحها واستلحم الفرنج الذين بها وافحش في قتلهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة بهِ . ثم خرج الى دمشق واكتسح بسائط عكّا واحتلّ مدينة يافا وصيدا وسار الى انطاكية ثانيةً وفتحها على الامان فخرب قلعتها واضرمها نارًا فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٧٠ سنة

زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١١٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعتزم ريدفرنس لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفة المسيح بزعمهم فاوعز الى ملوك النصرانيَّة لمظاهرتهِ . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج لغزو بلاد المسلمين فشاع خبر استعداد النصارى للغزو . وهمَّ المسلمون بترميم الثغور وامر المستنصر بسرعة الاتهم بالاستكثار من العدَّة وأرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار واختزان الأحباب . واوفد السلطان على ملك افرنسيس رسله ومشرطته على ان يكف غربه فلم يرضَ وجمع الطاغية حشده وركب اساطيلهُ الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فجتمعوا بسردانية ونادى السلطان بالنذير بالعدو والاستعداد له ونفير الى قرب المرافئ وبعث شواني لاستطلاع الخبر . فتونت بعد مدَّة الاساطيل بمرسى قرطاجنَّة فتنزلوا بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفًا من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمئة بين صغار وكبار وكانوا سبعة يعاسيب فيهم الفرنسيس واخوه صاحب صقليَّة واخته زوج طاغية وتسمَّى الرينة . وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنَّة وكانت مدنية الجدران فوصلوا ما فصمه الخراب من أسوارها بالواح الخشب ونضدوا شرافتها وأداروا على السور خندقًا بعيد المهوى . وتحصنوا وأقاموا متحرسين بتونس ستة اشهر والمددُ يأتيهم في اساطيلهم من البحر من صقليَّة وعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في ممالكهِ حشدًا فوفدت الامداد من كل ناحية من المغرب والاندلس وقبائل العرب فاتصلت الحرب ومات من الفريقين خلق . وفي خلال ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابهُ مرض الوباء ولما توفي اجتمع النصارى على ابنهِ فبعثوه ثم بعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بما اغرقهُ لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى عدوتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنفر المسلمون من مصر الى حصار طرابلس فنصب عليها المجانيق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفهُ في الملك ابنهُ الاشرف خليل فكان اوَّل اعمالهِ حصار عكَّا متمّمًا عزم ابيهِ . فقاتلوها قتالًا مع الفرنج وهدم الخليل كثيرًا من ابراجها وشحنها بالمقاتلة وشحنوا من كان فيها وكثروا القتل والسبي في الفرنج واستوعبهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفلوا عنها وتركوها خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

ذكر التتر ــ فتوحات جنكزخان (١١٦٣ ــ ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتّفق اهل التاريخ انّ التتر اممٌ لا يضمّها إحصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللُّبود لشدّة البرد في بلادهم . واكثر دوابّهم الخيل واقواتهم الأرزّ وألبان الخيل ولحومها . وتُعرَف ملوكهم بالخان وهي سِمَتهم الخاصّة . وكانوا مبدّدين في دشت قبجان في حدود مُلك الخطا والصين في سهولٍ واوعارٍ يتهارجون فيها كالحيوانات السائمة لا حاكم يردعهم ولا دين يجمعهم حتى نبغ فيهم هذا الطاغية جنكزخان . وكان ظهورهُ في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذٍ المستولي على قبائل الترك المشارقة أُوتُلك خان . وهو المسمّى الملك يوحنّا من القبيلة التي يقال لها كُرَيت وهي طائفة تدين بالنصرانيّة . وكان رجلٌ مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تموجين مُلازماً لخدمة أُوتُلك خان من سنّ الطفوليّة الى ان بلغ حدّ الرجوليّة . وكان ذا بأسٍ في قهر الأعداء فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى أُوتُلك خان . ولا زالوا يغتابونهُ عندهُ حتّى أتهمهُ بتغيير النيّة وهمّ باعتقالهِ والقبض عليهِ . فاطّلع تموجين على المكيدة فكرّ مع خَدَمهِ على أُوتُلك خان فقتلهُ وابطالهُ فسُمّي جنكزخان . ثمّ علا شأنهُ وارسل الرسل الى جميع الترك فمن اطاعهُ وتبعهُ سُعِد ومن خالفهُ خُذِل . فسار اوّلاً يقصد سلطان الخطا والصين والتون خان فاباده . واستصفى ولايتهُ وبلادهُ (٦٠١ ه)

وكان جنكزخان رجلاً امّياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيّد بدين بل يعظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصارى ويُحسن الظنّ بهم ويكرّمهم ويرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكزخان هو لنفسهِ في الملك قواعد سلك فيها . ولمّا لم يكن للتتر كتاب ولا خط فأمر عقلاء مملكتهِ واذكياء قبيلتهِ ان يضعوا خطّاً وقلماً فوضعوا لهُ قلم المُغُل ورتّبوا لهُ كتاباً اسمهُ الياسق الكبير . وكان كرسي مملكتهِ قراقروم . وكان سبب مسيرهِ الى ممالك الاسلام انهُ ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلاً بهدايا يسأل الموادعة والإذن للتجّار من الجانبين في التردُّد في متاجرهم فاستنكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفيةً . ففشا الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واستولى على اترار وبخارى وسمرقند واضرموا في محالّها النار وجعلوا عمّالها وامراءها نكالاً لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسحوا كل ما مرّوا عليهِ . ففرّ من وجههِ خوارزمشاه فسرح جنكزخان العساكر في اثرهِ نحواً من عشرين الفاً فاجفلوهُ الى خراسان والى طبرستان فخاض بحرها ووصل الى بعض الجزائر فطرقهُ المرض بها فمات (تاريخ القرماني وابي الفرج الملطي)

٢٢٢ . فسار التتر بعد هلك خوارزم شاه الى خراسان ففتحوا كلات من احصن القلاع الى جانب جيحون واوسعوها نهباً وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٦٠٧ ه) . ثمّ ساروا الى مرو وهراة وهما من امنع البلاد فحاصروهما عشرًا وصدقوا عليها الحملة فملكوهما

واحرقوهما ونهبوا نواحيهما . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد له ابوه قبل موته وكان جلال الدين هذا استظهر على التتر وكبسهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرًا عظيمًا لعظمها لانها كرسي الملك وموضع العساكر . فسارت عساكر التتر اليها مع ابنيهِ جغطاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنعت . فاستمدُّوا عليها جنكزخان فامدَّهم بالعساكر متلاحقة . فزحفوا اليها وملكوا جانبًا منها وما زالوا يملكونها ناحيةً ناحية الى ان استوعبوها ثم فتحوا السدّ الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرَّقها . واقتسم اهلها بين السيف والغرق . ثم جدُّوا في عقب جلال الدين وهم ينقمون عليهِ فادركوهُ وهو نازل مع عسكرهِ على نهر السند . ولمَّا لم يرَ وسيلةً للخلاص اقتحم النهر بفرسهِ وفرَّ ناجيًا بنفسهِ وتخلَّص من عسكرهِ ثلاثمائة فرس واربعة آلاف رجل وبعض امرائهِ . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى همذان وقزوين واذربيجان وهم يضعون السيف في من قاومهم ويؤمّنون من سالمهم ويفتحون عنوة المدن الممتنعة عنهم ويستبيحونها . ثمَّ انضاف الى التتر جموع من التركمن و لاكراد وساروا الى الكرج و فتحوا فيهم . وافتتحوا قصبتهم تبريز (لابن خلدون وابن الاثير)

٢٢٣ ثم ساروا الى بيلقان فحاصروها . وبعثوا الى اهل البلد رجلاً من كبرائهم يقرّر معهم في المصانعة والصلح فقتلوهُ . فاقدم التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوةً (٦٠٨ ه) واستلحموا اهلها وافحشوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلاً ونهبًا وتخريبًا . ثم ساروا الى قاعدة ارَّان وهي كنجة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدربند (الدنبير) وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها امم القفجاق والالان واللكز وطوائف من الترك . فاوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامّة البسائط . وقاتلهم جموع من القفجاق والالان ودفعوهم ولم يلحق التتر مغبتهم . ثم عادوا الى محاربة قفجاق و نهبوا الى مدينتهم الكبرى سرداي على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينيَّة فملكوها . وافترق اهلها و عتصم بعضهم بالجبال والغيض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ ه) الى بلاد روس المجاورة لقفجاق وهي بلاد فسيحة و هم يدينون بالنصرانيَّة فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كرّوا عليهم واكتسحوا بلادهم و فتحوا فيهم قتلاً وسبيًا ونهبًا . ثم قصدوا بلغار وهدموا واحرقوا ونهبوا و رجعوا . وفي سنة (٦١٤ ه) قفل جنكزخان من الممالك الغربية الى منازلهِ القديمة الشرقيَّة فعرض له مرض في طريقهِ . ولما قوي مرضهُ استدعى اولادهُ جغطاي و وكطاي وتولي خان و ورخان و وصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الملك وعيَّن كل من هؤلاء مملكة من الممالك و وصى بتخت لاوكطاي

ظهور تيمورلنك وفتوحاتهُ (٧٣٦ – ٨٠٣ ه) (١٣٣٦ – ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذكر لتيمور نسب يتّصل بجنكزخان من جهة نسائه . وكان رحالاً ذا قدمة شهمًا

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكتاف مستكمل البنية جهير الصوت وبهِ قَزَل . فلمَّا بلغ اشُدَّهُ جعل يطوف في الصحاري والغابات يتربَّص الفرصة لاستنقاذ بلدهِ فانضمَّ الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر بهِ . ثم حاول على الامير حسين ونقض عهدهُ وانتزع منهُ مدينة بلخ فاخربها وقتل الحسين شرّ قتلة . ثم عبر جيحون وحاصر السلطان غياث الدين في هراة وكبس المدينة وفتك بغياث الدين ثم عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان وافناهم من بكرة ابيهم . ثم خرَّب المدينة ولم يبقِ لها من اثر . وفي سنة (٧٨٨ ه) زحف الى بلاد فارس وعراق العجم فاستولى عليها . ولمَّا بلغهُ موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الحريزة واستخلف عليها رجلاً من اصحابهِ . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فخام عن لقاء تيمور وفرَّ ناجياً بنفسهِ . ثم اجمع على فتح الشام فضمَّ اليهِ اطرافهُ لقتال ملكها فَرَج برقوق من الملوك السراكسة فالتقى بابنهِ عند حلب فهزمهُ ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعلبك على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربتهِ فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة برقوق وقهرهِ فافتتح تيمور دمشق عنوة وقتل وسفك الدماء وعاث فيها واضرم النار في جامعها الأموي . وفي سنة (٧٩٥ ه) كرَّ بعساكرهِ على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من وُلد هولاكو وتملَّكها بعد ان اوسع اهلها قتلاً وسبياً . ثم صمَّم العزم على الاغارة على ممالك الاتراك فسار الى قراباغ وكان لا يدخل في مسيرهِ قريةً الَّا افسدها ولا يتحول على مدينة الَا ومحاها ودكَّها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوهُ الى طاعتهِ فتوجَّه الى ملاقاتهِ واجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة انقرة . فاشتعلت الحرب بين الفئتين من الضحى الى العصر حتى ترك السلطان طائفةٌ من عسكرهِ وذهبوا الى تيمور فكان ذلك سبباً لكسرتهِ ووقوعهِ في مخالب تيمور فكبَّلهُ في قفصٍ من حديد فقضى فيهِ نحبهُ . ثم اندرأ تيمور راجعاً الى سمرقند مُظفَّرًا فما فتئَ ان وافتهُ المنون وكشف الله عن العالم كربهُ (٨٠٧ ه) فملك بعدهُ ابنهُ شاخ رخ ثم انتقل الملك الى اعقابهِ الى ان تلاشى واضمحلَّ (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ ــ ١٣٠٣ ه (١٢٩٩ ــ ١٨٨٤م)

٣٢٥ قال القرماني : وهم من اعظم السلاطين ابهةً وجلالةً واشدهم قوةً وآثارًا . واول من ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ ه ١٣٠٠ م) واصلهُ من التراكمة الرحَّالة النزَّالة من طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعًا مِقداماً افتتح بلاداً كثيرة من يد السلجوقيين فاستقلَّ عليها . ثم ولي بعدهُ ابنهُ اورخان (٧٢٦ ه ١٣٢٦م) افتتح بَرُوسا وجعلها مقرَّ سلطنتهِ واستولى على كليبولي وهي مدينة جليلة على شاطي البحر بينها وبين قسطنطينيَّة ستة وثمانون ميلاً . ثم ملك بعدهُ ولدهُ مراد الاول الغازي (٧٦١ ه ١٣٦٠ م) افتتح أَدرنة سنة

(٧٦١ هـ) وهو اول من اتخذ المماليك وسمّاهم ينشريّة يعني العسكر الجديد والبسهم اللبد الابيض المثنى . ثم ملك بعده ولده السلطان يلدرم بايزيد خان (٧٩٢هـ ١٣٨٩م) وله فتوحات كثيرة منها نيقية عاصمة بلاد اكرمن وتوقات وصامسون . وحصر الاستانة ولم يفتحها والتزم صاحبها بالخراج . ثم ستظهر تيمورلنك على بايزيد كما مرَّ (١٤٠٢م) . ثم خلفهُ ابنهُ محمَّد الاول بعد ان قتل اخوتهُ (٨١٦هـ ١٤١٢م) وفتك ببلاد قرمن . ثم خلفهُ ابنهُ مراد الثاني (٨٢٤هـ ١٤٢٢م) الذي غزا بلاد زنود وفتح مورة وسالونيك وضرب السكَّة باسمهِ وانتصر عليهِ ملك المجر . ثم ولي الامر بعدهُ ابنهُ محمَّد الثاني (٨٥٥هـ ١٤٥١م) وهو الذي فتح القسطنطينيَّة (١٤٥٣م) وغزا بوسنة وغلبهُ قرال (ح. هونياد) في بلاد بلغراد ودفعهُ الاستبارية عن رودس . ثم ملك بعده ابنهُ بايزيد الثاني (٨٨٦هـ ١٤٨١م) قاتل اخاهُ جمّ وغلبهُ ثم استنزل عن الملك لابنهِ سليم الاول (٩١٨هـ ١٥١٣م) . فتح سليم مصر والشام واستولى على بلاد العرب وفارس واخمد حركة فيها . ثم خلفهُ ابنهُ سليمن خان (٩٢٦هـ ١٥٢٠م) استولى على رودس وكوفوس وترق العجم وردَّهُ النصرى عن فينَّا ومالطة (وكان يحمي الاقطات) . ثم ملك بعدهُ سليم الثاني ابنهُ (٩٧٤هـ ١٥٦٧م فتح تونس وقبرس واليمن وغلبهُ الفرنج في خليج ليبنت) . ثم تولى بعدهُ السلطن مراد الثالث (٩٨٢هـ ١٥٧٣م) قهر الكرج وفتح تفليس . ثم ملك ابنهُ محمد الثالث (١٠٠٣هـ ١٥٩٥م) غزا المجر وغلبهم . ثم عقبهُ ابنهُ احمد الاول (١٠١٢هـ ١٦٠٣م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعدهُ السلطن اخوه مصطفى الاول وخلعهُ اليشريَّة بعد ثلثة اشهر من ملكهِ . ثم ملك عثمن الثاني ابن احمد الاول (١٠٢٧هـ ١٦١٨م) قتلهُ اليشريَّة ورجعوا مصطفى ثانية (١٠٣١هـ) . ثم خلفهُ مراد الرابع (١٠٣٢هـ ١٦٢٣م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعدهُ اخوه ابراهيم (١٠٤٩هـ ١٦٤٠م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٠٥٨هـ ١٦٤٧م) غلبهُ المجر في سنغوداز وكسر عسكرهُ سوبيسكي في فينَّا ثم ملك بعدهُ سليمن خان الثاني (١٠٩٩هـ ١٦٨٨م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعدهُ احمد الثاني (١١٠٢هـ ١٦٩١م انتصر عليهِ الالمان . ثم ملك مصطفى الثاني (١١٠٦هـ ١٦٩٥م . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥هـ ١٧٠٤م) . ثم الغازي محمود الاول (١١٤٢هـ ١٧٣٢م) . ثم عثمن الثالث (١١٦٨هـ ١٧٥٧م) . ثم مصطفى الثالث (١١٧١هـ ١٧٦٩م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧هـ ١٧٧٥م) . ثم سليم خان الثالث (١٢٠٣هـ ١٧٩٠م) . ثم مصطفى الرابع (١٢٢٢هـ ١٨١٠م) ثم الغازي محمود الثاني (١٢٢٣هـ ١٨١٠م) . ثم الغازي عبد المجيد خان (١٢٥٥هـ ١٨٤١م) . ثم عبد العزيز خان ١٢٧٧هـ ١٨٦٣م . ثم مراد خان الخامس فخلع ١٢٩٣هـ ١٨٧٦م) . ثم السلطان الغازي عبد الحميد خان (١٢٩٣هـ ١٨٧٧م ايدهُ الله بالعزّ والتوفيق

تمّ

فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب